T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 987

كتاب الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية

تأليف شيخ الإسلام عمدة العلماء الكرام الفخام مولانا السيد أحمد أفندي الأدهمي مفتي السادة الحنفية بثغر دمياط المحمية فسح الله في أجله ونفع الأنام بعلمه وعمله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در همام جهبذ فطن ... أبدى لنا روضة تهتز بالأدب

شرح عظيم حوى كل اللطائف في ... بديع لفظ نفيس رائق عذب

كروضة فتحت أزهارها فأتت ... ثمارها فوق غصن يانع رطب

آمين والحمد لله رب العالمين

لا زال يبدي لنا من فضله دررا ... آداب ما رنح القمري على القضب

ومدحه أيضا مولانا الذي لمحاسن الكمالات حاوي الحبر الشهير المناوي بقوله

لله در مؤلف لم تنسج الأ ... قلام ما نسجت على منواله

سحر البيان بطرسه متجمع ... وبحار رطب الدر في أقواله

RAĞIP P.
Ka. N.
1137

حسبي الله وكفى
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى

١١٤٨

١١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

قال مولانا وسيدنا الفاضل المحقق والجهبذ المدقق عمدة العلماء الاعلام ونخبة البلغاء العظام مفيد الطالبين وملاذ الراغبين وحيد عصره وفريد دهره السيد البارع الفاضل والحبر اللبيب الكامل شيخنا السيد احمد افندي الادهمي المفتي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وادام الله النفع به للمسلمين وفسح في مدته آمين

الحمد لله منطق البلغاء بافصح البيان ومودع لسان الفصيح حلاوة منطق تربو على قطر القنان باعث سيد ولد عدنان بالقران المعجز لفصحاء الزمان عن ان يجاوروه باقصر آية من التبيان محمد خير من نطق باللسان وافضل مخلوقات الانسان وابلغ من لطرق الحق ابان واكمل من كد في ميدان التبليغ وبلغ الرسالة في كل آن من بسقت دوحة رسالته فظهرت كالشمس للعيان وايمنعت رياض نبوته فجني من ثمارها من فاز بالسعادة

فسلم

فسلم من وساوس الشيطان صلى الله عليه وعلى اله واصحابه نجوم الايمان ما غرد قمري وناح على الاغصان وسح سحاب هتان وجرد الغرار من الاجفان

وبعد فان العلم هو رياضا وحياضا وخمايل وغياضا وشعبا وطرايق وهضابا وشوا يتنوع عن كل اصل منه فنون ويبسق من كل دوحة فروع وغصون وان من العلوم علم الادب الذي كانت تتفاضل به بلغاء العرب ولم تزل على اثرهم العلماء به يعتنون وينسلون اليه من كل حدب فترى لحسن بلاغتهم تكاد ترقص العقول عند سماع كلامهم طرب وكان ممن كيل له من ذلك بالكيل الوافر وطلع في سماء الادب طلوع البدور السوافر وجرى في ميدانه طلق العنان وشهد له بالفصاحة القلم واللسان صدر اهل زمانه وفي الحقيقة عينه بل نور انسانه الالمعي الكامل والعالم العامل ذو القدم الراسخ والمقام العالي الشامخ صاحب الفضل المبين الشيخ احمد المقري المغربي الملقب بشهاب الدين له في الادب كل معنى لطيف وكل مجموع رايق ظريف فمن كلامه الذي يخجل الجمان ويربو على فصاحة حسان القصيدة المقرية التي على انواع الكمال محتويه

وقد تناولتها ايدي اهل الكمال وشهد بفصاحتها الحال والقال وشرحها علامة دهره وفريد عصره مولانا الشيخ احمد السندوبي الهمام صب الله على قبره شآبيب التفضل والانعام شرحا نفيسا عجيب ترتاح لرويته الانفس وتطيب غير انه

مح

لم يجر فيه لسان القالم • بما ابداه الناظم من القصص
والحكم • بل اتي فيه بما حلي من الكلام • وكان ماخذه يمكن
باطراف الثمام • وقد اضطلع علي هذا الشرح بعض اخصا
ممن له مزيد اعتناء بصدق وفاي • وهو عندي بمنزلة
الانسان من العين • والاخ الشفيق بلا مين • متعه الله
بحواسه الخمس • وكفاه شر الشيطان والنفس • فطلب
مني شرحا يتضمن حل رموزها • ويكون مفتاحا لخبايا كنوزها
وفيا بالمرام • كافيا بما اعتناه ناظمها الهمام • فضربت صفحا
عن مرامه • وجعلت سدا بيني وبين كلامه • فلم يزده ذلك
الا طلبا والحاحا • وشغفا في الشرح واستماحا • ولم ازل
ابسط له الاعذار • وهو يزيد في الطلب ليلا ونهار • فاجبته
مقدما رجلا • وموخرا اخري • طالبا من الله تعالي الاخلاص
سرا وجهرا • راجيا منه تعالي ان يجعله سهلا • وانا استغفر
لكوني لست لذلك اهلا • سيما اذا قرنت بمن شرحه في ميدان
الكلام • او قوبلت بمن باريته ولست له باري اقلام • واي
ولو تطاولت السماك • وتعلقت النرجس من فلك الافلاك •
وتحذت النجوم عقود كمال • وزهرت المجرة الفاظا كالسحر
الحلال • ما بلغت رتبته • ولا حاكيت في البراعة نبغته •
وهل يقاس الذهب باللجين • او الاثر بالعين • كيف وقد
اضحت اعراض المولفين • اغراض سهام الحساد • ونفائس
تصانيفهم معرضة بايديهم سيمت فوايدها بالكساد شعر

• اخا العلم لا تعجل بعيب مصنف • ولم تتيقن منه زلة تعرف •
• فكم افسد الراوي كلاما بعقله • وكم حرف الاقوال قوم وصحفوا •
• وكم ناسخ اضحي لمعني مغيرا • وجاء بشي لم يرده المصنف •
واستعيذ بالله من حسد يسد باب الصواب • ويردي في
وديان الهلكة والعذاب • الا وان الحسد داء هتك ومن
تعلق باذيا له هلك • وكفي الحاسد من الخزي السرمد • قوله
تعالي ومن شر حاسد اذا حسد • لله در الحسد ما اعدله •
بدا بصاحبه فقتله • شعر •
• وما انا من شر الحسود بامن • ولا جاهل يزري ولا يتدين •
وقال • هم يحسدون وشر الناس كلهم • من عاش في الناس يوما غير محسود
وقال غيره • لا مات اعداوك بل خلدوا • حتي يروا منك الذي يكمد
• لا زلت محسودا علي نعمة • فان خير الناس من يحسد •
وقال • حسدوا الفتي اذ لم ينالوا سعيه • فالقوم اعداء له وخصوم
• وتري اللبيب محسدا لم يجتنب • شتم الرجال وعرضه مشتوم •
وقال • ان العرانين تلقاها محسدة • ولم تجد للئام الناس حسادا
لا راحة لحسود • وتراه من غم لا يسود • ولا يسود سيد
بدون ود ودود يمدح • وحسود يقدح • ومن زرع الاحن
حصد المحن ولكنني بادرت لمطلوبه مسارعا • وامتثلت
لما طلب طائعا • وهل يمهر عن الانهار السائلون • ولمثل
ذلك فليعمل العاملون • ولم اقصد بذلك الاندراج •
بسلك الشراح • واني نقادا الفتيلة عند الشمس والصباح

وَلاا لبغيه والطلب ، لسلوك حرفة اهل الادب ، لان هذا
الفن نضب ماؤه ، وقل رواه ، وخمدت ريحه ، وطفيت
مصابيحه ، وناهيك بابن المعتز ، رئيس من شرب من حياض
الادب وقصب السبق في ميدانه احرز ، لما ادركته حرفة
الادب بين القوم ، صار يضرب فيه المثل بالخلافة لكونها
فرد يوم ، وقد قال الشاعر الهمام ، يرثيه وهو الاديب ابن بسام
لله درك من ميت بمضيعة ، ناهيك في العلم والآداب والحسب ،
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه ، وانما ادركته حرفة الادب
وانما القصد وجل المرام ، بالاجابة الفرار عما ورد من الوعيد
على كتم العلم عن خير الانام ، واني مودع هذا الشرح من جواهر
النظام ، وغرر النثر والكلام ، ما تشربه الحواس ، ويطلع بدر
فصاحته في اندية الادب كالنبراس ، من بدايع لو عثر عليها
سحرة موسى لتابوا ، وروايع لو اطلع عليها المصورون لخشعوا
لو بصروا وانابوا ، ومواعظ وحكم سالمة عن الحشو والتعقيد ،
متناسبة تناسب العقد النضيد ، وسميته الكواكب السنية
شرح القصيدة المقرية ، وانا ارجو ممن كرمت طباعه ،
وقصر عن داء الحسد باعه ، ان يسد الخلل ، ويتجاوز عن الخطا
والزلل ، ويسبل عليه جلباب المسامحة ، ولا يعامله في النقد
بالمشاححة ، فاللئيم يفضح ، والكريم يصلح ، وما على من الاعداء
والحساد ، لا بلغهما الله من المسلمين المراد ، شعر
ترى الفتى ينكر فضل الفتى ، لوما وخبثا فاذا ما ذهب ،

لج به الحرص على نكتة ، يكتبها عنه بماء الذهب ،
وقد استنبطته من نيف وعشرين كتاب ، من الكتب الموسمة
بالصحة والصواب ، متحريا كل معنى رايق ، وكل خبر صحيح فايق
حسب الطاقة والحال ، مع ما بي من كثرة الموانع والاشغال ،
والله سبحانه وتعالى هو الموفق لصوب الصواب ، واليه في كل
الامور المرجع والمآب ، لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، وليعلم
ان هذه القصيدة من مجزو الكامل المرفل والترفيل زيادة سبب
خفيف في آخر الضرب واصل تفاعيل هذا البحر متفاعلن
ست مرات وسمي بالكامل لاجتماع ثلاثين حركة فيه لم تجتمع
في غيره وله ثلاثة اعاريض وتسعة ضروب وليس في بحور الشعر
اكثر ضروبا منه ويدخل هذا البحر من الزحاف الاضمار وهو
تسكين ثاني السبب المتحرك وهو حسن والوقص وهو حذف
ثاني السبب المتحرك وهو صالح والخزل وهو تسكين ثاني
متفاعلن مع حذف رابعه فيصير متفعلن وهو قبيح وليعلم
ان الجزو يدخل خمسة ابحر على سبيل الوجوب وهي الهزج والمديد
والمضارع والمقتضب والمجتث ويدخل سبعة على سبيل الجواز
وهي البسيط والكامل والرجز والرمل والوافر والمتقارب
والخفيف ويمتنع في الباقي وبيت المجزو الكامل المرفل قوله
ولقد سبقتهم إلي ، فلم نزعت وانت آخر ، ولولا
خوف الاطالة لتكلمنا على بقية احكام هذا البحر وشواهده
وفي هذا القدر كفاية ، والله تعالى ولي الهداية قال المولف

رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه

بدأ رحمه الله تعالى بالتسبيح لانه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من كل نقص فيلزم منه نفي الشريك والولد وجميع ما لا يليق بجنابه عز وجل وللاشارة الى الرضي بجميع المقدور اذ ليس للعبد خير من التسليم اذ هو في الحقيقة مختار في صفة مجبور وسبحان علم على التسبيح مطلقا اي مضافا كان او لا كما عليه الزمخشري منصوب بفعل محذوف اي اسبح الله سبحان مضاف لما بعده وقد يقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون كعثمان قال الامام موفق الدين بن يعيش رحمه الله في شرح المفصل اعلم انهم علقوا الاعلام على المعاني كما علقوها على الاعيان فمن ذلك قولهم سبحان الله وهو عندنا علم واقع على معنى التسبيح وهو مصدر بمعناه البراءة والتنزيه وليس منه فعل وانما هو واقع موقع التسبيح الذي هو المصدر في الحقيقة جعل علما على هذا المعنى فهو معرفة لذلك ولا ينصرف للتعريف وزيادة الالف والنون وجملة قسم صلة من وهو موصول والعائد مستتر جوازا وقسمة الحظوظ من الازل فلا دخل للعبد فيها لحديث ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح

ويؤمر

ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد واصل الحظ النصيب يقال له حظ في الغنيمة اي نصيب قال الله تعالى يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة وهل يصح ان يراد بالحظ الرزق هنا فيكون مقابله حرمانه او المراد به السعادة فيكون مقابلها الشقاوة يجوز ويجوز وانما جمع الحظوظ باعتبار الافراد واذا قلنا بان المراد بها السعادة فهل هي وضدها ازليتان اي مقدورتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلي بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد ان يشقى ولا في الشقي ان يسعد وبه قالت الاشاعرة وعليه قوله. اذا الشقي لشقي الازل. وعكسه السعيد لم يبدل.
وذهبت الماتريدية الى ان السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور ان الشقي قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان فالسعادة والشقاوة على هذا غير ازليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسألة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله نظرا للمآل وهو مجهول الحصول وهو راي الاما

قف على هذا النفيس

الشافعي وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرا للحال وهو مذهب
الامام ابي حنيفة ومالك واحمد لان الايمان يجب فيه الجزم
ولا جزم مع التعليق وهي مسئلة طويلة الذيل فلا نطيل بها
واذا قلنا المراد بالحظ الرزق كما هو الظاهر او المعنى الاعم
الشامل له ولكل ما فيه خير وصلاح فواجب التسليم لما يراه
الانسان من عجز القوي عن الكسب واكتساب الضعيف فان
ذلك من الحكم وما احسن قول القائل

يا طالب الرزق الهني بقوة • هيهات انت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا • ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وقول القائل شعر

سبحان من وضع الاشيا مواضعها • وفرق العز والاذلال تفريقا
كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه • وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة • وصير العالم النحرير زنديقا

وقول ابن بسام

ما الرزق عن حيلة وكد • كلا ولا السبق بالتواني
كم عاقل لا ينال قوتا • وجاهل في غنى الاماني

فينبغي للعبد ان لا يكسل عن الطلب بل يطلب اسباب الرزق
فان لم يحصل شيء فواجب عليه التسليم وان حصل له شيء فهو
بفضله تعالى وان كان بسبب من الاسباب اذ الخلق متعلق
بالاسباب في كل شيء فاسترح وتحقق ان ما كان لك سوف
ياتيك وان كان ذونا لك وما ليس لك لم تنله بقوتك واذا

اعتقد

اعتقد العبد ان ما حصله بقوته وعزيمته فهو مشرك
اشراكا جليا وما احسن قول بعضهم

ان المقاسم ارزاق مقدرة • بين العباد فمرزوق ومختبر
فما رزقت فان الله جالبه • وما حرمت فمقدور به القدر

وقول طرفة بن العبد

لو فر من رزقه عبد الى جبل • دون السماء لالفى رزقه فيه

ومن ذلك تجنيس قول بعضهم

يا مجهد النفس في تحصيل مطلبه • ومشغل الفكر في تحصيل ماربه
هون عليك ورزق الله فارضه • كم من قوي قوي في تقلبه
للرزق يسعى وعنه الرزق ينحرف
وكم بليد ردي والنجح مركبه • وكم كسيح غدا والرزق يطلبه
وكم عليل شقي والخير يصحبه • وكم ضعيف ضعيف قل مكسبه
كانه من خليج البحر يغترف
كم خالي عن اناس طاب منهله • وعامر خالي عما يؤمله
وذي اجتهاد ولا رزق يحصله • هذا دليل على ان الاله له
في الخلق سر خفي ليس ينكشف

ولله در القائل

سلم امورك للطيف العالم • وارح فؤادك من جميع العالم
واعلم بان الامر ليس كما تشا • بل ما يشاء الله احكم حاكم

ومن قال افوض امري لخالقي • فحسبي الهي ونعم الوكيل
ولا ارجعن الى غيره • فان الهي لكل كفيل

واعلم ان ما وقع من بعض اهل السنة من نسبة اللوم الى الحظ
والى الدهر فانما هو على سبيل المجاز وعلى ذلك قول بعضهم
سوء حظي اتاح لي منك هذا ، فعلى الحظ لا عليك العتاب
لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه لا تسبوا
الدهر فانا الدهر بفتح الراء لا بضمها لانه عليه يكون من اسمائه
تعالى واسماؤه توقيفية ولم يرد ذلك لانه يجب ان يعتقد العبد
ان الخير والشر كله من الله تعالى ولا يرد قوله تعالى وما اصابك
من سيئة فمن نفسك لان ذلك منه تعليم للعباد ان لا ينسبوا
اليه المحقرات ادبا وان كان خالقها فلا يقال يا خالق الخنازير
مثلا ادبا في حقه تعالى ومن الادب التسليم لجميع ما يشاهده
الانسان وان كان بحسب عقله انه خلاف الاولى كارتفاع
الاسافل مثلا وانخفاض الاعالي صورة على حسب اعتقاده
الرائي مع ان في ذلك حكمة وهو انه سبحانه وتعالى انما رفع الاسافل
تنبيها لعباده على خساسة الدنيا ليزهدوا فيها وليفهموا احتقارها
وليعلموا ان علو الدنيا لا شيء ولم تزل الاسافل ترتفع على الاعالي
في الارض قديما وحديثا لاجل هذه الدقيقة وهذا اسلوب
بديع من الناظم رحمه الله وتمهيد لما يذكره في المصراع والبيت
بعده فكانه قال اذا سلكت الادب ونزهت الله تعالى عن كل ما
لا يليق به تلقيت ما يصدر منك في الكون من الامور بالتسليم
فكانت واقعة عندك في حيز القبول والرضى فلا يحصل منك
اعتراض ولا ملام اذ الكون ومن فيه ملك لله سبحانه وتعالى

يتصرف

يتصرف فيه كيف يشاء لا يسأل عما يفعل ومن الابيات التي
هي كالحكم ما انشده قاضي قضاة مكة ابو السعادات بن ظهيرة

قولا لمن ينصح ابناله ، يردد القول بتهذيبه
يضيع الوقت بلا طائل ، ويكثر القول ويهذي به
كلها الى الله وتقديره ، ثم الى الدهر وتجريبه
فانما الاقدار لا بد ان ، تاتي بما خط وتجري به

وخبر لا في قوله فلا عتاب محذوف اي على الخالق سبحانه وتعالى
ولا ملامة عليه لتصرفه في ملكه بما يشاء ووضعه الامور مواضعها
وشاع حذف خبر لا هذه جوازا عند الحجازيين ولزوما عند التميميين
والطائيين ولا بد من قرينة تدل ومن ذلك قوله تعالى ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت ، قالوا لا ضير ، فان لم تكن ثمة قرينة وجب ذكره
عند الجميع ولا فرق بين الظرف وغيره قال حاتم
ورد جازرهم حرفا مصرمة ، ولا كريم من الولدان مصبوح ،
واما حذف اسم لا هذه وابقاء خبرها فنادر ومن ذلك قولهم
لا عليك يريدون لا باس عليك والعتاب كما قال الخليل مخاطبة
الادلال ومذاكرة الموجدة وعاتبه معاتبة واعتبه سره بعد
ما ساءه والاسم منه العتبى واستعتبه واعتبه بمعنى واستعتب
ايضا طلب ان يعتب تقول استعتبته فاعتبه اي استرضاه
فارضاه وقوله ولا ملامة اي لا لوم واللوم كما في الصحاح العذل
تقول لامه على كذا من باب قال واللوام جمع لائم كراكع وركع
واللائمة الملامة يقال ما زلت اتجرع فيك اللوائم والملام جمع

جمع ملامه والام الرجل اتي بما يلام عليه وتلاوموا اي لام
بعضهم بعضًا ورجل لومه اي يلومه الناس ولومه بفتح الواو
يلوم الناس والتلوم الانتظار والمكث قال الناظم رحمه الله تعالى

أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامه

العمى عدم البصر عما من شانه ان يكون بصيرا فالبصر لازم للعمى
في الذهن مع المعاندة في الخارج على ما لا يخفى وعمى البصر ليس نقصا
وانما الضار عمى البصيرة قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور ولم يكن في الناس اوقح من العميان وفي
المثل اوقح من اعمى لان الحيا في العين وابلغ ما قيل في ذم العمى قول
بعضهم لا تلومن بالسفاهة اعمى فسكوت اللبيب عنه صواب
كيف يرجو الحيا منه صديق ومكان الحيا منه خراب
وقيل لابي العيناء ما اوقحك قال اما علمتم ان للحياء شرائط
ليس معي واحد منهن قيل صفهن قال اولاهن في العينين
ولست ابصر والثانية اجتناب الكذب وانا من اليمامة من
رهط مسيلمة الكذاب الثالثة قال المصطفى الحيا من الايمان
واي ايمان ترونه معي ونظيره ان رجلا سال يحيى بن اكثم
فقال اخطات باب الرزق من ثلاثة اوجه احدها اني مروزي
وبخل اهل مرو يضرب به المثل والثاني اني تميمي ومن لم يكن
من اهل تميم بخيلا فهو لغير رشده والثالث اني قاض والقاضي
ياخذ ولا يعطي ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما بعد ان كف بصره
ان يذهب الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي

قلبي زكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسهم موتور
وقال غيره يعيرني الاعداء والعار فيهم وليس بعار ان يقال ضرير
اذا ابصر المرء المروة والتقى وان عمي العينان فهو بصير
ولم يستوف الناظم جميع الاقسام لانهم كما قيل اعمى واعشى
واخفش واعمش واعور وبصير اما الاعمى فقد تقدم تفسيره
واما الاعشى فهو الذي لا يبصر نهارا الا قليلا والاخفش
في اللغة نوعان ضعيف البصر خلقة والثاني هو الذي يبصر
بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون الصحو قال الشاعر
مثل النهار يزيد ابصار الورى نورا ويعمي اعين الخفاش
ومن هنا سمي الخفاش خفاشا وهو نوعان صغير وكبير والكبير
يسمى وطواطا ايضا وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار
ولذا كان يلتمس الوقت الذي لا ظلمة فيه ولا ضوء وهو قريب
غروب الشمس لانه وقت هيجان البعوض فان البعوض يخرج
في ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يخرج
طالبا للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم
فائدة الخفاش هو الذي اجرى الله خلقه على يد عيسى ع
باذن الله لما طلب ذلك قومه منه عليه السلام ولاجل ذلك كان
مباينا لصنعة الخالق ولهذه الحكمة جميع الطيور تقهره وتبغضه
وما كان من الطيور ياكل اللحم اكله وما لا ياكل اللحم قتله ومن هنا
كان لا يطير الا ليلا قيل ولم يخلق عيسى عليه السلام غيره وهو
ابلغ في القدرة لان له ثديا واسنانا واذانا ويحيض كما تحيض

المراة قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا
غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الخالق
وليعلم ان الكمال لله عز وجل وهو من اعجب الطير خلقا اذ هو لحم
ودم يطير بغير ريش ومع ذلك شديد الطيران يقتات
البعوض والذباب وبعض الفواكه وهو موصوف بطول العمر
يقال انه اطول عمرا من النسر ومن حمار الوحش وليس في الحيوان
ما يحمل ولده غيره والقرد والانسان ويحمله تحت جناحه وربما
قبض عليه بفمه وذلك من حنوه واشفاقه عليه وربما ارضعت
الانثى ولدها وهي طايرة فسبحان من اودع الشفقة في
الحيوانات والعمش ضعف الرؤيا وسيلان الدمع غالب الاوقات
ومن ثم سمي سليمان بن مهران بالاعمش وكان رضي الله عنه من
اعلام التابعين راي أنس بن مالك وابا بكرة الثقفي وكان
لطيف الخلق مزاحا قيل كانت له زوجة وكانت من اجل
نساء الكوفة فجرى بينهما كلام وله تلميذ يقرا عليه الحديث
فقال له ان امراتي نشزت مني فادخل عليها واخبرها بمكانتي
من الناس فدخل عليها وقال ان الله عز وجل قد احسن قسمك
هذا شيخنا وعنه ناخذ اصل ديننا لا يغرنك عموشة عينيه
ولا حموشة ساقيه فغضب الاعمش وقال له يا خبيث قد
اخبرتها بعيوبي وماشاه ابراهيم النخعي مرة فقال له يا
اعمش ان رانا الناس قالوا اعور واعمش فقال النخعي وما
عليك ان ياثموا ونوجر فقال الاعمش وما عليك ان يسلموا

وسلم

وسلم وعاده اقوام في مرضه واطالوا الجلوس فاخذ وسادته
وقام ثم قال شفى الله مريضكم وذكر عنده مرة قوله صلى الله
عليه وسلم من نام عن قيام الليل بال الشيطان في اذنه
فقال ما عمشت عيناي الا من بول الشيطان في اذني وجلس
يوما على موضع في الخليج فجاءه رجل وقال قم عدني في هذا
الماء وركبه وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين فمضى به الاعمش حتى توسط الخليج ورماه في الماء وقال
له قل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وسئل
الاعمش عن رجل مات وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك
شيا ماذا يخص كل واحد من الورثة فقال يخص الابن اليتم
والبنت الثكل والزوجة خراب البيت وما بقي من الحزن فهو
نصيب العصبة وخرج يوما وهو يضحك فقال لاصحابه
أتدرون فيم اضحك قالوا لا قال كنت قاعدا في البيت فجعلت
ابنتي تنظر في وجهي فقلت ما تنظرين فقالت اعجب من رضى
امي بك وروي ان هشام بن عبد الملك بعث الى الاعمش ان
اكتب لي بمناقب عثمان ومساوي علي رضي الله عنهما فاخذ
الاعمش القرطاس وادخله في فم شاة فلاكته وقال للرسول
قل له هذا جوابه فذهب الرسول ثم عاد وقال انه آلى أنه
يقتلني ان لم اته بخطك وتحمل عليه باخوته فقالوا له انقذه
من القتل فلما الحوا عليه كتب اما بعد فلو كان لعثمان مناقب
اهل الارض ما نفعتك ولو كان لعلي مساوي اهل الارض

لطيفة

ماضرتك فعليك بخويصة نفسك والسلام وكتب الي بعض
اخوانه يعزيه بقوله

انا نعزيك لا انا على ثقة ۔ من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزي بباق بعد ميته ۔ ولا المعزي وان عاشا الي حين

توفي سنة سبع وقيل تسع واربعين ومائة فايدة فقهية
ذكر فقهاؤنا معاشر الحنفية انه لا تصح امامة من في عينيه
رمد او عمش لان سيلان الدمع والماء من العين انما هو عن
جرح في العين وذلك بصيره صاحب عذر فلا تصح اماما
الا لمثله والاعور معروف وهو من ذهبت احدى عينيه
وفي الغالب ان عنده الحماقة قال الشاعر

لا تنصحن اعورا ۔ وان تناهى زينه
لو كان فيه راحة ۔ ما فارقته عينه

ومما يحتمل المدح والذم قوله

خاط لي عمرو قباء ۔ ليت عينيه سواء

والبصر قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين
تتلاقيان ثم يفترقان فيتاديان الي العينين يدرك
بها الاضواء والالوان والاشكال والمقادير والحركات
والحسن والقبح وغير ذلك مما يخلق الله ادراكه في النفس
عند استعمال العبد تلك القوة وهو احد الحواس الظاهرة
وهي السمع والبصر والذوق واللمس والشم وثمة حواس خمس
باطنة اثبتها الفلاسفة وهي الحس المشترك المفسر

بقوه

بقوة في مقدم البطن الاول من الدماغ تدرك صور المحسوسات
باسرها والمصورة ويعبر عنها بالمتصرفة وهي قوة في مقدم
البطن الاوسط تحلل وتركب الصور والمعاني وتستعملها في
على اي نظام تريد والمتخيلة ويعبر عنها بالخيال وهو قوة في
موخر البطن الاول تحفظ صور المحسوسات والوهمية ويعبر
عنها بالواهمة وهي قوة في اخر البطن الاوسط تدرك المعاني
الجزئية كصداقة زيد وعداوة عمرو مثلا والحافظة وهي
قوة في البطن الاخير تحفظ ما يدركه الوهم وهل السمع افضل
من البصر او البصر افضل فيه خلاف قيل البصر افضل لان
ما يدرك به اكثر مما يدرك بالسمع وقيل السمع افضل لشموله
الشخص سماع كلام من يراه ومن لا يراه وعلى الاول السادة الحنفية
لانه صلى الله عليه وسلم انفرد برؤية الله في الدنيا بعين راسه
بخلاف سماع كلامه تعالى فانه لم ينفرد به وحده بل شاركه فيه غيره
من الانبياء عليهم السلام كموسى حين ناجى ربه فدل على ان
البصر افضل لانفراده بهذه المزية وقيل بالتسوية بينهما
لتعارض دليليهما وعطف بثم في البصر للاشارة الي علو
رتبة البصر والي انه نعمة عظيمة يجب على العبد شكرها
لتدوم عليه وبالشكر تدوم النعم فلو قابل العبد نعمة
البصر كل عمله لكانت نعمة البصر اكثر يرشدك الي ذلك قصة
العابد الذي عبد الله في جزيرة كذا كذا سنة فلما توفاه الله
تعالى وقفه بين يديه وقال له تعالى ادخل الجنة برحمتي فقال

قف على كون السمع افضل ام البصر

مطلب

وقصة زرقاء اليمامة

يارب بل بعملي نحوسب على نعمة البصر فرجحت على جميع عمله ولعلو
رتبة البصر قال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير وقوله ذو
بصر مقول بالتشكيك قوة وضعفا ولذلك عطف عليه زرقا
اليمامه وهي كما قال في القاموس امراة من جديس كانت تبصر مسيرة
ثلاثة ايام وجديس بطن عظيم من العرب ونقل صاحب حياة
الحيوان ان زرقاء اليمامة كان يضرب بها المثل فيقال أبصر من
زرقاء اليمامه وهي امراة من بني نمير كانت باليمامة تبصر الشعرة
البيضاء في اللبن وتبصر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام وكانت
تنذر قومها بالجيوش فلا ياتيهم جيش الا وقد استعدوا
له فاحتال عليها بعض من غزاهم فامر اصحابه بقطع شجرة
وامسكوها بايديهم امام عسكرهم فنظرت الزرقا فقالت اني
ارى الشجر قد اقبلت اليكم فقال لها قومها قد خرفت وذهب
عقلك ورق بصرك فكيف تاتي الشجر فقالت هو ما اقول لكم
فاكذبوها فصبحتهم الخيل فاغاروا عليهم وقتلوا الزرقاء
وقوروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت من الاثمد
من كثرة ما كانت تكتحل به قال صاحب عاد البلاغة زرقا
اليمامة يضرب بها المثل في حدة النظر قيل اليمامة اسمها
وبها سمي بلدها ثم اضيفت اليه وتسمى البلد جو وربما قيل
زرقاء الجو قال المتنبي

وابصر من زرقاء جو بانني ، اذا نظرت عيناي ساواهما علمي ،

وقصتها في الحماسة ذكرها النابغة بقوله ،

واحكم

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ، الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه ، مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا ، الى حمامتنا او نصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما ذكرت ، ستا وتسعين لم ينقص ولم يزد
ومقول قولها لما رات حمام طايرا وكان لها حمامة واحدة ، ليت
الحمام ليه ، الى حمامتيه ، او نصفه قديه ، تم الحمام مية
وقالوا ان ذلك الحمام وقع في شبكة صياد فعدوه فوجد
طبق قولها ستا وستين والثمد بالمثلثة والميم المفتوحتين
الماء القليل الذي لا مادة له والنيق بكسر النون بعدها
مثناه من تحت فقاف الجبل والى في قوله بمعنى مع واو بمعنى
الواو وقد بمعنى حسب وهو مبني على السكون لكنه كسر للضرورة
وهو مبتدا خبره محذوف اي فحسبي ذلك وما نقله العلا
السندوبي في شرحه على هذا المحل انها هي الزبا مخالف
الواقع لان الزباء ملكة مشهورة قد ذكرها ابن دريد في مقصورته
بقوله ، وقد سما عمرو الى اوتاره ، فاحتط منها كل عالي المنتهى ،
فاستنزل الزباء قسرا وهي من ، عقاب لوح الجو اعلا منتها ،
والابوصيري في همزيته بقوله ،
كان من فيه قتله بيديه ، فهو من سوء فعله الزباء ،
واختلف في اسمها فقيل فارعة وقيل نايلة وعليه قول الشاعر
اتعرف منزلا بين النقا ، وبين بحر نايلة القديم ،
وقيل اسمها ميسون وحاصل قصتها انه جذيمة بن الابرش

قصة الزباء

كان ملكا على الحيرة وما حولها من السواد وكان شديد البأس
هابه القريب والبعيد وهو اول من اوقد الشموع بين يديه
واول من نصب المجانيق في الحرب فغزا مليح بن البراء وكان
ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي
ذكره ابن زيد بقوله عدي

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وباد الملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد ابنته الزباء فلحقت بالروم وكانت
عاقلة اديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة
السلطان قال ابن الكلبي ولم يكن في نساء عصرها
اجمل منها وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراها واذا نشرته
جللها فسميت الزبا لذلك قال وكان قتل ابيها قبل بعث
عيسى عليه السلام فبلغت بها همتها ان جمعت الرجال وبذلت
الاموال وعادت الى ديار ابيها ومملكته فازالت جذيمة عنها
وبنت على عراق الفراة مدينتين متقابلتين من شرقي الفراة
وغربيها وجعلت بينهما نفقا تحت الفراة فكانت اذا دهمها
الاعداء اوت اليه وتحصنت به وكانت اعتزلت الرجال فهي
عذراء بتول وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة
فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم في ذلك
فسكت القوم كلهم وتكلم قصير بن عمه وكان عاقلا لبيبا

وهو

وهو خازنه وصاحب امره وعميد دولته فقال ابيت اللعن
ايها الملك ان الزباء حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب
في مال ولا جمال ولها عندك ثار والدم لا ينام وانما هي تاركتك
رهبة وحذارا والحقد دفين في سويدا القلب له كمون ككمون
النار في الحجر اذا قدحته اورى واذا تركته توارى وللملك في
بنات الملوك الاكفاء المتسع ولهن فيه منتفع لقد رفع الله
قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم الرب شانك فما احد
فوقك حكاه هكذا ابن الجوزي وغيره وذكر ابن هشام شارح
الدريدية وغيره ان الزباء هي التي ارسلت اليه تخطبه وتعرض
عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه الى ذلك ثم
فاستشار وزراءه فكل واحد راى ذلك صوابا الا قصيرا فانه
قال ايها الملك ان ذلك خديعة ومكر فلم يسمع منه قال ولم
يكن قصير حقيقة وانما سمي به قال ابن الجوزي فقال جذيمة
الراي ما رايته يا قصير وقلته ولكن النفس تواقة والى ما
تحب وتهوى مشتاقة ولكل امر قدر لا مفر منه ولا وزر ثم
وجه اليها خاطبا وقال له اذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو اليه
فجاها خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت انعم
الله بك علينا وبما جئت به وله واظهرت له السرور والرغبة
فيه واكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت قد كنت اضربت
عن هذا خوفا ان لا اجد كفؤا والملك فوق قدري وانا دون
قدره وقد اجبت الى ما سال ورغبت فيما قال ولولا

ان السعي في مثل هذا الرجال امثل لسرت اليه ولنزلت عليهم
واهدت له هدية سنية ساقت اليه فيها اشياء عظيما فلما رجع
اليه خطيبه اعجبه ما سمع من الجواب وظن ان ذلك منها لحصول
رغبة فاعجبته نفسه وسار من وقته فيمن يثق به من خاصته
واهل مملكته وفيهم قصير وقد استخلف على مملكته عمرو
ابن عدي اللخمي وهو اول من ملك الحيرة من اللخميين وكان
مدة ملكه مائة وعشرين سنه وهذا هو الذي اختطفته الجن
وهو صبي ثم ردته وقد شب وكبر فالبسته امه طوقا من ذهب
وامرته بزيارة خاله جذيمة فلما راي جذيمة لحيته والطوق في
عنقه قال شب عمرو عن الطوق فارسلها مثلا قال ابن الجوزي مثل ١
فاستخلفه وسار الي الزباء فوصل الي قرية على الفرات يقال لها
بقة فنزل بها وتصيد واكل وشرب واستعاد المشورة والراي
من اصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال ايها
الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فالي اين يكون تكونه فلا تثق بزخرف
قول لا محصول له ولا تقذف الراي بالهوي فيفسد ولا
الحزم بالمنا فينفقد والراي عند الملك ان يتعقب امره
بالتثبت وياخذ حذره بالتيقظ ولولا ان الامور تجري
بالمقدور لعزمت علي الملك عزما ثابتا ان لا يفعل فاقبل
جذيمة علي الجماعة وقال لهم ما عندكم انتم في هذا الامر
فتكلموا بحسب ما علموا من رغبته في هذا الامر وصوبوا رايه
وقووا عزمه فقال جذيمة الراي مع الجماعة والصواب ما

قالوه

قالوه قال قصير اري القدر يسابق الحذر فلا يطاع لقصير مثل ٢
امر فارسلها مثلا ثم سار جذيمة فلما قرب من ديار الزباء
ارسل اليها ليعلمها بمجيئه فاظهرت السرور به والرغبة فيه
وامرت بحمل الميرة اليه وقالت لجندها ولخاصة اهل مملكتها
تلقوا سيدكم وملك دولتكم فعاد الرسول اليه بالجواب
واخبره بما راي وسمع فلما اراد جذيمة المسير دعي قصيرا
وقال انت علي رايك قال نعم وقد زادت بصيرتي فيه افانت
علي عزمك قال نعم وزادت رغبتي فيه قال قصير ليس الدهر مثل ٣
بصاحب من لم ينظر في العواقب فارسلها مثلا ثم قال وقد
يستدرك الامر قبل فوته وفي يد الملك بقية هو بها متسلط على
استدراك الصواب فان وثقت بانك ذو مال وسلطان وعشيرة
فانك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك واعوانك
والقيتها في يد من ليس آمن عليك مكره وغدره فان كنت لابد
فاعلا وتابعا لهواك فان القوم ان يلقوك غدا وقاموا لك
صفين حتي اذا توسطت بينهم اقبلوا عليك من كل جانب واحدقوا
بك فقد ملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يسابق
غبارها وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الريح فاذا رايت
الامر كذلك تجلل ظهرها فهي ناجية بك ان ملكت ناصيتها
فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه فسار وكانت الزباء لما رجع
رسول جذيمة من عندها قالت لجندها اذا اقبل جذيمة غدا
فتلقوه باجمعكم وقوموا له صفين فاذا توسط جمعكم فتحوطوا

علبه من كل جانب وايا كم أن يفوتكم وسار جذيمة وقصير عن
يمينه فلما لقيه القوم قاموا له صفين فلما توسطهم انقضوا
عليه من كل جانب فعلم انهم مالكوه وكان قصير بيسا برم فاقبل
جذيمة عليه وقال صدقت يا قصير فقال هذه العصا
فدونكها لعلك تنجو فانف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش
فلما علم قصير ان جذيمة قد استسلم للاحر وايقن بالقتل
جمع نفسه ووثب علي ظهر العصا واعطاها عنانها وزجرها
فذهبت تهوي به هوي الريح ولما وصل جذيمة الي قصر الزباء
اشرفت عليه من قصرها وقالت ما احسنك من عرس تجلي
علي وتزف الي حتي دخلوا به علي الزباء ولم يكن معها في قصرها
الا جوار ابكار وهي جالسة علي سريرها وحولها الف وصيفة
كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي وهي بينهن كانها
القمر قد حفت به النجوم قال ابن هشام وكانت الزباء
قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له
وقالت متاع عروس تري فقال بل متاع امة بظرا فامرت
به فاجلس علي نطع وقيل انه لما دخل عليها امرت بالانطاع
فبسطت وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن
فاخذن بيده ثم اجلسنه علي الانطاع بحيث تراه ويراها
ويسمع كلامها وتسمع كلامه ثم امرت بالجواري فقطعن رواهشه
ووضعت الطشت بين يديه فجعلت دماؤه تشخب في
الطشت فقطرت قطرة علي النطع فقالت للجواري لا تضيعوا

دم الملك فقال جذيمة لا يحزنك دم اراقه اهله فقالت والله
مثل ٤ ما وفي دمك ولا شفي فتلك ولكنه غيض من فيض فارسلتها
مثلا فلما قضي امرت به فدفن وعليه قول الشاعر
وقددت الاديم لراهشيه ٭ والفي قولها كذبا ومينا
واما عمرو فانه كان يخرج كل يوم الي ظاهر الحيرة يطلب الخبر
ويقتفي من امر خاله الاثر فاذا فارس اقبل تهوي به الفرس
هوي الريح فقال عمرو واما الفرس ففرس جذيمة واما الراكب
مثل ٥ فكالبهيمة لامر ما جاءت بها العصا فارسلها مثلا فاشرف
قصير فقالوا ما وراءك فقال سعي القدر بالملك الي حتفه
علي الرغم من انفي وانفه ثم قال لعمرو اطلب ثارك من الزباء
مثل ٦ فقال عمرو واي يطلب من الزباء وهي امنع من عقاب الجو فارسلها
مثلا فقال له قصير قد علمت نصحي لخالك وكان الاجل طالبه
واني والله لا انام عن الطالب بدمه ما لاح نجم او طلعت شمس
او ادرك بها ثارا او تخترم نفسي فاعذر ثم عمد الي انفه
فجدعه وقال ابن هشام ان قصيرا قال لعمرو اجدع انفي
واقطع اذني واضرب ظهري حتي يوثر فيه ودعني واياها
مثل ٧ ففعل به عمرو ذلك وذكر الاخباريون ان عمرو ابي عليه
ففعل هو بنفسه ذلك فقال لامر ما جدع قصير انفه فارسلها
مثلا ثم ان قصيرا الحق بالزباء هاربا من عمرو بن عدي فقيل
لها قصير بن عم جذيمة وخازنه وصاحب امره قد اتاك هاربا
من عمرو فاذنت له وقالت ما الذي جاءك الينا يا قصير

وبيننا وبينك دم عظيم الخطر فقال يا ابنة الملوك العظام
لقد اتيت فيما ياتي اليه مثلي الي مثلك ولقد كان دم الملك يعني
اباها يطلب جذيمة حتي ادركه وقد جئتك مستجيرا من عمرو بن
عدي فانه اتهمني بخاله لمشورتي عليه في المسير اليك فجدع
انفي وجلد ظهري وقطع اذني واخذ مالي وحال بيني وبين
أهلي وتهددني بالقتل واني خشيت علي نفسي فجيت إليك
مستجيراً بك ومستنداً الي كنف عزك فقالت له اهلا وسهلا
لك حق الجوار وذمة المستجير وامرت به فانزل واجرت له النفقا
واكرمته وبالغت في اكرامه واقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو
يطلب الحيل عليها وموضع الفرصة منها وهي ممتنعة بقصر مشيد
علي باب النفق تعتصم به فلا يقدر احد عليها فقال لها قصير
يوما ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخاير مما يصلح للملوك فان
اذنت لي بالخروج الي العراق واعطيتيني اشغل به في التجارة
واجعله سببا للوصول الي مالي اتيتك بما قدرت عليه من ذلك
فاذنت له واعطته مالا فقدم العراق واخذ مالا جزيلا ثم رجع
الي الزباء وقد استصحب من طرايف العراق ولطايفها مالا كثيرا
الي مالها فلما قدم عليها اعجبها ذلك وابهجها وعظمت منزلته
عندها ثم انه عاد الي العراق ثانية وقدم عليها باكثر من النوبة
الاولي وزادها اضعافا من الجواهر والديباج وانواع التحف
فعظمت منزلته عندها وتحققت نصحه ولم يزل قصير
يتلطف بالحيلة حتي عرف النفق الذي تحت الفراة والطريق اليه

ثم

ثم خرج ثالثة فقدم باكثر من الاولتين طرايف ولطايف
فبلغ مكانة عظيمة منها حتي انها كانت تستعين به في مهماتها
واستسلمت اليه وعولت في امورها عليه وكان قصير حسن
العقل والتدبير اديبا لبيبا فقالت له يوما اني اريد ان اغزو
البلد الفلاني من ارض الشام فاخرج الي العراق واتني بكذا
وكذا من السروج والكراع والعبيد فقال قصير لي في بلاد ابن
عدي الف بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا وما لعمرو بها
من علم ولو علم لاخذها واستعان بها علي قتالك وقد كنت
اتربص به ريب المنون وها أنا اخرج متنكرا من حيث لا يعلم فآتي
الملكة بذلك مع الذي سالت فاعطته من المال ما اراد وقالت
يا قصير الملك يحسن بمثلك وعلي يدي مثلك يصلح امره وقد
بلغني ان امر جذيمة كان ايراده واصداره اليك وما يقصر
بك عن شي تناله الايدي ولا يقعد بك حال ينهض بي فسمع كلامها
رجل من خاصة قومها فقال اسد خادر وليث ساير ولما راي
قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال الآن طاب الخداع وخرج
من عندها فاتي عمرو بن عدي وقال قد اصبت الفرصة من الزباء
فقال له عمرو قل تسمع وأمر تقبل فأنت طبيب هذا الم تختر فاك
الرجال والاموال قال حكمك فيما عندي مسلط فعمد الي الفي رجل
من فتاك قومه وصناديد مملكته فحملهم علي الف بعير في الغراير
السود بالاسلحة وجعل رباطها من داخل الجوالق وكان عمرو
من جملتهم وساق الخيل والكراع والابل محملة السلاح وكان يسير

عدا

بالليل ويكمن بالنهار وكانت الزبا قد صور لها عمرو قايما وقا
وراكبا وعمي عنها خبر قصير فقيل لها اخذ الغوير ابؤسا فارسلته
مثلا والمثل عسى الغوير ابؤسا وعسى فيه بمعنى صار والغوير ماء
لكلب وابؤس جمع بوس وهو العذاب والشدة والمعنى لعل الشر مثل ٨
ياتيكم من جهة الغوير فلما قدم قصير دخل على الزبا وكانت
قد تقدم عن العير فقال لها قفي وانظري الى العير فصعدت
على سطح قصرها وجعلت تنظر الى العير مثقلة بحمل الرجال فقالت
يا قصير ٭ ما للجمال مشيها وئيدا ٭ اجندلا يحملن ام حديدا ٭
وهذا البيت مما استدل به الكوفيون على تقدم الفاعل مع بقاء
فاعليته لان مشيها فاعل بوئيدا مقدم عليه ووئيدا صفة ٭
مشبهة حال من الجمال والمعنى اي شيء ثبت للجمال حال كونها ٭
وئيدا مشيها فهي حال سببيه واذا ثبت تقدم فاعل الصفة
فتقديم فاعل الفعل اولى واوله البصريون على ان مشيها
مبتدا محذوف الخبر يسد الحال مسده والتقدير مشيها يكون
او يوجد وئيدا او قيل ضرورة وقد روي مشيها مثلثا الرفع
على ما ذكرنا والنصب على المصدر اي تمشي مشيها والخفض بدل
اشتمال ويعده ٭ ام صرفانا باردا شديدا ٭ ام الرجال جثما قعودا
ويروى بدل ام الرجال جثما قعودا ٭ ام الرجال في الغرار سودا
وكان قصير قد وصف لعمرو الزباء وشانها وشان النفق فلما
دخل العير المدينه وكان على باب الزباء بوابون من النبط ٭
وفيهم رجل في يده مخصرة فطعن جوالقا فاصابت المخصرة

رجلا

رجلا منهم فضرط فقال البواب بالنبطية بشنا بشنا اي الشر
فاستل قصير سيفه وضرب به البواب فقتله وكان عمرو على
فرسه فدخل الحصن عقيب الابل وحل الرجال الجوالق فظهروا
في المدينة ووقف عمرو على باب النفق فلما رات الزبا عمروا
مثل ٩ عرفته بالصفة فمصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي
لا بيد عمرو فارسلتها مثلا ويقال ان عمروا قتلها بالسيف وهو
غير مناسب لقول الابوصيري المتقدم ٭
٭ كان من فيه قتله بيديه ٭ فهو من سوء فعله الزباء ٭
وجمع بين القولين بان عمروا ادرك فيها حياة بعد مصها الخاتم
فقتلها بسيفه فنسب اليه قتلها وهذا خلاصة ما قيل في الزبا
وهي قصة ادبية اشتملت على ثمانية امثال من امثال العرب او
تسعة قال الناظم رحمه الله تعالى

٭ ومسعدا او جابر ٭ او حاير يشكو ظلامه ٭

قوله ومسعد اسم مفعول اي موفق للسداد في الاستقامة على
نهج الحق او جابر بالجيم المعجمة من الجور وهو ضد الاستقامة
المرادة بقوله مسعد وحاير بالحاء المهملة اسم فاعل من الحيرة
وهي عدم الاهتدا والمعنى ان الخلق على اقسام مهتد وجاير
ومظلوم وهو المراد بالحاير بدليل قوله يشكو ظلامه اي ٭
يشكو من ظلمه ومعنى حيرته انه هل يشكو الى الله تعالى ام الى
الخلق وهل اذا اشكى الى الخلق يوجد ناصر او لا فكان في حيرة
من هذا المعنى والواجب على كل من تطلع من يده نصرة المظلوم

حقوق المسلم على المسلم

انه ينصره فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على المسلم
ثلاثون حقا لا براءة له منها الا بالاداء او العفو يغفر زلته
ويرحم عبرته • ويستر عورته • ويقيل عثرته • ويقبل
معذرته • ويرد غيبته • ويديم نصيحته • ويحفظ خلته
ويرعى ذمته • ويعود مرضته • ويشهد ميتته • ويجيب
دعوته ويقبل هديته • ويكافي صلته • ويشكر نعمته
ويحسن نصرته • ويحفظ حرمته ويقضي حاجته • ويسمع
مسالته • ويقبل شفاعته • ولا يخيب مقصده • ويشمت
عطسته • ويرشد ضالته • ويرد سلامه • ويطيب كلامه
ويبر انعامه • ويصدق اقسامه وينصره ظالما او
مظلوما • اما نصرته ظالما فرده عن ظلمه • واما نصرته
مظلوما فيعينه على اخذ حقه • ويواليه ولا يعاديه
ولا يسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه
ويكره له من الشر ما يكره لنفسه ذكره الاصبهاني في الترغيب
والترهيب • والظلم ظلمات يوم القيمة وهو وخيم وطريق
غير سليم • قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قيل هذه تسلية للمظلوم ووعيد للظالم • وفي الخبر عن
سيد البشر • الا ان الظلم ثلاثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك
وظلم مغفور فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى
قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون

ذلك

ذلك لمن يشاء واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد
بعضهم بعضا واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه
وفي الحديث اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري
وفي الخبر اتقوا دعوة المظلوم وما احسن قول القائل

اتهزا بالدعاء وتزدريه • وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن • لها امد وللامد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربي • ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال آخر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا • الظلم اخره ياتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال ابن الجوزي

الا قولوا للباغ قد تعدى • على ضعفي ولم يخش رقيبه
خبات له سهاما في الليالي • وارجو ان تكون له مصيبه

وقال اخر كم من ظلوم رزول دولته • وليس ما سن من اذى زائل
كحية خوف سمها قتلت • وسمها بعد قتلها قاتل

قيل وجد تحت فرش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب
هذا البنيان • وحق الله ان الظلم لوم • وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي • وعند الله تجتمع الخصوم

لطيفة • روي ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التاديب
يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه
فحقد انوشروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على

ضربي يوم كذا او كذا ظلما قال له لما رايتك ترغب في العلم
رجوت لك الملك بعد ابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم
لئلا تظلم فقال انوشروان زه زه واكرمه و بين جابر وحابر
جناس التصحيف كما في قوله ٭

بيني التذلل والتدلل نقطة ٭ في محوها يتحير النحرير ٭
هي نقطة الافلاك ان جاوزتها ٭ كنت الخبير وعلمك الاكسير ٭

وبعضهم يسميه جناس الخط وهو ان يقع الاختلاف فيه بين
هيات بان اختلفت الحروف بالنقط كما في التذلل والتدلل
ومنه قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين وحديث الطبراني اذا ظهر الزنا والربا في
قرية اذن الله في هلاكها وحديث الصحيحين يسروا ولا
تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقول علي رضي الله عنه قصر ثوبك
فانه اتقى وانقى وابقى قال الناظم رحمه الله ٭

لولا استقامة من هداه ٭ لما تبينت العلامه ٭

لولا حرف امتناع لوجود وليس ما بعدها مرفوعا بها ولا
بفعل محذوف بل رفعه بالابتدا واذا كان خبرها كونا مطلقا
وجب حذفه اتفاقا وقال اكثر النحويين يجب ان يكون الخبر
كونا مطلقا محذوفا ولحنوا المعري بقوله على ملكه من قوله ٭

يذيب الرعب منه كل عضب ٭ فلولا الغمد يمسكه لسالا ٭

وذهب ابن مالك وجماعة الى انه يكون كونا مطلقا كالوجود
والحصول فيجب حذفه وكونا مقيدا كالقيام والقعود فيجب

ذكره

الكلام على الاستقامة

ذكره ان لم يعلم نحو لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت
الكعبة وفي رواية لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة
على قواعد ابراهيم و يجوز الامران ان علم وقال الاكثر فيه لو اريد
الكون المقيد لم يجز ان تقول لولا زيد قائم مثلا ولا حذفه
بل تجعل مصدره هو المبتدا فتقول لولا قيام زيد لاتيتك
والخبر هنا محذوف تقديره ولولا استقامة من هداه الله
موجودة او حاصلة بتوفيق منه تعالى لما تبينت علامة السعيد
من الشقي والاستقامة الاعتدال وفسر ايضا بالاستقا
باتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم ٭ وهذا
خطب جسيم ٭ وقال القشيري الاستقامة درجة بها
كمال الامور وتمامها ٭ وبوجودها حصول الخيرات ونظامها
وعرف بعضهم الاستقامة بانها المتابعة للسنة المحمدية
مع التخلق بالاخلاق المرضية وقال الطيبي الاستقامة
التامة لا تكون الا لمن فاز بالقدح المعلى ٭ ونال المقام
الاسنى وهي رتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام واكابر
الاصفيا ومن ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم شيبتني
هود واخواتها كفصلت وشورى فان في الاولى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وفيها ايضا فاستقيموا اليه
واستغفروه وفي هود فاستقم كما امرت نسال الله حسن
الاستقامة والعافية والسلامة ٭ وما احسن قول بعضهم
اذا كنت تسعى للزيادة فاستقم ٭ تنل المراد ولو سموت الى السما

الكلام على الهداية

الف الكتابة وهو بعض حروفها . لما استقام على الجميع تقدّ منا
والهداية لغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير الا تهكما
كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وفي عرف اهل الحق الدلالة
على طريق يوصل الى المطلوب حصل او لم يحصل وقالت المعتزلة
الدلالة الموصلة قال بعضهم ولا نزاع في الحقيقة لانها تطلق
ويراد بها خلق الاهتدا نحو تهدي من تشاء فلهذا نفيت الهداية
عنه في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت او يراد بها بيان طريق
الحق ولهذا نسبت الهداية اليه صلى الله عليه وسلم في قوله وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وما احسن قول الشاعر .

اذا قدر الله الامور على امرئ . جرى ذلك المقدور حتما على العبد
فكم نصح المختار يوما لعمه . فجاء له القرآن انك لا تهدي .

والعلامة في الدنيا اظهار الطاعات . وفعل انواع القربات
وفي الاخرى يحصل الوصول ان شا الله الى غرف الجنات . والصعود
الى اعالي الدرجات قال الناظم رحمه الله تعالى .

ومجاوز العزم المخيف لها البشارة بالسلامة .

المعنى ان من جاوز محلات المخافة واماكن الاعداء جدير بان يهنا
بالسلامة والبشارة هنا كناية عن التهنية لان حقيقة
البشارة هي الخبر السار اولا والامر اذا كان عقباه سلامة وان حصل
في مبداه ضنك فهو محمود لان عاقبة العسر يسر قال تعالى فان
مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وقال صلى الله عليه وسلم لو كان العسر
في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال على رضي الله عنه عند تناهي

الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلا يكون الرجاء ومن كلام
الحكماء ان بقيت لم يبق الهم . وما احسن قول ابن ابي حاتم

اذا اشتملت على الناس الخطوب . وضاق لما به الصدر الرحيب .
واوطنت المكاره واطمأنت . وارست في اماكنها الخطوب .
ولم تر لانكشاف الضر وجها . ولا اغنى بحيلته الاريب .
اتاك على قنوط منك غوث . يمن به اللطيف المستجيب .
وكل الحادثات اذا تناهت . فموصول بها الفرج القريب .

وقول ابراهيم بن العباس .

ولرب نازلة يضيق بها الفتى . ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها . فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر الامن والخوف ايام مداولة . بين الانام وبعد الضيق متسع

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل .

قالوا حبست فقلت ليس بضائري . حبسي واي مهند لا يغمد
والشمس لولا انها محجوبة . عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والنار في احجارها مخبوءة . لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس ان لم تغشه لدنية . شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم مهابة . ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا انه . لا يستذلك بالحجاب الاعبد
غر الليالي باديات عود . والمال عارية يجاء وينفد
ولكل حين معقل ولربما . اجلى لك المكروه عما يحمد
لا يوئسنك من تفرج كربة . حطت ومال بها الزمان الانكد

كم من عليل قد تخطاه الردا • فنجي ومات طبيبه والعود •
صبرًا فان اليوم يعقبه غد • ويد الخلافة لا تطاولها يد •

وقال بعضهم

اذا تضايق امر فانتظر فرجًا • فاضيق الأمر أدناه الي الفرج •
وقال آخر فلا تجزعي ان اظلم الليل وارتمي • فان اعتكار الليل يوذن بالفرج

قال الناظم رحمه الله تعالى •

واخو الحجا في سائر الانفاس مرتقب حمامه •

الحجا بالقصر العقل والعقل كما في القاموس العلم مطلقا او العلم بصنايع الاشيا من حسنها وقبيحها وكمالها ونقصها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق علي الامور التي يكون بها التمييز بين الحسن والقبيح وهو روحاني يدرك به العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الي ان يكمله عند البلوغ وفي الحديث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خلق الله العقل مظلما ثم كحله من نوره فابصر ثم قال له من انا فقال انت الله الذي لا اله الا انت ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك آخذ وبك أعطي انتهى قال المامون رحمه الله تعالى العقل معنى هو حياة كل شيء فما خلا منه فهو ميت وهو قيمة كل شيء به تعرف الاسرار • وبقوته يحصل الاستبصار • وهو ميزان الوجود ومعياره • ومحل كل شيء وعليه مداره محل الخطاب والتكليف • وآلة الالباب

في التصريف

في التصريف • من خلا منه نزل عن رتبة الانعام • واستحق ان ينزل في انزل مقام ولبعضهم واجاد

يمثل ذو العقل في نفسه • مصايبه قبل ان تنزلا •
فان نزلت بغتة لم ترعه • لما كان من نفسه مثلا •
راي الامر يفضي الي آخر • فصير آخره اولا • وقال آخر
ما وهب الله لامرئ هبة • افضل من عقله ومن ادبه •
هما جمال الفتى فان فقدا • ففقده للحياة اجمل به •
وقال آخر • ما تركت الشرا الا لاني • انفت ان يضل بالعقل مني
اي خير يبقي لجسم وروح • خليا من كمال عقل وذهن •

وجاء في الخبر ايضا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال ان دعامة البيت اساسه وان دعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع قالت عائشة رضي الله عنها وما العقل القامع قال الكف عن معاصي الله والحرص علي طاعة الله ومحل العقل الدماغ عند الحنفية وقالت الشافعية محله القلب وله شعاع متصل بالدماغ وانما سمي العقل عقلا لعقل صاحبه عما لا ينبغي انتهى ومعنى البيت ان صاحب العقل لا يغتر بحياته بل ان كل نفس من الانفاس يحتمل موته فيه فيكون دايما مراقبا الحمام وهو بكسر الحاء المهملة الموت فاذا شاهد ذلك استعد له بفعل الطاعات واجتناب المنهيات وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ما من مومن الا والموت خير له فمن لم يصدقني فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار

ولولا الغفلة وحجابها وكثرة الآمال ورواكبها لما سكن لأحد قرار حذرا من كاس الحمام الذي ليس عنه فرار فنسال الله ان يجنبنا الزلل ويوفقنا الى الخير وصالح العمل وما احسن قول القايل

اعمل وانت صحيح مطلق فرح ۔ ما دمت ويحك يا مغرور في مهل
يرجو الحبوة صحيح ربما كمنت ۔ له المنية بين الزبد والعسل

وقال آخر

وما هذه الايام الا صحايف ۔ يؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولم ار في دهري كدايرة المنا ۔ توسعها الآمال والعمر ضيق

وما احسن ما انشد على لسان الغراب

انوح على ذهاب العمر مني ۔ وحق بأن أنوح وان انادي
واندب كلما عاينت ركبا ۔ حداهم لو شكا البين حادي
يعنفني الجهول اذا راني ۔ وقد البست اثواب الحداد
فقلت له اتعظ بلسان حالي ۔ فاني قد نصحتك باجتهاد
وها انا كالخطيب وليس بدع ۔ على الخطبا اثواب السواد
الم ترني اذا عاينت ركبا ۔ انادي في النوى في كل ناد
انوح على الطلول فلم يجبني ۔ بساحتها سوى خرس الجماد
فاكثر في نواحيها نواحي ۔ من البين المشتت للفؤاد
تيقظ يا ثقيل السمع وافهم ۔ اشارة من تشير بها الهواد
فما من شاهد في الكون الا ۔ عليه من شهود الغيب بادي
وكم من رايح فيها وغاد ۔ ينادي من دنو او بعاد
لقد اسمعت لو ناديت حيا ۔ ولكن لا حيوة لمن تنادي

قال

قال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا يصيح ملك الموت وجه الناس فيه خمس مرات فمن راه على لهو ولعب او معصية او راه ضاحكا حرك راسه وقال مسكين هذا العبد ما اغفله عما يراد به ثم قال اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة اقطع بها وتينك فعلى العاقل ان يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لما يكون ذخرا له في عاقبة امره ويواظب على صالح العمل ولا يغتر بالدنيا وكثير الامل فان من عاش مات وحقيقا ان ما هو آت آت قال الناظم رحمه الله تعالى

وكما مضى من قبله ۔ يمضي ولم يقض لترامه

المعنى ان العاقل اذا علم ان الحمام طريق لا بد من المرور عليه ومقصد لا بد من الوصول اليه تيقن انه لا بد ان يدرج في هذا السلك كمن مضى من امثاله ويرى ما قدمه ثمن قبيح او صالح اعماله ومع ذلك انه لا يقدر ان يوفي ما الزمه به الشارع من الاعمال الا ان ادركتنا العناية من ذي الجلال وهل ينفع الندم حين يزل القدم هيهات هيهات اشد الحسرات الندم على ما فات وما احسن قول القايل

كاني باخواني على حافتي قبري ۔ يهيلونه فوقي وادمعهم تجري
فيا ايها المذري على دموعه ۔ ستعرض في يومين عني وعن ذكري

قيل ان سيدنا رضي الله عنه تمثل بهذا البيت بعد موته

هو الموت لا منجا من الموت والذي ۔ نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

لطيفة قيل ان بعض الناس مرض مرض الموت فزاره شخص

الكلام على الجهل

فلما راد ذلك الشخص لقيام انشد المزور

وتجلدي للشامتين اريهم ۰ اني لريب الدهر لا اتضعضع

فاجابه الزاير بقوله

واذا المنية انشبت اظفارها ۰ الفيت كل تميمة لا تنفع

قال الناظم رحمه الله تعالى

والجاهل المغتر من لم تجعل التقوى اغتنامه

الجاهل هو الذي قام به الجهل قال في الصحاح الجهل خلاف العلم وقد جهل فلان جهلاً وجهالة وتجاهل اذا ارى من نفسه ذلك وليس به واستجهله اذا عده جاهلا وعرفه بعضهم بانه تصور الشي على خلاف ما هو به في نفس الامر وبعضهم قسمه الى بسيط ومركب فالبسيط تصور الشي على خلاف ما هو به والمركب تصور الشي على خلاف ما هو به في نفس الامر وادعاء انه هو قال بعضهم

وان عناء ان تعلم جاهلا ۰ ويحسب جهلا انه منك اعلم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ۰ اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال آخر

قال حمار الحكيم توما ۰ لو انصفوني لكنت اركب

لانني جاهل بسيط ۰ وراكبي جهله مركب

قال الشاعر

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ۰ فاجسامهم قبل القبور قبور

وفي الخبر عن سيد البشر خير الدنيا والاخرة مع العلم وشر الدنيا والاخرة مع الجهل انتهى قال بعضهم الجاهل لا عيشة له لانه بمنزلة الميت اذ لا شك ان الجهل عار ولا يرضى به الا الحمار قال بعضهم

تعلم يا فتى فالجهل عار ۰ ولا يرضى به الا الحمار

فنسال

حقيقة التقوى

فنسال الله تعالى من وصمة الجهل ان يحمينا ۰ والى طرق الصواب يهدينا ۰ لاننا في برهة ركدت فيها رياح الفضايل ۰ وخمدت مصابيح الافاضل وتبختر الجهل وبانفه شمخ ۰ واختال زهوا وبذايه بذخ والمغتر هو من اغتر بالدنيا ونسي الاخرة فلم يعمل لها عملا يكون له ذخرا بل صادته الدنيا بشركها ۰ فنسي الاخرة وتركها فالمغرور من باع اخرته بدنياه ولم يستعد للقا مولاه وحقيقة التقوى كما قال علي رضي الله عنه الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل ۰ والقناعة بالقليل ۰ والاستعداد ليوم الرحيل ۰ وقال بعضهم التقوى ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ۰ وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال ابن عباس يجعل له مخرجا ۰ من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد القيمة قال اكثر المفسرين انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة اليه وقال ان المشركين قد اسروا ابني وجزعت امه فما تامرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد لبيته وقال لامراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولانه ۰ فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه فنزلت

الاية وفي منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض
اشياخه اوصني بوصية قال اوصيك بوصية رب العالمين
للاولين والاخرين وذلك قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والتقوى تنفع في الحيا
وبعد الممات قال تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وقيل في قوله تعا وكان
ابوهما صالحا انه الجد السابع وما احسن قول القايل •

من عرف الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي •
ما يصنع العبد بعز الغنا • والعز كل العز للمتقي •

وقال بعضهم اذا العبد لم يلبس ثيابا من التقى • تقلب عريانا وان كان كاسيا
• وخير لباس المرء طاعة ربه • ولا خير فيمن كان لله عاصيا
ولابي الدرداء رضي الله تعالى عنه •

• يود المرء ان يعطى مناه • ويابى الله الا ما ارادا •
• يقول المرء فايدتي ومالي • وتقوى الله افضل ما استفادا •

لطيفة نقل عن عائشة رضي الله عنها انها اغتاظت على
خادم لها حتى كاد ان يبلغ الغضب منها كل مبلغ ثم راجعت
نفسها وعفت ثم قالت لله درا لتقوى ما تركت لذي غيظ
شفا ولله در الحيا ما ترك لذي غضب سطوة قال بعضهم

• لا فخر الا فخر اهل التقى • غدا اذا ضمهم المحشر •
• ليعلم الناس بان التقى • والبر كانا خير ما يدخر •

فائدة يضرب المثل في تقوى ابن ادم وزهده وفي بيان قف

الحسن

الحسن البصري ووعظه • وفي تبيان الشعبي وحفظه • وفي
عروض الخليل ووزنه • وفي فصاحة قس وسجعه • وفي ورع
ابي حنيفة وعلمه • وفي حكمة لقمان وفهمه • وفي خط ابن مقلة
وضبطه • وفي حلم معاوية رضي الله عنه وصفحه • قيل انه
بلغ من حلمه انه كان راكبا في موكبه الخاص فقام رجل من العا
وركب وراه على الحصان فلم يلتفت اليه ولم يكلمه • واستمر
سايرا به حتى وصل الى قصر ملكه فقال له ما حملك على هذا قال
قال حلمك فاعطاه واكرمه واحسن اليه رضي الله عنه ويقال
ان هذا الرجل بعينه فعل مثل ذلك مع ابنه يزيد الخبيث فامر
بتكتيفه واخذه ثم احضره وقال ما حملك على ذلك قال حلم
ابيك فامر بقتله وقال حلم ابي قتلك • وبلغ من حلمه ايضا
انه صعد وقتا لاعلى داره يشرف على حجر قصره فراي انسانا
مع بعض جواريه فنزل اليه وقال له ما حملك على هذا هل
استخففت بنا قال لا والله يا امير المؤمنين وانما حملني
عليه شدة العشق فقال له لا باس عليك اتكتم ذلك عنا
قال نعم فاعتق الجارية ووهبها جميع ما في حجرتها وزوجه
بها رضي الله تعالى عنه قال الناظم رحمه الله تعالى

فليرفض العصيان من • يخشى من الله انتقامه

تمليح

الرفض الترك يقال فلان رفض كذا اذا تركه ومن ثم سميت
الرافضة روافض لرفضهم مذهب اهل السنة واتباعهم الطريقة
المستهجنة والفاء فيه تفريعية واللام للامر ومن فاعل به

والجملة بعده صلة او صفة والانتقام المعاقبة والمنتقم
من اسمايه سبحانه وتعالى وعبر بالرفض المشعر بالترك بالكلية
للمبالغة والمعنى ان الذي يخشى من الله ومن انتقامه فواجب
عليه رفض المعاصي بالكلية ولا يميل الى هوى نفسه الدنية
وفاعل الطاعات اما خوفا من الانتقام وهذه وظيفة العبيد
لانه اذا خالف مولاه ادبه واما طمعا في الثواب وهذه وظيفة
التجار لانهم انما يتعاطون الاشياء طلبا للفايدة واما طلبا
لرضاه وشوقا للقاه وهذه وظيفة الاحرار وعلى هذا القدم
كانت رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها فانها كانت تقول
الهي ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك وانما شوقا
الى رؤيا وجهك الكريم فواجب على العبد ان يرفض جميع
المعاصي وان يخشى هول يوم تشيب فيه الولدان والنواصي
ولا يغتر بكثرة المال وصحة البدن، ولا برفاهة العيش وعلو
السكن، بل يسبل العبرات، ويندب زمانا اكثر فيه السيات
ويعلم انه لابد ان يحاسب على النقير والقطمير، وعلى ما
كسبت يداه من جليل او حقير، وما احسن قول الحريري،
خل ادكار الاربع، والمعهد المرتبع، والظاعن المودع،
وعد عنه ودع، واندب زمانا سلفا، سودت فيه الصحفا،
ولم تزل معتكفا، على القبيح الشنع، كم ليلة اودعتها،
مآثما ابدعتها، لشهوة اطعتها، في مرقد ومضجع،
وكم خطى حثثتها، في خزية احدثتها، وتوبة نكثتها،

لملعب ومرتع، وكم تجرات على، رب السموات العلى،
ولم تراقبه ولا، صدقت فيما تدعي، وكم غمصت بره،
وكم امنت مكره، وكم نبذت امره، نبذ الحذا المرقع،
وكم ركضت في اللعب، وفهت عمدا بالكذب، ولم تراع ما يجب،
من عهده المتبع، فالبس شعار الندم، واسكب شآبيب الدم،
قبل زوال القدم، وقبل سوء المصرع، واخضع خضوع المعترف،
ولذ ملاذ المقترف، واعص هواك وانحرف، عنه انحراف المقلع،
ويحك يا نفس احرصي، على ارتياد المخلص، وطاوعي واخلصي،
واستمعي النصح وعي، واعتبري بمن مضى، من القرون وانقضى،
واخشي مفاجاة القضا، وحاذري ان تخدعي، وانتهجي سبل الهدى،
واذكري وشك الردا، وان مثواك غدا، في قعر لحد بلقع،
آها له بيت البلا، والمنزل القفر الخلا، ومورد السفر الالى،
واللاحق المتبع، بيت يرى من اودعه، قد ضمه واستودعه،
بعد الفضا والسعه، قيد ثلاث اذرع، لا فرق ان يحله،
ذو هيبة او ابله، او معسر او من له، ملك كملك تبع،
وبعده العرض الذي، يحوي المليح والبذي، والمبتدي والمحتذي،
ومن رعى ومن رعي، فيا مفاز المتقي، وربح عبد قد وقي،
سوء الحساب الموبق، وهول يوم المفزع، ويا خسار من بغى،
ومن تعدى وطغى، وشب نيران الوغى، لمطعم او مطمع،
يا من عليه المتكل، قد زاد ما بي من وجل، لما اجترحت من زلل،
في عمري المضيع، فاغفر لعبد مجترم، وارحم بكاه المنسجم،

فانت اولي من رحم ۔ وخير مدعو دعي ۔ وقول بعضهم
نعصي الاله وانت تظهر حبه ۔ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۔ ان المحب لمن يحب مطيع
وقولي في معني ذلك
يا مدعي صدق الوفاء لربه ۔ وزمامه في قبضة الشيطان
لو كنت من أهل الوفاء اطعته ۔ وامت نفسك في رضي الرحمن
وقولي ايضا
يا رافلا في ثوب غيك معجبا ۔ ومبارز الرحمن بالعصيان
ماذا جوابك يوم عرضك واللقا ۔ عند الحساب وزفرة النيران
وقول الحريري ايضا
لعمرك ما تغني المغاني ولا الغني ۔ اذا باشر المثري الثري وثوي به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ۔ بما يقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه ۔ بمخلبه الاشغي يغول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤن ومكره ۔ فكم خامل اخني عليه ونابه
وعاص هوي النفس الذي ما اطاعه ۔ اخو ضله الا هوي من عقابه
وحافظ علي تقوي الاله وخوفه ۔ لتنجو مما تتقي من عذابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ۔ بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ۔ وروعة ملقاه ومطعم صابه
فان قصار مسكن الحي حفرة ۔ سينزلها مستنزل عن قبابه
فواها لعبد ساء أسوا فعله ۔ وابدي التلافي قبل اغلاق بابه
ولبعضهم ۔ علي كل حال انا المذنب ۔ فمن ذا الوم ومن اعتب

سمعت

سمعت بعري فضيعته ۔ ضلالا وعدت له اطلب
فهيهات هيهات كيف السبيل ۔ اليه وقد بعد المطلب
قال الناظم رحمه الله تعالي
وليعتبر بسواه من ۔ اصلاحه صرف همامه
الاعتبار النظر فيما يؤل اليه الامر وهو معطوف علي ما قبله
ومن فاعل بيعتبر والجملة بعده صلة والسوا مقصور هنا
بمعني الغير والمعني فليتعظ الصالح بغيره ممن مضي والعاقل
من اعتبر بغيره واذا اردت ان تنظر حال الدنيا بعدك فانظرها
بعد غيرك ۔ وقس علي الحاضر الغايب ۔ وما احسن قول القايل
تامل في الوجود بعين فكر ۔ تري الدنيا الدنية كالخيال
ويفني كل ما فيها جميعا ۔ ويبقي وجه ربك ذو الجلال
وقولي ۔ تامل يا سليم العقل وانظر ۔ فكم قد مات قبلك من قرون
وقدم صالح الاعمال ذخرا ۔ ولا تركن لوسوسة الظنون
وقولي أيضا
تدفن ارباب النهي من قبلنا ۔ بمكارم الاخلاق والطاعات
ورضوا من الدنيا بايسر عيشة ۔ وطووا بساط اللهو واللذات
وقال بعضهم
وللموت تغذي الوالدات سخالها ۔ كما لخراب الدهر تبني المساكن
وقال آخر أموالنا لذوي الميراث نجمعها ۔ ودورنا لخراب الدهر نبنيها
وقال آخر فان يكن الموت افناهم ۔ فللموت ما تلد الوالده
وقال آخر جمعوا فما اكلوا الذي جمعوا ۔ وبنوا مساكنهم فما سكنوا

فكانهم كانوا بها ظعنا • لما استراحوا ساعة ظعنوا •
وقال اخر لما استويت وقيل قد كمل الفتي • عقد الفناء حبالة بحبالي
ولقد رأيت عري المنون تصرمت • ولقد تصدي لوارثون لمالي
وقال آخر اما والله لو علم الانام • لما خلقوا لما غفلوا وناموا
• لقد خلقوا ليوم لو راته • عيون قلوبهم ماجوا وهاموا
• ممات ثم نشر ثم حشر • وتوبيخ واهوال عظام
• ونحن اذا امرنا او نهينا • كاهل الكهف ايقاظ نيام

قال الناظم رحمه الله تعالي •

فالعيش في صرح الدنيا الدنية غير موجود لاخامه

الفاء تفريعية والجملة الاسمية مقررة لمفهوم ما علم من البيت قبل والعيش بمعني الرفاهية بالمعيشة والمعني ان المعيشة في الدنيا وان حلت وصفت فلا دوام لوجودها ولا وفا لعهودها والدنيا بضم الدال مقصورا من الدنو وهو القرب او من الدناءة وهي الخسة كما اشار اليه الناظم وتطلق علي ماسوي الاخرة وعلي المال خاصة وعلي كلا الاطلاقين فلا تذم مطلقا ولا تمدح مطلقا بل انما تذم اذا اشتغل بها عن الله تعالي والحديث يشهد بذلك لهذا لانها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فقد ورد في بعض الاخبار لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ماسقي منها كافرا شربة ماء وتمدح اذا اجعلها مطية وسفينة لعقباه • لانها مزرعة الاخرة فمن زرع حصد ومن جد وجد • وقد ذمها علي رضي الله عنه ومدحها

بحسب

خطبة سيدنا علي رضي الله عنه

بحسب الاعتبار وهو من فنون البلاغة قال رضي الله عنه في بعض خطبه المصقعه • والفاظه الرايقة المستبدعه • ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها • بم تذمها • انت المتجرم عليها ام هي المتجرمه عليك • متي استهوتك • ام متي غرتك • ابمصارع اباءك من البلا • ام بمضاجع امهاتك تحت الثري • كم عللت بكفيك • وكم مرضت بيديك • تستشفي لهم الشفا وتستوصف لهم الاطباء الدوا لم ينفع احدهم اسعافك • ولم تسعف منهم بطلبتك • ولم تدفع عنهم بقوتك • كم مثلت لك بهم الدنيا وخيلت لك بمصرعهم مصرعك • ان الدنيا دار صدق لمن صدقها • ودار عافية لمن فهم عنها • ودار غني لمن تزود منها • ودار موعظة لمن اتعظ بها • مسجد احباب الله ومصلي ملايكته • ومهبط وحي الله ومتجر اوليايه • اكتسبوا منها الرحمة • وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها • وقد اذنت ببينها • ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها • فمثلت لهم ببلايها البلا • وشوقت لهم بسرورها السرور • واختبرتهم فيه وامكرت بفجيعة • ترغيبا وترهيبا • فذمها رجال غداة الندامه • وحمدها اخرون ذكرتهم الاخرة فذكروا وحدثتهم ووعظتهم فصدقوا انتهي وفي الحديث عن ابي موسي الاشعري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المومن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه • قال بعضهم

• لا تتبع الدنيا وايامها • ذما وان دارت بك الدائره •
• من شرف الدنيا ومن فضلها • ان بها تستدرك الآخره •

لطيفة يقال ان شاه الكرماني خرج الى الصيد وهو ملك كرمان فامعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رات شاه الكرماني ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنى منه سلم عليه وقال يا شاه ما هذه الغفلة عن الله تعالى قد اشتغلت بدنياك عن اخرتك وبلذتك عن خدمة مولاك انما اعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدث شاه الكرماني اذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيها الى شاه فشرب شاه وقال والله ما شربت شيئا الذ منه ولا ابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال له شاه ما هذه العجوز فقال له الشاب هذه الدنيا وكلها الله بخدمتي فما احتجت لشي الا ام احضرته الي حين يخطر ببالي اما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما راى شاه ذلك تاب وكان منه ما كان

فائدة قيل تقال للدنيا شابة وكهلة وعجوز فمن اول زمن آدم الى زمن ابراهيم عليهما السلام شابة ومنه الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم كهلة ومنه الى قيام الساعة عجوز قال الشاعر وهو ابو الطيب • اتى الزمان بنوه في شبيبته • فسرهم واتيناه على هرم

قف على هذه الكرامه

اي فسانا وقال الاخر •

• واذا الفتى من دهره كملت له • خمسون وهو الى التقى لم يجنح •
• طلعت عليه المخزيات وقلن قد • ارضيتنا فكذا كن لا تبرح •
• واذا راى ابليس صورته بدت • حيا وقال فديت من لم يفلح •

واما ذمها فقد ورد في كثير من الاخبار • وفي عدة قصايد واشعار سترد بعد على شي منها • ونصدر ان شاء الله معتبرا عنها • فمن ذلك ما ورد في الخبر عن معاوية رضي الله عنه عن سيد البشر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبة احذر العبيد ان الدنيا دار بلاء • ومنزل قلعة وعناء • قد نزعت عنها نفوس السعدا • وانتزعت بالكره من ايدي الاشقيا فاسعد الناس بها ارغبهم عنها • واشقاهم بها ارغبهم فيها • هي الغاشة لمن انتصحها • المغوية لمن اطاعها • والخائنة لمن انقاد اليها • فالفائز من اعرض عنها • والهالك من هوي فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه • وناصح نفسه وقدم توبته • واخر شهوته • من قبل ان تلفظه الدنيا الى الاخرة فيصبح ببطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء • لا يستطيع ان يزيد في حسنة • ولا ينقص من سيئة • ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها او الى نار لا ينفد عذابها • وما احسن قول بعضهم •

• هي الدنيا تقول بملي فيها • حذار حذار من بطشي وفتكي •
• فلا يغرركم حسن ابتسامي • فقولي مضحك والفعل مبكي •
• دعي يا نفس فكرك في ملوك • مضوا ابدا لانقراضك فابك وابكي •

هي الدنيا تشبهها بشهد ۔ يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا تحن الطفل سنا ۔ تقهقهه اذ بكى من بعد ضحك
الا يا قومنا انتبهوا فانا ۔ نحاسب في القيامة دون شك

ولبعضهم واجاد

اذا لم تكن ملكا مطاعا ۔ فكن عبدا لخالقه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا ۔ كما تهواه فاتركها جميعا

قال الناظم رحمه الله تعالى

من ارضعته ثديها ۔ في سرعة تبدي فطامه

المعنى ان الدنيا لا يركن اليها لانها ان سالمت انسانا فلا بد لها من محاربته وان واصلت احدا غلطا فلا بد من قطيعته ودادها مشوب بالغير وصفوها يعقبه الكدر نعيمها عارية مستردة ورخاؤها امره عناء وشدة فالشقي من اليها بالكلية مال وبفناء ساحتها اناخ الرحال وما احسن قول من قال

سالت عن الدنيا الدنية قيل لي ۔ هي الدار فيها الدائرات تدور
ان اضحكت ابكت وان احسنت اسئت ۔ وان عدلت يوما فسوف تجور

وفي القاموس فطمه يفطمه قطعه والصبي فصله عن الرضاع فهو مفطوم وفطيم وفي البيت استعارة بالكناية لانه شبه الدنيا في تغير حالها وسرعة انتقالها ورفض طلابها المغترين بزهرتها والمنهمكين على شهواتها بظئر قاسية الفؤاد ترضع طفلا صغيرا الف فيها شغف بازدياد تركته لما تمكن حبها من فؤاده فطمته قبل بلوغ مراده واثبات

الثدي

الثدي لها تخييل فهو بمنزلة الاظفار في قول القائل

واذا المنية انشبت اظفارها ۔ الفيت كل تميمة لا تنفع

وما احسن قول الابوصيري

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ۔ حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر ان توليه ۔ ان الهوى ما تولى يصم او يصم

وما احسن قول ابي عثمان سعيد النحوي

ومن يكن همه الدنيا ليجمعها ۔ فسوف يوما على رغم يخليها
لا تشبع النفس من دنيا تجمعها ۔ وبلغة من قوام العيش تكفيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ۔ الا التي كان قبل الموت يبنيها
النفس ترجو امورا لست تدركها ۔ والموت دون الذي ترجو سيأتيها
فاعمل اصول التقى ما عشت مجتهدا ۔ واعلم بانك بعد الموت جانيها

قف

موعظة حكي عن زكريا التيمي ان سليمان بن عبد الملك اتي اليه بحجر منقوش وهو في المسجد الحرام فطلب من يقراء ما فيه فاتي بوهب بن منبه فقراء ما في الحجر ابن ادم لو رايت ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولاقصرت عن جهلك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو زلت قدمك واسلمك اهلك وحشمك وبان عنك الرابي والقريب ورفضك الاهل والنسيب ولا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة انتهى وقال الحسن البصري ان بقيت الدنيا لم تبق لها فاي فائدة في طلبها وانفاق العمر فيها ولقد احسن القائل حيث قال

هب الدنيا تساق اليك عفوا ۰ اليس مصير ذاك الى الزوال
وما دنياك الا مثل ظل ۰ اظلك ثم آذن بارتحال

ولله در القايل

ومن عجب لن يبقي المعالي خالد ۰ ومن عجب ان يرضى مصطنع للاثم
قيل وهذا البيت مما يحتمل المدح والذم لانه ان قرئ
في اولا وعن ثانيا فمدح وان عكس فذم وهذا نوع بديع يسمى
الايهام وهو من مقاصد البلغاء قيل ومنه قوله تعالى وترغبون
ان تنكحوهن قال الناظم رحمه الله تعالى

من عز جانبه بها تنوي على القوي باهتضامه

المعنى من استعز بالدنيا فسلم لها القياد ۰ وجعل نيلها
جل مقصده والمراد ۰ آل امرها معه الى الذل والقهر
وتقابله بشوم القطيعة والهجر ۰ وهذا جزاء من ركن الى هواه
واستعز بغير مولاه ۰ نسال الله ان يعزنا بعز الطاعة وينجينا
من شوايب التفريط والاضاعه ۰ ويكفينا هول يوم يشيب
فيه الولدان ۰ ويسكننا برحمته بحبوحة الجنان ۰ وفي هذا
البيت من انواع البديع الاطاعة والعصيان ۰ وحقيقته
ان يريد الشاعر مقابلة شي بشي ۰ فتعصيه القافية كالعز
والاهتضام في هذا البيت لان العز انما يقابله الذل لكنه
لا تقتضيه القافية فاتى بالاهتضام مكانه وهو قريب منه
وفي الخبر عن سيد البشر انه قال يوما لاصحابه هل منكم من يريد
ان يعطيه الله هدى بغير هداية ۰ هل منكم من يريد ان يذهب

الله

الله عنه العمى ويجعل له بصرا الا انه من زهد في الدنيا وقصر
فيها امله اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
الا انه من رغب في الدنيا واطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر
رغبته فيها وما من عبد يوتى شيا من الدنيا الا نقص من حظه
في الاخرة وان كان عند الله كريما قال بعضهم

لئن كانت الدنيا تعد نفيسه ۰ لدار ثواب الله اعلى وانبل
وان كانت الارزاق قسما مقدرا ۰ فقلة سعي المرء في الرزق اجمل

ولبعضهم ۰ يا نفس ما هي الا صبر ايام ۰ كان مدتها اضغاث احلام
يا نفس جودي عن الدنيا مبادرة ۰ وخل عنها فان الخير قدامي

ولله در القايل

اتعمى عن الدنيا وانت بصير ۰ وتجهل ما فيها وانت خبير
وتصبح تبنيها كانك خالد ۰ وانت غدا عما بنيت تسير
فدونك فاصنع كلما انت صانع ۰ فان بيوت الميتين قبور

ولبعضهم ولجاد

ومتعب العيش مرتاح الى بلد ۰ والموت يطلبه في ذلك البلد
وماشا والمنايا فوق هامته ۰ لو كان يعلم غيبا مات من كمد
اماله فوق ظهر النجم شامخة ۰ والموت من بين رجليه على رصد
ان كان لم يعط علما من حياة غد ۰ فما تفكره من رزق بعد غد

قال الناظم رحمه الله تعالى

ومن الذي وهنته وصلا لاثم لم يخش انصرامه

المعنى اي انسان سالمته دنياه بهباتها ۰ ووافقته بصلاتها

مرامت عليه ولم تنصرم وصالها ۝ او نظرت اليه ولم تقطع حبالها
والجواب محذوف تقديره لا احد او قليل والعبرة للاعم الاغلب قال
الشاعر ۝ انما الدنيا عواري ۝ والعواري مستردة ۝
۝ شدة بعد رخاء ۝ ورخاء بعد شدة ۝
قال مالك بن دينار مررت على قصر تضرب فيه الجواري بالدفوف
ويقلن ۝ الا يا دار لا يدخلك حزن ۝ ولا يذهب بساكنك الزمان
ثم مررت عليها بعد حين وهي خراب وبها عجوز فقالت يا عبد الله
والله دخلها الحزن وذهب بساكنها الزمان قال ابو العتاهية
لئن كنت بالدنيا بصيرا فانما ۝ بلاغك منها مثل زاد المسافر ۝
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه ۝ فما فاته منها فليس بضائر ۝
قال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم
شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور
وبين يديه كانون من فضة يتبخر فيه بالعود ثم رايته بعد ذلك
بالجسر يسال الناس ومن كلام ابن الاعرابي ۝
عن الايام عد فعن قليل ۝ ترى الايام في صور الليالي ۝
وحكي عن شيخ من همدان قال بعثني اهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع
بهدايا فمكثت شهرا لا اصل اليه ثم بعد ذلك اشرف اشرافة من
كوة فخروا له من حول القصر سجدا ثم رايته بعد وقد هاجر الى حمص
يشتري اللحم بدرهم ويسمطه خلف دابته وهو القائل لهذا الشعر
اف لدنيا اذا كانت كذا ۝ لنا منها بلاء واذى ۝
ان صفى عيش امرئ في صبحها ۝ جرعته ممسيا كاس الاذى ۝

لقد

قال الناظم لقد كنت اذا ما قيل من ۝ انعم العالم عيشا قيل ذا
ومن الذي مدت له ۝ حبلا فلم يخف انفصامه ۝
هذا البيت في المعنى كالذي قبله لان طبعها نقض الذمام وتشتيت
النظام ودابها مناصلة اهل الجود وعدم الوفا بصدق العهود
فهي عدوة لاوليائه حبيبة لاعدائه قال الزمخشري
وقايلة ارى الايام تعطي ۝ لئاما الناس من رزق حثيث ۝
وتمنع من له شرف وفضل ۝ فقلت لها خذي اصل الحديث ۝
رات كل المكاسب من حرام ۝ فجادت بالخبيث على الخبيث ۝
قيل لما قتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد
على فراشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا
انزل مروان عن فرشه واقعدك عليه لمبلغ في عظتك وقال
يونس بن ميسرة لا ياتي علينا زمن الا بكينا منه ولا تولى الا بكينا
عليه ومنه قوله رب يوم بكيت منه فلما ۝ صرت في غيره بكيت عليه
وقال بعضهم وبينما المرء في الاحيا مغتبط ۝ اذ صار للقبر تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ۝ وذو قرابته في الحي مسرور
ذكر الحريري في درة الغواص ان عبيدة الجرهمي عاش ثلثماية سنة
وادرك الاسلام فاسلم ودخل يوما على معاوية رضي الله عنه فقال
له حدثني باعجب ما رايت في عمرك فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون
ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت بالدموع عيناي وتمثلت
وبينما المرء البيتين المتقدمين فقال لي رجل اتعرف قايل هذا
الشعر فقلت لا فقال ان قايله هذا الذي دفناه الساعة وانت

الغريب الذي نبكي عليه ولا نعرفه وهذا الذي خرج من قبره
اقرب الناس اليه وافرحهم بموته فقال له معاوية لقد
حكيت عجيبا وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي

اني رايت الدهر مذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرني في اول الامر لم ازل * على حذر من ان تذم عواقبه

والفصم القطع ويطلق لغة على الكسر وعليه قال في القاموس
فصمه يفصمه كسره فانفصم وتفصم وافصم الحمى والمطر
اقلع وفاس فصيم وفصم البيت كعني انهدم وخلخال افصم
منفصم وانفصم انقطع وفي البيت استعارة تبعية حيث
شبه تزيين الدنيا لاهلها بمد الحبل وبسطه بجامع التمسك
فيهما ثم اشتق منه مد بمعنى زين فجرت اولا في المصدر ثم
تبعته في الفعل على ما ذكره القوم في مثل نطقت الحال بكذا
بان يقدر تشبيه دلالة الحال منطوق الناطق في ايضاح
المعنى وايصاله الى الذهن ثم تدخل الدلالة في جنس النطق
بالتاويل المذكور فيستعار لها لفظ النطق ثم يشتق منه الفعل
فتكون الاستعارة في المصدر اصلا وفي الفعل تبعية ويحتمل
ان يكون في البيت استعارة بالكناية بان شبه الدنيا بانسان
لا وفاء له متى عاهد خان وان وصل قطع وذكر الحبل قرينتها
على حد ما قالوا في قول الهذلي

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فانه شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة

من

من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ولا بقيا
على ذي فضيلة فاثبت للمنية الاظفار التي لا يكمل الاغتيال
في السبع بدونها تحقيقا للمبالغة والتميمة في البيت هي الخرزة
التي تجعل معاذة يعني ان الموت اذا علق مخلبه في شيء ليذهب به
بطلت عنده الحيل وهذا البيت من قصيدة مشهورة لابي ذؤيب
الهذلي رثى بها اولاده الخمسة حين هاجروا الى مصر مع مرتها
وهلكوا تماما ومنها قوله

اودى بني واودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة لا تقلع

قال الناظم رحمه الله تعالى كم واحد غرته مذ سرته مخفية الذمامه

كم هنا خبرية مفيدة للتكثير وما بعدها تمييز لها وهو واجب
الخفض عند جمهور النحاة وزعم قوم ان لبني تميم قولا في نصب تمييز
كم الخبرية اذا كان مفردا وروي قول الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة * فدعاء قد حلبت علي عشاري

بخفض عمة على قياس تمييز الخبرية وبالنصب على اللغة التميمية
او على تقدير كم استفهامية استفهام تهكم اي اخبرني بعدد عماتك
وخالاتك اللاتي كن يخدمنني فقد نسيته وعليهما فكم مبتدا
خبره قد حلبت وافرد الضمير في حلبت حملا على لفظ كم وبالرفع
على انه مبتدا وجاز وقوعه مبتدا وان كان نكرة لوصفه بلك
وبفدعاء المحذوفة مدلولا عليها بالمذكورة كما حذف لك من خالة
مدلولا عليه بلك في عمة والخبر قد حلبت المذكورة واخرى محذوفة
مدلولا عليها بها لان الخبر عنه على هذا متعدد لفظا ومعنى كما في

زينب وهند قامت ويكون تمييز كم الخبرية مفردا كما في هذا البيت
ومجموعا كما في قول الشاعر كم ملوك باد ملكهم ونعيم سوقة بادوا
وكم لها الصدارة مطلقا ولا تحتاج كم الخبرية الى جواب من المخاطب
بها لان المتكلم بها مخبر ومعنى البيت كم من اناس ارخت لهم عنان مكرها
وتزخرفت لهم حتى صاروا تحت امرها فحين صاروا ملك قبضتها
ومن جملة ارقتها رشقتهم بسهام دهاها واقتنصتهم بانياب
بلاها فوصلها سم ناقع وقربها حسام قاطع والذمام مصدر
من الذم قال في القاموس ذمه ذما ومذمة فهو مذموم وبكسر
ضده مدحه وبين سرته وغرته الجناس اللاحق وهو ان يقع الاختلاف
بين الكلمتين في انواع الحروف ويشترط ان لا يكون باكثر من حرف
واحد ولا يبعد التشابه وان يكون الحرف المختلف غير متقارب
المخرج وتارة يكون الحرف المخالف في الاول كما في غرته وسرته
هنا ومنه قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة والحديث التجار
هم الفجار رواه الطبراني ومثله حديث الترمذي أسفروا بالفجر
فانه اعظم للاجر وتارة في الوسط كقوله تعالى وانه على ذلك
لشهيد وانه لحب الخير لشديد وكحديث الطبراني لولا رجال
ركع وصبيان رضع وبهائم رتع وتارة في الآخر كقوله تعالى
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وحديث الطبراني
لن تفنى امتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل ومما يعزى للامام
الشافعي رضي الله تعالى عنه
ولا تمشين في منكب الارض فاخرا ، فعما قليل يحتويك ترابها

الجناس اللاحق

اذا كنت في دار الهموم فانما ، ينجيك من دار الهموم اجتنابها
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ، وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا ، كما لاح في ارض الفلاة سرابها
مشاربها قد كدرت حين قدرت ، فيا صاح قل لي كيف يصفو شرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة ، عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ، وان تجتذبها نازعتك كلابها
قال الناظم رحمه الله قعدت به من حيث لم يعلم فلم يملك قيامه
المعنى ان الدنيا من اذاقته شراب حلاوتها جرعته سريعا كاس
مرارتها واقعدته عن عالي الرتب فلا يستطيع القيام وجرعته
بعد الوفاء كاس السقام فلا الوفاء من خلالها ولا الصدق
من خصالها فمن اطاعها ضل وغوي وفي اودية الخسران
تردي وحط به الهوى ونسبة القعود اليها مجازية اخذا من
قولهم كبا به دهره لطيفة قيل مر القاضي الفاضل على العماد
الكاتب وهو راكب فقال له سر فلا كبا بك الفرس فاجابه على
الفور دام علا العماد وهذا نوع من انواع البديع يسمى المقلوب
المستوي وما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت كطرده
ومنه قوله سبحانه وتعالى كل في فلك وقوله ربك فكبر ومنه ارض
خضرا وقول قاضي القضاة شرف الدين البارزي سور حماه بربها
محروس ومنه نظما قول الارجاني مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم وقول الآخر
ارانا الاله هلالا انارا والحق بهذا النوع الشيخ تقي الدين

قف على هذا المليح

قف على
هذه النادرة

اخر يقال له قلب الكلمات كقوله

عدلوا فما ظلمت لهم دول ° سعدوا فما زالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم ° رفعوا فما زالت لهم قدم

فهو دعاء لهم واذا قلبت كلماته صارت دعاء عليهم نادرة
قيل كان حال ابي محمد المهلبي الوزير قبل اتصاله بالسلطان
حال ضعيف فبينما هو في بعض اسفاره مع رفيق له من
اهل الادب اذ انشد المهلبي

الا موت يباع فاشتريه ° فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد ° تصدق بالممات على اخيه

قال فرثي له رفيقه ودفع له درهما يسد به رمقه ثم
تفارقا وبعد ايام ترقي المهلبي الي الوزارة واخني الدهر
على ذلك الرجل الذي كان رفيقه فوصل الي ايصال
رقعة اليه مكتوب فيها هذان البيتان

الا قل للوزير فدته نفسي ° مقال مذكر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش ° الا موت يباع فاشتريه

فلما قراها ذكره فامر له بسبعماية درهم وكتب تحت رقعته
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة ثم قلده عملا يرتزق
منه بقية عمره وما احسن قول القايل

وقايلة مات الكرام فمن لنا ° اذا عضنا الدهر الخؤون بنابه
فقلت لها رب يجود بفضله ° اذا مسنا ضيم نلوذ ببابه

وبين

وبين القعود والقيام طباق معنوي من كلام الناظم رحمه الله

ابن الذين قلوبهم كانت بها ذات استهامه

ابن استفهام خبر مقدم لوجوب صدارته والذين مبتدا موخر
والجملة بعده صلته والجواب محذوف تقديره ذهبوا وامحت
اثارهم واندرسوا وتخربت ديارهم والاستهامة ماخوذة
من الهيام بالضم كالجنون من العشق وهام يهيم هيما احب
امراة والهيام العشاق الموسوسون كذا في القاموس والناظم
رحمه الله تعالى اطال في ذم الدنيا تحذيرا من بوايقها وانقا
وترغيبا في صرم حبالها وقطع علايقها فقد جا في ذمها
احاديث واخبار ظهرت في الاشتهار ظهور الشمس رابعة
النهار منها ما روى ابن ابي الدنيا باسناد جيد موقوفا
على ابن عراده لا يصيب عبد مومن من الدنيا شيا الا نقص
من درجاته عند الله وان كان كريما وروى البزار مرفوعا
ينادي مناد دعوا الدنيا لاهلها دعوا الدنيا لاهلها من
اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر
والحتف الموت وروى ابن ماجه والترمذي وقال صحيح
مرفوعا لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
كافرا منها شربة ما وروى الامام احمد والبزار وابن حبان في
صحيحه والحاكم والبيهقي مرفوعا من احب دنياه اضر باخرته
ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وروى
الامام احمد والبيهقي مرفوعا واسنادهما جيد الدنيا دار

ظا

ته

من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له وزاد البيهقي ومال من لا مال
له وما احسن قول القائل

ابني بناء الخالدين وانما ... مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم تقتضيه رحيل
الا ان قطاع الفيافي الى الحمى ... كثير واما الواصلون قليل

وقول الحريري يا خاطب الدنيا الدنية انها ... شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ... ابكت غدا تبا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع ... منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها لا تنقضي واسيرها ... لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا ... متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت ... فيه المدى ونزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا ... فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها ... تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها ... حرب العدا وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو ... طال المدى وونت سرى الاقدار

وقول بعضهم ايها المغرور كم هذا التصابي ... وكم تسوف عاما بعد عام
ان للدهر حساما قاطعا ... فتوقع بعض هذا الحسام
حطمت دينك دنياك فما ... نلت منها غير سحت وحطام

وقول بعضهم يا اهل لذة دنيا لا تدوم لهم ... ان المنايا تبيد اللهو
كم من رايناه مسرورا بلذته ... امسى فريدا من الاهلين مغتربا

وقولي ولو اصبحت تملك كل شيء ... من الدنيا سيعقبه الزوال

فلا

فلا تركن الى دنياك واحذر ... فان صفاء دنيانا محال

ولبعضهم ولقد سالت الدار عن سكانها ... فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقيل لي ... اموالهم ونوالهم عندي

ولبعضهم والله لو كانت الدنيا باجمعها ... تبقى علينا وياتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر ان يذل لها ... فكيف وهي متاع يضمحل غدا

غيره نفسي التي تملك الاشيا ذاهبة ... فليت ابكي على شي اذا ذهبا
نزهت نفسي عن الدنيا ولذتها ... لا فضة ابتغي منها ولا ذهبا

تنبيه نقل عن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال مكتوب
في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار
الذين تزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك
وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى
الفنا يصير قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي على احد
ولا يدوم لك احد طوبى للابرار ماذا عندي لهم من الوفا
الخير اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة
حافون بهم حتى تبلغهم ما يرجون من رحمتي موعظة قال
عيسى عليه الصلاة والسلام لا تستقيم الدنيا والاخرة في
قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد لا خير
في دار عصي الله فيها ولا خير في دار لا تدرك الاخرة الا بتركها
فاعبروها ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا
ورب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا ويروى عنه عليه
السلام انه بينما هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فامرها

ان تكلم فقالت يا روح الله انا بالون بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولدت الف ذكر وافتضضت الف بكر وهزمت الف عسكر وقتلت الف جبار وفتحت الف مدينة فمن رايني فلا يغتر بالدنيا فما كانت الا كحلم النايم فبكي عيسي عليه السلام بكا شديدا

قيل خطب علي كرم الله وجهه مرة فقال ايها الناس اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون علي اعمالكم ومجزيون عليها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلا محفوفة وبالفنا معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من شرها من رام نوالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذهم منها في بلاء وغرور العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم ترمي اهلها بسهامها وتقصدهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها غير موفور انتهي ولو قيل للدنيا صفي نفسك لما عدت عن قول القايل

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض ۔ علي الماء خانته فروج الاصابع

قيل ما وصف احد الدنيا بمثل قول ابي نواس حيث يقول

الا كل حي هالك وابن هالك ۔ وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ۔ له عن عدو في ثياب صديق

فنسال الله ان يحمينا من شرها ويعافينا من سي مكرها ويوفقنا الى الخير في العمل ويجنبنا الخطا والزلل بحرمة النبي المختار وآل بيته وصحابته الاخيار قال الناظم رحمه الله تعالى

اين الملوك ذووا الريا ۔ سة والسياسة والضرامه

اين خبر مقدم والملوك مبتدا موخر وذووا وما عطف بعده صفات للملوك والرياسة ماخوذة من الراس وهو العلو قال في القاموس الراس اعلي كل شي وسيد القوم كالرييس ككيس والقوم اذا كثروا وعزوا و السياسة من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها وبين السياسة والرياسة الجناس المضارع ومنه بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس وحديث الطبراني زر غبا تزدد حبا وحديث ابن السني ما اضيف شي الى شي افضل من علم الى حلم و الضرامة هي ما اشتعل من الحطب او من الضرمة محركة وهي الجمرة والنار كما في القاموس اي اين الملوك الذين هم اصحاب رياسة وسياسة الذين هم في شدتهم كالنار والجمر والجواب محذوف تقديره طحنهم الدهر برحاته واذاقهم طعم بلياته اذ ما من ملك يدوم ولا ظالم ولا مظلوم قيل قال ابن كسري لابيه ما احسن هذا الملك لو دام لنا قال له لو دام لما وصل الينا وما احسن قول القايل

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم ۔ رعايا ولكن ما لهن دوام

والملوك جمع ملك بفتح فكسر وهو من له الملك بضم فسكون وهو القوة والشدة والسلطان واذا ملك الملك يقال له ملك ومملك قال الفرزدق في مدح خال هشام بن عبد الملك وهو ابراهيم ابن هشام المخزومي

وما مثله في الناس الا مملكا ۔ ابو امه حي ابوه يقاربه

اي ليس مثله في الناس احد يشبهه الا مملك اعطي المال والملك وهو هشام ابو امه ذلك الملك ابوه اي ابو ابراهيم الممدوح المعني انه

لا يماثله احد الا ابن اخته الذي هو هشام فان قيل ما
الفرق بين الخليفة والسلطان والملك قلت الفرق كما ذكره
العلامة الجلال قال قال العلامة بن سعد في الطبقات انبانا
محمد بن عمر حدثنا قيس بن الربيع عن عطا بن السايب عن زاذان
عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال له يا سلمان املك انا ام خليفة فقال له سلمان ان انت
جبيت من اراضي المسلمين درهما او اقل او اكثر ثم وضعته في غير
حقه فانت ملك غير خليفة فاستعبر عمر رضي الله عنه وقال
انبانا محمد بن عمر حدثني عبد العزيز بن الحارث عن ابيه عن عم
سفيان بن ابي العوجا قال قال عمر رضي الله عنه والله ما
ادري اخليفة انا ام ملك فان كنت ملكا فهذا امر عظيم فقال
قايل يا امير المومنين ان بينهما فرقا الخليفة لا ياخذ الا حقا
ولا يضعه الا في حق وانت بحمد الله كذلك واما الملك فانه يعسف
الناس فياخذ من هذا ويعطي هذا واما من يطلق عليه اسم السلطنة
في المصطلح فقد قال ابن فضل الله في المسالك ذكر علي بن سعيد
عن السلطنة ان هذه التسمية لا تطلق الا على من يكون في ولايته
ملوك متعددة فيكون هو ملك الملوك فيملك مثل مصر والشام
او افريقية او الاندلس ويكون عسكره عشرة الاف فارس او نحوها
فان زاد على ذلك بلادا وعددا كان اعظم في السلطنة وجاز
ان يطلق عليه السلطان الاعظم انتهى ومن ملك مصر من المسلمين
يسمى عزيزا او الكفرة فرعون كذا قيل فائدة اول من سمي بالخليفة

الفرق بين الخليفة والسلطان والملك

ابو بكر رضي الله عنه اول من سمي بامير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وروي ان ابا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله
وعمر من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر الى عامل العراق
ان يبعث اليه رجلين جلدين يسالهما عن العراق واهله فبعث
اليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا
المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا استاذن لنا على امير المومنين
فقال عمرو انتما والله اصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام
عليك يا امير المومنين فقال من اين لك هذا الاسم فاخبره
وقال انت الامير ونحن المومنون واول من لقب بالسلطان
في الاسلام محمود بن سبكتكين واول من لقب بالملك في الاسلام
عضد الدولة واول من لقب بالوزير في الاسلام ابو سلمة حفص
ابن سليمان الخلال وزير السفاح كما تقدم واول من لقب بقاضي
القضاة الامام ابو يوسف صاحب ابي حنيفة قاضي الرشيد
ورتبة السلطان مع العدل افضل العبادات لما انها وظيفة
الانبياء والمرسلين عليهم الصلوة والسلام ومن ثم قال عليه الصلوة
والسلام السلطان ظل الله في ارضه ياوي اليه كل مظلوم
وطاعته واجبة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ويجب ان لا يدعي عليه بل يدعى
له بالصلاح والهام العدل وانما تجب الطاعة في غير ما حرم الله
ويجب على السلطان ان يتفحص عن احوال الرعية بنفسه وينصف
المظلوم من الظالم ولا يحتجب عن السوال فان ذلك من فتح

النعال . وفي الخبر عن سيد البشر قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم من ولي من امور المسلمين شيا فاحتجب دون خلتهم
وحاجتهم وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيمة دون خلته
وحاجته وفاقته انتهي . وبلغنا ان سليمان عليه السلام احتجب
عن الناس ثلاثة ايام مشتغلا بالذكر والعبادة فاوحي الله سبحانه
اليه يا سليمان ما هذا انصبتك تحتجب عن الناس اقبالا علي حظ
نفسك وعزتي وجلالي لاسلبنك الملك ولاوقفنك محتاجا علي
الابواب كما وقفوا علي بابك فاحتجبت عنهم فلما سلبه ملكه
كان يطوف علي الابواب جايعا عاريا حتي انه وقف علي باب بعض
اقاربه وطلب منه شيا يقتات به وذكر لهم انه سليمان فانكروه
لطيفة قيل ان فتح الله النحاس الشاعر الاديب صاحب الديوان
المشهور لما حصل له من الكواكبي ما حصل وخرج من حلب قاصد
الشام وعمد الي بيت رئيس البلد لتنين راه محجبا فطلب الاذن
بالدخول عليه فلم يؤذن له فحصل له غاية الانكسار وكتب علي باب داره
. الا قل لمن يغلق ابوابه . ترقب فتحا زارك الفتح .
قيل انه مال عليه بقية الحول حتي خربت دياره . وزالت معالمه وآثاره
لطيفة قيل ان انسانا قصد معن بن زايدة ليمدحه فوجده
محتجبا فمكث اياما لا يصل اليه فكتب اليه هذا البيت وهو قوله
. ايا جود معن ناد معنا بحاجتي . فما لي الي معن سواك رسول .
فلما وصلت اليه الورقة دفع له ثلاثين الف درهم ثم ثاني يوم
قراء الورقة ودفع له مثلها ثم ثالث يوم كذلك وفي الرابع

التمسه فلم يجده فقال والله لو اقام لدفعنا له حتي ننفد خزاينا
و ينبغي ان يجانب السلطان لان قربه فتنة قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم من اقترب من ابواب السلاطين افتتن
وروي عنه عليه الصلوة والسلام ما ازداد عبد من السلطان
قربا الا ازداد من الله بعدا انتهي قيل من شارك الملوك في
عز الدنيا شاركهم في ذل الاخرة وقد روي عنه عليه الصلاة
والسلام انه قال اياكم وبيوت الاغنياء فانها مسخطة
للقلوب ولاسيما اذا كان عالما يمضي الي ابوابهم وقد روي
عنه عليه الصلوة والسلام ابغض الخلق الي الله عالم يزور
العمال ولبعضهم . معاشر السلطان محنة . في عاجل الدهر وفي حينه
. ان شاءه خاف علي ماله . او سره خاف علي دينه وقال اخر
. اري الملوك بادني الدين قد قنعوا . وما اراهم رضوا في العيش بالدون
. فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما . استغني الملوك بدنياهم عن الدين
لطيفة لما خالط الزهري السلطان كتب له بعض اخوانه
عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن
عرفك ان يدعو الله لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا قد
اثقلتك نعم الله عليك لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة
نبيه محمد صلي الله عليه وسلم اوليس كذلك اخذ الميثاق علي
العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه اعلم انك ايسر ما ارتكبت
واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل
البغي بدنوك ممن لم يرد حقا ولم يترك باطلا حتي اذا اتخذوك

قطبا تدور بها رحا ظلمهم وجسرا يعبرون عليه الى بلايهم
وسلما الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء فما ايسر
ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك
في جنب ما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون من
الذين قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات فداو دينك فقد دخله سقم شديد وهيئ
زادك فقد حضر سفر طويل وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء ولبعضهم

واهجر ابواب الملوك لانني ٭ ارى الحرص جلابا لكل مذلة
اذا ما مددت الكف التمس الغنى ٭ الى غير من قال اسئلوني فشلت
وما نعمة الا ولله نعمة ٭ اذا قابلتها ادبرت واضمحلت

ولبعضهم واجاد

يا من يرى خدمة السلطان عدته ٭ ما راس كدك الا الذل والندم
انى ارى صاحب السلطان في ظلم ٭ ما مثله من اذا قاسى الغنى ظلم
فالجسم في تعب والنفس خايفة ٭ وعرضه غرض والدين منثلم

ولبعضهم ٭ احق بالخزي في الدنيا ثمانية ٭ لا لوم في ولج منهم اذا [illegible]
المستخف بسلطان له خطر ٭ وداخل الدار تطفيلا بغير دعا
ومتحف بحديث غير سامعه ٭ وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
ومنفذ امره في غير موضعه ٭ وداخل في حديث اثنين مستمعا
وطالب الفضل من لا خلاق له ٭ ومرتجي النصر من اعدايه طمعا

فائدة قيل ملك الدنيا كافران وهما نمرود بالذال المعجمة

وبخت

وبخت نصر قيل كان بعد نمرود ومؤمنان سليمان بن داود
عليه السلام وذوا القرنين وقد اختلف في نبوته والاصح
الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عدلا وسمي بذي
القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها
وقيل لانه كان له قرنان اي ضفيرتان او انقرض في ايامه قرنان من الناس
او لانه ملك الروم وفارس والترك او كان لتاجه قرنان او كان
كريما الطرفين ابا واما ونقل السيوطي في كتاب الاوليات
عند قوله تعالى اول من لبس العمامة ذوا القرنين قال اخرج
ابو الشيخ بن حبان في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال وذلك
انه طلع له في راسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من
اجل ذلك ثم انه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال
لكاتبه هذا امر لم يطلع عليه غيرك فان سمعت به من احد قتلتك
فخرج الكاتب من الحمام فاخذته هيئة الموت فاتى صحراء فوضع
فمه بالارض ثم نادى الا ان للملك قرنين فانبت الله من كلمته
قصبتين فمر بهما راع فقطعهما واتخذهما مزمارا فكان اذا زمر
خرج من القصبتين الا ان للملك قرنين فانتشر ذلك في
المدينة فقال ذوا القرنين هذا امر اراد الله ان يبديه وفي
المختصر الجامع ان ذا القرنين اثنان اكبر واصغر اما ذو القرنين
الاكبر فهو المذكور في القران وهو من ولد سام بن نوح عليه السلام
ولقي ابراهيم وكان في زمنه وطافا البلاد والخضر على مقدمته
وبلغ معه نهر الحياة فشرب من ماء الحيوة وهو لا يعلم فخلد وهو

الان حي والجمهور علي ان الخضر نبي وكان علمه بواطن الامور
أوحيت اليه اي ليعمل بها وذكر بعض السلف ان الخضر الي
الان ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين يموتون فجاة هو الذي
يقتلهم فان صح ذلك فهو في هذه الامة بطريق النيابة
عن النبي صلي الله عليه وسلم فانه صار الان من اتباعه كما ان
عيسي عليه السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لان
عيسي عليه السلام اجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم اجتماعا
متعارفا ببيت المقدس فهو صحابي وبه يلغز فيقال اي صحابي
افضل من ابي بكر الصديق رضي الله عنه والجواب عيسي عليه
السلام وقد نقل البغوي في تفسيره ان اربعة من الانبيا
عليهم السلام احياء الي يوم البعث اثنان في الارض واثنان
الياس والخضر والياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل عام
علي ردم ذي القرنين يحرسانه واكلهما الكرفس والكماة واثنان
في السماء ادريس وعيسي وعن ابن اسحاق ان الخضر من ولد
فارس انتهي وسد ذو القرنين الاكبر علي ياجوج وماجوج
وبني الاسكندرية قال ابن عباس كان اسم هذا عبد الله بن الضحاك
واما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر اليوناني وهو الذي قتل
دارا وسلب ملكه وتزوج بنته واجتمع له الروم وفارس ولهذا
سمي ذا القرنين ويقال انه دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي
وطلب عين الخلد وسار فيها ثمانية عشر يوما ثم رجع الي العراق
وفي الملل لمحمد بن عبد الكريم الاسكندر الحكيم الرومي هو ذو

القرنين

القرنين الملك ليس هو المذكور في القران بل هو ابن فيلفوس
الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر
سلمه ابوه الي ارسطاطاليس الحكيم فاقام عنده خمس سنين
يتعلم منه الحكمة والادب حتي بلغ احسن المبالغ ونال من الفلسفة
ينل سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه
علة تخاف منها فلما وصل اليه جدد له العهد فاستولت عليه
العلة فتوفي منها واستقل الاسكندر في اعباء الملك وله حكم
كثيرة ومن حكمه اعلموا ان الايام صحايف الدهر مقلدة
بالمدح والذم فاذا اولي العاقل ولاية فلتكن همته انتهاز
الفرصة وتقليد المنن في اعناق الرجال وارحموا من له قدم
في المروة وعراقة في الكرم ولا يغرنكم انقلاب الزمان عليه
له فان الدهر يجبر ويكسر وما اعطي شيئا بيمينه الا اخذه بشماله
وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن
عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالي اني باعثك الي
امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احداهما
عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخري عند مطلعها
يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احداهما في قطر
الارض الايمن يقال لها هاويل والاخري في قطر الارض الايسر
ج يقال لها تاويل وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج
وماجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكابرهم وباي جمع اكاثرهم
وباي لسان اناطقهم قال الله تعالي ساطوقك وابسط لسانك

واشد عضدك فلا يهولنك شي والبسك الهيبة فلا يروعك
شي واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك
من امامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب
الشمس فوجد اما لا يحصون وهم ناسك فكاثرهم بالظلمة فمنهم
من امن ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل
عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته
فجند منهم جندا حتى اتى الى هاويل ففعل بهم كفعله بالامتين
ثم اتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي في
وسط الارض فلما كان مما يلي من منقطع الترك قالت له امة
صالحة يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهايم
يفترسون الدواب والوحوش كالسباع وياكلون الحيات والعقارب
وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا
شك انهم سيملؤن الارض فيفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعدوا
لي الصخور والحديد والنحاس قال تعالى في قصته ويسالونك عن
ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه
من كل شي سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس قال في انوار
التنزيل اي منتهى العمارة نحو المغرب وجدها تغرب في عين حامية
اي حارة او حمئة اي في ماء وطين لعله بلغ ساحل المحيط فراها
كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الما ووجد عند تلك العين
قوما يعبدون غير الله عراة من الثياب لباسهم جلود الوحوش

وطعامهم

وطعامهم ما لفظه البحر ثم اتبع سببا اي طريقا يوصله الى
المشرق فسار حتى بلغ مطلع الشمس اي الموضع الذي تطلع عليه
الشمس اولا وجدها تطلع في نظره على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا من اللباس والثياب فان ارضهم لم تمسك الابنية
وانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية وذكر ابو الليث انهم
كانوا عراة عماة عن الحق في مكان لا يستقر فيه البنا وليس فيه
شجر ولا جبل وقال هم الزنج كانوا في مكان لا يثبت فيه البنا
ثم اتبع طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا
بين الجنوب والشمال فسار حتى اذا بلغ بين السدين وفي
انوار التنزيل اي بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا
ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع
ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وفي
المدارك وهذا المكان منقطع ارض الترك مما يلي المشرق
وفي الينابيع عن الكلبي حفروا حتى وصلوا الما فوضعوا
قطعة من حديد وقطعة من نحاس وقطعة من صفر بعضها
فوق بعض يعني سافا من حديد وسافا من نحاس وسافا من
صفر بعضها فوق بعض ووضعوا الاحجار وسطها والحطب
في خلالها حتى الى اعلى الجبلين ثم وضعوا المنافيخ الكبار وكان
نحو اربعين الف عجلة فصار بناء رفيعا لا يقدر الطير ان يطير
من اعلاه ثم نفخوا فيه حتى صار مثل النار ثم صب عليه النحاس
المذاب حتى سد التجاويف والثقب وجعلوه املس حتى لا

بقدر على نشوره وتركوه حتى يرد فظهر فيه خطوط خط اسود
من الحديد وخط احمر من النحاس وخط اصفر من الصفر روي
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني رايت ردم ياجوج وماجوج قال صفه لي قال طريقة بيضا
وطريقة سودا قال عليه السلام اجل رايته وفي رواية قال
رجل يا رسول الله اني رايت السد قال كيف هو قال كالبرد المخطط
قال قد رايته وفي انوار التنزيل ياجوج وماجوج قبيلتان
من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج وماجوج من الترك والذي
يتبادر الى الفهم ان الترك من ياجوج وماجوج فقد قال
السدي رحمه الله تعالى الترك طايفة من ياجوج وماجوج
خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجة
فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين انتهى ويقال ان
ياجوج وماجوج قبل السد كانوا يخرجون ايام الربيع فلا
يتركون شيا اخضر الا اكلوه ولا شيا يابسا الا احتملوه وقيل
كانوا ياكلون الناس ولا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال
مفرطي الطول وقصار مفرطي القصر وعن علي رضي الله عنه انه
قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول ولهم اذنان
يسحبان في الارض فاذا نام فرش احداهما والتحف بالاخرى
وطعامهم حشرات الارض والسحاب والتمساح وفي رواية
تاتي اليهم حيات من البر فياكلونها وفي رواية اخرى يبعث

الله

الله عليهم كل سنة سحابة تمطر في ارضهم حية عظيمة فياكلون
منها وتكفيهم الى السنة الاخرى وفي السنة التي تاتيهم واحدة
تكون جدبة عليهم والسنة التي تاتيهم اثنتان تكون وسطى
عليهم وفي السنة التي تاتيهم ثلاثة تكون رخاء وسعة وفي
رواية طعام ياجوج وماجوج شوك يابس يكون منه في بلاد
المغرب كثير يدقونه ويجعلون منه طعامهم وهم لا دين لهم ولا
يعرفون الله تعالى وقبل ان يصل الاسكندر الى ذلك المحل بسنين
خرج بعضهم الى المسلمين وقتلوا بعضهم واخذوا كلما وجدوه
من الطعام وغيره انتهى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون الردم كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس وفي رواية اخرى يلحسون السد بالسنتهم
فيجعلونه رقيقا كقشر البيض قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغ مدتهم قال الذي عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فيعودون اليه
فيجدونه كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون الى الناس
فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم وينتشرون
في الارض ولم يسلطوا على اربع مساجد المدينة المنورة والمسجد
الحرام ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء وكثرتهم
بحيث اذا خرجوا تكون مقدمتهم في الشام وساقتهم بخراسان
يشربون مياه المشرق ويمر اولهم على بحيرة طبرية فيشربون
ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء وخروجهم

من امارات تكون بين يدي الساعة كخروج الدجال ودابة
الارض ونحو ذلك انتهى ولولا خوف الاطالة التي لا تليق
بهذه العجالة لاوردنا نبذة من اخبار سيدنا سليمان والنمرود
وبخت نصر ولكن فيما ذكرناه بلغة لمن عقل واستبصر
وينبغي لمن خالط الملوك ان يكون علي حذر من سطوتهم وان
يستعد للقائهم حذرا من بطشتهم فقد قيل علي قدر قربك من
الملك علي قدر خوفك منه وفي المثل صاحب السلطان كراكب
الاسد تهابه الناس وهو من مركبه اهيب وقالوا مجالس
السلطان الي العطب اقرب من البعيد لانه بمراي من العين
بخلاف البعيد وما احسن قول القائل

ومعاشر السلطان شبه سفينة ... في البحر ترجف خيفة من خوفه
اذ دخلت من مائه في جوفها ... ادخلها وماءها في جوفه

وما احسن قول ابن الوردي رحمه الله تعالى

جانب السلطان واحذر بطشه ... لا تعاند من اذا قال فعل

وينبغي لمن اراد الدخول علي السلطان او الامير ان يتحفظ بما
ورد من السنة اتقاء شره فقد روى الطبراني ورجاله رجال
الصحيح انه اذا خاف احدكم السلطان فليقل اللهم رب السموات
ورب العرش كن لي جارا من شر فلان بن فلان يعني الذي يريده
وشر الانس والجن واتباعهم ان يفرط علي احد منهم عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك وفي رواية له ايضا عن ابن عباس
قال اذا اتيت سلطانا مهيبا تخاف ان يسطو بك فقل الله

اكبر الله اعز من خلقه جميعا الله اعز مما اخاف واحذر اعوذ
بالله الذي لا اله الا هو الممسك للسموات ان تقع علي الارض الا
باذنه من شر عبدك فلان وجنوده واتباعه واشياعه من الجن
والانس اللهم كن لي جارا من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبا رك
ولا اله غيرك ثلاث مرات وروي ابن ابي شيبة موقوفا علي ابي
مجاز وهو تابعي ثقة قال من خاف ظالما فقال رضيت بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلي الله عليه وسلم نبيا وبالقران
حكما واماما نجاه الله تعالي منه ومن ذلك ما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالي عنهما انه قال من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث
مرات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة
فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله عوفي من السرق
والحرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب
قلت جاء في الحديث مطعون فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الخضر والياس عليهما السلام يجتمعان كل عام في الموسم ويحلق
كل منهما راس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات المتقدمة
الناظم رحمه الله

وبنو امية حين جمع عصرهم لهم قيامه

لا يخفي ان تسمية الامويين والعباسيين خلفا ليس حقيقة لان
الخلافة انتهت بخلافة الحسن رضي الله عنه وارضاه وكانت خلافته
ستة اشهر وخمسة ايام وقيل ستة اشهر الا اياما تكملة لما ذكر
صلي الله عليه وسلم في مدة الخلافة ثم تكون ملكا عضوضا ثم

ثم تكون جبروتا وفسادًا كما قال عليه الصلوة والسلام ثم خلع
نفسه رضي الله تعالى عنه لما راى في ذلك من المصلحة في حقن الدماء
ومصداقا للحديث الشريف فقد ورد في الحديث الصحيح عن ابي بكرة
رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن
الى جنبه وهو عليه الصلوة والسلام يقبل على الناس مرة وعلى الحسن
مرة اخرى ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين وسمي ذلك العام عام الجماعة
لاجتماع الامة بعد الفرقة على خليفة واحد وخطب الحسن رضي الله
عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان احمق الحمق الفجور
وان هذا الامر الذي اختلفت انا ومعاوية فيه ان كان له فهو احق
به مني وان كان لي فقد تركته ارادة لاصلاح الامة وحقن دماء
المسلمين وما ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قيل انه
عوتب بسبب ذلك فقال رضي الله عنه اخترت ثلاثا على ثلاث
اخترت الجماعة على الفرقة وحقن الدماء على سفكها والعار على
النار وله رضي الله عنه ماثر مشهورة ومكارم غير محصورة
قيل انه قال اني لاستحيي من ربي عز وجل ان القاه ولم امش الى
بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه والنجايب تقاد معه
وخرج رضي الله عنه من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات
حتى يعطي نعلا ويمسك له نعلا اخرى وتوفي رضي الله عنه سنة ٤٩
او خمسين مسموما من زوجته جعدة بنت الاشعث وسبب سمها ان
يزيد الخبيث خشي على الخلافة منه بعد وفاة والده معاوية رضي

الله

الله تعالى عنه فارسل الى جعدة ان سميه بهذا السم وانا اتزوجك
فسمته قيل مكث نحو شهرين ينضح من تحته الدم وكان يقول
رضي الله عنه سقيت السم مرارا ما اصابني فيها ما اصابني هذه
المرة وجهد به اخوه الحسين ان يخبره من سقاه السم فابى وقال
الله اشد نقمة ان كان الذي اظن والا فلا يقتل بي بريء واوصى
الى اخيه رضي الله عنهما ان اذا انا مت فادفني مع جدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان منعت فادفني في بقيع الغرقد فلما مات
واراد الحسين دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه مروان
ابن الحكم وكان يومئذ عامل المدينة فدفن رضي الله عنه مع امه
فاطمة رضي الله عنها وقيل دفن في البقيع في قبة العباس ودفن
في هذا القبر ايضا علي بن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه
محمد بن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنهم اجمعين فانعم بهذا
القبر من مزار ضم اليه اربعة اقمار ولما خلع الحسن نفسه صفت
الخلافة لسيدنا معاوية ونودي من ثم يا امير المؤمنين لا
انما بايعه على الخلافة قبل خلع الحسن نفسه اهل الشام واختلفت
عليه اهل العراق فلما صالحه الحسن اجتمع الناس على مبايعته وبعث
نوابه الى البلاد وكان رضي الله عنه مليح الشكل عظيم الهيبة
وافر الجسم يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة ويركب الخيل
المسومة وكان كثير البذل والعطايا الى رعيته كبير الشان
يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي وينتسب
الى امية بن عبد شمس فيقال الاموي وخرج عليه مرة بن نوفل المروزي

وورد الكوفة فكتب معاوية الي اهلها ان لا ذمة لكم عندي حتي
تكفوني امره فقاتلوه وقتلوه وهو اول الخوارج ومعاوية رضي
الله عنه اول من بني المقاصير واقام الحرس والحجاب . واول من مشي
بين يديه صاحب الشرطة بالحربة واول من تنعم في ماكله ومشربه
وملبسه وكان حليما وله في الحلم اخبار كثيرة ولما حضرته الوفاة
جمع اهله فقال الستم اهلي فقالوا بلي فداك الله بنا قال فهذه
نفسي خرجت من قدمي فردوها ان استطعتم فبكوا وقالوا ما لنا
الي هذا من سبيل فرفع صوته بالبكاء وقال ويل لمن تغره الدنيا
بعدي ثم اوصي ان تدق قلامة اظفار رسول الله صلي الله عليه
وسلم وتجعل في منافذ وجهه وان يكفن بثوب رسول الله صلي الله
عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه بدمشق في نصف رجب وقيل في مستهله
وصلي عليه الضحاك الفهري لغيبة ولده يزيد وقد اختلف في
عمره فقيل ٧٠ وقيل ٧٥ وقيل ٨٥ وقيل ٨٨ وقيل ٩٠ ثم قدم
يزيد الخبيث وكان بحمص فبويع له بالخلافة بعهد من ابيه .
واستقامت خلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر . ووقع في
مدته من قتل الصحابة واذية المدينة المنورة واهلها ما تضيق
عنه الصدور . وتكل عن قبحه السنة السطور . مما اوجب مقته
وخزيه في الدنيا والاخرة بل قال الامام احمد بن حنبل وناهيك
به امامة وجلالة وحفظا للسنة ان يزيدا كافر مرتد ثم قام
بالخلافة ابنه معاوية وكان في كمال العقل والدين علي غاية .
استقام فيها اربعين يوما . وقيل خمسة اشهر واياما وخلع

١ الكلام علي يزيد الخبيث

نفسه

نفسه وذكر غير واحد ان معاوية لما خلع نفسه صعد المنبر .
فجلس طويلا ثم حمد الله واثني عليه بابلغ ما يكون من الحمد والثنا
ثم ذكر النبي صلي الله عليه وسلم باحسن ما يذكر به ثم قال ايها الناس
ما انا بالراغب في الايتمار عليكم لعظيم ما اكرهه منكم فاني اعلم
انكم تكرهوننا ايضا لانا بلينا بكم وبليتم بنا الا ان جدي معاوية
نازع هذا الامر من كان اولي به منه ومن غيره لقرابته من رسول
الله صلي الله عليه وسلم وعظيم فضله وسابقته اعظم المهاجرين
قدرا واشجعهم قلبا واكثرهم علما . واولهم ايمانا واشرفهم منزلة
واقدمهم صحبة ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وصهره وزوج
ابنته فاطمة وجعله لها بعلا باختياره لها وجعلها له زوجة
باختيارها له . ابو سبطيه سيدي شباب اهل الجنة . وافضل هذه
الامة . تربية الرسول . وابنا فاطمة البتول . من الشجرة الطيبة
الطاهرة الزكية فركب جدي منه ما تعلمون . وركبتم معه ما لا
تجهلون حتي انتظمت لجدي الامور . فلما جاءه القدر المحتوم .
واخترمته ايدي المنون . بقي مرتهنا بعمله فريدا في قبره . ووجد
ما قدمته يداه . وراي ما ارتكبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة الي
يزيد ولده ابي ولقد كان ابي يزيد لسوء فعله واسرافه غير خليق
بالخلافة علي امة محمد صلي الله عليه وسلم فركب هواه واستحسن خطاه
واقدم علي ما اقدم من جراته علي نفسه وتعديه علي من استحل
حرمته من اولاد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت مدته .
وانقطع اثره وضاجع عمله وصار حليف حفرته . رهين خطيئته

وبقيت اوزاره وتبعاته . وحصل على ما قدم . وندم حيث لا ينفع
الندم وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه فليت شعري ماذا قال
وماذا قيل له هل عوقب باساته وجوزي بعمله وذلك ظني ثم
اخنقته العبرة فبكى طويلا وعلا نحيبه وصوت وقال انا
ثالث القوم والساخط على اكثر من الراضي وما كنت لاتحمل اثامكم
ولا يراني الله عز وجل متقلدا اوزاركم والقاه بتبعاتكم فشانكم
امركم فخذوه ومن رضيتم به فوليكم ولوه . فقد خلعت بيعتي من
اعناقكم والسلام فقال له مروان بن الحكم اسنة عمرية يا ابا ليلى
فقال اعد عني فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فاتجرع مرارتها
ايتني برجال مثل رجال عمر على انه ما كان حين جعلها شورى وصرفها
عن من لا يشك في عدالته ظلوما والله لئن كانت الخلافة مغنما
لقد نال ابي منها مغرما وماثما . وان كانت شرا فحسبه منها
ما اصابه ثم نزل فدخل عليه اقاربه وامه فوجدوه يبكي فقالت
امه ليتك مت ولم اسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ثم قال
ويلي ان لم يرحمني ربي قيل ان بني امية ذهبوا الى مؤدبه
عمر المقصوص وقالوا له انت علمته هذا ولقنته اياه وصددته
عن الخلافة وزينت له حب علي واولاده وحملته على ما وسمنا
به من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال
فقال المعلم والله ما فعلت ذلك ولكنه مجبول على حب علي ومطبوع
عليه فلم يقبلوا ذلك منه واخذوه وقيل انهم اخذوه ودفنوه
حيا انتهى وتوفي معاوية بن يزيد رضي الله عنه بعد خلع نفسه

باربعين

باربعين ليلة وقيل تسعين ليلة وكان عمره ٢٣ سنة وقيل
١٨ وقيل ٢٠ وقيل انه لما احتضر قيل له الا تستخلف فابى
مروان ابن الحكم — وقال ما اصبت من حلاوتها شيئا فلم اتحمل مرارتها ثم تولى مروان
ابن الحكم بن ابي العاص بويع له بالخلافة بالجابية ثم دخل
الشام فاذعن له اهلها بالطاعة ودخل مصر بعد حروب كثيرة
فبايعه اهلها وكان يقال له ابن الطريد لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان طرد اباه الى الطائف فرده سيدنا عثمان حين
ولي الخلافة وتوفي سنة قيل ان زوجته قتلته بسبب شتمها
فوضعت عليه مخدة وهو نائم وقعدت هي وجواريها عليها
حتى مات روى عمرو بن الجهني وكانت له صحبة ان الحكم ابن
العاص استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فعرف صوته
فقال ائذنوا له عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله الا
المؤمن منهم وقليل منهم يشرفون في الدنيا ويوضعون في
الاخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في
الاخرة من خلاق وكانت مدة خلافته عشرة اشهر والاصح كما
قال الذهبي وتبعه جماعة ان مروان لا يعد في امراء المؤمنين
بل هو باغ خارج على ابن الزبير فان ابن الزبير استمر خليفة
حكمه في مكة الى ان تغلب عبد الملك بن مروان وجرى عليه ما جرى
قال الناظم رحمه الله وتمكنوا من بعد ذا ولنقض ما شاؤا وابرامه
والضمير في وتمكنوا راجع لبني امية والنقض ضد الابرام يقال
ابرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وابرم الامر احكمه فبينهما التضاد

ويقال الطباق المعنوي وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة
ومنه وتحسبهم ايقاظا وهم رقود. يحيي ويميت. لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت. فان في اللام معنى الانتفاع وفي على معنى
التضرر اي لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وتخصيص
الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الاكتساب فيه اعتمال والشر
تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل. ويخرج
بهذا البيت الى فظيع ما وقع منهم في حق الحسين وحق سيدنا ابن الزبير
رضي الله عنهما وذلك انه لما توفي سيدنا معاوية رضي الله عنه
بايع اهل الشام ولده يزيد فارسل يزيد يطلب البيعة من اهل المدينة
فابى الحسين رضي الله عنه وخرج الى مكة وكان اهل العراق يكتبون
للحسين رضي الله عنه بالمسير اليهم المرة بعد المرة فاشار عليه الصحابة
رضي الله عنهم بالترك ويبينوا له انهم خذلوا اباه واخاه فلم يصغ
اليهم ولقد قال له ابن عمر رضي الله عنهما لا تخرج فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيره الله بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة
وانك بضعة منه ولن تنالها يعني الدنيا وقال له ابن عباس
والله اظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان ومع
ذلك كله صمم على الخروج الى العراق فخرج عشر ذي الحجة ومعه طائفة
كثيرة من اهل بيته رجالا ونساء وصبيانا فكتب يزيد الى واليه
بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله فوجه اليه جيشا اربعة الاف
فخذله اهل الكوفة كما هو شانهم مع اخيه وابيه رضي الله عنهم فقتلوه
حتى خمد فيها من اهل البيت بكربلاء يوم عاشوراء وقتل معه ستة عشر رجلا

فاراد ذلك

مقتل الحسين

من اهل بيته وفي قصة قتله طول لا يحتمل القلب ذكرها فانا
لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما
جاء خبر قتل الحسين قام ابن الزبير رضي الله عنه يعظم قتل الحسين
ويظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وما فيه من المساوي ويثبط
الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني امية ويطيل في ذلك فلما بلغ
يزيد اقسم ان لا يوتي به الا مغلولا فجاء اليه رجل من اهل الشام وتكلم
مع ابن الزبير رضي الله عنهما وعظم عليه الفتنة وقال لا يستحل
الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه واقسم ان
لا يوتي بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه
الثياب وتبر قسم امير المومنين فالصلح خير عاقبة واجمل بك
وبه فقال له انظر في امري ثم دخل على امه اسماء رضي الله عنها واستشارها
فقالت يا بني عش كريما ولا تمكن بني امية من نفسك فامتنع وصار
يبايع الناس سرا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به
من انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله ورضخ
بالمنجنيق نصبه على ابي قبيس فاصاب الكعبة من شرار ونار
ما احرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية
مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة الحرم وانصدع الحجر
من تلك النار من ثلاثة اماكن وعند محاصرة الجيش لابن الزبير
رضي الله عنهما جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت
يزيد قبل ان يعلم الجيش فنادى فيهم يا اهل الشام قد اهلك الله
طاغيكم يعني يزيد فمن احب ان يدخل فيه الناس فعل ومن احب ان

الكلام على ابن الزبير

يرجع الى شامه فليفعل فانفل الجيش وبايع جماعة من الجيش عبد الله
ابن الزبير بالخلافة ودخلوا تحت طاعته ظاهرا ويقال ان امير
الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلف
روس فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويفكها فقال له ابن
الزبير ما لك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا حمام
الحرم فقال تفعل هذا وانت تقتل المسلمين فقال له تاذن لنا
ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا وقال
وقال امير الجيش لابن الزبير ان كان هذا الرجل هلك فانت احق
الناس بهذا الامر يعني الخلافة فارحل معي الى الشام فوالله لا
يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير رضي الله عنهما واغلظ
عليه القولة فكر راجعا وهو يقول اعده بالملك وهو يعدني بالقتل
ودخل تحت طاعة ابن الزبير رضي الله عنهما جميع البلدان الا
الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية
الصغير بن يزيد الفاسق وكان ابن الزبير رضي الله عنهما لما ولي
اخاه نايبا عنه بالمدينة امره باجلاء بني امية وفيهم مروان وابنه
عبد الملك الى الشام فلما اراد مروان يبايع ابن الزبير رضي الله
عنه ثنى عزمه جماعة وقالوا له انت شيخ قريش وسيدها وقد فعل
فيكم ابن الزبير ما فعل فانت احق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة
اشهر بالخلافة او عشرة وفي خلافته ما تقدم وقام بعده ولده
عبد الملك وهو اول من سمي بعبد الملك في الاسلام ثم عهد لاولاده
الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو

ابن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد
الملك بذلك ذرعا وفي كلام ابن ظفر رحمه الله ان عبد الملك
لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما خرج معه
عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وطمع
في نيل الخلافة فلما سار عن دمشق اياما عارض عمرو بن سعيد
واستاذن عبد الملك في العود الى دمشق فاذن له فلما عاد
ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك
ودعا الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى
على دمشق وحصن سورها وبذل الرغايب فبلغ ذلك عبد الملك
وهو متوجه الى ابن الزبير فاشير عليه ان يرجع الى دمشق
ويترك ابن الزبير رضي الله عنهما لان ابن الزبير لم يعطه طاعة
وما وثب على مملكته فهو في صورة ظالم له وقصده لعمرو بن
سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وافسد
رعيته فرجع الى دمشق وظفر بعمرو بن سعيد ثم جهز لقتال عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما الحجاج الخبيث في اربعين الفا فحاصروه
بمكة اشهرا ورموه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه وتسللوا
الى الحجاج ثم ظفر به رضي الله عنه فقتل واحتز الحجاج الفاسق
راسه وصلب جثته وقيل ان الخبيث الحجاج قال لا انزله حتى
تشفع فيه امه اسماء رضي الله عنها فاستمر على ذلك الحال مدة
فمرت امه يوما به فقالت اما آن لهذا الفارس ان يترجل فبلغ الحجاج
قائلها فامر بانزاله وان يعطى لامه اسماء بنت الصديق رضي

الله عنها فاخذته ودفنته واخرج ابو يعلي في مسنده ان
النبي صلي الله عليه وسلم ناول ابن الزبير دم حجامته وقال
له اذهب فاهرقه حيث لا يراك احد فذهب وشربه ثم رجع
فقال له ما صنعت بالدم قال عمدت لاخفي مكان وموضع
علمته فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس
منك وويل لك من الناس فكانوا يرون ان الشجاعة التي في ابن
الزبير رضي الله عنهما من ذلك الدم ثم كان يصلي في الحجر
وهو محصور في المسجد وحجارة المنجنيق تصيب طرف ثوبه
فلا يلتفت اليها وكان رضي الله عنه لا ينازع في ثلاثة
الشجاعة والعبادة والبلاغة ومن ثم قال له معاوية
رضي الله عنه انشدني ثلاثة ابيات لرجل من العرب كل بيت
قايم بمعناه قال بثلاثمائة الف قال وتساوي قال وانت
بالخيار وانت واف كاف قال هات فانشده للافوه الاودي

الابيات التي بثلاثمائة الف

بلوت الناس قرنا بعد قرن . فلم ار غير ختال وقال

قال صدقت هيه قال

ولم ار في الخطوب اشد وقعا . واصعب من معادات الرجال

قال صدقت هيه قال

وذقت مرارة الاشياء طرا . فما طعم امر من السؤال

قال صدقت هيه وامر له بثلاثة الاف دينار ولم تصح خلافة
عبد الملك الا بعد قتل ابن الزبير واما قبله فكان باغيا
متغلبا على مصر والشام ثم على العراق وما والاها ومن عجيب

ما

ما وقع لعبد الملك من التناقض الدال على سوء عاقبته انه كان
في اول امره على غاية من النسك والعبادة وقراءة القران والفقه
والحديث بحيث عده ابو الزناد من فقهاء المدينة ومن نظراء ابن
المسيب ومن ثم روى عنه اكابر التابعين منهم عروة ورجاء
ابن حيوة وابن شهاب الزهري واخرون وجلس اليه رجل وهو على
هذه الحالة من الجيش المرسل من قبل يزيد الى قتال عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما فقال له عبد الملك من هذا الجيش
انت قال نعم قال ثكلتك امك اتدري الى من تسير الى
اول مولود في الاسلام وابن حواري رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ذات
النطاقين اما والله ان جيته نهارا وجدته صايما وان
جيته ليلا وجدته قايما فلو ان اهل الارض تطلعوا الى
قتله لاكبهم الله جميعا في النار قال ذلك الرجل فلما
صارت الخلافة اليه وجهنا مع الحجاج حتى قتلنا ابن الزبير
فتامل وصفه لابن الزبير رضي الله عنهما ببعض صفاته
حين عجزه ثم تجبره وتمرده حين قدرته حتى باء باثم قتله
ومن تهوره الدال على سوء عاقبته انه لما افضت اليه الخلافة
والمصحف بحجره طبقه وقال هذا اخر العهد بك قال العسكري
وهو اول من غل في الاسلام واول من غدر واول من نهى عن
الامر بالمعروف قال بعض الحفاظ لو لم يكن من مساويه الا
الحجاج لكفى فانه ولاه على الصحابة يسيمهم ويذلهم قتلا

وضربا وشتما وحبسا وقد قتل من اكابر الصحابة والتابعين
ما لا يحصي فضلا عن غيرهم وختم بعنق انس وغيره من
الصحابة ختما يريد به ذلهم واهانتهم فلا رحمه الله ولا عفي
عنه ولا عن عبد الملك قيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو
ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف
السياسة وظلم الرعية والاسراف في القتل علي ما لا يبلغه وصف و
احصي من قتله بامره سوي من قتله بحروبه فكانوا مائة الف
وعشرين الفا ووجد في سجنه خمسون الف رجل وثلاثون الف
امراة وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه
سقف يستر الناس من الحر والبرد قيل للشعبي كان الحجاج
مؤمنا قال نعم بالطاغوت وتوفي عبد الملك سنة ٨٦ وخلف
سبعة عشر ولدا ولي الخلافة منهم اربعة وكانت خلافته
احد وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها ثمان سنين منازعا
لابن الزبير رضي الله عنهما ثم انفرد بمملكة الدنيا الي ان مات
فقام بالخلافة بعده الوليد ابنه بعهد منه وكان احسن الناس
حالا من ابيه قال الحافظ بن عساكر كان الوليد عند اهل الشام
من افضل خلفائهم بني المساجد بدمشق واعطي الناس وفرض
للمجذومين وقال لا تسالوا الناس واعطي كل مقعد خادما
وكل اعمي قايدا وكان يعظم حملة القران ويقضي ديونهم عنهم
وبني الجامع الاموي وهدم كنيسة مريحنا وزادها فيه وذلك
في ذي القعدة سنة ٨٦ وذكر انه كان في الجامع وهو يبني

اثنا عشر الف مرخم وتوفي الوليد ولم يتم بناؤه فاتمه سليمان بن
عبد الملك اخوه وكان جملة ما انفق علي بنايه اربعمائة صندوق
في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة
سلسلة من ذهب للقناديل وما زالت لايام عمر بن عبد العزيز
فجعلها في بيت المال واتخذ عوضها صفرا وحديدا وله اثار حسنة
ومع ذلك فقد روي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال
لما الحدت الوليد ارتكض في اكفانه وغلت يداه الي عنقه
نسال الله العفو والعافية توفي في دير مروان سنة ٩٦ ودفن
في مقابر باب الصغير وتولي دفنه عمر بن عبد العزيز وكانت
خلافته تسع سنين وثمانية اشهر ثم قام بامر الخلافة بعده
اخوه سليمان بن عبد الملك بويع له بالخلافة يوم موت اخيه
الوليد وكان سليمان بالرملة فلما جاءته الخلافة توجه الي
دمشق وكمل عمارة الجامع الاموي وجهز اخاه مسلمة بن عبد الملك
في سنة ٩٧ الي غزو الروم فانتهي الي القسطنطينية فغاز بها
وكانت له محاسن منها ان رجلا دخل عليه فقال يا امير
المؤمنين انشدك الله والاذان فقال لما انشدك الله فقد
عرفناه فما الاذان قال قوله تعالي فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله علي الظالمين قال سليمان ما ظلامتك قال عاملك
علي الارض فلان اخذ ضيعتي فوضع سليمان خده علي الارض
وقال والله لا ارفع خدي عن الارض حتي يكتب له برد ضيعته
ففعل قيل احصي في سجن الحجاج ثلاثمائة الف ما بين رجل وامراة

وكان يتقي المشورة ابن عمه عمر بن عبد العزيز حتى انه اراد مرة
ان يستكتب وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم فقال له عمر بن عبد العزيز
بالله عليك يا امير المومنين لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك يزيد
فقال له يا عمر اني لم اجد عنده خيانة في درهم ولا دينار فقال له
يا امير المومنين ان ابليس اعف منه في الدرهم والدينار وقد
اغوى الخلق كلهم فتبين لسليمان ما عزم عليه ونقل ان يزيد وزير الحجاج
دخل يوما على سليمان بن عبد الملك وكان قبيحا دميما فقال له
سليمان قبح الله رجلا اجارك رسنه واشركك امانته فقال يا امير
المومنين لا تقل هذا فانك لم تقل ذلك لانك رايتني والامر عني مدبر
ولو رايتني والامر علي مقبل لاستعظمت ما استحسنت ولاستصغرت
ما استصغرت مني فقال له سليمان ويحك اواستقر الحجاج في
قعر جهنم بعد قال لا قال يا امير المومنين لا تقل ذلك في الحجاج فانه
لم يقل لان الحجاج وطي لكم المنابر وازل لكم الجبابرة وانه ياتي يوم
القيامة عن يمين ابيك ويسار اخيك فحيث ما كانا كان ولما
ولي سليمان الخلافة رد الصلوة الى ميقاتها الاول وكان من قبله
من خلفا بني امية يوخرونها الى اخر وقتها ولذلك قال محمد
ابن سيرين سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير افتتحها
باقامة الصلوة لمواقيتها الاول وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه وذكر الفضل وغيره ان سليمان بن عبد الملك
خرج من الحمام في يوم جمعة وعليه حلة خضرا وعمامة خضرا
ثم نظر في المرآة وكان جميلا فاعجبته نفسه فشمر عن ذراعيه وقال

كان

كان نبينا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وكان ابو بكر صديقا
وكان عمر رضي الله عنه فاروقا وكان عثمان رضي الله عنه حييا
وكان علي رضي الله عنه شجاعا وكان معاوية رضي الله عنه حليما وكان
يزيد جسورا وكان عبد الملك سايسا وكان الوليد جبارا وانا الملك
الشاب ثم خرج لصلوة الجمعة فسمع في صحن الدار منشدا يقول

انت نعم المتاع لو كنت تبقى ۔ غير ان لا بقاء للانسان ۔
ليس فيما بدا لنا منك عيب ۔ عابه الناس غير انك فان ۔

فلما رجع من الصلوة سال عن من انشد البيتين فلم يعلم قايلهما
فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الي نفسي فما دارت عليه جمعة
حتى مات وقال ابن خلكان انه حم ومات من ليلته توفي بصفر سنة ٩٨
وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر رحمة الله عليه ثم بويع
بالخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك لسيدنا عمر بن عبد العزيز
وذلك ان عمر بن عبد العزيز لما دفن سليمان بن عبد الملك وخرج من
قبره سمع للارض وجبة فقال ما هذا فقيل هذه مراكب الخلافة
قربت اليك يا امير المومنين لتركبها فقال مالي ولها نحوها عني
قربوا الي دابتي فقربوا له دابته فركبها فجاء صاحب الشرطة ليسير
بين يديه بالحربة جريا على عادة الخلفاء قبله فقال له تنح عني
مالي ومالك انما انا رجل من المسلمين ثم سار يختلط بين الناس
حتى دخل المسجد فصعد المنبر فاجتمع عليه الناس فحمد الله واثنى
عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه ثم قال ايها الناس
اني ابتليت بهذا الامر من غير راي مني فيه ولا مشورة من المسلمين

الكلام على خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز

خطبة عمر ابن عبد العزيز

واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي فاختاروا لانفسكم
غيري فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا امير
المومنين ورضيناك فل امرنا باليمن والبركة فلما سكتوا
حمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال اوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل
شي وليس من تقوى الله خلف واعملوا لاخرتكم فانه من عمل لاخرته
كفاه الله شر اخرته ودنياه واصلحوا اسرائركم يصلح الله علانيتكم
واكثروا ذكر الموت واحسنوا له الاستعداد قبل ان ينزل بكم
فانه هاذم اللذات ايها الناس من اطاع الله وجبت طاعته
ومن عصى الله فلا طاعة له اطيعوني ما اطعت الله فان
عصيته فلا طاعة لي عليكم ثم نزل ودخل دار الخلافة فامر
بالستور فهتكت وبالبسط فرفعت وامر ببيع ذلك كله وادخال
ثمنه في بيت المال وفي طبقات العبادي عن سعد عن عمرو بن قيس
انه قال لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع صوتا لا يدري
قايله ومن الان قد طابت وقر قرارها على عمر المهدي قام عمودها

مناقبه

وكان عمر رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مومنا تقيا
صادقا وهو اول من اتخذ دار الضيف من الخلفاء واول من
فرض لابناء السبيل وازال ما كانت بنو امية تذكر به عليا رضي الله
عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية وكتب الى عماله لا يقيد مسجون بقيد فانه
يمنع من الصلوة واظهر من العدل ما لم يعهد الا في زمان الخلفا

الراشدين

الراشدين ومن ثم عد منهم فقد قال الامام الشافعي رضي الله
عنه الخلفاء الراشدون خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنهم فملا الارض عدلا كما ملئت جورا
حتى قال بعض التابعين لا مهدي الا هو وان لم يكن فعيسى
بن مريم عليه السلام وصح انه رضي الله عنه خرج الى الصلوة
وشيخ يتوكأ على يده ثم قال لرباح من ذا الشيخ المتوكئ على
يدك قال اورايته قال نعم قال ما احسبك يا رباح الا رجلا صالحا
ذاك اخي الخضر اتاني ثم اعلمني اني سألي امر هذه الامة وقال اني
ساعدك فيها وامه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وكان عمر يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا فكان
ذلك الولد عمر بن عبد العزيز وكان به شجة من دابة ضربته وهو
غلام ومن كلام العامة الناقص والاشج اعدلا بني مروان والناقص
هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك وانما سمي بذلك لانه نقص عطايا
الناس وردهم الى ما كانوا عليه ايام هشام وقيل لنقصان كان
في اصابع رجليه وكان مظهرا للنسك وقراءة القران واخلاق
عمر بن عبد العزيز والاشج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وسمي
بذلك لشجة كانت في وجهه كما تقدم روى ابن الكلبي قال
لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد
اليه الشعراء يمتونه كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فاقاموا
ببابه اياما لا يوذن لهم في الدخول حتى قدم عليه عدي بن ارطاة
وكان منه بمكان فتعرض له جرير وقال

يا ايها الرجل المزجي مطيته ٭ هذا زمانك اني قد خلا زمني
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ٭ اني لدى الباب كالمشدود في قرن
وحشي المكاني من اهلي ومن ولدي ٭ نائي المحلة من داري ومن وطني
فقال نعم ابا عبد الله فلما دخل على عمر قال يا امير المؤمنين الشعرا
ببابك والسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر ما لي وللشعرا
فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى
وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب قال ابن عمك عمر بن ربيعة
القرشي قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه اليس هو القائل
الا ليتني في يوم تدنو منيتي ٭ شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ٭ وليت حنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي ٭ هنالك او في جنة او جهنم
فليت عدو الله تمناها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا فوالله لا دخل
علي ابدا فمن بالباب غير من ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال اليس
هو القائل ٭ الا ليتنا نحيى جميعا فان نمت ٭ يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما انا في طول الحيوة براغب ٭ اذا قيل قد سوي عليها صفيحها
اظل نهاري لا اراها ويلتقي ٭ مع الليل روحي في المنام وروحها
والله لا دخل علي ابدا فمن بالباب من الشعراء غيره قال كثير عزة قال
اليس هو القائل ٭ الله يعلم لو اردت زيادة ٭ في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم ٭ يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها ٭ خروا لعزة ركعا وسجودا
ابعده الله فوالله لا يدخل علي ابدا فمن بالباب غيره من ذكرت قال

الاحوص

الاحوص الانصاري قال ابعده الله والله لا دخل علي ابدا اليس هو
القائل وقد افسد على رجل من اهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه
الله بيني وبين سيدها ٭ يفر مني بها واتبعه ٭ فمن بالباب غيره
قال همام بن غالب الفرزدق فقال اليس هو القائل يفتخر بالزنا
هما دلتاني من ثمانين قامة ٭ كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالارض قالتا ٭ احي يرجى ام قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الامراس لا يفطنوا بنا ٭ ووليت في اعقاب ليل ابادره
والله لا يدخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل
التغلبي قال اليس هو القائل
ولست بصائم رمضان عمري ٭ ولست باكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا ٭ الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقايم كالعبد يدعو ٭ قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا ٭ واسجد عند تبلج الصباح
ابعده عني والله لا يدخل علي ابدا ولا يطا لي بساطا وهو كافر فمن
بالباب غيره ممن ذكرت قال جرير قال اليس هو القائل
زارتني صايدة القلوب فليتني ٭ داويت زورتها برد سلامها
فان كان ولا بد فاذن له قال فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل
وهو يقول ٭ ان الذي بعث النبي محمدا ٭ جعل الخلافة في الامام العادل
وسع الخلايق عدله ووفاؤه ٭ حتى ارعوا واقام ميل المايل
اني لارجو منه نفعا عاجلا ٭ والنفس مولعة بحب العاجل
فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشد يقول

كم باليمامة من شعثاء ارملة • ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر •
ممن يعدك يكفي فقد والده • كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر •
انا لنرجوا اذا ما الغيث اخلفنا • من الخليفة ما نرجوا من المطر •
ان الخلافة جاءته على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر •
هذي الارامل قد قضيت حاجتها • فمن لحاجة هذا الارمل الذكر •

قال والله يا جرير لقد وليت هذا الامر ولا املك الا ثلاثين
دينارا فعشرة اخذها عبد الله وعشرة اخذتها ام عبد الله
ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال يا امير المومنين
والله انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقالت له الشعراء ما وراءك
يا جرير فقال ورائي ما يسوؤكم خرجت من عند امير يعطي الفقراء
ويمنع الشعراء واني عنه راض ثم انشا يقول •

• رايت رقاء الجن لا تستفزه • وقد كان شيطاني من الجن راقيا •

ومن باهر عدله انه رد جميع مظالم اهله بني امية بني جورهم
وما غصبوه واستولوا عليه بغير حق الى اربابها حتى افقرهم
وازالهم فامتلؤا منه غيظا وحنقا وتسببوا في قتله بالسم فانه
كان اهمل التحرز ولم يلتفت الى عادة الملوك في ذلك قال مجاهد
قال عمر بن عبد العزيز ما تقول الناس في قلت يقولون مسحور
فقال ما انا بمسحور واني لاعلم الساعة التي سقيت فيها السم ثم
دعى غلاما له فقال ويحك ما حملك على ان سقيتني السم قال الف
دينار اعطيتها وعلى ان اعتق قال هاتها فجاء بها فالقاها في
بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك احد قال سلمة بن عبد الملك

دخلت

دخلت على امير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اعوده
في مرضه الذي مات فيه فاذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت
عبد الملك يا فاطمة اغسلي قميص امير المومنين فقالت نفعل ان
شاء الله ثم عدت فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة الم
امرك ان تغسلي قميص امير المومنين فان الناس يعودونه فقالت
والله ما له قميص غيره وكان قبل ان يلي الخلافة من اجل الناس
ثيابا فلما تولى الخلافة قومت ثيابه وعمامته وقميصه وقباه
وخفاه ورداه فاذا هن يعدلن اثني عشر درهما وكان كثيرا رضي
الله عنه ما يتمثل بهذه الابيات •

• نهارك يا مغرور سهو وغفلة • وليلك نوم والردى لك لازم •
• يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى • كما غر باللذات في النوم حالم •

وتوفي رضي الله عنه بدير سمعان بكسر السين من اعمال حمص لعشر
بقين من رجب سنة احدى ومائة عن تسع وثلاثين سنة وستة
اشهر قيل ولما احتضرته الوفاة قال اجلسوني فاجلسوه فقا
فقال الهي انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكن
اشهد ان لا اله الا الله وقيل له لو اتيت المدينة فان مت دفنت
في القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله
لان يعذبني الله بكل عذاب الا النار احب الي من ان يعلم الله مني
اني لذلك الموضع اهلا ونزل على الذين يسوون التراب على قبره
كتاب من السماء فيه باحسن خط بسم الله الرحمن الرحيم براءة من
العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار فاخذوها ووضعوها

في اكفانه قيل ولما مات نفرت الغنم من الذياب بعد ان كا
نت ترعى معها فقال اهل البادية مات امير المومنين اليوم رضي
الله عنه وارضاه وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر رضي الله عنه

وتعسفوا لما بدا لهم محيي الارض شامه

التعسف هو المشي على غير طريق الجادة وفلان ركب التعاسف
عدل عن الطريق المستقيم شبه ارتكاب بني امية الامور المخالفة
للشرع بمن يمشي على غير الطريق المستقيم بجامع عدم الاهتدا
ففيه استعارة مكنية ولما في البيت هي المختصة بالماضي
المقتضية لجملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اولاهما
نحو لما جاني اكرمته وتسمى حرف وجود لوجود وبعضهم يقول
وجوب لوجوب وزعم ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة
انها ظرف بمعنى حين وقال ابن مالك بمعنى اذ وجوابها في البيت
محذوف مدلول عليه بتعسفوا ويصح ان يكون هو الجواب مقدما
والتقدير لما محي الارض شامه تعسفوا اي ارتكبوا فعل ما لا ينبغي
وجواب لما يكون فعلا ماضيا اتفاقا كقوله تعالى فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وجملة اسمية مقرونة باذا الفجائية او بالفا عند
ابن مالك كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وفعلا
مضارعا عند ابن عصفور كقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاته البشرى يجادلنا في قوم لوط وقيل في هذه الاية
ان الجواب جاته البشرى على زيادة الواو والجواب ماض محذوف
تقديره اقبل يجادلنا مسألة: من مشكل لما هذه قول الشاعر

بدا لهم صح

اقول

قف على هذا حفظ الله قايله

بعض اخبار الوليد

اقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم
فيقال اين فعلاها والجواب ان سقاؤنا فاعل بفعل محذوف
يفسره قوله وها اي سقط والجواب قلت محذوفا تقديرا مدلولا
عليه باقول المذكورة وشم امر من قولك شمت البرق اذا نظرت
اليه والمعنى لما سقط سقاؤنا قلت لعبد الله شمه اي انظر انتهى
وبدا في البيت بمعنى ظهر يقال بدا الهلال اذا ظهر والمحيي هو
الوجه وشامه مفعول بدا على تضمنه فعلا متعديا مثل كشف
او نحوه والمعنى انهم حين تملكهم الشام ونواحيها وقدر تقسم على
تنفيذ الاقوال والافعال عكسوا ما يطلب منهم من اظهار العدل
والانصاف. بارتكابهم الظلم والاعتساف. حتى كان ذلك
سببا لدمارهم. وسلما لذهاب دولتهم واثارهم. وممن اظهر
التعسف الشديد. والظلم الذي ما عليه من مزيد. الجبار
العنيد والشيطان المريد. المتظاهر بالفسق الخبيث الوليد
وكان على غاية من الفسق وانتهاك الحرمات بل والالحاد والكفر
على ما قاله الحريري لكن رده الذهبي كان قبل خلافته عارفا
باللهو واللعب وكان جوادا مفضالا وآل امره الى انه لم يوجد في
بني امية اكثر ادمانا منه للشراب والسماع ولا اشد مجونا ولا
تهتكا ولا استخفافا بامر الامة منه حتى قيل انه واقع جاريته
وهو سكران وجاءه المؤذن يؤذنه بالصلوة فحلف ان لا يصلي
بالناس الا هي فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهي
جنبة سكرى ويقال انه اصطنع بركة من خمر وكان اذا طرب لقي

نفسه فيها وشرب منها حتى بان النقص من اطرافها وحكى الماوردي
في كتاب ادب الدين والدنيا عنه انه تفاءل يوما بالمصحف فخرج له قوله
تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول

اتوعد كل جبار عنيد ، فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر ، فقل يارب مزقني الوليد

فلم يلبث الا اياما قليلة حتى قتل اشر قتلة قاتله الله تعالى
وقد جاء في الحديث ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
من فرعون فتاوله العلماء بالوليد بن يزيد هذا قاتله الله تعالى
قال الحريري رحمه الله تعالى

عجبا لراج ان يناول لاية ، حتى اذا ما نال بغيته بغا
يبدي ويلحم في المظالم والغا ، في وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى ، فيها اصلح دينه ام اوتغا
ياويحه لو كان يوقن انه ، ما حالة الا تحول لما طغا
فانقد لمن اضحى الزمام بكفه ، وتغاض ان الغى الرعاية اولغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه ، ورد الاجاج اذا اجاك المسيغا
واحمل اذاه ولو امضك مسه ، واسبل عزيب الدمع منك وافرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا انثنى ، عنه وشب لكبه نار الوغا
ولينزلن به الشمات لوابلا ، متخليا من شغله متفرغا
ولتاوين له اذا ما اخذه ، اضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا ، فيه يرى رب الفصاحة الثغا
وليحشرن اذل من نقد الفلا ، ويحاسبن على النقيصة والشغا

ويواخذن

ويواخذن بما جنا ومن اجتنى ، ويطالبن بما احتسا وبما ارتغا
وبنا قمش على الدوانق مثلما ، قد كان يفعل بالوابل البلغا
حتى يعض على اليدين بكفه ، ويود ان لم يبغ منها ما بغا

قال الناظم رحمه الله حتى تقلص ظلهم ، واراهم الدهر انصرامه
يقال قلص الظل عني انقبض ويقال تقلص اذا انضم وانزوى كما في
القاموس وفي كلامه استعارة تبعية حيث شبه زوالهم بانقباض الظل
ثم اشتق منه الماضي وهو تقلص بمعنى انقبض ويحتمل المكنية ايضا على
ما لا يخفى والمعنى انهم تمادوا في الظلم اغترارا بدنياهم حين كاثرتهم حتى
اخذتهم على حين غرة فمحت اثارهم ، وتركت بلقعا ديارهم ، وكانت
مدة ملكهم نيفا وثمانين سنة وقيل نيفا وسبعين وعدة من تولى منهم
الخلافة اربعة عشر ملكا اولهم سيدنا معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما
واخرهم مروان الملقب بالحمار لقب به لانه كان لا يفتر عن محاربة الخارجين
عليه وفي المثل فلان اصبر من حمار خرج على مروان الحمار في سنة ١٣٢
بنو العباس فجرت بينهم حروب كثيرة لان السفاح الذي هو اول خلفا
بني العباس ظهر بالكوفة وبويع له بالخلافة فيها فجهز العساكر الى قتال
مروان فانهزم منهم ودخل الى مصر ووصل الى ابي صير وهي قرية عند
الفيوم قال ما اسم هذه القرية قيل ابو صير قال فالى الله المصير
ثم دخل كنيسة مختفيا بها فبلغه ان خادما اشاع خبره فنم عليه فامر
باحضاره فقطع راسه وسل لسانه والقي على الارض فجاءت هرة فاكلته
ثم بعد ايام هجم عليه الكنيسة التي كان فيها عامر بن اسمعيل فخرج
مروان الحمار من الكنيسة وفي يده سيف مصلت وقد احاطت به

اول خلفاء بني العباس

الجنود وصفقت حوله الطبول فتمثل ببيت الحجاج ابن
حكيم السلمي ۔ متقلدين صفايحا هندية ۔ يتركن من ضربوا كان لم يولد
ثم قاتل حتى قتل فامر عامر براسه فقطعت في ذلك المكان وسل
لسانه والقي على الارض فجاءت تلك الهرة بعينها فخطفته واكلته
فقال عامر لو لم يكن في الدنيا عجب الا هذا لكان كافيا لسان مروان
في فم هرة وقال في ذلك شاعرهم

قد يسر الله مصرا عنوة لكم ۔ واهلك الفاسق الجبار اذ ظلما
فلاك مقوله هر يجرجره ۔ وكان ربك من ذي الظلم منتقما

ودخل عامر بعد قتله الكنيسة فقعد على فرش مروان قيل ان
مروان حين قدم لقتاله الجيش كانت وضعت له سفرة العشا
فخرج وخلاها على حالها فدخل عامر بعد قتله فوجدها مفروشة
فاكل عامر ذلك الطعام ودعى ابنة لمروان وكانت اسن بناته
فقالت يا عامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه واقعدك عليها
حتى تعشيت بعشائه واستصبحت بمصباحه ونادمت ابنته
لقد ابلغ في موعظتك واجمل في ايقاظك فاستحيى عامر وصرفها
وبموته انقرضت دولة بني امية فسبحان من لا يزول ملكه وفي
هذه النبذة بلغة لذي اللب السليم هدانا الله جميعا الى
الصراط المستقيم ۔ وما احسن قول القائل

تامل في الوجود بعين فكر ۔ ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى ۔ ويبقى وجه ربك ذي الجلال
ومن الحكم العدل ان دام عمر ۔ والظلم ان دام دمر

قال

قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ۔ وقال
كعب لابي هريرة رضي الله عنهما في التوراة من يظلم يخرب بيته
فقال ابو هريرة رضي الله عنه ذلك في القران فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شيء الى سلب النعم ۔ واقوى
سبب في حلول البلايا والنقم ۔ فنسال الله حسن التوفيق ۔
والرشاد الى سواء الطريق ۔ بحرمة خير الانام عليه افضل الصلوة
واتم السلام قال الناظم رحمه الله تعالى ۔

الكلام على دولة بني العباس

أين الخلايف من بني العباس أهل البر والشهامه ۔

الخلايف جمع خليفة وهم تعريفها والعباس هو احد الاولاد عبد
المطلب واحد اعمام النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلم من اعمام النبي
صلى الله عليه وسلم الا حمزة والعباس رضي الله عنهما وكان رضي الله
عنه جميلا جسيما وسيما ابيض له ضفيرتان معتدل القامة
وقيل كان طوالا وعن جابر ان الانصار لما ارادوا ان يكسوا
العباس قميصا حين اسر يوم بدر فلم يصلح له الا قميص عبد الله بن
ابي سلول فكساه اياه فلما مات عبد الله البسه النبي صلى الله
عليه وسلم قميصه قال سفيان نظن انه مكافاة لقميص العباس
وكان مولده قبل الفيل بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى الله
عليه وسلم بسنتين وقيل بثلاث سنين عن ابي رزين قال قيل للعباس
انكما اكبر انت او النبي صلى الله عليه وسلم قال هو اكبر مني وانا
ولدت قبله خرجه ابن الضحاك وهو اصغر اولاد عبد المطلب غير
عبد الله كذا في المواهب اللدنيه انتهى من الخميس في سيرة النبي النفيس

وعجز هذه العبارة مخالف لصدرها فان كون العباس رضي الله
تعالى عنه اكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين يقتضي
انه أصغر من عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يقول
وهو اصغر اولاد عبد المطلب غير عبد الله الا ان يحمل على حكاية رؤيا
عبد المطلب لما اراد ذبح عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم
وضع رجله على عنق عبد الله فجا العباس رضي الله عنه وجذب
عبد الله من تحت رجل ابيه فاثر شجة لم تزل في وجه عبد الله
حتى مات والذي عليه أرباب التاريخ من الثقاة المعتمد ان حمزة
أصغر من عبد الله والعباس أصغر منهما وهذه الرواية مشكلة ۝
بقول العباس رضي الله عنه اذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم
اذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام فجئ به
حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لي قبل أخاك فقبلته ۝
وكان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام
فكان لا يدع احدا يسب فيه ولا يقول فيه هجرا والتسبيب ۝
ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر بالضم الهذيان والقول الباطل
وكان رضي الله عنه محبا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قبل اسلامه
رضي الله عنه ومن ثم حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة
العقبة وكان اذ ذاك على دين قومه وروي انه قال في البيعة
يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم ومنعناه من قومنا ۝
ممن هو على مثل راينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد ابي الا
الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه

اليه

اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم
ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الان فدعوه
فانه في عز ومنعة من قومه وبلده ولما عاهدوا النبي صلى الله
عليه وسلم على ما طلب منهم قال العباس لهم ما عليكم بما ذكرتم
ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام
والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن
من ازره قالوا نعم قال العباس رضي الله عنه اللهم انك سامع
شاهد وان ابن اخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم
كن لابن اخي عليهم شهيدا واشار بقوله البر القسامه الى ما
وقع لسيدنا العباس حين اسر يوم بدر جعل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم مائة اوقية من الذهب وجعل عليه فداء ابن اخيه عقيل ۝
اربعين اوقيه وفدا ابن اخيه نوفل بن الحارث اربعين اوقية
فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم تركتني فقير قريش ما بقيت
وفي لفظ تركتني اسال الناس في كفي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم فاين المال الذي دفنته لام الفضل يعني زوجته وقلت
لها ان اصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم فقال العباس
رضي الله عنه والله اني اعلم انك رسول الله ان هذا ما علمه الا انا
وام الفضل زاد في رواية انا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده
ورسوله وفي رواية اين المال الذي دفنته انت وام الفضل فقال
اشهد ان الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله فحلف رضي
الله عنه وبر في قسمه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا

حتى انه حين اسر رضي الله عنه شدوا وثاقه فأنّ من ذلك فلم
يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم نوم فقيل له ما اسهرك يا رسول الله
فقال انين العباس فقام رجل وارخى وثاقه وفعل ذلك هو
بالاسارى كلهم وجاء في بعض الروايات ان العباس لما اسر
تواعدت طايفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لهم لم انم الليلة لاجل عمي العباس زعمت
الانصار انهم قاتلوه فاتى عمر الانصار وقال لهم ارسلوا العباس
فقالوا له لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رضى فقالوا لئن كان رضى فخذه فاخذه عمر فلما صار
بيده قال له يا عباس اسلم لان تسلم احب الي من اسلام الخطاب
وقد اختلف في وقت اسلامه فالجمهور من اهل التاريخ انه اسلم
قديما وكان يكتم اسلامه ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من راى
العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها وقيل اسلم يوم بدر
واقام بمكة ثم استقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابوا
وكان معه يوم فتح مكة وبه ختمت الهجرة ونقل ان اسلامه
كان قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه
وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على
النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم
ان مقامك بمكة خير لك وعن شرحبيل بن سعد لما بشر ابو رافع
النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس بن عبد المطلب اعتقه
وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه قبل

مقتله

مقتله بسنتين في المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت
من رجب وقيل من رمضان سنة ٣٢ وقيل سنة ٣٣ وقيل ٨٨ وقيل
٨٧ وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنهما ودفن بالبقيع
رضي الله عنه وكان له شعر رقيق مدح النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك ما رواه ابن سيد الناس عن مريم بن اوس قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يا
رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا

من قبلها طبت في الظلال وفي ۔ مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ۔ انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ۔ الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ۔ اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ۔ خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض ۔ وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ۔ وسبل الرشاد نخترق

اول خلفاء بني العباس السفاح

وكان اول خلفاء بني العباس السفاح واسمه عبد الله ابن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
الهاشمي بويع له بالخلافة في سنة ١٣٢ بعد المائة في يوم الجمعة
ثالث ربيع الاول فاستوزر ابا سلمة حفص بن سليمان وهو اول
من لقب بالوزير واستمر اللقب بعده لمن بعده وكانت مبايعته
بالكوفة فصعد المنبر وخطب الناس قائما وكانت بنو امية

يخطبون قعودًا فنادي الناس اصبت السنة يا ابن عم رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال ابن الجوزي ان السفاح خطب يومًا
فسقطت العصاة من يده فتطير بذلك فقام شخص من اصحابه
ومسح العصاة وناوله اياها وانشد
فالقت عصاها واستقر بها النوى ٭ كما قر عينا بالاياب المسافر
فسري بمنه ذلك وانما لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء بني امية
وغيرهم كان متي سمع باموي او مخالط له وعشيرة قتله في الحال
حتي انه امر بنبش قبور بني امية وبنش قبر هشام وصلبه وامر
باحراقه وذكر ابن خلكان في ترجمة السفاح انه نظر يومًا
في المراة وكان ابيض جميلا احسن اللحية والهيئة وكان من اجمل
الناس وجهًا فقال اللهم اني لا اقول كما قال سليمان بن عبد الملك
ولكني اقول اللهم عمرني طويلًا في طاعتك ممتعًا بالعافية
قال فما استتم كلامه حتي سمع غلامًا يقول لغلام اخر الاجل
بيني وبينك شهران وخمسة ايام فتطير من كلامه وقال
حسبي الله ولا قوة الا بالله عليه توكلت وبه استعنت فما
مضت الايام المذكورة حتي اخذته الحمى فمرض ومات بعد شهرين
وخمسة ايام ومات بالمدينة التي بناها وسماها الهاشمية وهو
ابن ٣٢ سنة ونصف سنة وكانت خلافته اربع سنين وتسعة
وقام بالخلافة بعده المنصور العباسي بعهد منه وذلك ان
السفاح كان ولاه الحج فاتته الخلافة بمكان يعرف بالصافية
فقال الصفا امرنا ان شاء الله تعالي فبايع الناس وحج بهم فلما

ولاية المنصور

قف على مكان بغداد

رجع ودخل الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة وهو الذي بني
بغداد واتقن بناءها وبالغ في زخرفتها وحسن انشائها وجعلها
علي دجلة نصفين قيل انه كان بها من الحمامات ٦٠ الف حمام
ومن المساجد ٣٠٠ الف وفيها من انواع البنا ما يحير العقول
فسبحان من يدوم ملكه ويبقي سلطانه وكان المنصور طويلا
اسمر خفيف اللحية كان عينيه لسانان ناطقان وكان مهابًا ذا
سطوة وجراءة وظلم فانه بالغ بالقتل لاجل استقامة دولتهم حتي
من ظلمه خرج عليه الامامان الجليلان الطاهران المطهران العلويان
محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن ابي علي رضي الله عنهم في سنة
١٤٥ فظفر بهما وقتلهما مع جماعة كثيرين من اهل البيت
النبوي المطهر فانا لله وانا اليه راجعون وبالغ في ايذا خلق
من العلما من خرج معهما او امرهما بالخروج عليه لظلمه وجوره
واستباحته الاموال قتلا وضربا وغير ذلك وممن افتي بجواز الخروج
عليه مع محمد المذكور مالك بن انس رضي الله عنه فقيل ان في اعناقنا
بيعة للمنصور فقال انما بايعتم مكرهين وليس للمكره يمين ومنهم
عبد الحميد بن جعفر وابن عجلان والامام الاعظم المجتهد ابو حنيفة
النعمان بن ثابت رضي الله عنه فانه رمي عنده بانه ممن افتي بحل
بذلك فلم يمكنه ان يبطش بابي حنيفة جهارا خشية من العامة
فاحتال عليه وطلبه ليوليه القضا فامتنع عليه اشد الامتناع
ووقعت له معه محاورات والزامات من ابي حنيفة له انه لا يلي
ولا يصلح لولاية القضا اي لظلم هذا الخليفة وجوره فضرب

رضي الله عنه ضربا مبرحا وحبسه فارسل لولده حماد ان ياتيه
من الكوفة الى بغداد فاتاه وتوفي في السجن رضي الله عنه ومن
العجيب انه لما مات في السجن لم يمض الا زمن يسير وكان منادياً
نادي في بغداد ان ابا حنيفة مات في سجن المنصور فخرج اهل
بغداد على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم وشهدوا جنازته فكان
له مشهد عظيم لم يعهد وقيل ان المنصور ادخل عليه السم في
السجن فكان موته بسبب السم فعلى كل حال كان المنصور سببا
في موته ومات شهيداً مظلوماً وباء ذلك الظالم باثمه وقد انتصف
منه بين يدي الله تعالى وقيل له لقد هجمت بالعقوبة حتى
كانك لم تسمع بالعفو فاعتذر بما ليس بعذر فقال ان بني امية
لم تبل رجمهم وال ابي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم قد
راونا سوقة واليوم خلفاء فليس تمهد هيبتنا في صدورهم
الا بنسيان العفو ومن عجيب امره انه فعل تلك الافاعل مع اكابر
العلماء مع قوله لمن ولاه ايتلف في الحكم فان ابي حدثني عن ابيه عن
جده عن ابي عبد الله بن عباس عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم
في عاجله واجله ولانتقمن من راي مظلوماً يقدر ان ينصره فلم
يفعل ومات المنصور وهو ذاهب الى الحج بدعوة سفيان
الثوري وعباد بن كثير فانه كان امر نائبه بمكة ان يحبسهما الى
ان يقدم فدعى عليه سفيان رضي الله عنه وهو في الملتزم
فاستجيب له قيل انه لما قارب مكة راى على جدار سطرين وهما

ابا جعفر جاءت وفاتك وانقضت   شؤونك وامر الله لا بد واقع
ابا جعفر هل كاهن او منجم   لك اليوم من وقع المنية دافع
فلما قراهما ايقن بانقضاء اجله فمات بعد ثلاثة ايام وراي
في نومه قبل موته قايلا يقول
كاني بهذا القصر قد باد اهله   وعري منه قومه ومنازله
وصار امير القوم من بعد بهجة   الى جدث تبنى عليه جنادله
وكانت وفاته في سنة ١٥٨ ببير معونة على اميال من مكة
وهو محرم بالحج وقيل سنة ٦٣ سنة وخلافته احدي وعشرون
سنة واحد عشر شهرا واربعة عشر يوما قيل كان اقرب الناس اليه
يهابه لما علموا منه من عدم الحكم على وزيره ابي ايوب انه كان
كلما دخل عليه يصفر لونه حتي يصير مثل الكركم مع شدة
احسانه اليه قبل خلافته ومع عظم منزلته منه حتى انه سئل
الوزير عن ذلك فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على المنصور
وانسك به وقربك منه تتغير ويصفر لونك فقال يا الله دعوني
فان مثلي ومثلكم كباز وديك تناظرا فقال البازي للديك
ما اعرف اقل وفاء منك قال له الديك وكيف ذلك قال لانك
توخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك
باكفهم حتي اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت منه من
هنا الي ههنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيه سنين
طرت وتركتها وصرت الى غيرها وانا اوخذ من الجبال وقد
كبرت فاطعم الشي اليسير واونس يوما او يومين ثم اطلق
على الصيد فاطير وحدي فاخذه واجي به الى صاحبي حفظا

لمودته فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما والله لو رايت
بازين في سفق دما عدت رجعت اليهما ابدا وانا كل يوم اري
السفا فيه مملوة ديوكا واقيم معهم فانا اوفي منك ثم قال
لهم ابو ايوب وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرف لكنتم
اسواء حالا مني عند طلبه اياكم والذي فر منه وقع فيه
علي الصحيح الاشهر فانه لم يزل يصفر منه حتي اذاقه الموت
الاحمر لانه في سنة اربع وخمسين بعد المائة قتل وسلب جميع
امواله بعد ان عذبه اشد العذاب والسبب في قتله ان المنصور
في ايام بني امية تزوج في بعض اسفاره امراة من بني اسد بالموصل
عن ضر شديد وفاقة اصابته حتي اكري نفسه مع الملاحين
فتزوج هذه المراة ورغبها في نفسه واخبرها انه من اهل بيت
شرف ووعدها بكل جميل فاجابته لذلك وكان يختلف اليها
في اسبابه ويجعل طريقه عليها فلما ظهر عليها الحمل قال لها خذي
هذه الورقة مختومة فاذا وضعتي غلاما فسميه جعفر وكنيه
بابي عبد الله وان ولدتي بنتا فسميها بكذا وانا عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فاستري امري
فانا قوم مطلوبون وودعها وخرج فقدر انها ولدت ذكرا
فاخرجت الرقعة فقرات النسب وسمته جعفرا ونشا الصبي
مع اخواله واهل بيت امه فاقبل الولد علي قراة الادب وكتب
فنزعت به همته الي بغداد فدخل الي ديوان ابي ايوب كاتب
المنصور وانقطع الي بعض اهله فاتفق عليه زمان تتفوت

باكتب

بالكتب ويزيد في الادب وحسن خطه حتي صار يكتب بين يدي
ابي ايوب فصادف ان طلب من ابي ايوب في يوم من الايام كاتب
يكتب بين يدي الخليفة فارسل الغلام فكتب بين يدي المنصور
وصار المنصور يطيل النظر اليه ويتامله فالقيت في قلبه محبته
وصار كثيرا ما يتردد علي المنصور في الكتابة فسال الغلام ما
اسمك فقال له جعفر فقال ابن من فسكت الغلام متحيرا فقال
اجب فقال ابن عبد الله فقال له واين ابوك فقال لم اره ولم
اره ولم اعرفه لكن امي اخبرتني ان ابي شريف وان عندها رقعة
بخطه فيها نسبه وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
بن عبد المطلب فلما ذكر ذلك تغير وجه المنصور فقال واين
امك فقال في موضع كذا فقال اتعرف فلانا وفلانا وعدد له
جماعة من اهل محلته فعرفهم ووصفهم له فتغير وجه المنصور
وادركت الغلام هيبة منه ثم قال له المنصور فلانة بنت
فلان ما تكون منك قال خالتي فقال له فلان قال خالي فضمه
اليه وبكي وقال له يا غلام لا تعلم ابا ايوب ولا احد بما دار بيني
وبينك واحذره ثم احذره من ذلك ثم نهض الغلام وقال المنصور
لابي ايوب استوص بهذا الغلام خيرا فاتهم ابو ايوب الغلام
بانه يلقي الي المنصور خبره وقذف في قلب ابي ايوب بغض الغلام
وازداد المنصور حبا في الغلام فلما راي ابو ايوب تحننه عليه
ازداد بغضا في الغلام فقال الغلام يا امير المومنين قد نبين
لي من ابي ايوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علي وانا اخشي

منه علي نفسي فقال المنصور قد حاك في صدري ذلك فاذا
كان الغد واتيت الديوان مع ابي ايوب فاظهر لك الغضب فاخرج
وتوجه الي امك وخذ هذا العقد وهذا المال وخذ معك فلانا
من الخدمة وكتابي هذا فاحمل امك ومن تبعها من قرابتك وانزل
في موضع كذا فاني منفذ اليك خادما يتفقد امورك ولا تطلع
احدا علي ما معك فلما قدم هو وابو ايوب الي الديوان اظهر
المنصور التغير علي الغلام واغلظ عليه فقال انا انسان
غريب أحسن الخدمة ويستخفني فاتنحي عنهم قبل ان أطرد
فقام وانصرف فافتقده ابو ايوب اياما فلم يجده وراي المنصور
لا يسال عنه فاحب ابو ايوب ان يعلم حقيقة خبره فسال عنه
في الموضع الذي كان نازلا به فقيل له انه قد تجهز جهازا حسنا
وشخص الي اهله بالموصل فسال عن الذي معه من اين حصل له
فقيل ان الخليفة دفعه له فخاف علي مكانه من الغلام وقال
في نفسه يجوز ان يكون استاذنه في الخروج الي اهله ثم يرجع
ويقلده مكاني فقال لرجل ممن يعتمد عليه اخرج الي طريق الموصل
قرية برا وبحرا فاذا عرفت مكانه فتحيل علي قتله من حيث لا يشعر
بك احد واقتله فخرج ذلك الرجل الي ان لحقه في اثنا الطريق
في قرية ووثب عليه ليلا فخنقه وطرحه في بير واخذ خرجه
ورجع به الي ابي ايوب فسلمه ففتش الخرج فاذا العقد وكتاب
المنصور بخطه الي امه فوجم ابو ايوب وعلم انه قد استعجل في
الامور واخطا وان الامور ليس كما زعم وظن ومضت المدة

التي

التي ضربها المنصور للغلام ولم يات فارتاب لذلك فدعي بخادم
من ثقاته ورجل من خاصته وقال لهما تحريا المنازل منزلا منزلا
الي الموصل واعطيا صفة الغلام حتي تدخلا الموصل واقصدا الموضع
كذا من الموصل فاسالا عن فلانة ووصف لهما كلما اراد ففعلا
فلما انتهيا الي الموضع الذي اصيب فيه الغلام اعلما بخبره فكرا
راجعين الي المنصور واعلماه بذلك فكاد ان ينفطر فواده
فاوقع بابي ايوب واستصفي امواله واموال اهل بيته وقتلهم
جميعا وكان اذا ذكر ابو ايوب لعنه وسبه وقال ذاك قاتل
حبيبي قتله الله والمنصور هو الذي قتل ابا مسلم الخراساني
بعد ان كان وزيره لما عزم المنصور علي قتله بقي حائرا بين الاستبداد
برايه وحسن تدبيره وبين ما وقع منه فقال يوما لمسلم بن قتيبة
ما تري في امر ابي مسلم قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقال
حسبك يا ابن قتيبة والله لقد اودعتها اذنا واعية ولم يزل
به حتي احضره وكان ابو مسلم ينظر في الكتب والتنجيم
ويري بخبره فيهما وانه مميت دولة ومحيي دولة لانه هو الذي
كان سببا في انقراض دولة الاموية واحياء دولة العباسية
وكان هو المبايع للسفاح وكان السفاح كثير التعظيم لابي مسلم
لما صنعه ودبره وكان من الدهاة بجميع اموره وكثيرا ما انشد
ابو مسلم • ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت • عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
• ما زلت اسعي بجهدي في دمائهم • والقوم في غفلة عنا وقد رقدوا
حتي ضربتهم بالسيف فانتبهوا • من نومة لم ينمها قبلهم احد

قاتل ابي مسلم خراساني

ومن رعى غنما في ارض مسبعة ٭ ونام عنها تولى رعيها الاسد
وكان مما يرى في الكتب انه يقتل ببلاد الروم وكان المنصور
حين اراد قتله برومية المداين التي بناها كسرى ولم يخطر بقلب
ابي مسلم انها موضع قتله بل راح فهمه الى بلاد الروم فلما دعاه
المنصور ودخل عليه ترحب به وامره بالانصراف الى خيمه وانتظر
المنصور الفرص ثم ان ابا مسلم ركب اليه مرارا فاظهر اليه التجني
ثم جاءه يوما فقيل له انه يتوضا للصلوة فقعد تحت الرواق
ورتب له جماعة يقفون وراء الستر الذي خلف ابي مسلم فاذا
عاتبه لا يظهرون واذا ضرب يدا على يد ظهروا وضربوا عنقه
ثم جلس المنصور ودخل ابو مسلم فسلم فرد عليه السلام واذن له
في الجلوس وحادثه ثم عاتبه وقال له فعلت وفعلت فقال له
ابو مسلم ما يقال هذا لي بعد سعيي واجتهادي وما كان مني فقال
له يا ابن الخبيثة انما فعلت ذلك بجدنا وحظنا ولو ان مكانك
امة سوداء لعملت عملك الست الكاتب الي تبدا بنفسك قبلي
الست تخطب عمتي اسية وتزعم انك من ولد سليط بن عبد الله
ابن عباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقا صعبا فاخذ ابو مسلم
بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور وهو
اخر كلامه قتلني الله ان لم اقتلك ثم صفق باحدى يديه على
الاخرى فخرج اليه القوم بسيوفهم والمنصور يقول اضربوه
قطع الله ايديكم وكان ابو مسلم قد قال عند اول ضربة
استبقني يا امير المومنين لعدوك فقال لا ابقاني الله ابدا

وأي

واي عدو اعدى منك وكان قتله يوم الخميس لخمس بقين من شعبان
١٣٧ له برومية المداين وهي قرية بلدة بالقرب من الانبار على دجلة
بالجانب الشرقي معدودة من مداين كسرى ولما قتله ادرجه في بساط
ودخل عليه جعفر بن ابي حنظلة فقال له المنصور ما تقول في امر
ابي مسلم فقال له يا امير المومنين ان كنت اخذت من راسه شعرة فاقتل
ثم اقتل فقال له المنصور ها هو في البساط فلما نظر اليه مقتولا
قال يا امير المومنين عد هذا اليوم من اول خلافتك فانشد المنصور

٭ فالقت عصاها واستقر بها النوى ٭ كما قر عينا بالاياب المسافر ٭

ثم اقبل المنصور على من حضر وابو مسلم مطروح بين يديه وانشد

٭ زعمت ان الزمان لا ينقضي ٭ فاستوف بالكيل ابا مجرم ٭
٭ واشرب بكاس كنت تسقي بها ٭ امر في الحلق من العلقم ٭

وانشد ايضا ٭ طوى كشحه عن كل مشورة ٭ وبات يناجي عزمه ثم صمما
٭ واقدم لما لم يجد عنه مذهبا ٭ ومن لم يجد بدا من الامر اقدما ٭

وقد اختلف الناس في نسب ابي مسلم فقيل هو من العرب وقيل من العجم
وقيل من الاكراد وفي ذلك يقول ابو دلامه ٭

٭ ابا مجرم ما غير الله نعمة ٭ على عبده حتى يغيرها العبد ٭
٭ افي دولة المنصور حاولت غدره ٭ الا ان اهل الغدر اباوك الكرد ٭
٭ ابا مجرم خوفتني القتل فانتحى ٭ عليك بما خوفتني الاسد الورد ٭

وكان ابو مسلم ممن يضرب فيه المثل في الحزم وحسن التدبير حتى قال
المامون وقد ذكر عنده ابو مسلم اجل الملوك ثلاثة وهم الذين قاموا
بنقل الدول الاسكندر وازدشير وابو مسلم الخراساني وقد

اوصاف ابي مسلم

المدايني ابا مسلم فقال كان قصيرا اسمر جميلا حلوا نقي البشرة احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت فصيحا بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالما بالامور لم ير ضاحكا ولا مازحا الا في وقته ولا يكاد يقطب في شي من احواله وكانت تاتيه الفتوحات العظام ولا يظهر عليه اثر السرور وتنزل عليه القوادح من الحوادث فلا يرى مكتئبا واذا غضب لا يستفزه الغضب ولا ياتي النسا في السنة الا مرة واحدة ويقول الجماع جنون ويكفي الانسان ان يجن في السنة مرة وكان اشد الناس غيرة وكان اول ظهوره بمرو من بلاد خراسان والوالي بها نصر ابن سيار الليثي من جهة مروان بن محمد الحمار اخر ملوك بني امية فكتب نصر الى مروان يخبره بخبر ابي مسلم فلم يجبه عن كتابه وابو مسلم اذ ذاك بخمسين فارسا فكتب اليه ثانيا قول ابي مريم البجلي

اري خلل الرماد وميض نار ، يوشك ان يكون لها ضرام

فان النار بالزندين توري ، وان الحرب اوله كلام

لئن لم يطفها عقلاء قوم ، يكون وقودها جثث وهام

اقول من التعجب ليت شعري ، أأيقاظ أمية ام نيام

فان كانوا لحينهم نياما ، فقل قوموا فقد حان القيام

وهذا مثل ما يحكى عن علويه بعض اهل الكوفة انه قال لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم على ابي جعفر المنصور واخيه ابراهيم بن عبد الله

اري

أري نارا تشب على بقاع ، لها في كل ناحية شعاع

وقد رقدت بنو العباس عنها ، وباتت وهي امنة رتاع

كما رقدت امية ثم هبت ، تدافع حين لا يغني الدفاع

وابطاء خبر مروان على نصر ولم يزل تقوى شوكة ابي مسلم حتى ملك خراسان بحسن الراي والتدبير ودعي له بالامارة وسلم عليه فيها وصلى وخطب ودعي للسفاح ابي العباس اول الخلفاء بني العباس وصفت له خراسان وانقطعت ولاية بني امية ولم يزل بحسن التدبير حتى هرب مروان الى مصر فتبعه عبد الله بجيوشه الى ان قتل في اراضي مصر كما تقدم وصار ابو مسلم وزير السفاح مدة خلافته وبعده وزير المنصور الى ان قتله المنصور كما تقدم

لطيفة قيل لما حج المنصور قال للربيع ابغ لي فتى من اهل المدينة ظريفا لطيفا اديبا عالما بقديم ديارها فقد بعد عهدي بديار قومي فالتمس له الربيع فتى على حسب ما اراد عارفا بطرائف الاخبار وشريف الاشعار فعجب المنصور وكان يسايره احسن مسايرة ويحاضره اتم محاضرة ولا يبتديه بالخطاب الا على وجه الجواب فاعجب المنصور به وقال للربيع ادفع له عشرة الاف درهم وكان الفتى في غاية الاحتياج الى ذلك فتشاغل الربيع عنه واضطرت الفتى الحاجة الى التقاضي فاجتاز المنصور بدار عاتكة بنت يزيد فقال له الفتى يا امير المومنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيها الاحوص ، يا بيت عاتكة الذي تتغزل ، حذر العدى وبه الفواد موكل فتعجب المنصور من ابتدايه في الكلام ومخالفته لعادته ثم اقبل

تكه

يردد ابيات القصيدة في نفسه الي ان بلغ قوله فيها
واراك تفعل ما تقول وبعضهم ۰ مزق اللسان يقول ما لا يفعل
فدعي بالربيع وقال له هل دفعت الي الشاب ما امرنا به فقال
وهذا تمليح يستملحه كل ذوق سليم قال الناظم رحمه الله تعالى

اين الرشيد واهله ۰ وبنوه اصحاب الكرامه

والرشيد هو هارون بن محمد المهدي خامس خلفاء بني العباس
بويع له بالخلافة في البلدة التي توفي فيها اخوه موسى الهادي
سنة ٧٠ وولد له تلك الليلة المامون وكانت ليلة عجيبة لم ير
مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما
بويع له بالخلافة قلد جعفر بن يحيي البرمكي وزارته وكان من
اجل خلفاء بني العباس حلما ودينا وعفافا وله ماثر حسنة
منها انه رتب في بيت المال لكل من الفقهاء والمحدثين والمفسرين
والقراء ما يقوم بنفقاتهم وكانت ايامه ايام سعود واقبال
ومن غريب ما خدمته ايدي السعادة انه لما تولي اخوه الهادي
الخلافة سال عن خاتم ابيه فقيل له مع اخيك هارون الرشيد
فارسل يطلبه منه والح في طلبه فرماه الرشيد في دجلة بغداد
فلما ولي الرشيد الخلافة مر على المحل الذي القي فيه الخاتم والقى
فيه خاتما من رصاص وامر الغطاسين ان يلتمسوه ففعلوا
فخرج الخاتم الاول فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه
وما احسن ما قيل
واذا العناية احرستك عيونها ۰ نم فالمخاوف كلهن امان

قف على هذا الغريب

واصطد

واقعة الرشيد مع الفضيل بن عياض

واصطد بها العنقا فهي حبائل ۰ واقتد بها الجوزاء فهي عنان
وقيل ۰ واذا العناية صادفت عبد الثرا ۰ نفذت على ساداته احكامه
وكان الرشيد مع عظم ملكه دايما يعتريه الخوف من الله تعالى
فقد نقل الفضيل بن الربيع قال لما حج الرشيد كنت نايما في
بعض الليالي اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا قال اجب امير
المومنين فخرجت مسرعا فوجدت الرشيد فقلت يا امير المومنين
لو ارسلت الي اتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي امر انظر
لي رجلا اساله فقلت يا امير المومنين ها هنا سفيان فقال
امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا
فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا وقال يا امير المومنين
لو ارسلت الي لاتيتك فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين
قال نعم قال يا فلان اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغني
عني صاحبك شيا انظر رجلا اساله فقلت ها هنا عبد الرزاق
بن همام واعظ العراق فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا
عليه الباب فقال من في الباب فقلت اجب امير المومنين فخرج
مسرعا وقال يا امير المومنين لو ارسلت الي اتيتك فتحادث
معه ساعة ثم قال له عليك دين فقال نعم فقال يا عباس اقض
دينه ثم انصرفنا فقال ما اغني عني صاحبك شيا انظر لي رجلا
اساله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فاتيناه
فاذا هو قايم يصلي يتلو آيات من كتاب الله تعالى يرددها
فقرعت الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المومنين فقال

فقال مالي ولامير المومنين متسرعا فقلت سبحان الله اما عليك
طاعته ففتح الباب ثم رقي الغرفة مسرعا فاطفاء السراج والتجا
الى زاوية من زوايا البيت فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت
كف الرشيد اليه فقال اواه ما الينها من يد ان نجت غدا من
عذاب الله تعا فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب
نقي قال خذ لما جئنا له قال وفيم جيت حطيت على نفسك
وعلى جميع من عندك شيئا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا
لك اشدهم هربا منك ثم ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعي
سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي ورجا بن حيوة فقال
لهم قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي فاعد الخلافة بلاء وعدوها
انت واصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة
غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت
وقال له محمد بن كعب القرظي ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم اخا واصغرهم ولدا فبر اباك
وارحم اخاك واحنن على ولدك وقال له رجا بن حيوة ان اردت
النجاة غدا من عذاب الله فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره
لهم ما تكره لنفسك ثم اذا شيت مت واني لاقول اني اخاف عليك
اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هولا القوم
من يامرك بمثل هذا قط فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه
بك فقلت ارفق بامير المومنين فقال يا ابن الربيع قتلته انت واصحابك
وارفق انا به فقال زدني فقال بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز

شكا

شكى اليه السهر فكتب اليه عمر يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار
خلود الابد فيها فان ذلك يردك الى ربك نايما ويقظانا واياك
ان تزل بك قدمك عن هذا السبيل فيكون اخر العهد بك وينقطع
الرجا منك والسلام فلما قراء كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه
فقال له عمر ما اقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت
لك ولاية ابدا حتى القى الله تعالى فبكى هارون بكاء شديدا ثم
ثم قال زدني قال ان جدك العباس عم المصطفى صلى الله
عليه وسلم جاءه فقال له يا رسول الله امرني على امارة فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها
خير من امارة لا تحصيها لان الامارة حسرة وندامة الى يوم القيمة
فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هارون بكاء
شديدا ثم قال زدني رحمك الله فقال له يا حسن الوجه انت الذي
يسيلك الله عن هذا الخلق يوم القيمة فان استطعت ان تقي
هذا الوجه يوم القيمة فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي
قلبك غش للمسلمين فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اصبح لهم غاشا لم يرح رايحة الجنة فبكى هارون الرشيد
بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي فالويل لي
ان سالني والويل لي ان لم يلهمني فقال هارون انما اعني به
دين العباد قال ربي لم يامرني بهذا انما امرني ان اصدق وعده
واطيع امره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق

ذوا القوة المتين فقال له الرشيد فهذه الف دينار فانفقها
على عيالك وتقوّ بها على طاعة ربك فقال الفضيل سبحان الله
انا ادلك على النجاة وتكافيني بمثل هذا ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا
من عنده فقال لي الرشيد اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا
هذا سيد المسلمين اليوم وقيل قال الرشيد للفضيل بن عياض
ما ازهدك رحمك الله فقال الفضيل انت ازهد مني لاني انا
في الدنيا وانت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية
انتهى ونقل العلامة محمد بن ظفر وغيره ان خارجيا خرج في
خلافته اي الرشيد فجهز له عسكرا كبيرا فكسر ذلك العسكر وقتل
خلقا كثيرا من ابطال الرشيد ثم جهز له جيشا اخر اكبر من الاول
فجرت بينهم حروب كثيرة ثم ظفروا بالخارجي بعد جهد جهيد
فكتفوه واحضروه بين يدي الرشيد فقال له الرشيد يا هذا
ما تريد ان اصنع بك قال ما تريد ان يصنع بك ربك اذا وقفت
بين يديه فعفى عنه وامر باطلاقه فلما خرج من بين يديه قال
له بعض جلسائه رجل قتل ابطالك ونهب اموالك تطلقه بكلمة واحدة
قالها لك فتامل عاقبة هذا الامر فانه مما يجرّي عليك اهل الشر
فقال الرشيد ردوه علي فعلم الرجل انه قد تكلم في امره فقال يا امير
المومنين لا تطعهم فلو اطاع الله فيك الناس ما ولاك طرفة عين
قال صدقت ثم امر له بصلة واصرفه وكان الرشيد يضرب بفطنته
المثل حتى انه من شدة فطانته كان يظن به التنجيم ومن ذلك ما
نقل عن الاصمعي انه قال دخلت يوما على الرشيد وكنت قد غبت عنه

قف على هذا
ابقى الله مؤلفه الخارجي

بالبصرة

بالبصرة حولا كاملا فسلمت عليه بالخلافة فاومأ الي بالجلوس
قريبا فجلست قليلا ثم نهضت فاومي الي ان اجلس فجلست حتى خف
الناس ثم قال يا اصمعي الا تحب ان ترى محمدا وعبد الله يعني ولديه
قلت بلى يا امير المومنين اني لاحب ذلك وما اردت القصد الا
اليهما لاسلم عليهما فقال يكفي ذلك ثم قال علي بمحمد وعبد الله
فانطلق الرسول وقال اجيبا امير المومنين فاقبلا كانهما قمرات
قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الى الارض حتى وقفا على ابيهما
فسلما عليه بالخلافة فاوما اليهما بالجلوس فجلس محمد عن يمينه
وجلس عبد الله عن يساره ثم امرني بمطارحتهما الادب فكنت لا
القي عليهما شيا من فنون الادب الا اجابا واصابا فقال كيف
ترى ادبهما قلت يا امير المومنين ما رايت مثلهما قال فبكى حتى
تحدرت دموعه على لحيته ثم اذن لهما في القيام فنهضا حتى اذا
خرجا قال يا اصمعي كيف بهما اذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما
ووقع بينهما باسهما حتى تسفك الدماء وبود كثير من الاحيا
انهم لو كانوا موتى قلت يا امير المومنين هذا شي قضى به المنجمون
عند مولدهما او شي اثر به العلماء عن الاوصيا عن الانبيا في امرهما
انتهى ومن كلامه يخاطب ولده محمد الامين

محمد لا تبغض اخاك فانه ۔ يعود عليك البغي ان كنت باغيا
فلا تعجلا فالدهر فيه كفاية ۔ اذا مال بالاقوام لم يبق باقيا

ووقع جميع ما قاله الرشيد حتى ان المامون هو الذي بعث
لقتل اخيه وقتله وكان المامون يقول في خلافته كان الرشيد

قف على هذا الملح
حفظ الله مولفه

علم بما يجري بيننا حتى قال ما قال وقد اجتمع له امور لم تجتمع
لغيره من الخلفاء منها انه كان امامه ابا الحسن الكسائي احد
القراء السبع ومفتيه ابو يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رضي
الله عنه ونديمه ابن هاني ومغنيه اسحق النديم ووزيره يحيى
البرمكي وكل منهم مفرد فيما اشتهر به وكان رحمه الله كثير التفحص
عن المسائل وطالما اخذ الامام ابا يوسف ليلا لاجل مسئلة
منها ما نقل ان الامام ابا يوسف كان نايما ليلا واذا بمندوب الخليفة
ببابه فقال له اجب الخليفة لمسئلة اشكلت عليه فذهب اليه
فوجده واقفا متحيرا فقال له ازعجناك يا امام فما دعوناك
لامر اربنا كنت نايما انا وزبيدة على فراش واحد ثم انتبهنا فوجدنا
منيا بيننا فسالتها هل هو منها فانكرت وانا والله ليس مني
فاخبرني ماذا يلزمنا فتفكر ابو يوسف رحمه الله مليا وقال
اريني اياه فاراه اياه فرفع راسه الى السقف واطرق ثم قال له
صدقت وصدقت ليس منك ولا منها وانما هو مني خفاش فانه
لم يكن من الحيوانات شي له مني كمني الانسان الا الخفاش ثم
دعي بعود ووكز ثقبا في السقف فوق الفراش فخرج منه خفاش
ولتصديق تنبيهه والامام نزل منه المني وهو خارج على الفراش
فتعجب الخليفة من هذه الغريبة وامر له بصلات جمة ثم انصرف
ومنها ما نقل ايضا ان ابا يوسف كان نايما في فراشه واذا هو
بمندوب امير المومنين يدعوه اليه فتوجه اليه ليلا فوجده عند
بعض خاصته فقال له هارون يا امام اتدري لما الذي اوجب

قدومك ليلا قال لا قال ان هذا عندي جارية وقد وقعت في
قلبي واني والله لا بد لي من اخذها على اي حال كان فاقبل
ابو يوسف يلومه على عدم دفعها للخليفة فقال له اكفف اي
لا يمنعني الا اني حلفت بالطلاق والعتاق اني لا ابيعها
ولا اهبها لما الذي يخلصني من يميني فقال له بعه نصفها
وهب له النصف الاخر ولا حنث ففعل ذلك من ساعته ثم قال
هارون الرشيد لابي يوسف والله ان لم احظ بها الليلة والا
هلكت فقال ابو يوسف لهارون كاتبها على كذا وكذا من المال
فكاتبها على ذلك وقبلت ثم قال لها ابو يوسف اما تدفعي
المال او تعجزي نفسك فاقرت بالعجز ثم قال له ابن بها الليلة
فامر بالانصراف ودفع له صلات جمة ومنها ما نقله صاحب
مغني اللبيب ان الرشيد كتب ليلة الى ابي يوسف يسئله عن قول
القايل * فان ترفقي يا هند فالرفق ايمن * وان تخرقي يا هند فالخرق اشام
فانت طلاق والطلاق عزيمة * ثلاث ومن يخرق اعق واظلم
فقال ماذا يلزمه اذا رفع الثلاث واذا نصبها طلقت ثلاثا
لان معناه قال ابو يوسف قلت هذه مسئلة نحوية فقهية ولا
امن الخطا فيها ان قلت فيها فاتيت الكسائي وهو في فراشه فسالته
فقال ان رفع ثلاثا طلقت واحدة لانه قال انت طلاق ثم اخبر
ان الطلاق التام ثلاث وان نصبها طلقت ثلاثا لان معناه
انت طالق ثلاثا وما بينهما جملة معترضة فكتبت بذلك الرشيد
فارسل الى بجوايز فوجهت بها الى الكسائي والصواب

نفيسة فيها
مسئلة فقهية

قف على هذا
حفظ الله قايله

ان كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة
اما الرفع فلان ال في الطلاق اما لمجاز الجنس كما تقول زيد
الرجل اي هو الرجل المعتد به واما للعهد الذكري مثلها في فعصى
فرعون الرسول اي وهذا الطلاق المذكور عزيمة ثلاثة ولا تكون
للجنس الحقيقي لئلا يلزم الاخبار عن العام بالخاص كما تقول
الحيوان انسان وذلك باطل اذ ليس كل حيوان انسانا ولا كل
طلاق عزيمة وثلاثا فعلى العهدية تقع الثلاث وعلى الجنسية
تقع الواحدة كما قال الكسائي واما النصب فانه محتمل لان يكون
على المفعول المطلق وح يقتضي وقوع الثلاث اذ المعنى
فانت طالق ثلاثا ثم اعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة
ولان يكون حالا من الضمير المستتر في عزيمة وح لا يلزم وقوع
الثلاث لان المعنى والطلاق عزيمة اذا كان ثلاثا فانما يقع
ما نواه هذا ما يقتضيه معنى هذا اللفظ مع قطع النظر عن شيء
اخر واما ما اراده هذا الشاعر المعين فهو الثلاث لقوله بعد
فبيني بها ان كنت غير رفيقة * فما لامرئ بعد الثلاث مقدم
انتهى هذا ما نقله وقد استبعد الكمال ابن الهمام وقوع ذلك
من الامام ابي يوسف وعدم علمه هذه الجزئية مع سعة فضله
بل هو من المجتهدين وحط على من نقل ذلك وهو الحق حكي ان
الرشيد قال يوما لابي يوسف ما تقول في الفالوذج واللوزينج
ايهما اطيب وكان تلاحى مع زبيدة فيهما فقال ابو يوسف
لا يجوز الحكم على الغائب فامر الرشيد باحضارهما فجعل ابو يوسف

قف على هذا الظريف

يأكل

يأكل من هذه لقمة ومن هذه لقمة حتى نظف الصحفتين ثم قال
ما رايت اجدل منهما كلما اردت ان اسجل على احدهما قام الاخر بحجته
وهذا من كياسة ابي يوسف رضي الله عنه حيث راعى الطرفين
واصلح ذات البين وحكى علي بن المحسن التنوخي عن ابيه عن
جده قال كان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انه قدم بغداد
بعد موت ابي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين
فطلب فقيها يستفتيه فجيء له بابي يوسف فافتاه انه لم يحنث
فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب منه ودخل ذلك القائد
يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء
من امر الدين قد احزنني فاطلب لي فقيها استفتيه فجاء بابي
يوسف قال ابو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى
حسنا عليه اثر الملك وهو في حجرة محبوس فاومى الي باصبعه
مستغيثا فلم افهم ارادته فادخلت الى الرشيد فسلمت ووقفت
فقال لي ما اسمك قلت يعقوب اصلح الله امير المؤمنين قال
ما تقول في امام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا فحين قلتها
سجد الرشيد فوقع لي انه قد راى بعض اهله على ذلك وان الذي
اشار لي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من اين قلت
هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود
بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها قال واي شبهة
مع المعاينة قلت ليست المعاينة توجب اكثر من العلم بما جرى
والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحد اخذ حقه بعلمه فسجد

مرة اخري وامرلي بمال جزيل وان الزم الدار فما خرجت حتي
جاءتني هدية الفتي وهو به احد وجاعته وصار ذلك أصلا
للمنعم ولزمت الدار فكان الخادم يستفتيني وهذا اشاورني
ولم يزل حالي يقوي حتي قلدني القضاء غريبة حكي
عن الهادي في الطاقة انه مما ابتلي الله به الهادي من المحبة انه
كان مغرماً بجارية تدعي غادر وكانت من احسن الناس وجهاً واطيبهم
غناء اشتراها بعشرة الاف دينار وبينما هو يشرب مع ندمائه
اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما لك يا امير المؤمنين
قال وقع في فكري اني اموت وان اخي هارون يلي الخلافة
ويتزوج غادر امضوا فاتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وامر
باحضاره وحكي له ما خطر بباله فجعل هارون يرفق به فلم يقنع
بذلك وقال لا ارضي حتي تحلف لي بكل ما احلفك به انني اذا
مت لا تتزوج بها فرضي بذلك وحلف له ايمانا عظيمة ثم قام
ودخل علي الجارية وحلفها ايضا علي مثل ذلك فلم يلبث بعد
ذلك الا شهراً حتي مات وولي هارون الرشيد الخلافة وطلب
الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التي
حلفناها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت
من قلبه موقعاً عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتي
كانت تنام في حجره فلا يتحرك حتي تنتبه فبينما هي في بعض
الليالي في حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك
فديتك فقالت رأيت اخاك الهادي الساعة في منامي منشدا

أخلفت وعدي بعد ما … جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في … أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي … صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد … وان تداولك الدوائر
فلتلحقي قبل الصباح … وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولي عني وكان الابيات كانت مكتوبة في قلبي ما نسيت
منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا
امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة
فوجد لها وجداً شديداً ويقال انه مكث اياما لا يجسر احد ان
يكلمه من شدة ما حصل له من الغم بسببها فهذه من اعجب ما وقع
وذكر صاحب ديوان الصبابة في ديوانه لهذه الحكاية اشباه
ونظائر ونقل فيه ان ممن اتصف بالعفاف من العشاق الظرفا
هارون الرشيد فقد قيل انه عشق جارية وهام بها فلما ظفر بها
راودها فقالت له ان اباك الم بي فتركها مع شدة شغفه بها
ومن كثرة ما حصل له من الشغف بها كاد ان يخرج علي وجهه
وكان ينشد في ذلك

اري ماء وبي عطش شديد … ولكن لا سبيل الي الورود

فاطلع علي ذلك قاضيه فقال له القاضي اوكلما قالت الجارية شيا
تصدقها فيه فقال الرشيد ما فوق الخلافة قدر ينبغي فما احسن
عفة الجارية وامتناع الرشيد مع شدة عشقه لها رحمهما الله
رحمة واسعة ومنها ما نقل انه حلف في وقت انه من اهل الجنة

فاستفتي العلماء فلم يفته احد انه من اهلها فقيل له عن القاضي
ابن السماك فاستحضره وساله فقال له هل قدر امير المومنين على
معصية وتركها خوفا من الله تعالى فقال نعم اني عشقت جارية
وهويتها وانا اذ ذاك شاب ثم اني ظفرت بها مرة وعزمت على ارتكاب
الفاحشة ثم فكرت في النار واهوالها وان الزنا من اكبر الكبائر
فاشفقت من ذلك وكففت عن الجارية خوفا من الله تعالى فقال
ابن السماك فانك من اهل الجنة فقال هارون من اين لك فقال
من قوله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي الماوى فسر بذلك ودفع له صلة جمة ومن لطف ما
نقل عن الرشيد انه قال للاصمعي عندما عزم على لاستيناسه
يا عبد الملك انت احفظ منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا في ملاء
ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء ولا تسالنا حتى نبتديك بالسؤال
واذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزد واياك والبدار الى
تصديقنا وشدة التعجب بما يكون منا وعلمنا من العلم ما نحتاج
اليه في الخطب وعلى المنابر وفواصل المخاطبات ودعنا من رواية
حوشي الكلام وغريب الاشعار واطالة الحديث الا ان نستدعي ذلك
واذا رايتنا صادفين عن الحق فارجعنا اليه من غير تقريع بالخطا
ولا اضجار بطول الترداد فقال الاصمعي والله يا امير المومنين اني
الى حفظ هذا الكلام احوج مني الى كثير من البر وكان رحمه الله
كثيرا لامتثال الى العلماء والصلحاء قيل دخل عليه يوما منصور
ابن عمار فاستدناه حتى لصق ركبته بركبته فقال له منصور

يا

يا امير المومنين تواضعك في شرفك احب الينا من شرفك فقال
له عظني فقال له من عف في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه
كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة
ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا اكنت تشتريها قال نعم فقال
فاذا انحبست عليك بعد شربها اكنت تشتري خروجها بالنصف الاخر
قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولها فبكى هارون
حتى بل لحيته ومن اغرب الحكايات واعجبها ما وقع له

واقعة هارون مع سفيان الثوري

مع سفيان الثوري وذلك على ما نقله الامام الغزالي وغيره ان هارون
الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء والفقهاء والمحدثون باجمعهم
الا سفيان الثوري رحمه الله تعالى فانه لم ياته ولم يزره وكان
بينه وبينه صحبة في ايام القراءة وطلب العلم فشق ذلك على
هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله هارون الخليفة الى اخيه في الله ومحبه في الله
سفيان بن سعيد الثوري اما بعد يا اخي فقد علمت ان الله اخا
بين المؤمنين في كتابه العزيز بقوله انما المومنون اخوة وقد
واخيتك في الله تعالى مواخاة لم اصرم فيها حبالك ولم اقطع
فيها ودك واني من طولك على عندي لك ازيد المحبة واتم المودة
ولولا هذه القلادة التي قلدنيها ربي عز وجل لاتيتك ولو حبوا
لما اجد لك عندي وفي قلبي من اشرف المحبة وانه لم يبق احد
من اخواني واخوانك الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وفتحت
بيوت الاموال واعطيتهم عطايا ومواهب ما فرحت بها نفسي

وقرت فيها عيني وقد استبطاتك يا ابا عبد الله فكتبت اليك
مني كتابا اعلمك بالشوق الشديد وقد علمت يا اخي ما جا في زيارة
المومن ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل واسرع
بالمجي الي ليبتل شوقي منك ثم طوي الكتاب واعطاه الي رجل
من اتباعه يقال له عباد الطيلقاني وامره بايصاله لابد
سفيان وان يحصي عليه جميع ما يسمعه منه من دقايق الامور
وجليلها ليخبره بذلك قال عباد فانطلقت الي الكوفة ودخلت
مسجد فلما راني قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واعوذ
بالله من طارق يطرق الا بخير من عندك فنزلت من علي فرسي
وربطتها بباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلوة فدخلت
وسلمت فلم يرفع احد من جلسايه راسه وقد شغل كل واحد منهم
بالنظر في كتابه فبقيت واقفا وجلا مبهوتا وما منهم من احد
يعرض علي القعود وقد علاني من هيبتهم الرعب والخوف
وارتعدت منهم فلما جلس للتشهد رميت اليه الكتاب فلما راه
ارتعد وتباعد عنه كانه حية عرضت عليه في محرابه ثم قام وركع
وتشهد ثانيا وسلم ثم ادخل يده في كمه وجعل يقلب الكتاب
وهو علي الارض لم يرفعه بيده ثم دحاه لمن خلفه وقال ليقراه
بعضكم فاني استغفر الله العظيم ان امس بيدي شيا مسه
ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه وهو يرعد كانه
حية تنهشه ثم قراه شفاها فجعل سفيان يسمع ويهز راسه
فلما فرغ قال اقلبوه واكتبوا للظالم في ظهر كتابه فان كان

قد اكتسب من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتسبه من حرام
فسوف يصلي به ولا يبقي شيا مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا
ديننا وعبادتنا وقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
من العبد الميت سفيان الي العبد المغرور بالامال هارون الذي
سلب حلاوة الايمان ولذة قراة القران اما بعد فاني كتبت
اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وسللت يدي
من يدك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك علي نفسك
في كتابك انك هجمت علي بيت مال المسلمين فانفقته بغير حقه
واعطيته لغير مستحقه وانفذته بغير حكمه ولم ترض بما فعلت
وانت ناء عني حتي كتبت تشهدني علي نفسك بما فعلت اما اني
فقد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراة كتابك وسنودي
هذه الشهادة غدا بين يديه سبحانه وتعالي يا هارون هجمت
علي بيت مال المسلمين بغير رضاهم فهل رضي بفعلك المولفة قلوبهم
في دين الله والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل
الله وابن السبيل ام رضي بذلك حفظة القران ام اهل العلم
العاملون ام هل رضي بفعلك الايتام والارامل فشد يا هارون
ميزرك واعدد للسوال جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك غدا
ستقف بين يدي الحكم العدل فاتق الله في نفسك اذ سلبت
لذة الايمان وحلاوة العلم وتلاوة القران والزهد والورع والصوم
والخشوع ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون من اهل
النار والظالمين الاشرار ورضيت ان تكون لهم غدا اماما وهم

ربما ما يا هارون قعدت علي السرير ولبست الحرير واسبلت سوا
دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقمت اجنادك الظلمة
دون بابك يظلمون الناس ويشربون الخمر ويحدون شاربه ويزنو
ويقتلون فاعله ويسرقون ويقطعون يد السارق ويعقون
ويحدون العاق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان يحكموا
بها علي غيرهم الناس فكيف يكون يا هارون حالك غدا اذا نادي
منادي القيمة عليك احشروا الذين ظلموا وازواجهم نجاوابهم
وانت امامهم فتقدمت بين يدي الحاكم العدل ويدك مغلولة
الي عنقك لايفكها الا عدلك واحسانك وانصافك والزبانية
من حولك وكاني بك يا هارون وقد اخذت بضيق الخناق
وقاسيت المشاق وشددت بالوثاق وانت تري حسناتك
في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك وقدماك بلاء علي
بلاء بك وهم فوق همك وظلمة فوق ظلمتك فاتق الله يا هارون
في رعيتك واحفظ محمدا صلي الله عليه وسلم في امته واعلم ان
هذا الامر لم يصل اليك الا وهو صاير الي غيرك وكذا الدنيا هم
تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا فنفعه
ومنهم من خسر دنياه واخرته فاياك ثم اياك ان تكتب الي بعد هذا
كتابا فلا اجيبك بجواب ويكون عليك العقاب والسلام
ثم لف الكتاب منشورا بغير طي ولا ختم فاخذته واقبلت
الي سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبي ثم ناديت يا اهل
الكوفة من يشتري رجلا هرب الي الله تعالي وترك الدنيا

باسرها فاقبلوا اليه بالدنانير والدراهم فقلت لاحاجة لي بالدنيا
ولا بالمال ولكن اريد منكم جبة من صوف وعباة وازارا من شعر فاتوا
به الي فنزعت ماكان علي من الثياب التي كنت اجالس بها امير
المومنين ثم اقبلت اقود الفرس حتي وصلت الي دار الرشيد فاردت
الدخول فمنعني الحجاب لعدم معرفتهم بي وقد انكروا علي لما راوا
من ملابسي فلما راني امير المومنين من فوق قصره وقد اخبرته الخادم
عرفني بالصفة فامر علي بالدخول فلما راني علي هذه الحالة
قام وقعد وجعل يلطم راسه ويقول يا ويلتاه انتفع الرسول
وخاب المرسل مالي والدنيا والملك قال عباد فالقيت له الكتاب
ثم استحكاني فحكيت له جميع ما وقع لي معه فجعل يبكي ثم فتح الكتاب
وجعل يقروه ثم يشهق شهقة بعد شهقة حتي اغمي عليه ووقع
مغشيا عليه فاحتوشه الخدم والحجاب ثم قالوا يا امير المومنين
لقد اجترا عليك سفيان وغلظ عليك بالكلام فلو وجهت اليه
فاوثقته بالحديد وضيقت عليه السجن ولخذته بجراته عليك
لجعلته عبرة لغيره فقال لهم هارون اتركوا سفيان وشانه يا عبيد
الدنيا المغرور والله من غررتموه والشقي والله من جالستموه ان
سفيان امة وحده ولم يكن في عصرنا اصلح شانا من سفيان فا
علي الهدي قال ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقراوه بعد
كل صلوة حتي مات هارون رحمه الله تعالي رحمة واسعة وكان له
رحمه الله شعر ظريف غاليه في الغزل ومنه قوله
ملك الثلاث الانسات عناني • وحللن في قلبي اعز مكان •

مالي يطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

ولهذه الابيات حكاية لا باس بايرادها وهو ان المامون ابن الرشيد اشترى جارية كانت بارعة الحسن كاملة الظرف حاذقة الغنا قد اشتراها بالف دينار فانشدها يوما مملا لها قوله

انا المامون والملك الهمام * على اني بحبك مستهام
اترضى ان اموت عليك وجدا * وتبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا امير المومنين والدك هارون الرشيد اعشق منك حيث قال وانشدت له الابيات المتقدمة وذلك ان والدك قدم ذكر جواريه في بحر شعره على نفسه وانت قدمت ذكر نفسك على من زعمت انك تهواه فقال لها صدقت الا اني منفرد بحبك وحب الرشيد بين ثلاث جوار وشتان بين الرتبتين فقالت كلا انا اعرفهن الواحدة هي فلانة وهي كانت المقصودة في المحبة فقط واما الاخريان فانهما محبوبتان لهما فاحبهما لاجلها وقربهما من قلبه بسببها كما قال خالد ابن يزيد بن معاوية في رملة

احب بني العوام من اجل حبها * ومن اجلها احببت اخوالها كلبا

وقال الاخر ايضا

احب لاجلها السودان حتى * حببت لاجلها سود الكلاب

فهذان احبا القبيلتين من اجل محبوبتيهما وعشقا هذين الوصفين تقربا الى قلب معشوقتيهما وهذا هو المخرج

لعذر والدك فما المخرج لعذرك فاستحيى منها وعظم وجده بها لما راى فيها من حسن الملاطفة والادب والخطاب ومما بلغ به حلم الرشيد ان علية اخته كانت من اجمل النسا واظرفهن وكانت شاعرة مجيدة وكان يحبها حبا شديدا فهويت خادما من خدام الرشيد واحبته حبا شديدا وكانت تراسله بالاشعار واسمه طل وصارت تتحيل الى ان تراه حتى انها مكثت مدة لم تره فمشت على ميزاب وحدثته وحدثها ثم انصرفت وقد انشدت في ذلك

قد كان ما كلفته زمنا * يا طل من وجدي بكم يكفي
حتى اتيتك زائرا عجلا * امشي على حتف الى حتفي

فبلغ الخبر الرشيد فحلفها ان لا تكلم طلا ولا تسميه باسمه قال في الاغاني قال اخبرني احمد بن محمد ابو الحسن الاسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عميرة عن ابيه قال لما حجب طل عن علية بنت المهدي انشدت وقد صحفت اسمه في اول بيت

ايا سروة البستان طال تشوقي * فهل لي الى ظل لديك مقيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى اليه سبيل
عسى الله ان يرتاح من كربة لنا * فيلقى اغتباطا خلة وخليل

ثم ان الرشيد دخل على اخته علية ليلا وهي تدرس القران وتقرا في اخر سورة البقرة حتى بلغت الى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل واردت ان تقول فطل فقالت فالذي نهانا عنه امير المومنين فدخل عليها وقبل راسها وقال قد وهبت لك طلا

ولا امنعك بعدها من شيء تريده ابدا ومع ذلك كانت من اعف
النساء حتى انها كانت لا تغني الا اذا كانت معتزلة الصلوة فاذا
طهرت اقبلت على قراءة القران وقراءة الكتب ولم تله بشيء غير
قراءة الشعر في الاحيان الا ان يدعوها الخليفة في شيء فلا
تقدر على خلافه وكانت تقول ما حرم الله شيئا الا وجعل فيما
حلل عنه عوضا فباي شيء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته
وكانت تقول لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط وما اقول
في شعري الا عبثا ولقد اذكرني صفح الخليفة عن علية وابيها
لها كلاما طال حكايته وهو ان رجلا كان اسمه بدرا وكان له
اخ من اجمل الناس واظرفهم وكان اخوه لا يمكن ان يفارقه ولا
لحظة خوفا ان يفارقه ثم ان اخاه امسك له شيخا دار بجانب
داره يقربه ويؤدبه فاتفق ان الشيخ افتتن به لكن لا يمكن ان
يتمكن من الكلام معه من شدة غيرة اخيه عليه فقال الشيخ للغلام
اما يمكن الاختلاس لاجل ساعة فقال الغلام لا الا ان كان
ليلا اتسور الجدار واتيك فهيئ لنا ما يليق فتواعدا على ذلك
وبعد ان نام بدر اخو الغلام قام الغلام وتسور الجدار ونزل
لدار الشيخ فراه له بالانتظار فمكث معه ينادمه ويناشده
الاشعار واحوال العشاق فانتبه بدر اخو الغلام فلم ير اخاه
فقام وتبع اثره ونزل الى دار الشيخ فوجد اخاه والشيخ به
يتنادمان وكانت ليلة مقمرة والقمر راحت به فنظر الشيخ الى
الغلام وهو لا يعلم ببدر انه يراه فانشا يقول

لقد

لقد اضحى ينادمني جهارا . غزال في الانام بلا تشبيه
وبات البدر مطلعا علينا . سلوه لا ينم على اخيه

فقال بدر اخو الغلام والله لا انم عليكما ابدا وانصرف راجعا
وبالجملة فقد كان للرشيد رحمه الله في ملكه سيرة حسنة
توفي رحمه الله بطوس وذلك انه توجه لطوس في اخر مدته
لرؤيا راها فتمرض بها قيل انه لما اشتد مرضه بطوس احضر
طبيبا طوسيا فارسيا فامر ان يعرض عليه جميع ماء مع مياه
كثيرة لمرضى واصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى راى قارورة
الرشيد فقال قولوا لصاحب هذا الماء يوصي فانه قد
انحلت قواه وتداعت نفسه بنيته ثم انصرف الطبيب وقد
ايس الرشيد من نفسه فتمثل قايلا

ان الطبيب بطبه ودوائه . لا يستطيع دفاع نحب قد اتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي . قد كان يبرئ مثله فيما مضى

وبلغ الرشيد ان الناس ارجفوا بموته فاستدعى حمارا وامر
بحمله عليه فاسترخت فخذاه فقال انزلوني صدق المرجفون
ثم دعي باكفان فتخير منها ما اعجبه ولم يرله فشق عليه قبرا امام
فراشه ثم انه اطلع عليه فقال ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه
الصمد يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه وعزه وسلطانه
ثم قال رحمه الله من جملة ابيات

اني بطوس مقيم . مالي بطوس حميم

توفي رحمه الله تعالى في سنة ١٩٣ ومائة ليلة السبت لثلاث خلون

من شهر جمادى الآخرة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت خلافته
ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وقيل ثلاثا وعشرين سنة فقط وولد
بالري وكان جوادا ممدوحا غازيا مجاهدا شجاعا مهابا مليحا
ابيض طويلا عبل الجسم خطه الشيب يقال منذ استخلف كان يصلي
كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله بالف الف درهم
وله معرفة جيدة بالعلوم وقولنا لناظم واهله وبنوه اصحاب
الشهامة ان اريد بالاهل الزوجة فقط فعطف بنوه من عطف المغايرين
وان اريد بالاهل كل من في عيال الانسان ممن تلزمه نفقته فهو من
عطف الخاص على العام والنكتة التنويه بعظيم قدرهم وعلو شانهم
وعلى التفسيرين ينبني مسئلة فقهية ما لو اوصى لاهله فقال الامام
ابو حنيفة رضي الله عنه اهله زوجته خاصة وقال صاحباه
اهله كل من في عياله ونقل في شرح التكملة ان قولهما استحسان
قال ابن الكمال من فقهائنا وهو مؤيد بالنص قال تعالى فنجيناه
واهله الا امرأته انتهى وكذا قوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين
واستدل ابو حنيفة بقوله تعالى وسار باهله قال لاهله امكثوا قال
لان الاسم حقيقة للزوجة بحيث اطلق ينصرف للحقيقة انتهى
وزوجة الرشيد زبيدة قيل انه لم تدرك امرأة ما ادركته زبيدة
اذ جدها المنصور الباني لبغداد وزوجها هارون الرشيد
وابنها عبد الله الامين وهو اول خليفة من بني العباس ابواه
هاشميان وهذا القدر لم يوجد في نساء الخلفاء ولها الآثار
الجميلة والمفاخر الجليلة وقصتها في حجها مشهورة بلغت

اوصاف زبيدة زوجة الرشيد

نفقتها

نفقتها في ستين يوما اربعة وخمسين الف الف وسقت جميع
اهل مكة بعد ان بلغت الراوية عندهم الف دينار وساقت الماء
الى مكة عشرة اميال من الجبال ونحتت الصخور حتى بلغته من الحل
الى الحرم وعلت عقبة البستان فقال لها وكيلها تكون نفقة
كثيرة فقالت اعملها ولو كانت كل ضربة فاس بدينار فبلغت
النفقة عليه الف الف وسبعمائة دينار وكان لها مائة جارية يحفظن
القرآن ورد كل واحدة عشر من القرآن فكان يسمع في قصرها دوي
كدوي النحل ومع ذلك لم يصف لها الدهر بل استغلب عليها الغم
والقهر   لا شيء مما ترى تبقى بشاشته   يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه   والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له   والانس والجن فيما بينها ترد
اين الملوك التي كانت نوافلها   من كل اوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب   لا بد من ورده يوما كما وردوا
غيره   انا بالدهر خبير   امة من بعد امة
ما صفا الدهر لشخص   بعض يوم والمه
وقد احوجها الله الى المأمون قاتل ولدها الامين واخذ الدهر
منها بشماله ما اعطاه باليمين حتى انها ارسلت الى ابي العتاهية
ان يقول على لسانها ابياتا يستعطف بها المأمون فقال
الا ان صرف الدهر يدني ويبعد   ويمتع بالالاف طورا ويفقد
اصابت بريب الدهر مني يدا فسلمت للاقدار والله احمد
وقلت لريب الدهر ان هلكت يد   فقد بقيت والحمد لله يد

اذا بقي المامون لي فالرشيد ولي جعفر لم يفقد ومحمد

وقالت له بعد فقد ولدها اهنيك بخلافة قد هنات بها نفسي
قبل ان اراك وان كنت قد فقدت ابنا خليفة لقد عوضت ابنا
خليفة لم الده وانا اسال الله اجرا علي ما اخذ وامتاعا علي ما
عوض وذكر صاحب عيون التواريخ ان المامون مر يوما علي
زبيدة فراها تحرك شفتيها بشي لا يفهمه فقال لها بالله تدعين
علي لكوني قتلت ابنك او سلبته ملكه قالت لا والله يا امير
المومنين قال فما الذي قلتيه قالت تعفيني يا امير المومنين
فالح عليها وقال لا بد ان تقوليه قالت قلت قبح الله الملاحة
قال وكيف ذلك قالت لاني لعبت يوما مع امير المومنين الرشيد
بالشطرنج علي الحكم والرضي فغلبني فامرني ان اتجرد عن ثوابي
واطوف القصر عريانة فاستعفيته فلم يعفني فتجردت من ثوابي
وطفت القصر بانه وانا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته
فامرته ان يذهب الي المطبخ فيطا اقبح جارية واشوهها خلقة فيه
فاستعفاني فلم اعفه فبذل لي خراج مصر والعراق فابيت ثم
والله لتفعلن فابي فالححت عليه واخذت بيده وجيت به المطبخ
فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من امك مراجل فامرته ان يطاها
فوطيها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدي وسلب ملكه
فولي المامون وهو يقول لعن الله الملاحة اي الذي الح عليها
حتي اخبرته بهذا الخبر وبنو هارون الثلاثة تولوا الخلافة
بعده فاولهم عبد الله الامين ثم المامون ثم المعتصم وقد

وصفهم

وصفهم الناظم بالشهامة اي كل منهم شهم زكي قال في القاموس
الشهم الزكي المتوقد الفواد وشهم ككرم والسيد النافذ
الحكم انتهي تولي عبد الله الامين الخلافة بعهد من ابيه الرشيد
عند موته بويع له بالخلافة يوم توفي الرشيد بطوس وكانت
خلافته اربع سنين وثمانية اشهر وقيل ثلاث سنين واياما
لانه خلع في رجب سنة ست ومن حسب له الي موته فخلافته
خمس سنين خلا اشهر وقد قتله اخوه المامون وقد قيل في
سبب ذلك ان هارون الرشيد عهد لولده الامين ثم من بعده
لولده المامون وعلم الفضل بن الربيع ان الخلافة اذا افضت
الي المامون لم يبقه فاغري الامين به وغره وحثه علي خلعه من
ممالك خراسان وان يولي العهد من بعده لولده موسي وهو رضيع فلما
علم المامون ذلك سمي بامير المومنين وقاطع الامين فجهز له الامين
جيشا اربعين الفا فقاتلهم المامون بجيش اربعة الاف فهزمهم
فجاء الخبر الي الامين وهو يتصيد السمك فقال للمخبر ويلك دعني فان
كوثرا اي خادمه صاد سمكتين وانا الي الان ما صدت شيا بعد ثم
ندم علي خلعه اخاه وطمع الامرا فيه ثم استمر القتال بينه وبين
اخيه وصار امر الامين كل يوم في ادبار لانهماكه في اللعب والفسق
وامر المامون في ازدياد الي ان بايع المامون اهل الحرمين واكثر
بلاد العراق وفسد الحال علي الامين جدا وفقدت خزاينه
وعظم الشر وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي المجانيق
والنفط ودرست محاسن بغداد ودام الحصار فيها خمسة عشر

شهرا ولم يبق مع الامين من يقاتل الا الحرافشة الى ان استهلت سنة ٩٨ فدخل طاهر عامل المامون بغداد بالسيف فهرب الامين الى مدينة المنصور فقتل بعد ليلة او ليلتين لانه اخذ وحبس في موضع ثم ادخل عليه جماعة من العجم فضربوه ليلا بالسيف ثم ذبحوه من قفاه وذهبوا براسه الى عامل المامون فنصبها على حايط بستان ونودي هذا راس المخلوع وجرت جثته بحبل ثم لما وصل المامون راسه اشتد عليه قتل اخيه لانه كان يحب ان يرسل اليه حيا ثم اهل الطاهر الى ان مات طريدا بعيدا وكان الامين لعابا لا يصلح للخلافة وكان مشتغلا باللهو والاقبال على اللذات فقال فيه بعضهم من ابيات

اذا ما غدا ملك باللهو مشتغلا ، فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة ، لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومع ذلك قال امام الهدى احمد بن حنبل رضي الله عنه اني لارجو ان يرحم الله الامين بانكاره على اسماعيل بن عليه فانه ادخل عليه فقال له يا ابن الفاعلة انت الذي تقول كلام الله مخلوق وكان سنه اذ ذاك ثماني وعشرين سنة وقيل سبعا وعشرين وكان للامين شعر حسن ومنه في محبوبه كوثر الخادم

ما يريد الناس من صب ، بمن يهوى كئيب
كوثر ديني ودنياي ، وسقمي وطبيبي
اعجز الناس الذي ، يلحي محبا في حبيب

وله في طاهر

زعم العبد طاهر ، انني اليوم غادر

كذب

كذب العبد وهو عن ، سبيل الرشد حائر
نقض العهد والذي ، ينقض العهد كافر
مظهر سوء فعله ، معلن لا يساير
وعليه تدور بالبغي ، منه الدوائر

وكان من اجمل الناس وبه ضرب المثل فقيل حسن الامين وكان يقال له يوسف الزمان وفيه يقول الحكمي

اصبحت صبا ولا اقول بمن ، اخاف من لا يخاف من احد
اذا تفكرت في هواي له ، مسست راسي هل طار عن جسدي

ونظر ابو نواس الى الامين نظرة ذي قلق فقال له الامين أتشتهيني فقال معاذ الله من يحدث نفسه بهذا فقال اقسمت عليك بحبك الا ما اخبرتني فقال له سيدي الاموات يشتهونك فكيف بالاحياء فامر بقتله واتي بالنطع والسيف

اميري غير منسوب ، الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب ، كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاس ، دعى بالنطع والسيف

فاعفاه ووصله انتهى ثم صبيحة الليلة التي قتل فيها الامين بويع للمامون بالخلافة باجماع من الامة على ذلك وكان المامون شهما مهابا وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة وقد كان اخذ في العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذي استخرج كتاب اقليدس وامر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الاديان والمقالات وفي زمانه ظهر القول بخلق القرآن

وقال بعضهم ظهر القول بخلق القران في زمن الرشيد وكان
الناس فيه بين اخذ وتارك الي زمن المامون فحمل الناس في
احزامهم علي القول بخلق القران وكان من لم يقل بخلقه عاقبه
اشد المعاقبة قال ابن خلكان كان المامون جوادا بالمال
عظيم العفو عارفا بالنجوم والنحو وغيرهما من انواع العلوم
خصوصا علم النجوم وكان يقول لو يعلم الناس ما اجد في العفو
من اللذة لتقربوا الي بالذنوب قال غيره انه لم يكن في بني العباس
اعلم من المامون وكان مشتغلا بعلم النحو وفي ذلك يقول الشاعر

هل النجوم اغنت عن المامو ... ن او ملكه الماسوس
خلفوه بساحة طرسوس ... مثل ما خلفوا ابوه بطوس

وكان للمامون فطانة تضرب بها المثل منها ان والده الرشيد
راي يوما بيده سواكا فقال كيف تقول في جمع هذا فقال
محاسنك يا امير المومنين هربا من ان يقول مساويك وكان
الحسن اللولوي يحضر مجلس المامون قبل البلوغ ليجاريه في
العلوم فنعس المامون فقال له اللولوي نعست يا امير
المومنين فقال المامون سوقي والله يا غلام خذ بيده فجا
الغلام حتى اقامه فبلغ ذلك الرشيد ففرح لفطانته وقال
متمثلا ، وهل ينبت الخطي الا وشيجه ، اي لان للملوك آدابا
ينبغي التخلق بها ولذلك لما قال بعض اصحاب المامون لرجل نزل
له عن دابته يقول لك امير المومنين اركب فقال المامون لا
يقال لمثل هذا اركب بل يقال له انصرف ومن ثم لما عطس الرشيد

وعنده

وعنده الامام الشافعي رضي الله عنه فقال له الامام بادبك
يا امير المومنين ام بادبي فقال له بل بادبك فقال له يرحمك
الله اذ من ادب الملوك ان لا تشمت لئلا يتكلف الي رد الجواب
ومنها انه اذا ادعي لا يومن علي دعايه ولا يعزي في مهمات لان
التعزية تكون من الاكابر للاصاغر لا العكس ومنها انه يجب
عليه ان يحترز في المخاطبة والكلام مما يتطير منه فقد
حكي ان الرشيد سال الفضل بن الربيع عن شجرة خلاف فقال
شجرة وفاق يا امير المومنين وساله يوما وقد راي في بيته قضيب
خيزران ما هذا فقال الفضل عروق الرماح ولم يقل خيزران
لموافقته اسم الخيزران ام الرشيد ومنها انه اذا راي عنده
احدا من خاصته او ذوي قرابته لا يشركه في التبجيل والاعظام
فان مجالس الملوك والوزراء لا يعظم فيها سواهم فقد حكي عن
ابي مسلم الخراساني انه دخل علي السفاح في مجلسه وابو جعفر
المنصور قريب منه فسلم علي السفاح فقال له السفاح هذا
ابو جعفر فقال ان مجلس امير المومنين لا يبجل فيه سواه ومنها
انه يغض صوته وطرفه ويجتنب ما لا يليق من الكلام الذي
يفهم الترفع وهذه وراثة نبوية فقد روي ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال لعمه العباس رضي الله عنه انا اكبر ام انت
فقال انا اسن ورسول الله صلي الله عليه وسلم اكبر كما تقدم ويعجبني
قول القايل ، سبقوك تاريخا وانت سبقتهم ، فانت السابق المسبوق
ومنها ان السيد الحميري دخل علي المامون فقال له انت السيد

فقال انا العبد وانت الامير المومنين السيد ونقل ان المامون
لما دخل عليه الحسين بن الحسن بن سهل ولم يكن اثغر اذ ذاك
فلما انتهي الي البساط سلم بالخلافة واكب علي البساط يقبله فقال
له المامون من انت يا غلام فقال عبد امير المؤمنين وابن عبد
دولته الحسين بن الحسن بن سهل فاستدناه المامون حتي اجلسه
في حجره وضمه اليه فاكب الصبي يقبل ذيل المامون فقال له
المامون احسب الكسوة اعجبتك فقال ومن لا يعجبه كسوة امير
المؤمنين فضمه المامون وقال ايما افضل انت ام اخوك محمد
فقال انا يا امير المؤمنين قال ولم ومحمد سيد ولد ابيك والمرشح
للوزارة فقال نعم الا اني فضلته بكوني في حجر امير المؤمنين
ويعجبني ما وقع للفتح بن خاقان مع المتوكل وهو انه دخل علي
المتوكل يوما وهو في مجلس انسه مع ندمائه وشفيع غلام المتوكل
يسقيهم فقال المتوكل لهم اتحبون شفيعا فقالوا جميعا اي
والله نحبه يا امير المؤمنين والفتح ساكت فقال له المتوكل
ما لك يا فتح لم تقل مثل قولهم فقال الفتح انا لا احبه فتغير
وجه المتوكل وقال له لم لا تحب من احبه فقال الفتح انا لا احب
من يحبه امير المؤمنين ولكني احب من يحب امير المؤمنين
فاستحسن ذلك منه ومنها ان يظهر المرافق فيما اراد الامير في
كل ما يتكلم ويعجبني ما نقله الحريري في درة الغواص ان حامد
ابن العباس الوزير سال عليا بن عيسي وهو في ديوان الوزارة
عن دواء الخمر فاعرض عن الوزارة الجواب وقال ما لنا ولهذا

فتنحنح

السوال فخجل الوزير وكان في المجلس قاضي القضاة ابو عمر وتنحنح
القاضي وقال قال الله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال صلي الله عليه وسلم استعينوا علي
صنعة بصالح اهلها والاعشي وهو امام هذه الصناعة في الجاهلية
يقول • تداويت من ليلي بليلي من الهوي • كما يتداوي شارب الخمر بالخمر •
وتبعه ابو نواس في الاسلام فقال •

• دع عنك لومي فان اللوم اغراء • وداوني بالتي كانت هي الداء •

فانشرح وجه حامد الوزير وتهلل وقال لعلي بن عيسي ما ضرك يا
بارد لو اجبت بما اجاب به القاضي وقد استظهر بكلام الله تعالي
وكلام رسوله ثم بكلام شعراء الجاهلية والاسلام فكان خجل علي
ابن عيسي اكثر من خجل الوزير ومن الطف ما نقل في عدم تجنيب
السايل ما نقله الربيع بن سليمان قال كنت عند الامام الشافعي
رضي الله عنه فجاءه رجل برقعة فنظر ما فيها وتبسم ثم كتب فيها شيا
ودفعها لصاحبها فقلت للامام اتسيل عن سوال وتجيب عنه
ولا تنظره ثم لحقت الرجل فاخذت الرقعة من يده وقراتها فاذا فيها

• سل العالم المكي هل في تزاور • وضمة مشتاق الفواد جناح •

ثم رايت الامام كتب في الجواب •

• اقول معاذ الله ان يذهب التقي • تلاصق اكباد بهن جراح •

فانظر الي لطف هذا الامام حيث اجاب عن هذا السوال مع جلالة
قدره ومنها انه ان قراء الامير شعرا ملحونا او روي حديثا مرفوعا
او انشد شعرا مزحوفا ان لا يرد عليه مواجها له ولا يصرح بل يلوح

بادي اشارة فقد حكي ان الواثق سال الشعبي فقال لم عطاك
وفتح الهمزة فقال الفين فتغامز الحاضرون فاعاد عليه السؤال
وقال كم عطاوك وضم الهمزة فقال الفان فقال الواثق احسنت
احسنت الان فقال يا امير المومنين لحنت انت فلم اجوز الاعراب
فلما اعربت اوجبته فاعجب الواثق به ومن كلام الواثق خصلتان
لا يصعان علي موايد الملوك كثرة اكل البقل ونكت الخ وقد عقد
لهذا الباب ابو منصور الثعالبي في كتابه مراة المروات فصلاً
قال فيه فصل في مروة الاكل مع الملوك والروساء وحسن ادبه
وقد اختصره بعض الادبا فقال قالوا يجب علي كل من تشرف
بمواكلة الملوك والوزراء والروساء ان يستعمل كل مروة ويستخدم
فيها كل ادب فتكون اظفاره مقلومة وكمه نظيفا ولقمته
صغيرة ولا ياكل البقل ولا يديم الخل والملح. ولا ياكل ما
يجشي ويغير النكهة او يدمع العين ولا يسافر بيده علي الخوان
ولا يرعي ارض الجيران ولا ياخذ وجوه الرغفان. ولا
ولا يفقا اعين الالوان. ولا يستبد بمخ البيضة وخاصرة
الجدي وقفا السمكة وقشر الدجاجة وكبد الدراجة. ولا
يجمع بين الحلوة والرطبة واليابسة في لقمة واحدة ومنها
انه اذا مدح الامير ينبغي للمادح ان كان مدحه شعرا ان يهذب
ما يمدحه به ويحسنه ويستعمل ما يفهم معناه ولا يرتكب الاوزان
الضعيفة ولا اللغة الوحشية بل يعتمد علي ما رق وراق وسبق
الي فهم معناه كل احد كما قيل خير الشعر ما فهمه ربات الخدور

كما

كما في قول ابي العتاهية يمدح المهدي

اتته الخلافة منقادة ۞ اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ۞ ولم يك يصلح الا لها ۞ وقول الآخر
لمختلف الحاجات جمع ببابه ۞ فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنا ۞ وللقادم البغيا وللخايف الامن

فهذا هو السهل الممتنع اي ان سامعه يطمع عند سماعه ان يعمل
مثله لسهولته في السمع فاذا عزم علي ذلك امتنع عليه وحكي
احمد بن يحيي بن جابر المورخ قال كنت يوما جالسا عند المستعين
فدخل عليه الشعراء بقصايدهم فقال لهم لست اقبل من احد الا
مثل قول البحتري في المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما ۞ في وسعه لسعي اليك المنبر

قال احمد فرجعت الي بيتي وعدت اليه سريعا وقلت له قد قلت
فيك يا امير المومنين احسن مما قاله البحتري في المتوكل قال هات
فانشدته ۞ ولو ان برد المصطفي اذ لبسته ۞ يظن لظن البرد انك صاحبه
وقال وقد اعطيته ولبسته ۞ نعم هذه اعطافه ومناكبه

قال فامر لي بفرس مسرج ودفع لي سبعة الاف دينار وقال ادخرها
لحوادث الزمان ولك مني الكفاية والجراية ما دمت حيا ومن الطف
ما تشنف به الاذان ما نقل ان عبدل كان متصلا ببشر بن مروان
منقطعا اليه فغاب عنه مدة فقال له اين كنت فقد طلبتك فلم
اقدر عليك قال خرجت ايها الامير الي البادية اطلب التزوج
بابنة عم لي تتيمت في حبها فقالت اني امرأة لا امتفرقة علي الناس

وانا امراة لا قيم لي فاقتضها لي وانا اتزوجك فاقتضيت
لها جميع اموالها فلما فرغت كتبت الي.

سيخطيك الذي املت مني . بقطع حبال وصلك من حبالي
كما اخطاك معروف بن بشر . وكنت تعد ذلك راس مالي

فضحك بشر بن مروان وقال ما احسن ما تلطفت به ووصله
انتهى واذ ذكرنا نبذة من آداب الملوك والامرا فلنتمم
بعض الفايدة فاقول ينبغي لمن رغب في صحبة الملوك والامراء
واراد السلامة في صحبتهم ان يعتمد خلالا ثلاثا لا يفشين
لهم سرا ولا يجرين بين ايديهم كذبا ولا يغتابن عندهم احدا
وليحذر الادلال والمن فان من دل على السلطان استثقله
ومن امتن عليه عاداه واذا ازددت منهم تانيسا فزدهم
اجلالا واذا انزلوك منزلة الثقة فاعزل عنهم الملق ولا تفترن
بهم اذا احبوك ولا تتغير اذا اقصوك واياك ان تدخل
بينهم وبين بطانتهم فانك لا تدري متى يتغيرون عليك فتكون
البطانة عليك اعوانا واعلم ان الحكما من العرب والعجم اتفقوا
على التحذير من صحبة السلطان والنهي عنها لما فيها من الغرر
فقالوا ثلاثة لا يومن منها صحبة السلطان وايتمان النسا
على الاسرار وشرب السم للتجربة وقالوا صحبة السلطان
اعظم خطرا من ركوب البحر وقيل الانقباض عن السلطان يجلب
التهمة وشدة الانبساط توجب الملالة وقيل لبعض العقلا
لم لا تصحب السلطان بما فيك من الادب فقال لاني رايته

آداب الملوك

يعطي

يعطي العشرة الاف من غير شي ويرمي العنق من غير شي فلا
ادري اي الرجلين اكون والحق ان من لازم ابوابهم بصبر جميل
وكظم الغيظ والاطراح من الاذى وصل الى حاجته وقيل
ثلاثة من عاداهم عاد عزه ذلا السلطان والوالد والغريم
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لميمون احفظ عني اربعا
لا تصحب السلطان وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر
ولا تخلون بامراة وان اقراتها القران ولا تصل من قطع رحمه فانه لك
اقطع ولا تتكلم بكلام اليوم وتعتذر عنه غدا ومن كلام الامام
الاعظم لا تات بما يسبق الى العقول انكاره وان كان عندك
اعتذاره وقيل من صحب السلطان قبل ان يتادب فقد اغر
بنفسه ونهت الحكما عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك
يستعظمون في الثواب رد الجواب ويستقلون في العقاب
ضرب الرقاب. لا باس ان نورد بعض ما يجب ان يتحلى به السلطان
والامير ليكون به لذوي الالباب تذكرة وللفطن تبصرة فقالوا
ينبغي ان يكون السلطان والامير برعيته ارحم من الوالد على
ولده وان يتصف بصفة الحلم والصفح ويتحلى بالعفو وعدم
الانتقام ما امكن ومن كانت به صفة العجلة والحماقة فاقرب
ما يكون زواله وابعد شي رفده ونواله. وينبغي للملك ان
يكون خواصه وعماله ممن كمل ادبه وشرف نسبه واشتهر
عقله وحلمه فلا يصطفي احدا من جلسائه الا لفضيلة شهرت
فيه وفاق بها ابناء جنسه وتقدم بها على نظرائه امام

لعله تنقول

من علم او ادب او حسن تدبير او شجاعة او جودة راي او ضاعه
او شرف اصل فقد ذكر ان بعض الملوك شكي الي بعض الصلحاء
التباس امر الناس عليه وانه لا يعرف من يصطفي وان ابوابه مزدحمة
باهل الشر وان اهل الخير لا ياتونه فقال له اذا التبس عليك هذا
فعليك بمن له اصل تقي وعرض نقي لم يدنسه بالحرف الدنية
والخصال الغير المرضيه فان الاصيل يعود في الامور الي أصله
فقد قيل اربعة اشياء علي الملوك كالفروض وهي ابعاد الادنيا
عن مجالسهم وابوابهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء والعمل
براي المشايخ وذوي التجارب والزيادة في امر الملك بالاقلال
من الاعمال الذميمة وينبغي للملك والامير الاكثار من مطالعة
اخبار الملوك السالفة وان يسلك علي طريقهم في العدل و
يمشي علي سننهم في الخير لانهم كانوا اطول الناس اعمارا
وقد كان انوشروان مع حسن سيرته وانتشار صيته بالعدل
يطلب كتب المتقدمين وسماع حكاياتهم ليمشي علي منهاجهم
وسال يوما وزيره بزرجمهر فقال اخبرني عن سير الملوك الماضين
فقال له الوزير اخبرك بشي ام بشيين ام بثلاثة فقال لكسرى
ما الثلاث فقال لم احد لهم في شغل من الاشغال ولا في عمل من
الاعمال كذبا قط ولا رايت لهم جهلا بشي قط ولا رايت لهم غضبا
في حال من الاحوال فقال له وما الشيان فقال كانوا دائما يسارعون
الي فعل الخيرات ويجتنبون فعل الشر فقال له وما الواحد قال
كانت سلطنتهم علي انفسهم اكثر منها علي رعيتهم وينبغي للملك

والامير

والامير ان يتفقد احوال رعيته وحاشيته وعمالهم ويمنعهم
عن الظلم ولا يقرهم عليه فان ذلك يكون ذريعة الي الزوال
والتدمير فقد روى ابو داود مرفوعا ان اول ما دخل النقص علي
بني اسرائيل ان الرجل كان يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع
ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو علي حاله فلا يمنعه
ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله
قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل علي
لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون تري كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا لبيس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله و
النبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا ولكن كثيرا منهم فاسقون
وقال ازدشير اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم
عن الظلم فكيف يقدر علي ردهم الي الصلاح وان يكون للملك
اطلاع وتجسس علي احوال جنده ورعيته فانه اذا كان غير
متيقظ امن من الهموم التي تحدث بسبب الغفلة وامن ممن يسعي في
فساد ملكه ولشدة تفحص ازدشير علي امور مملكته كان يخبر
ارفع مملكته واوضعهم بما كانوا يصنعوه حتي كان يظن به الحدس
والتنجيم وكان عمر رضي الله عنه لشدة تفحصه علي رعيته علمه
بمن نأي كعلمه بمن بات معه علي وساد واحد ولقد اقتفي معاوية
رضي الله عنه اثره وتعرف يوما الي زياد رجل فقال اتتعرف

الي وانا اعرف بك من ابيك وامك واعرف هذا البرد الذي عليك
ففزع الرجل حتي ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت
المامون في امراة خطبتها وسالته النظر اليها فقال يا ابا
فلان من قصتها كيت وكيت وحليتها وحسنها كيت وكيت
فوالله مازال يصفها ويصف احوالها الي ان بهت ومن اعظم
ما يتصف به الملك العدل كما انه من اخس ما يتصف به الظلم
قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي
والعدل ميزان الله تعالي في الارض الذي يوخذ به للضعيف
من القوي وللمحق من المبطل وسال الاسكندر حكماء اهل بابل
ايما ابلغ عندكم الشجاعة او العدل قالوا اذا استعملنا العدل
استغنينا عن الشجاعة ويقال عدل السلطان انفع من خصب
الزمان وقيل اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن
طاعته ومن كلام كسري لا ملك الا بالجنود ولا جند الا بالمال
ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعية ولا رعايا الا بالعدل
ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالعدل والانصاف خرب
ملكه بالعصيان والخلاف قال ابن عباس ان ملكا من الملوك
خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل علي رجل له بقرة فراحت
البقرة حلبت له حلب ثلاثين بقرة فتعجب من ذلك وحدث نفسه
باخذها فلما راحت البقرة حلبت له النصف من ما حلبت
امس فقال الملك ما بال لبنها قد نقص ارعت في غير مرعاها
بالامس فقال لا ولكن اظن الملك هم باخذها فنقص لبنها

فان الملك اذا هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد
ربه في نفسه ان لا ياخذها فراحت وحلبت عادتها ومن نفيس
الحلم ما حكي ان المهدي انفرد عن عسكره فاجتاز برجل من الاعراب
علي ماء فقال اعندك طعام قال نعم وقدم اليه سفرة كانت
معه فاكل المهدي ثم غسل يده فقال الرجل اصلحك الله معي
شراب فهل لك فيه قال نعم فشرب فلما انتشا قال للرجل
اتعرفني قال لا قال انا صديق لوزير امير المومنين وساساله
في ان يتسبب لك في اسباب تنتفع بها ثم شرب قدحا اخر
فقال انا وزير امير المومنين ثم شرب قدحا ثالثا فقال انا
امير المومنين فشد الرجل ركوته ونحاها ناحية فقال له
مالك قال شربت ثلاثة اقداح فادعيت الخلافة فان شربت
الرابع ادعيت النبوة ليس بيني وبينك عمل فضحك المهدي
ولحقته الخيل وجعلوا يترجلون ويسلمون بالخلافة ثم ركب
المهدي وامرهم ان يتحفظوا بالرجل فلما تيقن الرجل الامر سالهم
ان يقربوه من امير المومنين فقربوه منه فقال يا امير المومنين
نصيحته فادناه فقال ما رايت اصدق منك في دعواه وان
ادعيت الرابعة فانا اول مومن بك فضحك منه المهدي وامر
له بصلة وضمه الي الندماء ومن لطيف العدل ما روي
هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس ابي للمظالم
يوما فلما انقضي المجلس راي رجلا جالسا فقال له الك
حاجة قال نعم تدنيني اليك فاني مظلوم محتاج الي العدل

والانصاف قال ومن ظلمك قال انت ولست اصل اليك
فاذكر حاجتي قال ومن يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا
قال يحجبني عنك هيبتك وفصاحتك قال ففيم ظلمته
قال في ضيعتي لغلامك اخذها وكيلك غصبا مني
بغير ثمن فاذا وجب عليها الخراج اديته باسمي لئلا يثبت
لك اسم فيها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلالها وانا
أودي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال محمد
هذا يحتاج الى بينة وشهود واشياء فقال الرجل هل لي
امن من الغضب حتى اجيب قال نعم قد امنتك قال
البينة هي الشهود اذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شي
آخر فما معنى قولك بينة وشهود وشي آخر واشياء هذه
الاشياء ان هي الا الجور وعدولك عن الحق فضحك
وقال صدقت ان البلاء موكل بالمنطق ثم وقع له برد
ضيعته وان يعطي له مائتا دينار ليستعين بها وكان
قبل ذلك اي قبل ان يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته
يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بين مظلوم
لا ينتصر وظالم لا ينصف فلما صار من اصحاب محمد بن عبد
الملك قال له ليلة كيف الناس قال بخير صنع بهم الانصاف
ورفع عنهم الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت
عليهم الكروب وارجو ببقائك نيل كل مرغوب ومن ابلغ
العدل ما رواه انس قال بينما امير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي

رضي الله عنه قاعد اذ جاءه رجل من اهل مصر فقال يا امير
المومنين هذا مقام العائذ بك فقال له عمر لقد عذت
بمجير فما شانك قال سابقت على فرسي ابن اميرنا عمرو بن
العاص فلما سبقته جعل يقرعني بسوطه ويقول انا ابن
الاكرمين فبلغ ذلك عمرو اباه فخشي ان اتيك فحبسني في
السجن فانفلت منه وقد اتيتك فكتب الامام عمر رضي الله
عنه الى عمرو بن العاص اذا اتاك كتابي هذا فاشهد الموسم
انت وولدك فلان وقال للمصري اقم حتى ياتيك فقدم
عمرو وشهد الموسم فلما قضى عمر الحج وهو قاعد بين الناس
وعمرو بن العاص رضي الله عنه وولده قاعد الى جنبه قام
المصري فراى عمر رضي الله عنه اتى له بالدرة واعطاها له
فقال انس لقد ضربه ونحن نشتهي ان يضربه فلم ينزع
حتى احببنا ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب
فلما استوفى منه قال يا امير المومنين قد استوفيت
واشتفيت ثم قال ضعها على صلعة عمرو فقال قد ضربت الذي
ضربني قال اما والله لو فعلت ما منعك احد حتى تكون انت
الذي تنزع ثم قال يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم امهاتهم احرارا فجعل يعتذر ويقول اني لم اشعر بهذا
رضي الله عنهم اجمعين ولنختم هذا الاستطراد بنصيحة
تنعش الفؤاد تامة كافية وبما يراد من الرشاد وافية
وهي ما حكي ان شقيقا البلخي دخل على هارون الرشيد

فقال له الرشيد انت شقيق الزاهد فقال انا شقيق ولست
بزاهد فقال له اوصني فقال له ان الله تعالى اقعدك موضع
الصديق ويطلب منك مثل صدقه واقعدك موضع الفاروق
ويطلب منك ان تفرق بين الحق والباطل واجلسك مكان عثمان
ذي النورين ويطلب منك مثل حيائه وكرمه وانزلك منزلة
علي بن ابي طالب وانه يطلب منك مثل علمه وزهده وحلمه فقال
له زدني قال نعم ان الله تعالى له دار تعرف بجهنم وانه قد
جعلك بواب تلك الدار واعطاك ثلاثة اشياء بيت المال
والسيف والسوط وامرك ان تمنع الناس من دخول النار بهذه
الثلاثة اشياء فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من المال ومن
خالف الله فاضربه بالسوط ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله
بالسيف فان لم تفعل ما امرك به كنت زعيم اهل النار وقد
قيل ان المجوس ملكوا الدنيا اربعة آلاف سنة ولم تطل مدتهم
الا بعدلهم في الرعية، وحفظ الامور بالسوية، واهتمامهم
بعمارة الدنيا بالعدل والاحسان، وقد وقف القلم عن الاستطراد
بعد ان اتى بنبذة فيها المراد، وانما نظمته في هذا المنوال
لما فيه من حسن الانتقال لان النفس تلتذ بالتنقل من حال
الى حال، ومن حق الى مجال، فانها مجبولة على محبة التحول
ومطبوعة على اختيار التنقل، وقد قال بعضهم

فرقت في التاليف معتمدا، ماكان لو قد تثبت يأتلف،
والعقد ما اختلفت جواهره، الا ليشرق حين يختلف،

وقال

وقال الحصري في كتابه الجواهر، في الملح والنوادر، ان
اقتران الشيء مع نظيره، يذهب بنوره، ويفضي من بهائه،
ويخلق من روائه، فقد زعموا ان المجرة كواكب مضيئة مجتمعة
فكسف بعضها نور بعض فصارت طريقا في السماء وهذا
الداعي في كوني الى الانتقال اسارع، وهذا عذر مقبول
لدى الاديب البارع، مفرد،

تنقل فلذات الهوى في التنقل، ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ولنرجع الى ما اوردناه من تمام قصة المامون فانه كان له
جودة في الذكاء والكرم والادب والانصاف، فقد نقل
الحريري في درة الغواص عن النضر بن شميل قال كنت ادخل
على المامون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع فقال
يا نضر ما هذا التقشف حين تدخل على امير المؤمنين في هذه
الخلقان فقلت يا امير المؤمنين انا شيخ ضعيف والحر شديد
فأتبرد بهذه الثياب قال لا ولكنك تتقشف ثم اجرت الحديث
فاجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها كان فيه سداد
بفتح السين قال فقلت صدق يا امير المؤمنين هشيم حدثنا
عوف بن جميل عن الحسن عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها وجما
كان فيه سداد من عوز بكسر السين، وكان المامون متكئا

لها

فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد وتلحنني قلت انما
لحن هشام وكان لحانة فتتبع امير المومنين لفظه قال فما الفرق
بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل وبالكسر البلغة
وكلما سددت به شيئا فهو سداد وقال او تعرف العرب ذلك قلت نعم
منه قول العرجي * اضاعوني واي فتى اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر *
فقال المامون قبح الله من لا ادب له ثم وقع الى الفضل بن سهل بان
يدفع لي خمسين الف درهم فسالني الفضل عن السبب فاخبرته فامر
لي بثلاثين الف درهم من عنده و نقل انه جلس يوما ينظر في المظالم
فوقف عليه رجل وقال يا امير المومنين كنت من صنايع البرامكة فلما
اصابهم ما اصابهم قبضت ضيعتي فيما قبضت لهم وقد اضر ذلك
بي قال ومن انت قال انا محمد بن جميل احد كتاب الفضل بن يحيى
فاستحسن المامون زيه فقال لاحمد بن ابي خالد اكتب له برد ضيعته
وضمه الى جملتك واحسن اليه فكان يحضر طعام ابن ابي خالد ويشرب
وهو لا يذكر حديثا الا الافتخار بايام البرامكة وتعظيم شانهم فامر
ابن ابي خالد بحبسه فاقام محبوسا اربعة اشهر فذكره المامون
يوما فاخبره ابن ابي خالد بحبسه و ذنبه فامر باحضاره على حالته
في الحبس فحضر مقيدا فقال له بلغني ما كان من مدحك البرامكة
فقال له ان اذن امير المومنين تكلمت فقال تكلم فقال كانوا والله
شفاء دهرهم وغياث عصرهم ولقد كان لي بهم يا امير المومنين نعمة
وسبب ذلك ان الفضل قال لي يوما يا ابا محمد اشتهي ان تدعوني
الى منزلك كما يدعو الصديق صديقه وتطعمني من طعامك فقلت

حالي

حالي يصغر ومنزلي يضيق عن ذلك فقال لا بد فقلت اجلني سنة
حتى اتدارك امري فقال يا بغيض من يعطينا امانا من الموت الى
سنة ولكن اجلتك شهرين فخرجت واخذت في اصلاح شاني وانقضى
الشهران فقال لي اين الضيافة فقلت ان شئت فاعزم قال فناد
لي في البكور قلت تفضل فبكر هو ويحيى وجعفر في خاصتهم فقال
لي الفضل اعرض علي ما طبخت فجعلت اعرض عليه لونا وهو يدفعه
للخدم حتى لم يدع من طعامي شيا فقلت انا لله وانا اليه راجعون
كيف يمكنني ان استانف طعاما آخر ثم انه خرج الى صحن الدار
وقال لي من جيرانك قلت فلان التاجر عن يميني وفلان في ظهر داري
ورجل قد اشترى خربة وجمع لها الصناع فهو لا يفتر عن البنا قال
أتعرفه قلت لا قال علي ببناء ونجار فاتي بهما فلما حضرا قال
افتحا بابا من هذا الحايط فقلت الله الله ايها الوزير لا تؤذي
جاري فلم يلتفت الى كلامي ونقبوا الحايط ودخلوا فدخلت معهم
فرايت دارا لم ير الناس احسن منها قد بنيت بالرخام والساج
وذهبت باللازورد والذهب وعمل وسطها بستان نقلت اليه
الاشجار المثمرة وصنوف الرياحين وفيها بركة عليها اربع دكاكين
من الابنوس المضبب بالذهب واذا رجل جالس على كرسي وحوله غلمان
وخصيان كالبدور فاقبل الفضل يدور الدار ثم التفت لصاحب
الدار وقال له اما عندك ما تطعمنا فقال نعم فدعي بالطعام
في الاواني الفاخرة فاكلوا وغسلوا ايديهم وجاوا بالشراب فشربوا
وجات جوار مغنيات كانهن الاقمار فلما انبسط[illegible] قال لي من

احسن هذه الدار ام دارك فقلت هذه دار لا يكون مثلها الا في
الجنة قال احب ان تكون لك بما فيها من آلة وعبيد فبهت لا
احير جوابًا فقال هي لك بما فيها فانا بنيناها لك من حين
سالناك ان تضيفنا وجميع ما فيها انما هو برسمك قال فعطف
يحيى على ابنه جعفر وقال له ان اخاك قد سبقك الى هذه المكرمة
فلا يفوتنك خاتمتها فان محل الاجادة له يستعين بها على هؤلاء
الخدم والدار ولوازمها فضررها عليه اكثر من نفعها وضيعتك
الفلانية تقيم اوده فقال جعفر قد امرت له بها ودفع لي توثيقها
فسر يحيى وقال لا اخلاكما الله من مكرمة تشيدانها وبعد عند
حر تصطنعانها وقاموا الى اخر النهار وانصرفوا فقال المامون
لقد برز القوم في فضلهم فلا لوم عليك في اطرائك مدحهم فان
افراطك في شكرهم يدل على حريتك وامر له بمائة الف درهم واثبته
في خاصته فملك حاله وارتفع قدره نادرة قيل اعترض رجل
المامون في طريق الحج فقال يا امير المومنين اني اريد الحج فقال له
الطريق امامك فقال وليس لي نفقة فقال سقط الفرض عنك
فقال له الرجل اني جئت مستمنحا لا مستفتيا فضحك المامون
وامر له بنا قة ونفقة ومما يحكى عن احمد بن ابي فنن الشاعر قال
حدثنا عمرو بن سعيد بن سالم قال كنت في حرس المامون بايتا فخرج
المامون في بعض الليل متفقدا احرسه فعرفته فقال لي من انت
قلت عمرو عمرك الله بن سعيد اسعدك الله بن سالم سلمك الله
ابن عوف اعانك الله فقال انت تكلونا منذ الليلة قلت الله

يكلوك يا امير المومنين فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين فقال
المامون ٭ ان اخا الهيجاء من يسعى معك ٭ ومن يضر نفسه لينفعك
٭ ومن اذا ريب المنون صدعك ٭ شتت فيك شمله ليجمعك ٭
ادفعوا اليه اربعة الاف دينار ومما يحكى عن ابي عبد الله انه قال
كنت يوما مع المامون بالكوفة فركب للصيد فبينما هو سائر اذ
لاحت له غزالة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل
فاشرف على نهر ما يجري من نهر الفرات فاذا هو بجارية خماسية القد
فاعرة النهد كانها القمر ليلة البدر وبيدها قربة قد ملاتها ماء
فوضعتها على كتفها وصعدت على شاطئ النهر فانحل وكاؤها فصاحت
برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها
قال فعجب المامون منها وقال يا جارية من اي العرب انت فقالت
من بني كلاب قال وما الذي حملك ان تكوني من الكلاب فقالت
والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف
ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال لها
اعندك علم بالانساب قالت نعم فقال لها انا من مضر الحمرا قالت
فمن اي مضر قال من اكرمها نسبا واشرفها حسبا ومحتدا
وخيرها اما وابا وافضلها علما وادبا ممن تهابه مضر وتخشاه ٭
قالت اظنك من كنانة قال نعم قالت فمن اي كنانة قال من اكرمها
اصلا واعلاها فرعا ممن تخافه كنانة وتخشاه قالت اذن انت
من قريش قال نعم قالت فمن اي قريش قال من اجلها ذكرا واعظمها
فخرا ممن تهابه قريش وتخشاه قالت انت والله من بني هاشم قال

نعم قال ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك وضعت
القربة من علي كتفها وقبلت الارض بين يديه وقالت السلام عليك
يا امير المومنين وخليفة رب العالمين قال فاعجب المامون منها
وطرب طربًا شديدًا ثم قال والله لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنا
ووقف حتي تلاحقته العساكر فنزل هناك وانفذ خلف ابيها
وطلبها منه فزوجه بها فاخذها وعاد مسرورًا بها وهي والدة
ولده العباس ومن احسن ما يحكي عنه قال انه قد كان وكل الفرا
بتلقين ولديه النحو فلما كان يوما اراد الفرا ان ينهض الي بعض
حوايجه فابتدرا الي نعل الفرا يقدمانه اليه فتنازعا ايهما
يقدمه واصطلحا علي ان يقدم كل منهما فردا فقدماها وكان
المامون له علي كل شي خبر فرفع ذلك الخبر اليه فوجه الي الفرا
واستدعاه فلما حضر قال له من اعز الناس فقال ما اعرف اعز
الناس من امير المومنين قال بلي من اذا انهض يقاتل علي نعليه
وليا عهد المسلمين حتي رضي كل واحد منهما ان يقدم له نعلا فقال
يا امير المومنين اردت ان امنعهما عن ذلك لكن خشيت ان ادفعهما
عن مكرمة سبقا اليها او اكسرهما عن شريعة حرصا عليها فقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسك للحسن والحسين رضي الله
عنهما ركابهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضر اتمسك
لهذين الحديثين ركابهما وانت اسن منهما فقال اسكت يا جاهل
لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه فقال له المامون لو منعتهما
عن ذلك لاوجعتك عتبا والزمتك ذنبا وما وضع ما فعلاه من

شرفهما

شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما ولقد ظهرت لي م
مخيلة الفراسة بفعلهما فليس يكبر الرجل وان كان كبيرا عن ثلاث
تواضع للسلطان والوالد والمعلم للعلم وقد عوضتهما عن فعلهما
عشرين الف دينار ولك عشرة الاف درهم علي حسن ادبك لهما
ونقل في مرآة الزمان عن المامون انه قال حدثني ابي عن ابيه
المهدي عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه عبد الله
ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم
وذكر انه مما يوثر عنه انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه
لوم وبالجملة ان المامون كان له همة وشهامة غزى الروم
ودخل بلاد الجزيرة والشام واقام مدة طويلة هناك وفتح فتوحا
كثيرة وتوفي ببئر البديد لاثني عشرة ليلة بقيت من شهر رجب
وقيل لثمان مضين من شهر رجب سنة ٢١٨ وهو ابن ٤٩ سنة
وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر ودفن بطرسوس وكان
ابيض مربوعا طويل اللحية دينا عارفا بالعلم فيدها وسياسة
والله اعلم ثم قام بالامر بعده اخوه ابو اسحق المعتصم وهو
الثالث من اولاد هارون الرشيد بويع له بالخلافة بعد موت اخيه
المامون بعهد منه فغزا عمورية واناخ عليها وحاصرها حصارا
شديدا ولم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام
قيل انه اصبح ذات يوم برد شديد عظيم وثلج فلم يقدر احد
علي اخراج يديه ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم في ذلك اليوم
اربعة الاف قوس وفي زمنه اظهر القول بخلق القرآن ودعي

الناس اليه وهو الذي امتحن الامام احمد رضي الله عنه
وحصل له منه ما حصل وتلخيص ذلك ان هارون رحمه الله
لم يقل بخلق القران مدة خلافته وبهذا السبب كان الفضيل
ابن عياض يتمني طول عمر الرشيد لانه كان كشف له عما يحصل
من الفتنة بعد الرشيد ولم يكن في ايام خلافته فتنة بسبب
ذلك ولكن كان الامر في خلافته بين اخذ وترك الي ان ولي ابنه
المامون فقال بخلق القران وبقي يقدم رجلا ويوخر اخري في
دعواه الناس الي ذلك الي ان قوي عزمه في السنة التي مات فيها
فحمل الناس علي القول بخلق القران وكان من لم يقل بخلقه عاقبه
اشد عقوبة وطلب الامام احمد وجماعته فحمل اليه الامام احمد
فلما كان ببعض الطريق توفي المامون وعهد الي اخيه واستمر الامام
احمد محبوسا الي ان بويع المعتصم فاحضر احمد الي بغداد وعقد
له مجلسا للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي احمد ابن ابي
دواد وغيرهما مناظرة ثلاثة ايام ولم يزل معهم في جدال الي اليوم
الرابع فامر بضربه فضرب بالسياط الي ان اغمي عليه ثم حمل الي
السجن ومكث في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل بعد ذلك يحضر
الجماعات والجمعات ويفتي ويدرس الي ان مات المعتصم وولي
الواثق فاظهر ما اظهر المعتصم وقال للامام احمد لا تجمعن
اليك احدا ولا تساكني في بلد انا فيها فاقام الامام احمد مختفيا
لا يخرج الي صلوة ولا غيرها حتي مات الواثق وولي المتوكل فرفع
المحنة وامر باحضار الامام احمد بن حنبل واكرامه واعزازه واعطاه

مالا كثيرا فلم يقبله وفرقه علي الفقراء والمساكين واجري هو
المتوكل علي اهله وولده في كل شهر اربعة الاف درهم فلم يرض الامام
بذلك رضي الله عنه قال احمد بن سنان بلغنا ان احمد بن حنبل
جعل المعتصم في حل يوم فتح بابل وعمورية وقال هو في حل من
ضربي وقال ابراهيم الحربي جعل الامام احمد جميع من ضربه او
حضره او حث عليه في حل الا ابن ابي دواد قال ولو تاب عن
بدعته لاحللته قال عبد الله بن الورد رايت النبي صلي الله
عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله ما شان احمد بن حنبل
فقال سياتيك موسي بن عمران فاساله فاذا انا بموسي بن عمران
فقلت يا كليم الله ما شان الامام احمد بن حنبل فقال بلي
بالسراء والضراء فوجد صادقا فالحق بالصديقين قيل
والحكمة في احالة النبي صلي الله عليه وسلم علي موسي بن عمران ع
عليه السلام امور منها بيان فضيلة امة النبي صلي الله عليه
وسلم علي الامم حتي ان موسي يبين ذلك ويقرره ومنها بيان
فضل الامام احمد وما حصل له من الثواب العظيم في الجنة لما
جري حتي انه شهد بعظيم فضله وعلو منزلته نبي عظيم كريم
ذكر ابن خلكان في ترجمة الامام احمد رضي الله عنه انه ولد
في سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ وضبط من حضر جنازته من الرجال
فكان ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته
عشرون الفا من اليهود والنصاري والمجوس وقال الامام الموفق
في تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل امر ان يقاس الموضع الذي

فقلت

وقف الناس فيه للصلوة على الامام احمد فبلغ ذلك مقام الف
الف وخمسماية الف وتوفي المعتصم لاثنتي عشرة ليلة من شهر
ربيع الاول وهو ابن ثمان وقيل سبع واربعين سنة وكانت خلافته
ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وهو الثامن من خلفا
بني العباس وخلف من الذهب ثمانية وثمانين الف دينار ومن
الدراهم ثمانية عشر الف الف درهم وثماني الف فرس ومثلها
من الجمال والبغال ومن المماليك ثمانية الاف مملوك وثمانية
الاف جارية وكان يقال له الثماني لذلك وكان امياً وذلك
انه كان له مملوك صغير يذهب معه الى الكتاب فمات فقال
الرشيد مات مملوكك يا ابراهيم فقال استراح من الكتاب
يا امير المومنين فقال او بلغ منك الكتاب الى هذا الحد
اتركوا ولدي لا تعلموه فكان امياً لذلك وكان ابيض مربوعاً
شجاعاً مهاباً قوي البدن الى الغاية فتح الفتوحات مثل
عمورية من اقصى بلاد الروم ودانت له الامم وكان فيه ظلم
وعنف لكنه ارهب الاعداء وكان سبب فتحه عمورية ان شريفه
اسرت بعمورية فقاست انواع العذاب وكان عندها اسرى
فهرب منهم اسير واتى الى بلاد الاسلام ودخل على المعتصم
واخبره ان في عمورية اسارى ومن جملتهم شريفه قدموها
للعذاب لتدخل في دينهم فنادت وامعتصماه ابن عبناه
تريانى فعلم هذا الكلام معه وهاجت به النخوة العربية
ونادى بجميع العساكر واخذ الاهبة للغزاة وجمع عسكرا

عظيما وسار الى بلاد عمورية ووقع له حرب شديد وقتل
خلقا كثيرا حتى فتح عمورية ولما فتحها فتش على المراة الشريفة
فلما احضرت بين يديه قال لبيك يا شريفة قد اجبت نداك وهذا
من شهامته وعلو مرتبته ومما يحكى عن المعتصم انه لما ولي
الخلافة خرج عليه تميم بن جميل ونزع يده من الطاعة وانقطع
الى بعض النواحي وكان من عماله فتحيل المعتصم بالجد والهزل
الى ان اتوا به اسيرا مكتوفا بين يديه واجتمع الناس من سائر
الافاق ينظرون الى المعتصم كيف يقتله وكان المعتصم قد
جلس له مجلسا منكرا وامر الناس بالدخول وادخل تميم واحضر
السياف وكان تميم جميلا حسن الخلقة عذب المنطق عاقلا شجاعا
لا روع عليه وهو في هذه الحالة فنظر اليه المعتصم فراه غير
مدهوش ولا مرتاع ولا مكروب فاراد المعتصم ان يستنطقه ليعلم
اين عقله في هذا الوقت فقال يا تميم ان كان لك عذر فات
به فقال اما اذا اذن لي امير المومنين فاتكلم الحمد لله الذي
جبر الدين بك ولم بك شعث المسلمين وانار بك سبل الحق
واخمد بك شعار الباطل ان الذنوب يا امير المومنين تخرس
الالسن الفصيحة والله لقد كثرت الذنوب وانقطعت الحجة
وساء بك الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك والعفو اقرب
للتقوى وانشد

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي واي امرئ مما قضى الله يفلت

ومن ذا الذي ياتي بعذر وحجة ، وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من اموت وانني ، لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي فتية قد تركتهم ، واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني اراهم حين انعي اليهم ، وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة ، اذود الردا عنهم وان مت موتوا
قال فبكي المعتصم حتي بل لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال
والله يا تميم كاد السيف يسبق العفو وقد وهبتك لله ولاولادك
وعفوت عن زلتك ثم امر بفكاكه فعقد له الولاية علي الموضع الذي
خرج منه ووصله بشي كثير و حكي ايضا ان المعتصم كان يحب
خاقان ويجالسه وكان لايرد له كلمة فقال له وقد مشي معه يا
خاقان انا اطول فقال له يا امير المومنين انت ابسط قامة واكبر
قدرا واقصر شبرا وانا اطول منك في الخلقة فاعجبه ذلك منه
وكان خاتم بيد المعتصم فيه فص قيمته عشرون الف دينار فقال
يا خاقان هل رايت احسن من هذا الفص قال نعم يا امير المومنين
فاغتاظ المعتصم وقال هات ما يكون هذا فقال الاصبع الذي يكون
فيه فضحك واستملح هذا الجواب و من الاجوبة المستملحة ما وقع
للمعتصم مع ابن الخاقان وهو الفتح وكان عمره عشر سنين ان المعتصم
سال الفتح وهو يعود اباه في داره فقال يا فتح داركم احسن او دار
فقال الدار التي تكون فيها هي الحسنة فامر المعتصم ان ينثر عليه مائة
الف درهم فنثرت عليه في الحال وما ينقل عنه انه لما ولي سليمان
ابن راشد الموصل وضم اليه الف رجل من الجند وقال له قد ضمنت

لك

لك الف شيطان تذل بهم الخلق فلما اتوا الموصل خربوا في البلاد
وقطعوا السبل فنهي خبرهم الي المعتصم فكتب الي سليمان كفرت
النعمة يا سليمان فاجابه سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا فضحك وقبل عذره وابدله بهم غيرهم و من اللطايف ما اورده
ابن طلحة في كتابه العقد قال حدثنا ابو عبد الله عثمان بن سعيد
قال لما رجع المعتصم من الغزو وصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة
مازلت تسالني في الرخجية ولية الاهواز فاقعد في سرج الارض الدنيا
باكلها خضما وقضما فاخرج من ساعتك اليه قال فقلت في نفسي
بعد الوزارة اصير مستحثا علي عامل ولم اجد بدا من طاعته فاتحدرت
الي بغداد فلما صرت بين دير هرقل والعاقول اذا برجل يصيح يا
ملاح انا منقطع فقلت للملاح خذه فحمله معنا فلما حضر الغداء
استحييت ان لا ادعوه فدعوته فجعل ياكل اكل جايع الا انه نظيف
الاكل فلما رفع الطعام لم يفعل ما يفعله العامة مع الخاصة من غسل
اليدين بل جلس معي فقلت له ما صنعتك قال حايك قلت هذه اولي
ثم قال لي وما صنعتك انت فقلت وهذه ثانية وكرهت ان اذكر
له الوزارة فقلت كاتب فقال الكتابة علي خمسة اقسام كاتب رسايل
يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والتهاني والتعازي والترغيب والتوبيخ
وجملا من العربية واللغة وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الذرع والمساحة
والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج ان يعرف حلي الناس و
وشان الدواب وحلي الناس وكاتب قاض يحتاج ان يعرف
الاحكام والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث وكا

شرطة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول
والديات فاي ما انت قلت كاتب رسايل قال اخبرني اذا كان
لك صديق مات ابوه وتزوجت امه كيف تكتب له اتعزيه ام
تهنيه فلم ادر ما اقول فقلت له لست بكاتب رسايل بل انا
كاتب خراج فقال ما تقول ان جاك قوم يتظلمون وكشف
ظلامتهم ان تمسح ارضهم كيف تصنع قلت اضرب العطوف في
العمود فان تظلم القوم قلت امسح كل قطعة على حدتها قال
تظلم السلطان قلت لست بكاتب خراج بل كاتب جند فقال
ما تقول في رجلين اسم كل منهما احمد احدهما مشقوق الشفة
العليا والاخر مشقوق السفلى قال قلت اكتب احمد الاعلم
واحمد الاعلم قال ان رزق احدهما مايتي درهم والاخر الف
درهم فيقبض هذا مال هذا قلت بل انا كاتب قاض قال فما
تقول في رجل مات وخلف زوجة وسريه وللزوجة بنت
وللسرية ابن فلما كانت تلك الليلة اخذت الحرة ابن السرية
فتنازعتا وابنا خليفة القاضي قلت والله ما ادري قال
فاذن انت كاتب شرطة قلت نعم قال فما تقول في رجل
وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مامومة
فقلت له لا اعلم ففسر لي ما ذكرت قال ففسر لي جميع ما ذكره
فتعجبت من بلاغته مع رثاثته فقلت ما صيرك الى ما ارى
قال انه كان لي ابن عم عاملا على ناحية فخرجت اليه فوجدته
معزولا فقطع علي الطريق فها انا اضطرب في البلاد قلت

اما

اما ذكرت لي انك حايك قال نعم انا حايك كلام لا ثياب فلما
وصلت الى هوازن دعوت المزين فاخذ من شعره وادخلته
الحمام والبسته من ثيابي وكلمت الزنجي فاعطاه خمسة الاف
درهم وعدنا فلما صرت الى امير المومنين حدثته بخبره فقال
هذا رجل لا يستغنى عنه فلما ذا يصلح قلت لكثير من الامور
فولاه المعتصم البناء والهندسة فبلغ منزلة عظيمة عند
المعتصم قال الناظم رحمه الله تعالى

ووزره يحيي وجعفر ابنه الرا دا احتشامه

الوزير هو القايم بامر الملك الذي لا يستغني عنه في ساير مهماته
قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا
من اهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزير لكان احق الناس
بذلك موسى كليم الله ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به
واشركه في امري فدلت الاية على ان الوزارة تشد قواعد المملكة
ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
فدلت على ان صحبة الصالحين واهل الخبرة والمعرفة تنتظم
احوال الدنيا والاخرة فالملك احوج الناس الى الوزير كما ان
الشجاع احوج الناس الى السلاح والشفار الى المسن روي
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال ما بعث الله من نبي
ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره
بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه
والمعصوم من عصمه الله وفي الامثال نعم الظهير الوزير

واول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله
في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء
وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراهم ومثل السلطان
كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضي ومثل الوزير كمثل السفير
بين المرضي والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وموقع
الوزارة من المملكة كموقع المراة من البصر فكما ان من لم ينظر
في المراة لم ير محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا
لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ويحيي هو ابن
خالد ابن برمك وكان برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار
وهو معبد للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران واشتهر
برمك المذكور وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار
عندهم قال ابن خلكان ولا اعلم هل اسلم برمك اولا واما
ابنه خالد فانه تولى الوزارة لابي العباس السفاح ولم
يبلغ مبلغ خالد احد من ولده من جودة رايه وباسه وعلمه
وجوده فقد قيل لم يكن لخالد بن برمك جليس الا وقد بنى
له دارا على قدر كفايته وكان يوقف على اولاد اخوانه ما
يعيشهم ابدا ولم يكن لابن من اولاده ولد الا من جارية وهبها
له وقيل لداود الطائي ابى لنا ابن اسحق فذكر خالد بن برمك
ففضل وقد وصل الفضل ابن ابنه حين نزل النهروان الى
ان دخل خراسان بثمانين الف درهم فقال ما بلغ ذلك يوما
من ايام خالد فمن جوده ما حكي انه ركب يوما من منزله

بالخلد

بالخلد يريد منزله بالشماسية فتلقاه فتى من الابناء يملك
ومعه جماعة يحملون ملاكه فلما راه الملك الفتى نزل وقبل يده
ولم يكن يعرفه فقال له كم مبلغ الصداق قال اربعة الاف درهم
فقال لقهرمانه اعطه اربعة الاف درهم لزوجته واربعة الاف
درهم ثمن منزله واربعة الاف درهم ثمن الوليمة واربعة الاف
درهم يستعين بها على العقد وعلى نفسه واما يحيي بن خالد
المذكور فانه كان من النبل والعقل على اكمل حال وكان هو الذي
ربى الرشيد وادبه حال صغره كان المهدي والد الرشيد دفع
له الرشيد فضمه اليه ورباه وجعله في حجره فلما استخلف
هارون عرف له حقه وقال يا ابت اجلستني هذا المجلس
ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الوزارة ودفع
له خاتمه وفي ذلك يقول ابراهيم النديم

الم تران الشمس كانت سقيمة ، فلما اتى هارون اشرق نورها
بيمن امين الله هارون ذي الندى ، فهارون واليها ويحيي وزيرها

وكان يعظمه واذا ذكره قال ابي وكان يحيي من العقلاء
ومن كلامه ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب
والرسول وكان يقول لولده اكتبوا احسن ما تسمعون
واحفظوا احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون
وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا اسوة
ولمن بعدنا عبرة وكان يقول ما رايت باكيا احسن من قلم
وكان يقول الصديق اما يشفع او ينفع وكان يقول المواعيد

شباك الكرام يصيدون بها محامد الاحرار ودخل عليه ابنه الفضل
يوما وهو يتبختر في مشيه فقال له يا ولدي قالت الحكما البخل والجهل
مع التواضع ازين بالرجل من السخا والعلم مع الكبر فيا لها حسنة
غطت سيئتين عظيمتين وبالها سيئة غطت علي حسنتين كبيرتين
وذكر عند الفضل يوما في الجود فقال ما قدر الدنيا حتي يمدح من
يجود بكلها فضلا عن بعضها وقال ابو القاسم بن المعتمر الزهري
كنت اسير مع يحيي بن خالد وهو بين ولديه الفضل وجعفر اذ
بابي الشعثا واقف علي الطريق فنادي يا زهري فاستشرفت له
فانشد صحبت البرامك عشرا سوي • وبيتي كراء وخبزي شرا
فسمعه يحيي فالتفت الي الفضل وجعفر وقال لهما اف لهذا الفعل
من هذا كنت اتخوف عليكما ومضينا فلما كان من الغد جانا ابو الشعثا
قلت له ويحك ما هذا الذي عرضت له نفسك فقال اسكت ما هو
الا انصرفت الي منزلي فجاني من قبل الفضل بدره ومن قبل جعفر بدره
ووهب لي كل واحد منهما دارا واجري علي من مطبخه ما يكفيني وقال
القاضي يحيي بن اكثم سمعت من المامون يقول لم يبد احد كيحيي
ابن خالد وولده في الكفاية والبلاغة والشجاعة ولقد صدق القايل
حيث يقول • اولاد يحيي اربع • كالاربع الطبايع •
فهم اذا اختبرتهم • طبايع الصنايع • قال القاضي فقلت يا
امير المومنين اما الكفاية والبلاغة والسماحة فنعرفها ففي من
الشجاعة فقال في موسي بن يحيي وقد رايت ان اوليه السند حكي
ابراهيم النديم قال كانت صلات يحيي بن خالد اذا ركب لمن تعرض

ه

له مايتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له اديب شاعر فانشده
• يا سمي الحصور يحيي ابيحت • لك من فضل ربنا جنتان •
• كل من جاز في الطريق عليكم • فله من نوالكم مايتان •
• مايتا درهم لمثلي قليل • هي منكم للبايس العجلان •
قال يحيي صدقت وامر بحمله الي داره فلما رجع من دار الخليفة ساله
عن حاله فذكر انه تزوج وقد اخير بواحدة من ثلاث اما ان يودي
المهر وهو اربعة الاف واما ان يطلق واما ان يقيم للمراة منزلا وخادما
وما يكفيها الي ان يتهيا له نقلها فامر له يحيي باربعة الاف للمهر
واربعة الاف لثمن المنزل • واربعة الاف للكفاية • واربعة الاف للخدم
وما يتعلق بها • دخل عليه يوما ابو قابوس الحميري • فانشده •
• رايت يحيي اتم الله نعمته • عليه ياتي الذي لم يوته احد •
• ينسي الذي كان من معروفه ابدا • علي الرجال ولا ينسي الذي يعد •
فقضي حوايجه ووصله بجملة من المال وكان ليحيي كاتب يخدمه وتقرب
من حضرته فعزم علي ختان ولده فاحتفل له الناس علي قدر طبقاتهم
وهاداه اكابر الدولة ووجوه الكتاب والروسا علي اختلاف منازلهم
وكان له صديق قد اختلت حالته وضاقت يده عما يريده فعمد
الي كيسين كبيرين نظيفين فجعل في احدهما ملحا وفي الاخر اشنانا
وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الاراده • لبادرت الي العاده •
ولو ساعدت المكنه علي بلوغ الهمه • لاتعبت السابقين وتقدمت
المجتهدين في كرامتك • لكن اقعدت القدرة عن البغيه • وقصرت الجدة
عن الجد عن مباراة اهل النعمه • وخفت ان تطوي صحايف البر •

ولیس فيها ذكر. فانفذت المبتدئ بيمنه وبركته. والمختتم بطيب
ونظافته. صابرا على الم التغضيض. ومتجرعا غصص الاقتصار
على اليسير. فامامن لم اجد اليه السبيل من قضاء حقك فالقائم
فيه قول الله عز وجل ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام. فلما حضر خالد الوليمة
عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها
وامر ان يملاء الكيسان مالا ويردا على صاحبهما ففعل ذلك وناكد
اسحق ابن ابراهيم الموصلي فلم يجبه. فقال يحيى مما يستدل به على حلم
الرجل سوء ادب غلامه وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف
له رجل وقال يا امير المومنين عطبت دابتي فقال الرشيد يعطى
خمسمائة درهم فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشيد يا ابت اومئت
الى بشيء لم اعرفه فقال له مثلك لا يجري مثل هذا القدر على لسانه
انما يذكر مثلك خمسة الاف الف عشرة الاف الف فقال له اذا سئلت
مثل ذلك فكيف اقول قال يقال يشترى له دابة ومن كلامه انه
كان يقول اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت
فانفق فانها لا تبقى وقال ذكر النعمة من المنعم تكدير ونسيان المنعم
عليه تقصير وقال النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان
مقام النجح وقال اذا دبر العركان الخطير في الحيلة ووقع في
تهديد من شكى اليه من ظلمه ببئس الزاد الى المعاد ظلم العباد
قيل امر المنصور بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء
يدل على فخامة بانيه فقال له لم تزل تحب بقاء اثر الفرس ثم

امر

امر بهدمه فهدموا شرافه فحسبوا النفقة عليها فبلغت مالا
عظيما فاستكثرها المنصور وامر بالكف عنه فقال له يحيى لا تفعل
فانه لا يحسن بك ان تعجز عن هدم ما بناه غيرك فاعجب المنصور
رايه وكان يحيى كثيرا ينهى ابنه جعفر عن مداخلة الرشيد ومنادمته
ويقول له من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم حتى
انه قال يوما للرشيد يا امير المومنين انا اكره مداخلة جعفر لك
ولست امن ان ترجع العاقبة منك علي في ذلك ولما اعيتهم
الحيلة فيه كتب اليه اني قد اهملتك حتى يعثر بك الزمان عثرة
تعرف بها امرك وان كنت اخشى ان تكون التي ليس لها لعا ولما
جرت النكبة على البرامكة وقتل جعفر كما سياتي حبس يحيى وولده
الفضل في الرقة قيل انهما لما كانا في الحبس سمع منهما المتوكل
قهقهة عظيمة فذهب واخبر الرشيد بذلك فبعث مسرورا
يستفهم سبب ذلك وسالهما وقال يقول امير المومنين ما
هذا الاستخفاف بغضبي فازداد اثم فقال يحيى لمسرور انا
قد اشتهينا سكباجا فاحتلنا في شرا القدر واللحم والخل وغير
ذلك فلما فرغنا من طبخنا واحكامه ذهب الفضل لينزلها
فسقط قعر القدر فوقع علينا الضحك والتعجب مما كنا فيه وما
صرنا اليه فلما اعلم مسرور الرشيد بذلك بكى وامر لهما بمائدة كل يوم
وامر رجلا ممن يستانس به ان يدخل عليهما كل يوم ويتغدى
معهما وينصرف ولم يزل يحيى في الحبس الى ان مات في الثالث
من محرم سنة تسعين ومائة وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه ابنه

الفضل ودفن في شاطي الفرات في ربض هرثمه ووجد في جبته
رقعة مكتوب فيها قد تقدم الخصم والمدعي عليه في الاثر والقاضي
هو الحكم العدل الذي لا يجور ولا يحتاج الى بينة فحملت الرقعة
الى الرشيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي اياما يتبين الاسى في وجهه
رحمهم الله تعالى قال الناظم وجعفر ابنه اي ابن يحيى بن خالد ابن
برمك وكان جعفر احد اولاده وهم اربعة كل واحد منهم قد تميز
بفضيلة فالبلاغة في جعفر والسماحة في الفضل والشجاعة في موسى
والجمال في محمد وكان الناس يشترون رسايل جعفر وتواقيعه
بالاثمان الكثيرة ويتنافسون فيها ومن كلام جعفر البلاغة
والبيان ان يكون الكلام محيطا بالمعنى متخليا عن المعري غير
مستعان عليه بالفكرة وكان في غاية من البلاغة وكان اذا
وقع نسخت تواقيعه وحكي انه جلس يوما للمظالم فوقع في الف
قصة ثم اخرجت وقرئت على العمال وكتاب الدواوين فما وجد
في قصة منها ما ينكر ووقع في رقعة لاهل فارس وقد شكوا اليه
من جور عاملهم ضمنت لكم ان لم تعقني عوايق بان تمحا الجور عنكم فتنقلع
ونقل السيوطي في كتابه مشتهى العقول في منتهى النقول ان
منتهى الكرم في الوزراء للبرامكة كاد ان لا يوجد احد من العلماء والحكماء
والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم كالسما وتكرم جعفر
بخمسين الف دينار من الذهب دفعة وتكرر منه ذلك مرارا كثيرة
من غير من ولا اذى ولا نقصان ولا تخصيص حتى صار يضرب بهم
المثل بقولهم تبرمك فلان تكرم جعفر في يوم على الف شاعر في

بابه

بابه اعطى كل شاعر الف درهم والدراهم ثلاثة الاف ومن
كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفى عن تاديبه
وتهذيبه ونقل انه لما حج اجتاز في طريقه بالعقيق وكانت
سنة مجدبة فاعترضته امراءة وانشدته

وإذا مررت على العقيق وأهله ... يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرهم إذ جعفر جارهم ... أن لا يكون ربيعهم ممطورا

فاجزل لها العطا وكان وزيرا للرشيد متصرفا به ولم يبلغ
احد من الوزراء منزلته بلحظه من الرشيد قال ابراهيم قال لي
جعفر يوما اني استاذنت امير المومنين في الخلوة غدا فهل انت
مساعدي فقلت جعلت فداك انا اسعد بمساعدتك وآنس بمحادثتك
فصلينا ثم افضينا في الحديث ثم قدم الينا الطعام فاكلنا ثم لما غسلنا ايدينا جعلت علينا ثياب المنادمة وبخرنا
وطيبنا ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستارة وظللنا بانعم يوم
مر لنا ثم انه ذكر حاجة فدعي الحاجب وقال اذا اتي عبد الملك
فاذن له يعني قهرمانا له فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح
عم الرشيد وكان من جلالة القدر على امر عظيم وكان يهابه
الرشيد ويعظمه فلما رفع الستار وطلع علينا سقط ما في
ايدينا وعلمنا ان الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان
فاستعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام له واجله فلما نظر الينا
في تلك الحالة دعى غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته وسواده
وقال اصنعوا بنا ما صنعتم لانفسكم قال فجاءنا الغلمان

وطرحوا عليه ثياب حرير وخلقوا عليه ودعى بالطعام فاكل وجا
له بالشراب ولم يكن عمره تناوله وكان يجهد الرشيد ان يشرب معه
قدحا فلم يمكن فشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عني فانه شي والله لم
اعرفه قط فتهلل وجه جعفر فرحا ثم التفت اليه وقال جعلت
فداك قد تطولت وتفضلت وساعدت فهل من حاجة تبلغ اليها
مقدرتي وتحيط بها نعمتي لافوز بقضائها مكافاة لما صنعت
قال بلى ان في قلب امير المومنين على هنية فاساله الرضى عني
فقال له جعفر قد رضي امير المومنين عنك وقال وعلى عشرة الاف
دينار فقال هي لك حاضرة من مالي ولك من مال امير المومنين
ضعفها قال وابني ابراهيم احب ان اشد ظهره بمصاهرة امير
المومنين قال قد زوجه امير المومنين ابنته العالية قال
واحب ان تخفق عليه الالوية قال قد ولاه امير المومنين مصر
ثم انصرف عبد الملك بن صالح قال ابراهيم بن المهدي فبقيت
متعجبا من اقدامه على امير المومنين من غير استيذان وقلت
هو عسى ان يجيبه فيما سال من الولاية والمال واما الزواج
فانه غير ممكن فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لارى ما
يكون فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي يوسف القاضي وابراهيم
ابن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية
ابنة الرشيد وعقد له على مصر والرايات بين يديه وحملت
البدر الى عبد الملك بن صالح وخرج جعفر فاشار الينا فلما
صرنا الى منزله التفت الينا وقال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك

ابن صالح فاحببتم علم ما هو الا اني لما دخلت على امير المومنين
ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك فقصصت عليه حتى
بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح وكان متكيا فاستوى جالسا
وقال ايه لله ابوك فقلت سالني في رضاك يا امير المومنين
فقال بم اجبته قلت رضي عنك امير المومنين قال قد اجزت
ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة الاف دينار قال فبم اجبته
قلت وقد قضاها امير المومنين عنك قال قد قضيت ثم ماذا
قال قد رغب ان يشد امير المومنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرته
قال فبم اجبت قلت قد زوجه امير المومنين بابنته العالية
قال قد قضيت وامضيت ذلك ثم ماذا لله ابوك قال واحب
ان تخفق الالوية على راسه قال فبم اجبته قلت ولاه امير المومنين
مصر قال قد وليته فاحضر ابراهيم والقضاة والفقهاء
وتمم له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدي فوالله
لا ادري ايهما اعجب واكرم فعلا اما ابتداه عبد الملك من المساعدة
وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولبسه ما ليس من لبسه من ثياب
المنادمة ام اقدام جعفر على الرشيد ام امضاء الرشيد جميع ما
حكم به جعفر عليه وكان من الفطانة على جانب فقد قيل ان الرشيد
بلغه ان يهوديا منجما قد تحكم انه قد بقي من عمر الرشيد شي قليل
فاحضره وقال بم استدللت قال من النجوم بكذا وكذا فدخل
جعفر فراى غم الرشيد بسبب ذلك فقال ايحب امير المومنين
ان يخرج ذلك من صدره قال نعم قال سله عن عمره فانه بالمعرفة

وقف على كون البرامكة يعملون الكيميا

به اولي فسأله عن ذلك فقال هو كذا او كذا فقال جعفر اضرب
الان عنقه لتعالم خطاه في عمرك وعمره فضرب عنقه فانصرف
عنه الغم من ساعته وكانت عطاياه تزيد على مدخوله ولاجل
ذلك اتهمت البرامكة بصنعة الكيمياء قيل ان جدهم برمك
الكبير اورثها اولاده وقيل ان يحيى تعلمها من العلامة صاحب
شذور الذهب فقد الغزها له في ابيات منها قوله

ابا جعفر خذها اليك يتيمة ۔ تودع لو قد ان يورثها قسطا
ولكنني لما رايتك اهلها ۔ سمحت بها لفظا وابنتها خطا
فلم ارتضيانا ازل العالم ۔ سواها ولا منها على جاهل اسطا

وصاحب الشذور كان من ايمة هذا الفن صرح بانه انها تقدم
الصبغ الفاء الواحد على الالف الاثر اه يقول في قصيدته
اللغائيه يجاد بلطف الحل والعقد جوهرا ۔ يطاوع في النيران واحده الالف
وفي قوله في قصيدته الهائية

فذان هما البدران فاعن بعلمنا ۔ تنل بهما ما يصنع الالف دانقا

ومن ايمة هذا الفن الطغرائي وكان له في حل رموزها اليد الطولى
والسابقة الاولى وله فيها تصانيف ومن شعره فيها

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي ۔ منها فما احتاج ان اتعلما
وعلمت اسرار الخليقة كلها ۔ علما انار لي البهيم المظلما
ودرست هرمس سر حكمته التي ۔ ما زلت طيا في الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنتي ۔ كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا ۔ من حكمتي يشفي الطبيب من العمى

اهوي

اهوي التكرم والتظاهر بالذي ۔ علمته والعقل ينهى عنهما
واريد ان القى غنيا موسرا ۔ في العالمين ولا لبيبا معدما
والناس اما ظالم او جاهل ۔ فمتى اطيق تكرما وتكلما

ويقال اول ما ظهرت الكيميا في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك
وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد وقيل اول
من عملها قارون كذا قاله السيوطي وقد اختلف العلما في حقيقة
الكيميا فبعضهم انكرها اصلا وبعضهم اثبت وجودها فمن لم ينكر
حقيقتها الشيخ بن تيمية رحمه الله تعالى وصنف رسالة في امكانها
وقررها ورد على الفلاسفة في قولهم بعدم امكانها واستدل على امكانها
في الملخص قال واما الوقوع والوصول فعيسى فهو يقول بوقوعها لكن
بعيسى وكذلك قال ابن باجه الاندلسي عن الشيخ ابي نصر الفارابي
وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد مغرما بها واتفق فيها ما لا وعى
وللناس بها شغف كثير حتى من شغفهم بها كان يقول بعضهم ان المقامات
وكليله ودمنه رموز عليها وقد صحت كيميا العشق مع جمال الدين علي
ابن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيميا بحبه ۔ غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت انفاسي وقطرت ادمعي ۔ فصح من التدبير تصعيرة الجسم
وقال صنعة الكيميا صحت لعيني ۔ حين ذاب دينار في احمرارا
فاذا ما لقيت اكسير لحظي ۔ في لجين الخدود عاد نضارا

وكان الرشيد لا يمكنه الصبر عن جعفر ولا فرد يوم لكثرة المحبة له
قيل دخل يوما يحيى والده على الرشيد فراه هو وجعفر في ثوب واحد

سبب قتل البرامكة

فقال ترقب زوالا اذا قيل تم ٭ وصبيحة ذلك نكبتها البرامكة
وقتل جعفر وقد اختلف في سبب ذلك على اقوال كثيرة منها
ان السبب في ذلك انه رفع الى الرشيد قصة لم يعرف رافعها وفيها
هذه الابيات ٭ قل لامين الله في ارضه ٭ ومن اليه الحل والعقد

هذا ابن يحيى قد غدا مالكا ٭ مثلكما ما بينكما حد
امرك مردود الى امره ٭ وامره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى ٭ الفرس لها مثلا ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها ٭ وتربها العنبر والند
ونحن نخشى انه وارث ٭ ملكك ان غيبك اللحد
اني يباهي العبد اربابه ٭ الا اذا ما بطر العبد

فلما وقف الرشيد عليها اضمر له الشر واوقع به ومنها ما روي
عن ابي محمد اليزيدي انه قال من قال ان الرشيد قتل جعفر بغير
سبب يحيى بن عبد الله العلوي فلا تصدقه وذلك ان الرشيد
دفع يحيى الى جعفر فحبسه ثم ان جعفرا دعى به ليلة من الليالي
وساله عن امره فاجابه ثم ان يحيى قال له اتق الله في يا جعفر ولا
تتعرض الى دمي فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك يوم
يوم القيمة فوالله ما احدثت حدثا ولا اويت محدثا فرق له جعفر
واطلقه بعد ان استحلفه ان لا يحدث حدثا وبعث معه من اوصله
الى مامنه فنقل ذلك الى الرشيد فقال لجعفر ما فعل بيحيى بن عبد الله
فقال على حاله يا امير المومنين في السجن والاكبال فقال لتقتله فقال
بحياتي فاحجم لها جعفر وكان من اصح الناس فكرا فحدس في نفسه

انه

انه قد علم بحاله فقال لا وحياتك بل اطلقته لعلمي ان لا مكروه
لديه فاظهر الرشيد الاستحسان لذلك واسرها في نفسه وقال
نعم ما فعلت ما عدوت ما في خاطري فلما خرج اتبعه الرشيد
ببصره وقال قتلني الله بسيوف العدا على الضلالة ان لم اقتلك
وفي تاريخ صاحب حماة ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن اخته
عباسة بنت المهدي فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها
ولا تمسها فكانا يحضران مجلسه ثم ينصرفان وكانت العباسة تحب
جعفرا ولا يمكنها الوصول اليه لتحرزه خوفا من الرشيد فارسلت
الى ام جعفر تخبرها بانها ان لم توصلها الى جعفر والا اخبرت
الرشيد بان ام جعفر تكلمت معي على تمكين نفسي من جعفر فخافت ام
جعفر على ولدها ووعدتها في الوصول وكانت من عادة ام جعفر
معه انها في كل جمعة تهدي جارية بكرا فصارت توعده ان عندها
جارية في غاية من الحسن وصار كل مرة يطلب تلك الجارية من امه
وهي تصبره الى الليلة التي ارادتها ثم قالت للعباسة اصلحي
شانك هذه الليلة فتزينت باحسن وارسلتها الى جعفر فلما وصلت
اليه وازاح بكارتها حظيت عنده في مكان عظيم ثم قالت كيف
رايت حيل بنات الملوك فقال لها ومن انت قالت له العباسة
فقال لها والله قد قتلتيني وامرها بالكتم وكان يقول لامه
والله بلاه ان تكوني السبب في قتلي فاراد الله تعالى ان
حبلت وولدت غلاما فخافت من الرشيد فوجهت المولود مع خواص
لها الى مكة ولم يزل الامر مستورا حتى وقع الشر بين عباسة

وبعض جواريها فانهت امر الصبي واخبرت بمكانه ومن معه
من جواريها وما معه من الحلي فلما جاء الرشيد ارسل من اتاه
بالصبي وخواصه فوجد الامر صحيحا فاوقع في البرامكة وقيل
انما قتله لانه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه وكان الرشيد
اذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان الا قيل هذا لجعفر فلم يزل
كذلك حتى جنى جعفر بان وجه فقطع راس بعض الطالبيين
من غير ان يكون قد امر بقتله فاستحل الرشيد بذلك دمه
وقيل ان جعفرا ابتنى دارا وعزم عليها اموالا عظاما فرفع
ذلك الى الرشيد وقيل له هذه غرامته في دار فما بالك في نفقاته
وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وقيل ان جعفرا لما اراد
الانتقال الى هذا القصر جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل
فيه اليه فاختاروا له وقتا من الليل فلما حضر الوقت خرج
من الموضع الذي كان فيه الى القصر والطرق خالية فسمع رجلا يقول
يدبر بالنجوم وليس يدري ... ورب النجم يفعل ما يريد
فاستوحش ووقف ودعا بالرجل وقال له اعد علي ما قلت
فاعاده فقال ما اردت به فقال ما اردت به معنى من المعاني ولكنه
شيء عرض لي وجرى على لساني في هذا الوقت فامر له بدنانير ومضى
وقد تنغص عليه سروره قيل انه كان من اقوى الاسباب
لقتل جعفر ما سمع من يحيى والده وهو يقول وقد تعلق باستار
الكعبة في حجته اللهم ان كان رضاك ان تسلبني نعمتك فاسلبني
اللهم ان كان رضاك ان تسلبني اهلي وولدي فاسلبني

وسمع منه ايضا يقول اللهم ان ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها
غيرك اللهم ان كنت تعاقبني في ذلك فاجعل عقوبتي بذلك في
الدنيا وان احاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي حتى ابلغ
رضاك ولا تجعل عقوبتي في الاخرة فاستجيب له ونقل عن مسرور
قال سمعت الرشيد سنة حج وهي سنة ست او سبع وثمانين ومائة
يقول في الطواف اللهم انك تعلم ان جعفرا قد وجب عليه
القتل وانا استخيرك في قتله فخر لي ولما رجع من الحج ارسل
مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند الى جعفر ليلا وعنده
جماعة وابو زكار المغني وهو يغني
فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق او يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوما ... وان كرمت تصير الى نفاد
قال مسرور فقلت له يا ابا الفضل الذي جئت له والله
ذاك قد طرقك اجب امير المؤمنين فوقع علي يقبلني وقال
ادخل فاوص فقال اما الدخول فلا سبيل اليه واما الوصية
فاصنع ما شئت فاوصى بما اراد واعتق واتتني رسل الرشيد
تحثني فمضيت اليه واعلمته وهو في فراشه فقال ائتني براسه
فاتيت جعفرا فاخبرته فقال الله الله راجعه في فعدت
لاراجعه فلما سمع حسي قال يا ماص بظر امه ائتني براسه فرجعت
اليه فاخبرته فقال ارجع اليه وراجعه فراجعته فحذفني بعمود
كان بيده وقال نفيت من المهدي ان لم تاتني براسه لاقتلنك
قال فخرجت فقتلته وحملت راسه اليه وكان قتله ليلة السبت

اول ليلة من صفر بالانبار وهو ابن ٣٧ سنة ثم امر بنصب راسه
علي الجسر وتقطيع يديه وصلب كل قطعة علي جسر ولم يزل كذلك
حتي مر عليه الرشيد حين خروجه الي خراسان فقال ينبغي ان يحرق
هذا فاحرق ووجه الرشيد من ليلته الي الرقة في قبض اموالهم
وما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم وحكي عن الاصمعي انه
قال لما قتل الرشيد جعفر وطلبني ليلا فجيته وانا خايف فاوما
الي بالجلوس فجلست فالتفت الي وقال قلت ابياتا تحب ان تسمعها
قلت ان شا امير المومنين فانشدني

لو ان جعفر خاف اسباب الردا • لنجا بمهجته طمر ملجم
ولكان من حذر المنية حيث لا • يرجو اللحاق بها العقاب القشعم
لكنه لما تقارب يومه • لم يدفع الحدثان عنه منجم

فعلمت انها له فقلت انها احسن ابيات فقال الحق باهلك فتفكرت
فلم اعرف لذلك معني الا انه اراد ان يسمعني شعره واحكيه وقيل
ان علية بنت المهدي قالت للرشيد لاي شي قتلت جعفرا
فقال لو علمت نفسي ان قميصي يعلم ما سبب قتل جعفر لاحرقته
ولما نكبوا قال الرقاشي

الان استرحنا واستراحت ركابنا • وامسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد امنت من السري • وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر • ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي • وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفا برمكيا مهندا • اصيب بسيف هاشمي مهند

وقال ايضا

وقال ايضا • اما والله لولا خوف واش • وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا • كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيي • حساما فله السيف الحسام
علي اللذات والدنيا جميعا • لدولة ال برمك السلام

فبلغ الرشيد مقاله فقال له ما حملك علي ما فعلت وقد بلغك
ما وعدنا به من يقف عليه او يرثيه قال يعطيني كل سنة الف دينار
فامر له الرشيد بالفي دينار وقال هي لك ما دمنا في قيد الدنيا
فانصرف وهو يقول وهذه من صنايع البرامكة وروي ان امراة
وقفت علي جعفر ونظرت الي راسه معلقة فقالت اما والله
لين صرت اليوم اية • لقد كنت في المكارم غاية ثم انشدت

ولما رايت السيف خالط جعفرا • ونادي مناد للخليفة في يحيي
بكيت علي الدنيا وايقنت انما • قصاري الفتي يوما مفارقة الدنيا
وما هي الا دولة بعد دولة • تخول ذا نعمي وتعقب ذا بلوي
اذا انزلت هذي المنازل رفعة • من الملك حطت ذا الي الغاية القصوي

ثم مرت كانها الريح ولم تلتفت ولما بلغ سفيان بن عيينة
قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه الي القبلة وقال
اللهم ان جعفرا كان قد كفاني مونة الدنيا فاكفه مونة
الاخرة وقال صالح بن طريف يا بني برمك

يا بني برمك واها لكم • ولايامكم المقبلة
كانت الدنيا عروسا بكم • وهي الان عجوز ارملة

وقال اخر • وليي من الدنيا بنو برمك • ولو تولي الخلق ما زادا

كانما ايامهم كلها … كانت لاهل الارض اعيادا

ولما امن جعفر للرشيد كان انه من ما منه اصيد وما احسن قول من قال

احذر مباسطة الملوك ولا تكن … ما عشت بالتقريب منهم واثقا

فالغيث غوثك ان ظمئت وربما … ترمي بوارقه اليك صواعقا

وقال ابن الدهان

لا تجعل الهزل دابا فهو منقصة … والجد تعلو به بين الورى القيم

ولا يغرك من ملك تبسمه … ما تصعق السحب الا حين تبتسم

ولغيره

اذا خدمت الملوك فالبس … من التوقي اشد ملبس

وادخل اذا ما دخلت اعمى … واخرج اذا ما خرجت اخرس

قيل من صحب الملوك بلا ادب فقهم كان هدفا لنبل الهلكة وقال الصاغاني اياك والملوك فان من والاهم اخذوا ماله ومن عاداهم اخذوا راسه وقال الاسكندر السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه فان من عرفناه اطلنا يومه واطرنا نومه. قال الناظم رحمه الله تعالى

والفضل مدني من يقول لمن يلوم على الندامة

هو وما قبله معطوف على الرشيد والفضل هذا هو الفضل بن يحيى ابن خالد بن برمك وهو اخو جعفر البرمكي المتقدم كان الفضل من اكبر البرامكة كرما وجودا حتى انه كان يقال له حاتم الاسلام وخاتم الاجواد وكان يقال حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن الفضل ولا حرج وقيل لم يبلغ احد في الجود من اولاد برمك وكان قد فاقهم في جوده وباسه ونزاهته وكان ابوه يحيى يقول ما انا الا شرارة من نار اي العباس يعني الفضل حكى ابو سعيد قال اخبرني الكوفي قال اعترض الفضل بن يحيى فتى من التجار وكان شخص الى

[illegible]

قف على عدد النقباء

الكوفة فقطع عليه الطريق واخذ جميع ما كان معه فاخذ الفتى بعنان فرس الفضل وانشد

سارسل بيتا ليس في الشعر مثله … يقطع اعناق البيوت الشوارد

اقام الندا والباس في كل منزل … اقام به الفضل بن يحيى بن خالد

فامر ان يدفع له جميع ما اخذ منه وضعفه وذكر الحافظ الذهبي من كان فردا في فن من الفنون في زمانه فقال ابو بكر رضي الله عنه في النسب. علي بن ابي طالب رضي الله عنه في القضا. ابي بن كعب رضي الله عنه في القران. زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرايض. ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير. الحسن البصري في التذكير. وهب ابن منبه في القصص. ابن سيرين في تعبير الرؤيا. نافع في القراءة. ابو حنيفة في الفقه. ابن اسحاق في المغازي. مقاتل في التاويل. الكلبي في قصص القران. الخليل في العروض. الفضيل في العبادة. سيبويه في النحو. مالك في العلم. الشافعي في فقه الحديث. ابو عبيدة في الغرايب. علي بن المديني في العلل. يحيى بن معين في الرجال. ابو تمام في الشعر. ابن حنبل في السنة. البخاري في نقل الصحيح. الجنيد في التصوف. محمد بن نصر المروزي في الاختلاف. الجبائي في الاعتزال. الاشعري في الكلام. محمد بن زكريا الرازي في الطب. ابو معشر في النجوم. ابو الفرج الاصبهاني في المحاضرة. الطبراني في العوالي. ابن نباته في الخطب. ابن حزم في الظاهر. ابو الحسن البكري في الكذب. الحريري في المقامات. ابن منده في الرحلة. ابن العربي في الاتحاد. ابو بكر الخطيب في سرعة القراءة. ابن البواب في الخط

الموصلي في الغنا الصولي في الشطرنج عطا السلمي في الخوف من
الله ابو ذر في صدق اللهجة ابو عبيدة في سرعة الحفظ ابو النواس
في الخمريات ابن الحجاج في السخف الزمخشري في البلاغة عمارة
ابن حمزة في التيه ابن زيدون في سعة العبارة عبد الحميد في
الكتابة والوفاء القاضي الفاضل في الترسل العماد الكاتب في
الجناس معاوية في الحلم ابن المعتز في التشبيه المامون في
العفو عمرو بن العاص في الدها ابو موسى الاشعري في سلامة
الباطن الوليد بن يزيد في شرب الخمر ابن الجوزي في المواعظ
عبد الملك بن مروان في البخر اشعب في الطمع النسفي في مغالط
الجدل جرير في خبث الهجا حماد الراوية في حفظ شعر العرب
ابن سينا في الذكا اياس في التفرس الفخر الرازي في الاطلاع
علي العلوم السيف الامدي في التحقيق النصير الطوسي في الهيئة
ابو العينا في الجواب المسكت ابن ابي دواد في المروه ابو العلا
في سعة الاطلاع علي اللغة ابو مسلم الخراساني في علو الهمة جعفر
البرمكي في التوقيع اخوه الفضل بن يحيي في الجود وكان الرشيد
يدعو الفضل باخي فانهما كانا متقاربين في المولد وكانت ام
الفضل قد ارضعت الرشيد واسمها زبيدة من مولدات المدينة
والخيزران ام الرشيد ارضعت الفضل فكانا اخوين بالرضاعة
وفي ذلك يقول مروان بن ابي حفصة يمدح الفضل بن يحيي

كفي لك فضلا ان افضل حرة . غذتك بثدي والخليفة واحد
لقد زنت يحيي في المشاهد كلها . كما زان يحيي خالدا في المشاهد

وكان هارون الرشيد قد ولي الوزارة للفضل قبل جعفر فلما
اراد ان ينقلها الي جعفر قال لابيهما يحيي يا ابت اني اريد ان
احول الخاتم الذي لاخي الفضل لجعفر وقد احتشمت من الكتابة
اليه في ذلك فكتب والده له قد امر امير المومنين بتحويل الخاتم من
يمينك الي شمالك فكتب اليه الفضل قد سمعت مقالتك عن امير
المومنين في اخي واطعت وامتثلت وما انتقلت عني نعمة صارت اليه
ولا عزبت عني رتبة وصلت اليه فقال جعفر لله در اخي ما انفس
نفسه وابين دلايل الفضل عليه وكان الرشيد قد جعل ولده محمدا
في حجر الفضل بن يحيي والمامون في حجر جعفر فاختص كل واحد منهما
بمن في حجره ثم ان الرشيد ولي الفضل خراسان فتوجه اليها
واقام بها مدة فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان الي الرشيد
ويحيي جالس بين يديه ومضمون الكتاب ان الفضل بن يحيي
متشاغل بالصيد وادمان اللذات عن النظر في امور الرعية فلما
قراه الرشيد رمي به الي يحيي وقال له يا ابت اقرا هذا الكتاب
واكتب اليه بما يردعه عن ذلك فكتب يحيي علي ظهر الكتاب حفظك
الله يا بني ومتع بك قد انتهي الي امير المومنين ما انت عليه من
التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في امور الرعية
ما انكره فعاود الي ما هو ازين بك فانه من عاد الي ما يزينه
وتجنب ما يشينه لم يعرفه اهل دهره الا به والسلام وكتب له
في اسفله هذه الابيات

انصب نهارك في طلب العلا . واصبر علي فقد لقا الحبيب

حتى اذا الليل اتى مقبلا ◦ واستترت فيه عيون الرقيب
فكابد الليل بما تشتهي ◦ فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا ◦ يستقبل الليل بامر عجيب
غطى عليه الليل استاره ◦ فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة ◦ يسعى بها كل عدو مريب

والرشيد ينظر الى ما كتب فلما فرغ قال ابلغت يا ابتي فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا الى ان انصرف عن عمله ومن مناقبه انه لما ولي خراسان دخل الى بلخ وهي وطنهم وبها النوبهار وهو بيت النار الذي كان المجوس يعبدونها وكان جدهم برمك خادمها فاراد الفضل هدم ذلك البيت فلم يقدر عليه لاحكام بنايه فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجدا ونقل بعضهم في اخبار البرامكة ان الرشيد ولى جعفرا المغرب كله من انبار الى افريقية في سنة ١٧٦ وقلد الفضل الشرق كله من نهروان الى اقصى بلاد الترك فاقام جعفر بحضرة الرشيد واستخلف على عمله وشخص الفضل الى عمله في سنة ١٧٨ فلما وصل الى خراسان ازال سيرة الجور وبنى المساجد والحياض والرباطات واحرق دفاتر البقايا وزاد الجند ووصل الزوار والقواد والكتاب في سنة تسع بعشرة الاف الف درهم واستخلف على عمله وشخص في اخر هذه السنة الى العراق فتلقاه الرشيد وجمع له الناس واكرمه غاية الاكرام وامر الخطبا بذكر فضله والشعراء بمدحه فكثر المادحون له ومدحه اسحق بن ابرهيم الموصلي بمدايح كثيرة فمن جملة ما مدحه به قوله

لو

لو كان بيني وبين الفضل معرفة ◦ فضل ابن يحيى لاغناني عن الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره ◦ والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

وكان ابن البهلول الحميري قد هجا الفضل ثم اتاه راغبا اليه فقال له ويحك باي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي القى الله عز وجل به وذنوبي اليه اكثر من ذنوبي اليك فضحك الفضل واكرمه ووصله ومن كلامه ما سرور الموعود بالفائدة كسروري بالانجاز وقيل له ما احسن كرمك لولا تيه فيك قال تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة فقيل وكيف ذلك قال كان ابي عاملا في بلاد فارس فانكسرت عليه جملة مستكثرة فحمل الى بغداد وطولب بالمال فدفع جميع ما يملكه وبقي عليه ثلاثة الاف الف درهم لا يعرف لها وجها والطلب عليه حثيث فبقي متحيرا كيف يصنع وكان بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة وقد علم انه لا يقضي له حاجة الا هو فقال لي وانا صبي امض الى عمارة وسلم عليه مني وعرفه الضرورة التي قد صرنا اليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض الى ان يسهل الله تعالى باليسرة فقلت له انت تعلم ما بينكما فكيف امضي الى عدوك بهذه الرسالة وانا اعلم انه لو قدر على اتلافك لاتلفك فقال لا بد ان تمضي اليه لعل الله تعالى ان يسخره ويوقع في قلبه الرحمة قال الفضل ولم يمكني مخالفته فخرجت وانا اقدم رجلا واؤخر اخرى حتى اتيت داره واستاذنت في الدخول عليه فاذن لي فدخلت فوجدته في ايوانه متكئا على فراشه وقد حلق شعر راسه ولحيته بالمسك ووجهه للحائط وكان من شدة تيهه لا يقعد الا كذلك

قال الفضل فوقفت اسفل الايوان وسلمت عليه فلم يرد السلام
فسلمت عليه عن ابي وقصصت عليه القصة فسكت ساعة ثم قال
لي حتى ننظر فخرجت من عنده نادمًا على نقل خطاي اليه موقنا منه
بالحرمان عاتبا علي ابي كيف كلفني اذلال نفسي بما لا فايدة فيه
وعزمت اني لا اعود اليه غيظا منه فغبت عنه ساعة وجيت وقد
سكن غضبي فلما وصلت الى الباب وجدت بغالا محملة فقلت ما هذا
فقال ان عمارة سير المال فدخلت على ابي ولم اخبره بشي مما جرى لي
معه كي لا اكدر عليه احسانه فمكثنا قليلا وعاد الى الولاية
وحصل له اموال كثيرة فدفع لي ذلك المبلغ وقال تحمله اليه فجيته
به ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الاولى فسلمت عليه فلم يرد
على السلام فسلمت عليه من قبل والدي وشكرت صنيعه وله ثم
وعرفته بوصول المال فقال بغيظ ويحك قسطارا كنت انا لابيك
والقسطار الصيرفي اخرج عني لا بارك الله لك فيه وهو لك فخرجت
ورددت المال الى ابي فقال يا بني لا تسمح لك نفسي بذلك ولكن
اخذ الف درهم واترك الباقي لابيك قال الفضل فتعلمت منه
الكرم والتيه وعمارة هذا هو مولى ابن عباس وكان كاتب ابي جعفر
المنصور ومولاه ويضرب المثل فيه بالتيه والعجب فيقال اتيه
من عمارة ومن تيهه انه كان اذا اخطا يمضي في خطايه ولا يرجع ويقول
نقض وابرام في ساعة الخطا اهون من ذلك وكان كريمًا بليغًا
فصيحًا اعور وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ويحتملان
اخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه وولي لهما الاعمال الكبا

ولي

وله رسايل مجموعة ومما يحكى عن الفضل انه دخل عليه حاجبه
يوما فقال له ان بالباب رجلا يزعم ان نسبه يتصل بالبرامكة فقال له
ادخله فادخله فاذا شاب حسن الشباب والوجه رث الهيئة فسلم
فاومى اليه بالجلوس وقال له بعد ساعة ما حاجتك فقال اعلمتك
بها رثاثة ثوبي قال نعم فما الذي تمت به القرابة قال ولادة
تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك
فقال له الفضل اما الاسم فيمكن فقد يوافق الاسم الاسم ولكن من
اعلمك بالولادة قال اخبرتني امي انها لما ولدتني قيل لها ولد
في هذه الليلة ليحيى ولد وسمي الفضل فسمتني امي فضيلا اكبارا
لاسمك ان تلحقني به وصغرتني لقصور قدري عن قدرك فتبسم
الفضل وقال له كم اتى عليك من السنين قال ٣٥ سنة فقال
صدقت هذا القدر الذي اجد قال فما فعلت امك قال ماتت
قال فما منعك من ان تلحق بنا قال لم ارض نفسي للقايك لانها كانت
في عماية مع حداثة فتقعدني عن لقاء الملوك وعلق هذا بقلبي
من منذ اعوام فشغلت نفسي بما يصلح للقايك حتى رضت
نفسي قال فما يصلح من الامور قال الكبير من الامور والصغير
قال يا غلام اعطه لكل عام مضى من سنيه الف درهم واعطه عشرة
الاف درهم يحمل بها نفسه الى وقت استعماله واعطه مركوبا سريعا
ثم ان الرشيد لما قتل جعفرا قبض على يحيى والده واخيه الفضل
المذكور وكان عنده ثم توجه الرشيد الى الرقة وهم معه وجميع
البرامكة في التوكيل غير يحيى فلما وصلوا اليها وجه الرشيد الى

يحيى ان اقيم بالرقة او حيث شئت فوجه اليه اني احب ان اكون
مع ولدي فوجه اليه انه ابو حبسه فرضي بالحبس معه فحبسه معه
ووسع عليهم في الحبس ثم انهم كانوا تارة يضيقوا عليهم وتارة
يوسعوا حسبما ينقل اليه عنهم واستصفى اموال البرامكة ويقال
ان الرشيد سير مسرور الخادم الى السجن فجاءه فقال للمتوكل بهما
اخرج لي الفضل فاخرجه فقال له ان امير المومنين يقول لك اني
قد امرتني ان تصدقني عن اموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد
صح عندي انك قد ابقيت لك اموالا كثيرة وقد امرني ان لم تطلعني
على المال ضربتك مايتي سوط واري لك ان لا تؤثر مالك على نفسك
فرفع الفضل راسه اليه وقال والله ما كذبت فيما اخبرت به ولو
خيرت بين الخروج الي عن ملك الدنيا وان اضرب سوطا واحدا
لاخترت الخروج عن ملك الدنيا وامير المومنين وانت تعلم انا
كنا نصون اعراضنا باموالنا فكيف صرنا نصون اموالنا بانفسنا
فان كنت امرت بشيء فامض له فاخرج مسرور سوطا كان معه في منديل
فضربه مايتي سوط وتولى ضربه الخدم فضربوه اشد الضرب ع
فكادوا يتلفونه وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته
فلما راه قال يكون قد ضربوه خمسين سوطا فقيل له بل مايتين ع
فقال ما هذا الا اثر خمسين لا غير ولكن يحتاج ينام على ظهره وادوس
صدره فلما نام على ظهره وداسه اخذ بيده وجذبه على البارية
فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ثم اقبل يعالجه الى ان نظر يوما
الى ظهره فخر المعالج ساجدا فقيل له ما بالك قال قد بري وقد نبت

في ظهره لحم حي ثم قال له الست قلت هذا ضرب خمسين سوطا
فقال اما والله لو ضرب الف سوط ما كان اثرها باشد من هذا
الاثر وانما قلت هذا ذلك حتى تقوى نفسه على المعالجة ثم ان
الفضل اقترض من بعض اصحابه عشرة الاف درهم وسيرها له ع
فردها عليه فاعتقد انه قد استقلها فاقترض فوقها عشرة
الاف اخرى وسيرها اليه فابى ان يقبلها وقال ما كنت لاخذ
على معالجة فتى من الكرام كرا والله لو كانت عشرة الاف دينار ما
قبلتها فلما بلغ الفضل ذلك قال والله الذي فعله هذا ابلغ
من الذي فعلناه في المكارم وكان قد بلغه ان ذلك المعالج في
شدة من ضيق العيش وكان ينشد وهو في السجن هذه الابيات

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى   ففي يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها   فما نحن في الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة   عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم فمن ذلك قول مروان
ابن ابي حفصة في الفضل المذكور حيث يقول

عند الملوك منافع ومضرة   وارى البرامك لا تضر وتنفع
ان كان شر كان غيرهم له   والخير منسوب اليهم اجمع
واذا جهلت من امرئ اعراقه   وقديمه فانظر الى ما يصنع
ان العروق اذا استسر بها الندا   سر النبات بها وطاب المزرع

وغضب الرشيد على العتابي الشاعر فشفع له الفضل فرضي عليه
وقال يمدحه بهذين البيتين

مازلت في غمرات الموت مطرحًا ۔ يضيق عني وسيع الراي من حيلي
فلم تزل دائبًا تسعى بلطفك لي ۔ حتى اختلست حياتي من يدي اجلي
ومدحه ابو النواس في قصايد قال في بعضها
ساشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد ۔ هواها لعل الفضل يجمع بيننا
فقيل له اسات المقال في هذه المخاطبة بهذا القول فقال اردت
جمع تفضل لا جمع توصل وعمل فيه بعض الشعرا بيتًا واحدا وهو
ما لقينا من جود فضل بن يحيى ۔ ترك الناس كلهم شعراء
فاستحسنوا ذلك وعابوا كونه بيتا واحدا وفيه قيل
الم تر ان الجود من صلب آدم ۔ تحدر حتى سار في ساحتنا الفضل
اذا ما ابو العباس جادت سماؤه ۔ فيا لك من هطل ويا لك من وبل
وقال آخر ۔ انت الذي تاخذ الايدي بحجزته ۔ اذا الزمان على ابنائه كلحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة ۔ بجود كفك تاسو كلما جرحا
وكان الفضل كثير الربابية وكان ابوه يتاذي وهو بالسجن من الما
البارد من الشتا فكان الفضل ياخذ الابريق النحاس وفيه الماء ثم
فيلصقه الى بطنه حتى تنكسر برودته بحرارة بطنه ثم يستعمله ابوه بعد
ذلك واخبار كثيرة ذكر الطبري في تاريخه ان مولد الفضل بن
يحيى سنة ١٤٨ وتوفي في السجن سنة ١٩٣ في المحرم غداة الجمعة في الرقة وقيل
انه توفي في شهر رمضان سنة ١٩٢ رحمه الله تعالى ولما بلغ الرشيد موته
قال امري قريب من امره وكذا كان فانه توفي سنة ١٩٣ ليلة السبت
لثلاث خلون من جمادي الاخرة وقيل للنصف منه وقيل ليلة الخميس
للنصف من جمادى الاولى وقال ابن اللبان المقري في شهر ربيع الاخر مع

انفاقهم

انفاقهم على السنة وقد تقدم انه كان قرينه بالولادة ايضا
رحمهم الله اجمعين قيل انه كان من اسباب تغير خاطر الرشيد على
البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع فكان دايمًا يوغر صدر
الرشيد عليهم حكي ان الفضل بن الربيع دخل يومًا على يحيى بن خالد
البرمكي وقد جلس لقضاء حوايج الناس وبين يديه ولده جعفر
يوقع في القصص فعرض عليه الفضل عشر رقاع للناس فتعلل يحيى
بكل رقعة بعلة ولم يوقع في شي منها البتة فجمع الفضل الرقاع وقال
ارجعن خايبات خاسرات ثم خرج وهو يقول
عسى وعل الدهر يثني عنانه ۔ بتصريف حال والزمان عثور
فتقضى لبانات وتشفى غلايل ۔ وتحدث من بعد الامور امور
فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك فقال له عزمت يا ابا العباس لما رجعت
فرجع فوقع له جميع الرقاع ثم ما كان الا قليل حتى نكبوا على يديه وتولى
بعدهم وزارة الرشيد وفي ذلك يقول ابو النواس
ما رعى الدهر آل برمك ۔ لما رمى ملكهم بامر فظيع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى ۔ غير راع ذمام اهل الربيع
وقد نعتهم بعد قتلهم في دورهم كثير من الخلق ولهم وقايع ولطايف
كثيرة فمنها ما اخبر به خادم المامون قال دعاني امير المومنين ليلة
وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما على
ابن محمد والاخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقوله لك فانه بلغني
ان شخصا يحضر ليلة الى اثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا
كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الان انت وعلي ودينار

حتى تواروا هذه الخرابات فاستتر واختلف بعض الجدر فاذا رايتم
الشيخ قد جاء يبكي ويندب شيئا فاتوني به قال فاخذتهما ومضينا
حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسي من
حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ونُصلف قد اقبل وجلس
على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول

ولما رايت السيف جندل جعفرا ، ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تاسفي ، عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها وردّدها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا اجب امير
المومنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى اوصي فاني لا اوثق
بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة
وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي
امير المومنين زجره وقال له من انت وبما استوجب البرامكة منك ما
تفعله في خرايب دورهم قال الخادم ونحن وقوف نسمع قال يا امير المومنين
ان للبرامكة علي ايادي خضرة افتاذن لي ان احدثك حالي معهم
قال قل يا أمير المومنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد
زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى
بيع مسقط راسي وركوا اهلي اشاروا علي بالخروج الى البرامكة
فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثين امراة وصبيا وصبية وليس
معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد
فدعوت بثوبيات لي كنت اعتددتها لاستتر بها الناس فلبستها
وخرجت وتركتهم جميعا لا شي عندهم ودخلت شوارع بغداد اسال

عن

عن دور البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ باحسن
زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد
وجلست بين ايديهم وانا اقدم واوخر والعرق يسيل مني لانها
لم تكن صناعتي واذا بخادم قد اقبل فدعا القوم فقاموا وانا معهم
فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة
وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحد وبين يديه عشرة
من ولده وولد ولده واذا غلام امرد قد عذر عذاره قد اقبل من
بعض المقاصير بين يديه مائة خادم مقرطقون في وسط كل خادم
منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة
من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن به مثله
من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام
الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عايشة من ابن
عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا
علينا بالنثار بينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا
امير المومنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى
والمشايخ والغلام وولده مائة واثني عشر رجلا فخرج الينا
مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة فيها
الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرايت القاضي
والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت
اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى
لا اجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها

وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وجعلت التفت الي
وراي مخافة ان امنع من الذهاب فبينا انا كذلك في صحن الدار
ويحيي يلحظني اذ قال للخادم ايتني بذلك الرجل فرددت اليه
فامر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم امرني بالجلوس
فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ايتني
بولدي موسى فاتي به فقال له يا بني هذا رجل غريب خذه اليك واحفظه
بنفسك فقبض موسى على يدي وادخلني الى دار من دوره فاكرمني
غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذ عيش واتم سرور
فلما اصبح دعي باخيه العباس وقال ان الوزير امرني بالعطف على
هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في دار امير المومنين فاقبضه
واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني
اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة ايام لا اعرف
خبر عيالي وصبياني في الاموات ام في الاحياء فلما كان في اليوم
الحادي عشر جاءني خادم ومعه خادم من الخدم فقالوا لي قم فاخرج
الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية
واخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع
الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر
الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مامور
بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع الستر رايت حجرة كالشمس حسنا
ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا
بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي الف

درهم

درهم وعشرة الاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية
التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق المسك واقمت
يا امير المومنين مع البرامكة في دورهم ثلاثة عشر سنة لا يعلم الناس
امن البرامكة انا ام رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية
ونزل بهم من امير المومنين الرشيد ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة
والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج بما لا يفي دخلهما به فلما
تحامل علي الدهر كنت في اواخر الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم
واذكر حسن صنعهم الي وفاء لهم على احسانهم فقال المامون علي
بعمرو بن مسعدة فلما اتي به قال اتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير
المومنين هو من بعض صنايع البرامكة قال كم الزمته قال كذا
وكذا قال له رد له كلما استاديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا
له ولعقبه من بعده قال فنحب الرجل وبكى فلما راي المامون
كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فلم تبك قال يا امير
المؤمنين وهذا ايضا من صنايع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم
واندبهم حتى اتصل خبري يا امير المومنين ففعل بي ما فعل فمن
اين كنت اصل لامير المومنين قال ابراهيم بن ماهون فلقد رايت
المامون وقد دمعت عيناه وظهر حزنه وقال لعمري هذا من صنايع
البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم
فاذكر واخبار البرامكة لا تحصر وكرمهم غني عن ان يذكر فقد
سئل اسحق الموصلي عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل
فيرضيك فعله واما جعفر فيرضيك قوله واما محمد فيفعل بحسب

ما يجد وقال ابو العينا تذاكروا الاسخيا فاتفقوا على ال المهلب في الدولة
المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية وفي يحيى يقول القايل

سالت الندا هل انت حر فقال لا ... ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثني من والد بعد والد

فدفع للشاعر على كل حرف من حروف البيتين الف درهم وفي الفضل يقول

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ... رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا نيل حاجة ... ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول

سالت الندا والجود ما لي اراكما ... تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما ... فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته ... وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده ... مسافة يوم ثم نتلوه في غد

قال الناظم رحمه الله تعالى أم أين عنترة الشجاع و ذو الجدى كعب بن مامه

لا يخفى ان ام ترد على اربعة اوجه احدها ان تكون متصلة وهذه
منحصرة في نوعين وذلك لانها اما ان يتقدم عليها همزة التسوية نحو
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا او يتقدم عليها همزة يطلب بها
وبام التعيين نحو ازيد في الدار ام عمرو وانما سميت في النوعين متصلة
لان ما قبلها وما بعدها لا يستغني باحدهما عن الاخر وتسمى ايضا معادلة
الثاني من الوجوه ان تكون منقطعة وهي ثلاثة انواع مسبوقة بالخبر
المحض نحو تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون ومسبوقة بهمزة لغير
استفهام نحو الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها فان الهمزة

الكلام على ام

في ذلك للانكار فهي بمنزلة النفي والمتصلة لا تقع بعده ومسبوقة
باستفهام بغير الهمزة نحو هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور ومعنى ام المنقطعة الذي لا يفارقها الاضراب ثم تارة تكون له
مجردا وتارة تكون متضمنة مع ذلك استفهاما انكاريا ونقل ابن
الشجري عن جميع البصريين انها بمعنى بل والهمزة ابدا وان الكوفيين
خالفوهم في ذلك قال ابن هشام والذي يظهر قول الكوفيين اذ المعنى
في نحو ام جعلوا لله شركا ليس على الاستفهام ولانه يلزم البصريين دعوى
التوكيد في نحو ام هل تستوي الظلمات والنور اي والاصل خلافه ونحو

اماذا كنتم تعملون ام من هذا الذي هو جند لكم

اين جزوا عامرا سوءا بفعلهم ... ام كيف يجزونني السوءى من الحسن
ام كيف ينفع ما يعطي العلوق به ... رئمان انف اذا ما ضن باللبن

العلوق بفتح العين المهملة الناقة التي علق قلبها بولدها وذلك
انه ينحر ثم يحشى جلده تبنا ويجعل بين يديها لتشمه فتدر عليه فهي
تسكن اليه مرة وتنفر عنه اخرى وهذا البيت ينشد لمن يعد بالجميل
ولا يفعله لانطوا قلبه على ضده وقد انشد الكسايي بحضرة الاصمعي
في مجلس الرشيد فرفع رئمان فرده عليه الاصمعي وقال انه بالنصب فقال
له الكسايي اسكت ما انت وهذا يجوز الرفع والنصب والجر فسكت ووجهه
ان الرفع على الابدال من ما والنصب بتعطي والخفض بدل من الهاء وصوب
ابن الشجري انكار الاصمعي فقال لان رئمانها للبو بانفها هو عطيتها
اياه لا عطية لها غيره فاذا رفع لم يبق لها عطية في البيت لان رفعه
على الابدال من ما وما الفاعل والجر يخلو تعطي من مفعوله لفظا وتقديرا والجر اقرب الى الصواب قليلا

وانما حق الاعراب والمعنى النصب وعلى الرفع فيحتاج الى تقدير ضمير
راجع الى المبدل منه اي رعيان انف له والضمير في بفعلهم لعامر
لانهما ابدا لقبيلة ومن مجيء الدول شاهها في ارضيتم بالجوع الدنيا
من الاخرة وانكر بعضهم ذلك وزعم ان من متعلقة بكلمة البدل محذوفة
ونظير هذه الحكاية ان ثعلبا كان ياتي الرياشي ليسمع منه الشعر
فقال له الرياشي يوما كيف تروي بارز لامن قوله
ما تنقم الحرب العوان مني • بازل عامين حديث سن •
لمثل هذا ولدتني امي • فقال اتلي يقال هذا انما اصير
اليك لهذه المقطعات والخرافات روي البيت بالرفع على الاستيناف
وبالخفض على الاتباع وبالنصب على الحال وليعلم انه لا تدخل ام
المنقطعة على مفرد ولهذا اقدروا المبتدا في انها لابل ام شاء وخرق
ابن مالك في بعض كتبه اجماع النحويين فقال لا حاجة لتقدير مبتدا
وزعم انها تعطف المفردات كبل وقدرها بل دون الهمزة
واستدل بقول بعضهم ان هناك لابلا ام شاء بالنصب فان صحت
روايته فالاولى ان يقدر لشاء ناصب اي ام اري شاء **تنبيه**
قد ترد ام المحتملة للاتصال والانقطاع فمن ذلك قول المتنبي
احاد ام سداس في احاد • لييلتنا المنوطة بالتناد •
فان قدرتها متصلة فالمعنى انه استطال الليلة فشك اواحدة
هي او ست اجتمعت في واحدة فطلب التعيين وهذا من تجاهل
العارف كقولها • ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف
وعلى هذا فيكون قد حذف الهمزة قبل احاد ويكون تقديم الخبر

وهو احاد على لييلتنا تقديما واجبا لكونه المقصود بالاستفهام
مع سداس لكونه اذ شرط الهمزة المعادلة لام ان يليها احد الامرين
المطلوب تعيين احدهما ويلي ام المعادل الاخر ليفهم السامع من اول
الامر الشيء المطلوب تعيينه تقول اذا استفهمت عن تعيين المبتدا
ازيد قايم ام عمرو وان شئت ازيد ام عمرو قايم واذا استفهمت عن تعيين
الخبر اقاعد زيد ام قايم وان شئت اقايم ام قاعد زيد وان قدرتها
منقطعة فالمعنى انه اخبر عن ليلته بانها ليلة واحدة ثم نظر الى
طولها فشك فجزم بانها ست في ليلة فاضرب اوشك هل هي ست في
ليلة ام لا فاضرب واستفهم وعلى هذا فلا همزة مقدرة ويكون تقديم
ويكون تقديم احاد ليس على الوجوب • اذ الكلام خبر واظهر الوجهين
الاتصال لسلامته من الاحتياج الى تقدير مبتدا يكون سداس خبرا
عنه في وجه الانقطاع كما لزم عند الجمهور في انها لابل ام شاء ومن
الاعتراض بجملة ام هي سداس بين الخبر وهو احاد والمبتدا وهو لييلتنا
ومن الاخبار عن الليلة الواحدة بانها ليلة فان ذلك معلوم لا فائدة
فيه وليعلم ان هذا البيت قد اشتمل على لحنات استعمال احاد وسداس
بمعنى واحدة وست وانما هما بمعنى واحدة واحدة وست ست واستعمال •
سداس واكثرهم يأباها ويخص العدد المعدول بما دون الخمسة وتصغير
ليلة على لييلة وانما صغرها العرب على لييلية بزيادة الياء على غير قياس
حتى قيل انها مبنية على ليلاه في نحو قول الشاعر • في كل ما يوم وكل
ليلاه و مما قد يستشكل فيه انه قد جمع بين متنافيين استطالة
الليلة وتصغيرها وبعضهم يثبت مجيء التصغير للتعظيم كقوله

دويبة تصغر منها الانامل • الثالث من الوجوه ان تقع زايدة ذكره
ابو زيد وقال في قوله تعالى افلا تبصرون ام انا خير ان التقدير
افلا تبصرون انا خير والزيادة ظاهرة في قول ساعدة بن جوية •
يا ليت شعري ولا منجي من الهرم • ام هل على العيش بعد الشيب من ندم
الرابع من الوجوه ان تكون للتعريف نقلت عن طي وحمير وانشدوا •
• ذاك خليلي وذو يواصلني • يرمي ورائي بامسهم وامسلمه •• وفي
الحديث ليس من امبر امصيام في امسفر كذا رواه النمر بن تولب
رضي الله عنه فايدة اذا عطفت بعد الهمزة باو فان كانت
همزة التسوية لم يجز قياسا وقد اولع الفقهاء وغيرهم بان يقولوا
سوا كان كذا او كذا وهو نظير قولهم يجب اقل الامرين من كذا او كذا
والصواب العطف في الاول بام وفي الثاني بالواو كذا في المغني
والذي يظهر انه لا تتعين ام الا اذا كانت الهمزة موجودة بعد سوا
بخلاف المثال المذكور فانه لا همزة بعدها فاو جايزة في ذلك وفي
المثال الثاني انما تتعين الواو في قولهم يجب اقل الامرين من كذا وكذا
بناء على ان البين هو مجموع الامرين وذلك ممنوع لان البين اقلهما
والاقل هو احدهما فجاز العطف باو بل تتعين والحالة هذه كما
نقله الدماميني وام في البيت منقطعة وهي التي لا يفارقها الاضراب
كما تقدم لان الناظم لما ذكر الرشيد واولاده والبرامكة ودولتهم
كيف انقرضوا وبادوا عن له ان يذكر من كان لا يرهبه الحمام • ولا
يرعبه تقلب الايام • لما فيه من الشجاعة وثبات الجنان • ومن الفروسية
التي لا يقاومه فيها انسان • فاضرب عنهم ومال • واخذ في

ذكر

ذكر ما عن له فقال • ام اين عنترة الشجاع وعنترة بالتاء كما
ضبطه شراح قصيدته وهي احدى المعلقات السبع وهو من عبس
لان اباه شدادا استلحقه به وكانت امه امة سوداء وهو القائل •
• اني امرؤ من خير عبس منصبا • شطري واحمي سايري بالمنصل •
يعني ان شطره من جهة ابيه يفتخر به وشطره الثاني الذي من
جهة امه يحامي عنه بالسيف وكان شجاعا مهابا فصيحا قال
العلامة الشيخ عبد الروف المناوي في عماد البلاغة وقد ادرك
المصطفى وكان شجاعا شاعرا وقلما اجتمعا انتهى اي ومن المعلوم
انه لم يومن وله اشعار كثيرة وكثيرا ما تستشهد بقوله النحاة فمن
كلامه من قصيدة يخاطب بها النعمان ملك الحيرة •
• ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي • قصيرة عنك فالايام تنقلب •
• ان الافاعي وان لانت ملامسها • عند التقلب في انيابها العطب •
ومطلعها • لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب • ولا ينال العلى من طبعه الغضب
• ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم • يرضى رضاهم ويغضب كلما غضبوا •
ومن كلامه من قصيدة طويلة •
• واذا بليت بظالم كن ظالما • واذا صحبت ذوي الجهالة فاجهل •
• واختر لنفسك منزلا تعلو به • يوما اذا كرهوك اهل المنزل •
ومن غرر كلامه قصيدته الميمية وهي احدى المعلقات مطلعها •
• هل غادر الشعراء من متردم • ام هل عرفت الدار بعد توهم •
• يا دار عبلة بالجواء تكلمي • وعمي صباحا دار عبلة واسلمي •
ومنها • واذا صحوت فما اقصر عن ندا • وكما علمت شمايلي وتكرمي •

ولقد ذكرتك والرماح نواهل . مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل الرماح لانها . لمعت كبارق ثغرك المتبسم
ومنها . ولقد خشيت بان اموت ولم تكن . للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما . والناذرين اذا لم القهما دمي
ومنها . جادت عليه كل عين ثرة . فتركن كل حديقة كالدرهم
وبهذا البيت رد ابو حيان على ابن مالك من انه اذا اضيفت كل الى
مفرد نكرة وجب مراعاة المعنى فلم قال هنا تركن ولم يقل تركت دل
على جواز كل رجل قايم وقايمون قال ابن هشام والذي يظهر خلاف
قولهما وان كل المضافة الى المفرد ان اريد نسبة الحكم الى كل واحد وجب
الافراد نحو كل رجل يشبعه رغيف او الى المجموع وجب الجمع كبيت
عنترة فان المراد ان كل فرد من الاعين جاد وان مجموع الاعين تركن
وعلى هذا فتقال جاد على كل محسن فاغناني او فاغنوني بحسب المعنى
الذي تريده والمراد بالعين في البيت مطر ايام لم يقلع والثرة الكثيرة
الماء والحديقة الروضة ذات الشجر ويروي فتركن كل قرارة اي
حفرة ومعنى تركنها كالدرهم ان كل حديقة او حفرة صارت بسبب استدار
وبياض مائها وصفائه شبيهة بالدرهم ومنها قوله
يا شاة من قنص لمن حلت له . حرمت علي وليتها لم تحرم
روي هذا البيت بما ومن فعلى رواية ما لا كلام وعلى رواية من فقيل
زايدة على ما زعمه الكساي وهو سهل على قاعدة الكوفيين في ان
الاسماء تزاد واوله البصريون بان من بمعنى انسان قنص وهذا من
الوصف بالمصدر للمبالغة والشاة كناية عن المراة قيل اراد بها زوجة

ابيه يقال حرم على تزوجها لتزوج ابي اياها وليتها لم تحرم اي ليت
ابي لم يتزوجها حتى كانت تحل لي وقيل اراد انها حرمت عليه باشتباك
الحرب بين قبيلتها وقبيلته فتمنى الصلح وعدم الحرب بين القبيلتين
ليتاتى له تزوجها قال الدماميني في شرحه على المغني انشدني شيخنا
شمس الدين الغماري رحمه الله انشدني ابو حيان قال انشدني ابو جعفر
ابن الزبير قال انشدني القاضي ابو حفص عمر بن الفليس وقد اهديت
له جارية فوجدها ابنة سرية كان قد تسراها فردها وكتب الى مهديها

يا مهدي الرشا الذي الحاظه . تركت فوادي نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنا في شمها . لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت اليك وانما . صيد الغزالة لم يبح للمحرم
ان الغزالة قد علمنا سرها . قبل المهاة وليتنا لم نعلم
يا وبح عنترة يقول وشفه . ما شفني وجدا ولم يتكلم
يا شاة من قنص لمن حلت له . حرمت علي وليتها لم تحرم

ومن كلامه . احولي ينفض استك مذرويها . لتقتلني فها انا ذا عمارا
متى ما تلقني خلوين ترجف . روانف اليتيك وتستطارا
وسيفي صارم قبضت عليه . اشاجع لا ترى فيها انتشارا
حسام كالعقيقة فهو كمعي . سلاحي لا افل ولا فطارا
ومطرد الكعوب احص صدق . تخال سنانه في الليل نارا
ستعلم اينا للموت ادنى . اذا دانيت في الاسل الحرارا
وخيل قد دلفت لها بخيل . عليها الاسد تهتصر اهتصارا
واصل هذه الابيات ان عمارة بن زياد العبسي كان يحسد عنترة على

نجا عنده وكان يظهر تحقيره ويقول لقومه انكم قد اكثرتم من ذكره
ولوددت اني لقيته خاليًا حتى اريحكم منه فبلغه ما يقول عمارة
فقال هذه الابيات والمزرولان جانبا الاليتين ومن كلام العرب
جاء ينفض مزرويه اي جاء يتهدد وهذا الحرف مما جاء عن قياس
نظايره وكان حقه ان تصير واوه الى اليا كما صارت اليها في
قولهم ملهيان ومغزيان لان الواو متى وقع في هذا النحو طرفًا
رابعًا فصاعدًا استحق الانقلاب الى الياء وانما انقلبت الواو ياء
في قولك ملهيان ومغزيان وان لم تكن طرفا الا انها في تقدير الطرف
من حيث ان حرف التثنية لا يحصى مما اتصل لان دخوله كخروجه
وصحت الواو في المزروين لانهم بنوه على التثنية فلم يفردوا م
فيقولوا مزري كما قالوا ملهي فصحت لذلك كما صحت الواو والياء في
النهاية والعلاوة فلم تقلبا الى الهمزة لانهم بنوا الاسمين على
التانيث وكما صحت الياء في الثنيين من قولهم عقلت بثنايين
اذا عقلت يديه جميعًا بطرفي حبل لانهم صاغوه مثنى ولو انهم
تكلموا بواحده لقالوا اثناء بهمزة كرداء ولقالوا في تثنيته ثناءان
كرداءين وقوله متى ما تلقني خلوين نصب خلوين على الحال من
الفاعل او المفعول اراد خاليين والروانف طرف الالية الذي
يلي الارض اذا كان الانسان قايمًا واما الالية فقال ابو علي الحسن
ابن احمد الفارسي رحمه الله قد جاء من المونث بالياء حرفان لم
تلحق في تثنيتهما التاء وذلك قولهم خصيان واليان فاذا
افردوا قالوا خصية واليه وانشد ابو زيد . يرتج اليا ه

ارتجاج الرطب . وانشد ش

. كان خصياه من التدلدل . ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل .

وقد جاءت في قوله البتاك بالتاء كما ترى والعرب اذن مختلفة في ذلك
ومعنى يستطار يستخف . ويحتمل قوله ويستطارا وجهين من م
الاعراب احدهما ان يكون مجزومًا معطوفًا على جواب الشرط واصله
يستطاران فسقطت نونه للجزم فالالف على هذا ضمير عايد على
الروانف وعاد اليها وهي جمع ضمير تثنية لانها من الجموع الواقعة
في مواقع التثنية نحو قولك وجوه الرجلين فعاد الضمير على
معناها دون لفظها اذ المعنى والنعا اليتيك كما ان معنى الوجوه
من قولك حيا الله وجوههما معنى الوجهين لانه لا يكون لواحد اكثر
من وجه كما انه ليس للالية الا رانفة واحدة والوجه الثاني ان
تكون نصبًا على الجواب بالواو وتقديره ان يستطارا فالالف على
هذا للاطلاق للقافية والتاء للخطاب وهي في الوجه الاول
للتانيث ويجوز ان تجعل التاء في هذا الوجه ايضًا لتانيث الروانف
وجا الجواب بعد الشرط والجزاء كما يجي بعد الكلام الذي ليس بواجب
كالنهي والنفي في قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن ولا يسعني
شي ويعجز عنك ومثله في انتصاب الجواب بالواو بعد الشرط والجزا
قوله جل وعز ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ثم قال
او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون ومن
قرا ويعلم رفعا وهو نافع وابن كثير وابن عامر استانفه ومثله في النصب
على الجواب بعد الواو قول النابغه .

فان يهلك ابو قابوس يهلك * ربيع الناس والبلد الحرام
وناخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام
فقد روي جزما بالعطف علي جواب الشرط ويروي وناخذ رفعا
علي الاستيناف ويروي وناخذ نصبا علي الجواب ومثله الجواب
بالفا بعد الشرط والجزاء في قوله تعالي وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشا اختلف
في فيغفر كالاختلاف في وناخذ قراة ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزة
والكسايي جزما بالعطف علي يحاسبكم وقراه عاصم وابن عامر رفعا
علي الاستيناف ويروي نصبه علي الجواب عن ابن عباس رضي الله
عنهما وانما نصبوا الجواب بعد جملة الشرط والجزا لان الجزاء متعلق
بالشرط يقع بوقوعه ويمتنع بامتناعه فاشبه النفي والاشاجع
عروق ظاهر الكف واحدها اشجع وبه سمي الرجل وهو قبل التسمية
مصروف كما ينصرف افكل ويقال رجل عاري الاشاجع اذا كان قليل
لحم الكف. وقوله حسام كالعقيقة فهي كمعي العقيقة الشقة من البرق
وهي ما انعق منه وانعقاقه تشققه والكمع والكميع الضجيع وجاء
في الحديث النهي عن المكامعة والمكاعمة ان يضجع الرجلان في ثوب
واحد ليس بينهما حاجز وقيل المكاعمة ان يقبل الرجل الرجل في فمه
وقوله لا افل ولا افطار اي لا فطور فيه ولا افل والفل الثلم والفطر
الشق وموضع قوله كالعقيقة رفع وصف لحسام ففي الكاف ضمير
عايد علي الموصوف وانتصاب افل علي الحال من المضمر في الكاف
والعامل في الحال ما في الكاف من معنى التشبيه والتقدير حسام

يشبه

يشبه العقيقة غير مفل ولا منفطر وقوله ومطرد الكعوب اي
متتابع الكعوب اي ليس في كعوبه اختلاف يقال اطرد القول
اذا تتابع والكعوب من الرمح العقد ما بين كل انبوبتين كعب
والاحص الاملس يقال احص راسه اذا ذهب شعره وسنة حصا
لا نبت فيها والصدق الصلب وقوله
ستعلم اينا للموت ادنى * اذا دانيت لي الاسل الحرارا
اراد الي الموت ادنى فاذا دانيت الي الاسل فوضع اللام في موضع
الي لان الدنو وما تصرف منه اصله التعدي بالي ومثله في
اقامة اللام مقام الي قوله تعالي بان ربك اوحي لها اي اوحي
اليها ومثله قل الله يهدي للحق ثم قال افمن يهدي الي الحق والاسل
الرماح والحرار العطاش ومن دعايهم رماه الله بالحرة تحت القرة
اي بالعطش تحت البرد وقوله وخيل قد دلفت لها بخيل الدليف
المشي الرويد وهو فوق الدبيب وهي مشي الكتيب وقوله عليها
الاسد تهتصر معنى تهتصر تجتذب اقرانها يقال هصرت الغصن
واهتصرته اذا جذبته ويقال رجل هصر اذا كان شديد الجذب
للاقران ومنه اشتقاق مهاصر اسم رجل والشجاع وصف لعنترة
وشجاعته مشهورة وكان سبب شجاعته محبته لبنت عمه عبلة
وجري له بسببها امور واهوال وقيل وقال. لا ينبغي للاطالة
فيه. لكونه لم ينفك عن فطن نبيه. والشجاعة ممدوحة فقد
ورد في الحديث ان الله يحب الشجاعة ولو علي قتل حية او عقرب
وورد تبركوا بدعاء الاسخياء والشجعان فانهم اهل حسن الظن

بالله اي لما ان الجبان يعتمد الفرار والشجاع يعتمد حفظ الله تعا
وقال مجاهد اذا رايت بالليل سوادا فلا تكن اجبن السوادين ومن
كلام علي رضي الله عنه في اي يومي من الموت افر • يوم لم يقدر ام
يوم قدر • وحكي عنه رضي الله عنه انه امر ان يكتب على راية الحرب
ان باشرته فلا يكن فيك الفشل • اصبر على اهوالها لا موت الا
بالاجل • حكي انه قيل ليزيد بن المهلب انك لتلقي نفسك في المهالك
قال اني ان لم آت الموت مسترسلا اتاني مستعجلا • اني لست آتي الموت
من حبه انما آتي الموت من بغضه ثم تمثل بقوله •

• تأخرت استبقي الحيوة فلم اجد • لنفسي حيوة مثل ان اتقدما •

وقال بعضهم يوم اشتعال نار الحرب هذا اليوم كور الرجال • ولا
يخرج من الكور الا الذهب الخالص • يقال شر اخلاق الرجال الجبن
والبخل وهما خير اخلاق النساء •

• ومن طلب المعالي وابتغاها • ادار له رحي الحرب العوان •
• ومن خشي الردي واختار ذلا • فليس من الحوادث في امان •
• نفوس الخلق اغراض المنايا • فليس بنافع جبن الجبان •

قال الحكيم سبعة اشياء ترفع العبد وان قل عمله وعلمه صفاء
القلب لله والحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق والشهامة
والشجاعة قيل انه لما مات ملك الفرس ارادوا ان يملكوا عليهم
رجلا من آل ساسان فوثب عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الي اسدين
جايعين فاطرحوا بينهما التاج فمن اخذه من الرجال فهو الملك
ففعلوا فلم يتجاسر ان يدنو اليه فتقدم بهرام جور فلما هو باخو

بعض اخبار بهرام جور

اخذ

براس احدهما فادناه من الاخر ثم نطحه فقتلهما معا واخذ التاج
ووضعه على راسه فقبلته الفرس وملكته عليهم • وقيل انه لم
يكن في العجم ارمى منه قيل خرج يوما يتصيد وهو مردف محبوبته
فعرضت له ظبا فقال لها في اي موضع تريدين ان اضع السهم
قالت اريد ان تشبه ذكرانها بالاناث واناثها بالذكران
فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية
بنشابتين اثبتهما موضع القرنين ثم سالته ان يجمع ظلف الظبية
واذنها بنشابة فرمى اصل الاذن ببندقة فلما اهوى الظبي
بيده لاذنه ليحكها رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه • قيل
للاسكندر في عسكر دارا الف الف مقاتل فقال ان القصاب الحاذق
لا يهوله كثرة الاغنام • ليم الاسكندر في مباشرة الحرب بنفسه
فقال ليس من الانصاف ان يقاتل قومي عني وانا اترك القتال
عنهم • وقال لقمان من لم يركب الاهوال لم ينل الامال • وعنه
العدة ليوم الشدة • قيل بالصبر على لبس الحديد • يتنعم
بالثوب الجديد • وبالصبر على النوايب ادراك الرغايب •
الحرب تاخذ وتعطي • والمباشر لها قد يصيب ويخطي •
قال عمر رضي الله عنه لعمرو بن معدي كرب • اخبرني عن الحرب
فقال هي مرة المذاق • اذا قلصت عن ساق • قيل ان الشجاع
محبب حتى الى عدوه • والجبان مبغض حتى الى امه • قالت
عظماء الترك ينبغي للقايد في الحرب ان يكون فيه اخلاق من
البهايم • شجاعة الديك • وقلب الاسد • وحيلة الخنزير

وروغان الثعلب، وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركي،
وحذر الغراب وغارة الذيب. كان لاهل مدينة قايد جيش
جبان وطبيب لم يعالج احدا الا قتله فظهر عليهم عدو فشاوروا
الاسكندر فقال اجعلوا طبيبكم صاحب جيشكم وصاحب جيشكم
طبيبكم. وكتب زياد الى ابن عباس رضي الله عنهما صف لي الشجاعة
والجبن والجود والبخل فقال الشجاع المقاتل عن لا يعرفه
والجبان يفر من عرسه، والجواد يعطي من لا يلزمه حقه، والبخيل
يمنع حتى عن نفسه. وفي الخبر شر ما في الرجل شح هالع وجبن
خالع. يقال الجبان حتف الخوف على احشائه. وطارت عصافير
راسه ان احس بهيعة طار فؤاده وان طنت بعوضة طال
سهاده، يفزعه صرير الباب، وطنين الذباب، ان نظرت
اليه شزرا اغشي عليه شهرا، يحسب خفوق الرياح قعقعة
السلاح. قيل الجبن حرص على تاخير الاجل المحتوم، والشره
حرص على تغيير الرزق المقسوم. وفي وصية سليمان عليه السلام
يا بني لا تخالط السفهاء لان انكسارهم ياتي بغتة لما قيل
هرمز لمحاربة بهرام قال لحاجبه اما تستعد قال عدتي ثبات
قلبي، واصالة رايي، ونصل سيفي، ونصرة ربي. قال ابن الرومي

لم ار شيا حاضرا نفعه، للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته، والسيف يحميه من الحيف

وقال علي رضي الله عنه ان اكرم الموت القتل والذي نفس ابن
ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على فراشه

قيل

قيل لابي مسلم صاحب الدعوة في بعض الكتب النازلة من قتل
بالسيف فبالسيف يموت فقال الموت بالسيف اهون من اختلاف
الاطباء والنظر بالماء ومقاسات الداء بالدواء فذكر ذلك
للمنصور فقال به صادف منيته كما احب. لما اعتل خالد
ابن الوليد جعل يقول لقيت كذا وكذا زحفا في جسدي موضع شبر
الا وفيه ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم وها انا
اموت على فراشي حتف انفي كما يموت العير فلا نامت اعين
الجبناء. استعرض الاسكندر جنده فقدم اليه رجل على فرس
اعرج فامر باسقاطه فضحك الرجل فاستعظم ضحكه في ذلك
المقام فقال له ما اضحكك قال التعجب منك قال كيف قال تحتك
الة الحرب وتحتي له الثبات ثم تسقطني فاعجب بقوله واثبته
وقسم معن بن زايدة سلاحا في جيشه فدفع الى رجل سيفا
رديا فقال اصلح الله الامير اعطني غيره قال خذه فانه مامون
قال هو مامور ان لا يقطع ابدا فضحك واعطاه غيره واما الجبان
فانه من الخوف لا تنام له عينان قال المنصور لبعض الخوارج بعد
الاخذ عرفني من اشد الاصحاب اقداما فقال لا اعرفهم بوجوههم
ولكن اعرفهم باقفيتهم ووقع في بعض العساكر هيجان فوثب
خراساني الى دابته ليلجمها فقصر اللجام في الذنب دهشا فقال
هب جبهتك عرضت ناصيتك كيف طالت. اجتاز كسرى
في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وقد شد دابته والقى
سلاحه فقال كسرى يا هذا اغن في الحرب وانت بهذه الحالة

تنجني من الحرب فقال ايها الامير بلغت هذا السن بالتوقي فضحك
واعطاه مالا قيل لرجل ان انهزمت يغضب الامير وانا
حيّ احبّ الي من ان يرضى وانا ميّت قيل لبعض المنهزمين
من خير الناس قال من صبر اجزاه الله ومن هرب نجاه الله
والهرب من الحرب فضيحة قال سقراط لرجل هرب من الحرب الهرب
من الحرب فضيحة فقال له شر منها لفضيحة الموت قيل لرجل
تعرض له الاسد فافلت منه كيف تخلصت قال بسلامة غران
الاسد لوث سراويلي والعجب من الناظم رحمه الله تعالى انه ذكر
عنترة وهو من فرسان الجاهلية وترك فرسان الاسلام وهم
اشد همة واقوى شكيمة فمنهم البطل الهمام والفارس الضرغام
ليث بني غالب علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فانه
من الفرسان الذي شهد بشجاعته السيف والسنان قال
مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد
الروغان من قرنه لا يكاد احد يتمكن منه وكان درعه صدرا لا
ظهر له فقيل له الا تخاف ان تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا امكنت
عدوي من ظهري فلا ابقى الله عليه ان ابقى علي وقال بعض العرب
ما لقينا كتيبة فيها علي بن ابي طالب الا واوصى بعضنا بعضا
ووقائعه مشهورة وفروسيته في الكتب الصحيحة مذكورة
ومنهم خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله وسيف رسوله
قتل مسيلمة لعنه الله وكان الفتح له يوم اليمامة وهو الذي
فتح دمشق واكثر بلاد الشام وله وقائع عديده وحروب

مشهوره

مشهوره

رضي الله عنه وارضاه ومنهم الزبير بن العوام حواري رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته بطل شجاع لا يماري وشهم
همام لا يجاري ومنهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس من
فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة واسلم ثم ارتد ثم عاد
الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها افعال عظيمة
وكان عمر بن الخطاب اذا راه قال الحمد لله الذي خلقنا وخلق
عمروا قيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه
اني عابر على الجسر فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي
في يدي تلقاء وجهي وقد عرفني القوم وانا قائم بينهم
وان ابطاتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس وحمل على القوم
فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما
نظن ان تدركوه حيا فحملوا وانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه
وقد اخذ برجل فرس من العجم فامسكها والفارس يضرب فرسه
فما يقدر ان يتحرك فلما ادركناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه
فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدتم والله تفقدونني فقال اين فرسك
قال رمي بنشابة فشب عني وروي ان عمروا حمل يوم القادسية
على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية
على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب
عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج
كان فيه اربعون الف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل
بنهاوند في وقعة الفرس بعد ان عمر حتى ضعف وكان من الشعرا

المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس
اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئي ٭ زبيدا فقد اودى بنجدتها عمرو
ومنهم المقداد بن الاسود كان من انجع الفرسان شديد الباس قوي الجنان رابط الجاش وله في الشجاعة اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصفه وصفاته رضي الله عنه وارضاه ومنهم سعد بن ابي وقاص الزهري كان فارسا بطلا راميا وهو اول من رمى في سبيل الله ولما قتل عثمان اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه ومنهم ابو دجانة الانصاري الذي خرج يتبختر بين الصفين يوم احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع ومنهم المثنى ابن حارثة الشيباني وهو اول من فتح حرب الفرس ومنهم ابو عبيد ابن مسعود الثقفي قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية عمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار واخبر انه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضي الله عنه وقوله ذو معناه صاحب وهو احد الاسماء الستة المرفوعة بالواو والمنصوبة بالالف المجرورة بالياء وذو نكرة لا يستعمل الا مضافا الى اسماء الاجناس ولا يضاف الى الضمير وجاء شذوذا في آخر بيت من قصيدة وهو
انما يعرف ذوي الفضل ٭ من الناس ذووه ٭ ولجاز المبرد
اضافتها الى ياء المتكلم فتقول ذي كما تقول فائدة هل ذو

ابلغ من صاحب او العكس قال السهيلي الوصف بذو ابلغ من الوصف بصاحب والاضافة بها اشرف منها به فان ذو تضاف للتابع وصاحب تضاف للمتبوع تقول ابو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب ابي هريرة واما ذو فانك تقول ذو مال وذو العرش فتجد الاسم الاول متبوعا غير تابع وبني على هذا القول انه تعالى قال في سورة الانبيا وذا النون اضافه الى النون وهو الحوت وقال في سورة نون ولا تكن كصاحب الحوت قال والمعنى واحد لكن بين اللفظين تفاوت كثير في حسن الاشارة الى الحالين لانه حين ذكره في معرض الثنا عليه اثنى عليه بذي لان الاضافة بها اشرف من لفظة صاحب وبالنون لان لفظه اشرف من لفظة الحوت لوجوده في اوايل السور اي في الجملة وليس في لفظ الحوت ما يشرفه فلذلك اتى به وبصاحب حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه والجدي بالكسر العطا وكعب بن مامه من اجواد العرب الجاهلية واجوادها على ما قيل ثلاثة ضرب في كرمهم وجودهم المثل وهم حاتم الطاي وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامه الايادي ولذلك قال مادح سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
يعود الفضل منك على قريش ٭ وتكشف عنهم الكرب الشدادا
فما كعب بن مامه وابن اروى ٭ باجود منك يا عمر الجوادا
فاما كعب بن مامه المذكور فانه ليس له خبر مشهور الا ما نقل من جوده بنفسه فانه آثر رفيقه السعدي على نفسه بالماء حتى

مات عطشا ونجي رفيقه سالما فناهيك بهذا الكرم الذي
جاد على رفيقه بالحيوة فصار بذلك يضرب فيها المثل بالجود
فيقال جود كعب قال الجاحظ لما تحكم بان حاتما اجود
العرب لكن الذي يتحدث به عنه لا يبلغ ما ورد عن كعب لانه بذل
النفس والمجهول في المال فساوي حاتما فيه وفاقه ببذل
المهجة واما هرم بن سنان فهو ممدوح زهير بن ابي سلمى احد
الشعراء الثلاث المتقدمين على سائر شعراء الجاهلية وهم
امرئ القيس وزهير المذكور والنابغة واختلف في تقديم
احدهما على الاخر واياه عنى صاحب البردة بقوله

ولم ارد زهرة الدنيا التي اقتطفت • يدا زهير بما اثنى على هرم

ذكر صاحب الاغاني ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر اليه
وله مائة سنة فقال اللهم اعذني من شيطانه فما لاك بيتا
حتى مات وابنه كعب رضي الله عنه صاحب بانت سعاد اسلم
هو واخوه بجير رضي الله عنه وهرم بن سنان كان قد وصل
زهيرا بصلات جمة وكانت عطاياه له خارجة عن العادة
وكان حلف انه كلما مدحه اعطاه حلة وعبدا وامة وقينة
ولا يسلم عليه الا اعطاه كذلك فاستحيى زهير منه فكان اذا
راه في قوم قال انعموا صباحا غير هرم يروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لكعب بن زهير ما فعلت الحلل التي كساها
هرم اباك قال ابلاها الدهر فقال لكن الحلل التي كساها
ابوك هرما لم يبلها الدهر ويروى ان عائشة رضي الله عنها

قالها

قالها لبعض بناته والمشهور من بين الثلاثة بالجود والكرم
المضروب به المثل في كثرة التفضل بالخيل والمال والنعم هو
حاتم وقد ادرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل بعثته
وحكي عن علي كرم الله وجهه انه قال سبحان الله ما ازهد
كثيرا من الناس في الخير عجبا في رجل يقصده اخوه المسلم في
حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف
عقابا لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل
على سبل النجاح فقام اليه رجل وقال يا امير المؤمنين اسمعته
من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما اتي بسبايا طي وقفت
جارية عيطاء لعساء فلما رايتها اعجبت بها وقلت لاطلبنها من
النبي صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت انسيت جمالها لفصاحتها
فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي سبيلي ولا تشمت بي احياء العرب
فاني ابنة سيد قومه وان ابي كان يفك العاني ويشبع الجائع
ويكسو العاري ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط
انا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية
هذه صفات المؤمن ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها
فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق ورايت في بعض الكتب
انها استاذنته في الدعاء له فاذن لها فقالت اصاب الله ببرك
مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم
الا وجعلك سببا في ردها عليه قال ابن الاعرابي كان حاتم
الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره

ويصدق قوله فعله وكان حيث ما نزل عرف منزله وكان صاحب ظفر
اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا اسر اطلق
قيل اغار قوم على طي فركب حاتم فرسه واخذ رمحه ونادي في عشيرته
ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك
فرمي به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك
لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي الا العطا
وكان اذا اشتد البرد وعظم الشتاء امر غلامه فاوقد نارا في
بقاع الارض لينظر اليها فيهتدي بها ويقول • اوقد فان الليل
قر • والريح يا موقد ريح صر • عسي يري نارك من يمر • ان جلبت ضيفا
فانت حر • واول ما ظهر من جود حاتم ان اباه خلفه في ابله وهو غلام
فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن ابي خازم
والنابغة الذبياني يريدان النعمان فقالوا لحاتم هل من قري ولم
يعرفهم فقال تسالوني عن القري وقد رايتم الابل والغنم انزلوا
فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسالهم عن اسمائهم فاخبروه ففرق
فيهم الابل والغنم وجاء ابوه فقال ما فعلت فقال طوقتك مجد
الدهر تطوق الحمام وعرفه فقال ابوه اذن لا ابالي وكانت امه عتبة
بنت عفيف موسرة وكانت لا تمسك شيئا وكان اخوتها يمنعونها فابت
فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما كانت تصنع
ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعي بها فاتتها
امراة من هوازن فسالتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت
من الفقر ما اليت ان لا امنع سائلا شيئا واتي حذوه علي طبيعة

والديه اشار في قوله من شعر • وان الغني عارية فتزود •
اعاذل ان المال غير مخلد • وانما الغنى عارية فتزود •
وكم من جواد يفسد اليوم جوده • وصعلوك قد ذكرنا الفقر في غد •
وكم لئيم اباي مما كف جودهم • ملام ومن ايديهم خلقت يدي •
وحكي عن زوجته النوار انها قالت اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض
وضنت لها المراضع على اولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيد
ما بين الطرفين اذ تصاغي اولادنا عبد الله وعدي وسفانة
فقام الي الصبيين وقمت الي الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد
هدوء من الليل ثم ناموا ونمت انا واياه فاقبل علي يحدثني يعللني
بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما ياتيني نوم فقال ما لها انامت
فسكتت فلما تغورت النجوم اذا شيء رفع كسر البيت فقال من هذا قالت
جارتك فلانة قال ما لك قالت اتيتك من عند صبية يتعاوون
تعاوي الكلاب من الجوع قال اعجليهم فهبت اليه فقلت ماذا تصنع
فوالله لقد تضاغي صبيتك من الجوع فقال اسكتي واقبلت المراة
تحمل اثنين وتمشي جانبها اربعا كانها نعامة حولها رئالها فقام الي
فرسه فذبحه وكشط عن جلدها ودفع المدية الي المراة ثم
قال ابعثي صبيانك فبعثتهم واجتمعنا فقال سوءة لكم تاكلون
دون اهل الصرم ثم جعل ياتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار فاجتمعوا
والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا والله ما ذاق منها مزعة وانه
لاحوج منا واصبحنا وما على الارض الا عظم او حافر وكان الناظم
انما عدل عن ذكر حاتم الي ذكر كعب بن مامة لاجل القافية وكان

بعض مكارم ابن عباس

الاحق بالذكر كرماء الاسلام فانهم اولي ببث المكارم السنيه
من كرماء الجاهلية . فمنهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فانه
اول من فطر جيرانه واول من وضع الموائد علي الطريق وكان اذا
خرج من بيته طعام لا يُعاد منه شيٌ فان لم يجد من ياكله تركه علي
الطريق ومن جوده انه اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه
وقال له يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فنظر
اليه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال رايتك واقفا بزمزم
وغلامك يملاء لك من مايها والشمس قد لفحتك فظللتك بطرف
كسائي حتي شربت قال اجل اني لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك
قال مايتا دينار وعشرة الاف درهم فقال ادفعها اليه وما اراها
تفي بحق يده عندنا ومن كرمه ان معاويه رضي الله تعالى عنه حبس
علي سيدنا الحسين رضي الله عنه صلته حتي ضاق عليه فقيل
له لو وجهت الي ابن عمك عبد الله بن عباس لكفاك ذلك فوجه
اليه رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية رضي الله عنه صلاته
وقد ضاق حاله لذلك وانه محتاج الي مائة الف فلما قراء كتابه
وكان رضي الله عنه من ارق الناس قلبا والينهم عطفا انهملت
عيناه ثم قال ويكون معاوية لين المهاد رفيع العماد والحسين
يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل
الي الحسين نصف ما املكه من ذهب وفضة ودابة واخبره اني
شاطرته مالي فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر
الثاني فلما اتي الرسول الي الحسين رضي الله عنه قال انا لله ثقلت

علي

مآثر معن

علي ابن عمي وما كنت احسب انه يتسع بهذا كله فاخذ الشطر ومنهم
عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فمن جوده ما نقل ان عبد الرحمن ابن
ابي عمارة دخل علي نخاس يعرض جواري للبيع فشغفه حب واحدة منهن
ولم يكن له جدة يتوصل بها الي الشراء فشبب بذكرها فمشي اليه عطاء
وطاوس ومجاهد يلومونه في ذلك فكان جوابه
يلومني فيك اقوام اجالسهم . فما ابالي اطار اللوم ام وقعا
فانتهي خبره الي عبد الله بن جعفر فلم يكن هم غيره فحج وبعث الي مولي
الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان
تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال ما
لي لا اري ابن ابي عمارة زارنا فاخبر بذلك فاتي مسلما فلما ان اراد
ان ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال حبها في اللحم
والدم والمخ والعصب قال اتعرفها ان رايتها قال ان دخلت الجنة
لم انكرها فامر عبد الله ان تخرج اليه وقال انما اشتريتها لك ووالله
ما دنوت منها فشانك بها بارك الله لك فيها فلما ولي قال يا
غلام احمل معه مائة الف درهم قال فبكي عبد الرحمن وقال يا اهل
البيت والله لقد خصكم الله بشرف ما خص به احد من اولاد آدم
فهنا لكم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها ومن الكرماء المعدودين
الذين يضرب بهم المثل معن بن زائدة كان شجاعا جوادا جزيل
العطا كثير المعروف وكان في ايام بني امية متنقلا في الولايات
ومنقطعا الي يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري امير العراقين
فلما انتقلت الدولة الي بني العباس وجري بين ابي جعفر المنصور

وبين يزيد بن عمر والمذكور من محاضرته بمدينة واسط مشاهد
مشهورة ابلى معن مع يزيد بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن
من المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له في مدة استتاره غرائب
فمن ذلك ما حكاه مروان بن ابي حفصة الشاعر المذكور قال اخبرني
معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد في
طلبي وجعل لمن يحملني مالا قال فاضطررت لشدة الطلب الى ان
تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة
صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الى البادية لاقيم بها قال فلما
خرجت من باب حرب وهو احد ابواب بغداد تبعني اسود متقلد
سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض خطام الجمل فاناخه وقبض
على يدي وقال انت طلبة امير المومنين فقلت ومن انا حتى
اطلب قال انت معن بن زائدة فقلت له يا هذا اتق الله واين انا
من معن قال دع هذا فوالله اني لاعرف بك منك فلما رايت منه الجد
قلت له يا هذا ان هذا جوهر قد احتملته معي باضعاف ما جعله
المنصور لمن اتاه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي فقال
هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست
قابله منك حتى اسالك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت
قل فقال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت مالك
كله قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ
العشر فاستحييت وقلت اظن اني فعلت هذا فقال ما ذاك
بعظيم انا والله رجل ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون

درهما

درهما وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك
لنفسك وجودك ولتحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن
مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام البعير وولى منصرفا
فقلت يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلت
فخذ ما دفعته اليك فاني عنه غني فضحك وقال اردت ان تكذبني
في مقالي هذا والله لا اخذته ولا اخذت لمعروف ثمنا ابدا ومضى
لسبيله فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما
شاء فما عرفت له خبرا وكان الارض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى
كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من اهل خراسان
على المنصور ووثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين
اصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب
من الكوفة وذلك في ذي القعدة سنة ١٣٤ وكان معن بن زائدة
متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما متلثما وتقدم الى القوم
وقاتل قدام المنصور قتالا ابان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم
فلما افرج عن المنصور قال له من انت ويحك فكشف لثامه وقال
انا طلبتك يا امير المومنين معن بن زائدة فامنه المنصور واكرمه
وحباه وكساه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في بعض الايام
فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة ما بقدرهم
على قوله فيك * معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان *
فقال كلا يا امير المومنين انما اعطيته على قوله في هذه القصيدة
* ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن *

فسمت حوزته وكنت وقاءه • من كل وقع مهند وسنان • فقال
احسنت يا معن ما اكثر وقوع الناس في قومك فقال •

• ان العرانين تلقاها محسدة • ولا ترى للئام الناس حسادا •

ودخل عليه يوما وقد اسن فقال كبرت يا معن قال في طاعتك يا
امير المومنين قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المومنين م
وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال
ويح هذا ما ترك لربه شيا واشهر قصايد مروان فيه القصيدة
اللامية وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الاطالة
لذكرناها برمتها ونقتصر على بعضها ولمعن اشعار كثيرة جيدة
اكثرها في الشجاعة وقد ذكره ابو عبد الله المنجم في كتاب البارع
واورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله •

• هلا مشيت غداة يوم لقيتهم • وصبرت عند الموت يا خطاب •
• وتركت صحبك والرماح تنوشهم • وكذاك من قعدت به الاحساب •

وقال ابو عمار المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال
بينما انا على راس معن اذ هو براكب فقال معن ما احسب الرجل
يريد غيري ثم قال لحاجبه لا تحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وانشد

• اصلحك الله قل ما بيدي • فما اطيق العيال اذ كثروا •
• اناخ دهر رمى بكلكله • فارسلوني اليك وانتظروا •

فقال معن لاعجلن اوبتك ثم قال يا غلام ناقتي الفلانية والف
دينار فدفعهما اليه وهو لا يعرفه هكذا روى الخطيب في تاريخه
واخبار كثيرة وكان قد ولي سجستان في اخر امره وانتقل

اليها ولد فيها اثار واخبار وقصده الشعراء بها فلما كان سنة
احدى وخمسين ومائة كان في دار صناع يعملون له شغلا فاندس
بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم ثم تبعهم ابن اخيه يزيد
ابن مزيد بن زائدة فقتلهم باسرهم وكان قتله بمدينة بست
ولما قتل معن رثاه الشعراء باحسن المراثي فمن ذلك قول مروان
ابن ابي حفصة وهي قصيدة من فحل الشعر واحسنه واولها •

• مضى لسبيله معن وابقى • مكارم لن تبيد ولن تنالا •
• كان الشمس يوم اصيب معن • من الاظلام ملبسة جلالا •
• وعطلت الثغور لفقد معن • وقد يروى بها الاسل النهالا •
• واظلمت العراق واورثتها • مصيبته المجللة اختلالا •
• اصاب الموت يوم اصاب معنا • من الاحياء اكرمهم فعالا •
• وكان الناس كلهم لمعن • الى ان زار حفرته عيالا •
• وما كانت تجف له حياض • من المعروف مترعة سجالا •
• فليت الشامتين به فدوه • وليت العمر مد له فطالا •
• مضى لسبيله من كنت ترجو • به عثرات دهرك ان تقالا •
• وقائلة رات جسمي ولوني • عن عهدها قلبا فحالا •
• اري مروان عاد كذي نحول • من الهندي قد فقد الصقالا •
• فقلت لها الذي انكرت مني • لفجع مصيبة ابكي رجالا •
• وايام المنون لها صروف • تقلب بالفتى حالا فحالا •
• فلهف ابي عليك اذا اليتامى • غدوا سغبا كان بهم سلالا •
• اقمنا باليمامة اذ يئسنا • مقاما لا نريد به زيالا •

وقلنا اين نرحل بعد معن ۔ وقد ذهب النوال فلا نوالا
رثاك اخو امية بالمراثي ۔ مع المدح الذي قد كان قالا
والقي رحله ابدا وآلا ۔ يمينا لا يشد لها حبالا

وهذه المرثية من احسن المراثي وقال عبد الله بن المعتز في طبقات الشعراء دخل مروان بن ابي حفصة علي جعفر البرمكي فقال له ويحك انشدني مرثيتك في معن فانشا يقول هذه المرثية فقال

وكان الناس كلهم لمعن ۔ الي ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه علي خديه فلما فرغ قال له جعفر هل اثابك علي هذه المرثية احد من ولده واهله شيئا قال لا قال جعفر لو كان معن حيا ثم سمعها منك كم يثيبك قال أصلح الله الوزير اربعماية دينار قال فانا نظن انه كان لا يرضي لك بذلك قال قد امرنا لك عن معن بالضعف مما ظننت وزدناك نحو مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وستماية دينارا قبل ان تنصرف الي رحلك فقال مروان يذكر جعفرا

نفحت مكافئا عن قبر معن ۔ لنا مما يجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيي ۔ لنادبه ولم ترد المطالا
فكافا عن صدي معن جواد ۔ باجود راحة بذل النوالا
بنا لك خالد وابوك يحيي ۔ بناء في المكارم لن ينالا

ثم قبض المال وانصرف وحكي ابو الفرج في كتابه عن محمد النديم انه دخل علي هارون الرشيد فقال له انشدني مرثية مروان بن ابي حفصه في معن بن زايدة فانشده بعض هذه القصيدة فبكي الرشيد وكان

بين

بين يديه سكرجه فملاءها من دموعه ويقال ان مروان لم ينتفع بشعره بعد هذه المرثية فانه كان اذا مدح خليفة او من دونه قال له انت قلت في مرثيتك

وقلنا اين نرحل بعد معن ۔ وقد ذهب النوال فلا نوالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع شعره ومن المراثي النادرة ايضا ابيات الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدي يرثي معن ابن زايدة وهي من ابيات الحماسة

الا فالما بمعن وقولا لقبره ۔ سقتك الغوادي مربعا بعد مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده ۔ وقد كان منه البر والبحر مترعا
فيا قبر معن انت اول حفرة ۔ من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلي قد وسعت الجود والجود ميت ۔ ولو كان حيا ضقت حتي تصدعا
فتي عيش في معروفه بعد موته ۔ كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضي معن مضي الجود وانقضي ۔ واصبح عرنين المكارم اجدعا

وجاءه اعرابي فقال له احملني ايها الامير فامر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه

ويقرب من هذه ما وقع للصاحب بن عباد انه سال عن ابي القاسم الزعفراني وقد دخل الي بيت الصاحب وكان الصاحب يحب الحشم فلبس خدمته احسن الثياب فقيل له انه في مجلس كذا يكتب فقال علي به فاستمهل الزعفراني حتي يتم ما كتبه فاعجله الصاحب وامر ان يوخذ من يده ذلك الدرج فقام الزعفراني اليه وقال ايد الله مولانا وانشده ۔ ايا من عطاياه تهدي الغنا ۔ الي راحتي من نأي او دنا

كسوت المقيمين والزائرين كسا لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز الا انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن بن زايدة الشيباني ان اعرابيا قال له احملني ايها الامير القصد ونحن قد امرنا لك بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكسا وجورب وكيس ولو علمنا لباسا اخر نتخذه من الخز لاعطيناك ثم امر بادخاله الخزانة وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن ملبسه له فلما بلغ المعلى بن ايوب حكاية معن قال رحم الله معنا لو كان يعلم ان الغلام يركب لامر له به ولكنه كان عربيا محضا لم يدنس بقاذورات العجم وكان ابن معن شراحيل معدودا من الكرماء ما يحكي ان ولد مروان بن ابي حفصة دخل على شراحيل المذكور فانشده قوله

ايا شراحيل بن معن بن زايدة يا اكرم الخلق من عجم ومن عرب
اعطى ابوك ابي مالا فعاش به فاعطني مثل ما اعطى ابوك ابي
ما حل قط ابي ارضا ابوك بها الا واعطاه قنطارا من الذهب

فاعطاه شراحيل قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ما يروى عن الحطية الشاعر المشهور انه لما اعتقله سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة لسانه وكثرة هجوه للناس كتب اليه من الاعتقال

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت رجلهم في قعر مظلمة فارحم عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه القت اليك مقاليد النهى البشر

ما

ما اثروك بها اذ قدموك لها لكن لانفسهم قد كانت الاثر

اخبار علقمة

فاطلقه وشرط عليه ان يكف لسانه عن الناس فقال يا امير المؤمنين اكتب لي كتابا الى علقمة بن علاثة لاقصده به فقد منعتني التكسب بشعري وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الاجواد المشاهير فامتنع عمر من ذلك فقيل يا امير المؤمنين وما عليك في ذلك ليس من عمالك ولكن انما هو رجل من المسلمين يتشفع بك اليه فكتب اليه بما اراد فمضى الحطية بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه وانشد

لعمري لنعم المرء من ال جعفر بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحي لا املك حياتي وان تمت فما في حياتي بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى الا ليال قلائل

فقال له ابنه كم كنت تظن ان علقمة يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من اولادها فاعطاه ابنه ذلك من ساعته ومن الكرماء المشهورين يزيد بن المهلب وله اخبار في الكرم مشهورة فمن ذلك ما اخبر به الاصمعي قال ان الحجاج قبض على يزيد وعاقبه باشد العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم فان اداها والا عذبه اشد العذاب قال فجمع يوما مائة الف درهم ليشتري بها عذاب يومه فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال

ابا خالد بادت خراسان بعدكم ولا اخضر بالمروين بعدكم عود

فما شرف الملك بعدك تقتني ... ولا الجود بعد جودك من جود

قال فاعطاه المائة الف فبلغ ذلك الحجاج فدعاه وقال يا اكل هذا الكرم وانت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده وقال الحافظ ان يزيد لما هرب من الحجاج قاصداً سليمان بن عبد الملك فاجتاز في طريقه على ابيات عرب فقال لغلامه استسق هولاء لنا لبنا فاتاه بلبن فشربه وقال اعطهم الف درهم فقال الغلام ان هولاء لا يعرفونك قال لكني اعرف نفسي اعطهم الف درهم قال سعيد بن عمرو بن العاص كنت موافقاً ليزيد بن المهلب فلما حبسه عمر بن عبد العزيز منع الناس من الدخول عليه فاتيته فقلت يا امير المومنين لي على يزيد خمسون الف درهم وقد حلت بيني وبينه فان رأيت ان تاذن لي فاقتضه فاذن له فدخل عليه فسر به يزيد وقال كيف دخلت علي فاخبره سعيد فقال والله لا تخرج الا وهي معك فامتنع سعيد فحلف يزيد ووجه الى منزله وحمل الى سعيد خمسين الف درهم وقد مدحه عمرو بن لجاء فقال

آل المهلب قوم ان نسبتهم ... كانوا المكارم اباءً واجدادا

ان العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى لليام الناس حسادا

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم ... مهما احتكمت من الدنيا لما حادا

ان المكارم ارواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس اجسادا

ودخل على يزيد احدهم

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... احداً سواك الى المكارم ينسب

رجال ثقفاتهم

فاصبر

فاصبر لعادتك التي عودتنا ... او لا فارشد نا الى من نذهب

فامر له بالفي دينار فلما كان من العام القابل وفد عليه وانشده

ما لي ارى ابوابهم مهجورة ... وكان بابك مجمع الاسواق

حابوك ام هابوك ام شاموا الندى ... بيديك فانتجعوا من الافاق

اني رايتك للمكارم عاشقاً ... والمكرمات قليلة العشاق

سخا أهل البيت

فامر له بعشرين الف درهم ومن المعلوم انه لا سخاء يعادل سخاء ال البيت رضي الله تعالى عنهم فقد سال رجل الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما فاطال بالاعتذار اليه ليرضى بقبول ما عنده لقلته ثم حاسب وكلاءه عليه فاذا هو خمسماية الف درهم وخمسماية دينار ثم لما لم يبق عنده شي اعطاه رداءه ليبيعه في كرا الحمالين لهذا المال وخرج الحسنان وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بخبا عجوز بها شاة فسالوها فسقتهم لبنا ثم ذبحتها لهم فامروها اذا رجعوا ان تاتيهم فلما رجعوا اتت اليهم فلم تجتمع بهم هو دخلت المدينة فراها الحسن فعرفها واعطاها الف شاة والف دينار ثم ارسلها للحسين فاعطاها مثله ثم لعبد الله ابن جعفر فاعطاها مثلهما وقال لو بدات بي لعجزتهما فرجعت باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار وسال الحسن معاوية رضي الله عنهما في دين عليه فاعطاه ثمانين الف درهم دينار ومدح ابو مرثد بعض الكرماء فقال لما مدحه ما عندي ما اعطيك ولكن ادع علي بعشرة الاف واحبسني فان اهلي لا يتركوني فقمل فا ابى

الاوهم معه واشتري بعضهم دارا بسبعين الفا فسمع بكاء
اهله فوهبهم الدراهم والدار وكان دخل الامام الليث ابن
سعد كل يوم الف دينار ومن ثم لما ارسل الرشيد لمالك بن انس
خمسماية دينار ارسل اليه الليث الفا فعاتبه الرشيد فقال
يا امير المومنين مدخلي كل يوم الف دينار واستحييت ان اعطي
مثله اقل من دخل يوم وكان الليث لا يتكلم كل يوم حتي يتصدق
علي ثلاثماية وستين مسكينا ومرض قيس بن سعد بن عبادة
رضي الله عنهما فاستبطا اخوانه عن عيادته فقيل له انك
عليهم ديونا وانهم يستحيون منك فامر مناديا ببراءة كل من
عليه حق ولما مرض الامام الشافعي رضي الله عنه مرض موته اوصي
ان فلانا يغسله فلما حضر امر باحضار تذكرته فاذا فيها هي
سبعون الف دينار علي الشافعي فقضاها ذلك الرجل وقال هذا
غسلي اياه ووصل المامون عباد المهلبي بماية الف فتصدق
بها فلما عاد اليه عاتبه فقال يا امير المومنين منع الجود
سوء الظن بالمعبود فاعطاه مايتي الف وسال رجل سعيد بن العاص
فامر له بماية الف درهم فبكي فقال له ما يبكيك قال ابكي كيف تاكل
الارض مثلك فامر له بماية الف اخري وروي انه كان لعثمان علي
طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فلقيه فقال قد تهيا مالك
فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة علي مروتك اي لانه في مرة
واحدة فرق علي قومه اربعماية الف وبكي علي رضي الله عنه قيل
فقال لم ياتني ضيف من منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله

اهانني وقد جاء لعايشة رضي الله عنها ماية الف فتصدقت
بها في يومها وهي صايمة ولم تشتر لها لحما بدرهم لتتعشي به كان
للزبير رضي الله عنه الف مملوك يودونه اليه الخراج كل يوم
فيخرج الكل ولا يدخل بيته منها درهما واحدا وكان دخل الليث
في السنة ثمانين الف دينار ولم تلزمه زكاة قط لكونه كان
ينفدها اولا فاولا وقدم الامام الشافعي رضي الله عنه من اليمن
ومعه عشرون الف دينار فلم يصل الظهر حتي فرقها كلها وكان
ينشد رضي الله عنه

اري نفسي تتوق الي امور ... يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

قيل من ليس له احسان ليس له اخوان وقال علي كرم الله وجهه

سامنح مالي كل من جا طالبا ... واجعله وقفا علي النفل والفرض
فاما كريم صنت بالمال عرضه ... واما لييم صنت عن ماله عرضي

وقال يسود المرء قومه بالاحسان اليهم وللمتنبي

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ... سرور محب او اساءة مجرم

ولابي النواس

فتي يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم ان الدايرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

وقال بعض الحكماء من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك
العباد ولبعض السلف الايدي ثلاث يد بيضا وهي الابتدا
بالمعروف ويد خضرا وهي المكافية ويد سودا وهي المن

وقال علي كرم الله وجهه السخاء ما كان ابتداء واما ما كان عن
مسئلة فحياء قال ابن عباس لابن اخيه افضل العطية ما اعطيت
الرجل قبل المسئلة فاذا سالك فانما تعطيه ثمن ماء وجهه حين
بذله لك وفي هذا المعنى

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله . عوضا وان نال الغنى بسؤال
فاذا السؤال مع النوال وزنته . رجح السؤال وخف كل نوال

ولآخر . ماء كفك ان جاد وان بخلت . من ماء وجهي اذا افنيته عوضا

يقال اعلى النوال ما وصل قبل السؤال . وقيل اولى الناس بالنوال
ازهدهم في السؤال . وقيل افضل الفعال . صيانة العرض بالمال
قيل من حفظ ماله ضيع رجاله . قيل للاسكندر لم لا تكنز
الاموال كما كانت تفعل الملوك فقال كنوزي أصحابي أكنز المال
فيهم لا في البيوت وقال افلاطون من لم يواس لاخوان عند
دولته خذلوه عند فاقته . يقال من بسط يده بالانعام صارت
نعمته على الدوام . ومن جاد والكرام امن من الاعدام . ومن قربت
ربه بعد ذكره ولبعضهم

حسن الفعال مدا الايام مقصود . والمرء بالفعل مذموم ومحمود
وانما يرفع الانسان اربعة . العلم والحلم والاحسان والجود

يقال من هان عليه المال . توجهت له الامال . ومن رقي درجات
الكرم . عظم في عيون الامم . ومن كبرت همته عظمت قيمته . وفي
الحكمة ثواب الجود خلف ومحبة ومكافاة . وجزاء البخل حرمان
واتلاف ومذلة قيل من بذل فلسه صان نفسه . قيل لانسان

عبدا لاحسان . واحق الناس في خلتك . اصدقهم في خلتك ولبعضهم
ومامال من اعطى الكرام بناقص . ولكنه عند الكرام ودائع

ولبعض الحكماء عجبا لمن يشتري العبد بماله . كيف لا يشتري
الاحرار بنواله . وللامام الشافعي رضي الله عنه

احسن الى الاحرار تملك قلوبهم . وخير مجازات الكرام اكتسابها

ولابي الفتح البستي

من جاد بالمال مال الناس قاطبة . اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له . على الحقيقة اخوان وخلان

قيل استقلل كثير ما تعطي . واستكثر قليل ما تاخذ فان
قرة عين الكريم فيما يعطي ومسرة اللئيم فيما ياخذ وقالت جويرية
بنت المنضر رحمها الله تعالى

لا يالف الدرهم المضروب صرتنا . لكن يمر عليها وهو منطلق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا . ظلت الى طرق المعروف تستبق

وقال الاخر . ملأت يدي من الدنيا مرارا . فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكوة مال . وهل تجب الزكاة على الجواد

ولابي تمام الطائي

ايقنت ان من السماح شجاعة . وعلمت ان من الشجاعة جودا

قيل لبوزرجمهر اي شيء ملكت وانت به اشد سرورا قال مكافاتي
الى من احسن الي وقال علي كرم الله وجهه عاتب اخاك بالاحسان
اليه واردد شره بالانعام عليه قيل ان ذا القرنين قال
لاستاذه ارسطا ليس انصحني فقال ملكت البلاد بالفرسان

فاملك القلوب بالاحسان ولبعضهم
ان الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا وتعيد مضطغن العداوة
بعد بغضته حبيبا تنفي الضغينة من ذوي الشحنا وتمحق الذنوبا
وقال ابو حاتم رحمه الله تعالى البخل شجرة في النار اغصانها في
الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار والكرم شجرة في الجنة
واغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها جره الى الجنة
والجنة دار الاسخياء وقال بعضهم
اصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال
احتال للمال ان أودى فاكسبه ولست للعرض ان اودى بمحتال
ولاخر اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
اذا اقبلت لا في كل شي سئلته فليس الى حسن الثنا سبيل
ومن كلام الشافعي الامام رضي الله تعالى عنه
يا لهف نفسي على مال أجود به على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسألني ما ليس عندي من احدى المصيبات
ولعمري كما يطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ
القاصد كما انما السيف للذب والدفع والمدية للقطع والقطع
وعن ابي ذر انما المال ثلاثة الحاجة او الوراثة فلا تكن أعجز
الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف
به وجهه ويؤدي به امانته ويصل به رحمه الله ولله در القائل
ولا تجمع الاموال الا لبذلها كما لا يساق الهدي الا الى النحر
ولله در ابي الحسين الجزار حيث يقول

اذا كان لي مال علي مراصونه وما ساد في الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوما ذا يسار فانه خليق لعمري ان يجود بمينه
وقال المتنبي وكلما التقى الدينار صاحبا في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
مال كانه غراب البين يرقبه فكلما قيل هذا مجتدٍ نعبا
وقد قال بعض شراح ديوانه ان البيت الاول من معاني ابي الطيب
الذي يناقض اولها اخرها حيث قرر اولا ان الدينار يلتقي صاحبه
ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما انتهى وليس ذلك بالقوي لان
الصحبة اخص من اللقي فليس كل من لقيته صحبته فكانه يقول
اذا اتاه الدينار لا يمكث عنده بل يخرج عن قريب كقولها لا يعرف
لا يعرف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
وما احسن قول الطغرائي
ساحجب عني اسرتي عند عسرتي وابرز فيهم ان اصبت ثراء
ولي اسوة بالبدر ينفق نوره فيخفى الى ان يستجد ضياء
وكان الطغرائي الم بقوله وابرز فيهم ان اصبت ثراء بقول ابي
تمام ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن
حكي ان الامير بدر الدين بيليك الخزندار احضر الى البلاد
تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه اشتغلت به الايام
الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه الى الديار المصرية
وكتب اليه رقعة
كنا سوا في بوس نقاسيه والقلب والطرف منا في اذى وقذى
والان اقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا

فاعطاه عشرة الاف درهم وقال الطغرائي في اللامية

اريد بسطة كف استعين بها • على قضاء حقوق للعلي قبلي

وقد كني الطغرائي عن الغني ببسطة الكف لان الغني يبسط كفه
بالنفقة وكل منفق باسط كفه وقد شاع تسمية الانفاق بالكف
بالبسط كما شاع تسمية الامساك بالقبض قال تعالي ولا تجعل
يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالي
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل
يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فان قيل ما الفايدة في تثنية
اليد هنا قلنا ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمتا الدنيا والدين
او الباطنة والظاهرة او ما يتعلق بالدنيا والاخرة وان اردنا
القوة فالمراد الاقتدار علي الموت والحيوة او الخذلان والنصر
او الغني والفقر وما اشبه ذلك وان اردنا الملك فالمراد ملك
الدنيا والاخرة او الايمان والكفر او السعادة والشقاوة وما
اشبه ذلك وعلي كل تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق
كيف يشاء اي يتمكن من اعطاء الدنيا والدين او الاماتة والاحيا
او السعادة والشقاوة ردا علي اليهود فيما زعموا ولنذكر نبذة
من الاحاديث الواردة في فضل السخا من ذلك الحديث الصحيح سئل
صلي الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال الصبر والسماحة
وحسن الخلق قال صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالي اطلبوا
الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت
فيهم رضاي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم

وقف علي هذا التنفيس

سخطي

سخطي وصححه الحاكم واعترض بانه ضعيف وصح ان الله كريم
يحب الكرم ويحب معالي الامور ويكره سفسافها وصح طعام الجواد
دواء وطعام البخيل داء وصح ان الله جعل للمعروف وجوها من
خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعله ووجه طلاب المعروف
اليهم ويسر عليهم عطاهم كما يسر الغيث الي البلدة الجدبة فيحييها
ويحيي بها اهلها وصح كل معروف صدقة والدال علي الخير كفاعله
زاد ابو يعلي والله يحب اغاثة الملهوف وروي الطبراني وغيره
تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وفي رواية اقيلوا
السخي زلته ورواه ابن الجوزي في الموضوعات والحق انه ضعيف كما قاله
الهيتمي ومثله قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال جبريل
قال الله تعالي هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء
وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما
صحبتموه ومثله ما جبل ولي الله الا علي السخا وحسن الخلق ومثله
خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما
اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخا واما اللذان يبغضهما
الله تعالي فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا صير حوايج
الناس اليه وفي رواية استعمله علي قضاء حوايج الناس ومثله
الرزق وفي رواية الخير الي مطعم الطعام وفي رواية الي البيت
الذي يغشي ومثله ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن

بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عز وجل عنه وحولها الى
غيره ومثله الجنة دار الاسخياء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات
ورده غيره بان له طريقا اخر ضعيفا ومثله من عظمت نعمة الله عنده
عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المونة عرض تلك النعمة
الى الزوال وقال بعض الحفاظ انه باطل وبعضهم انه منقطع
وابن عدي يرويه من وجوه كلها محفوظة ومثله اصنع المعروف
الى من هو اهله والى من ليس اهله فان اصبت اهله وان لم تصب
اهله فانت من اهله ومثله ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة
ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور
والنصح للمسلمين ومثله حديث جابر بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة سيد الانصار
فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت فوائد
تتعلق بهذه الاحاديث الاولى منها في الجمع بين ما جاء
في مدح المال وذمه اعلم ان الله تعالى سمى المال خيرا في مواضع
من كتابه ومر حديث نعم المال الصالح وكل ما جا في ثواب الصدقة
والضيافة والاحسان والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه وصلة
اليه وفي حديث عند البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا
وهو ثناء على المال ووجه الجمع ان المال ليس خيرا محضا
من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل
يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كحية في يد انسان

منها

منها سم وترياق ولكن سمها اكثر واغلب وارجي للنفوس
واذهب وكل ما هو ذو وجهين كذلك لا يطلق مدحا الا على ما كان
وصلة الى رضي الله تعالى وامتثال الاوامر فيها الواجبة والمندوبة
وذمه على ضد ذلك وانما كثر ذكر ذمه لان الغالب انه يطغي
صاحبه ويرديه ويعميه ويحجزه عن فعل الخير فيه بل يتخذه كنزا او
يتوصل به الى ما يغضب الله تعالى عليه من التكبر به على الناس
واستهانتهم واستذلالهم وقطع رحمهم وصلتهم والاعراض عن
حاجاتهم ومواساتهم بل كثيرا ما يكون كثرة المال سببا لمزيدها
حتى ياخذ اموال الناس بالشوكة تارة والحيل والخديعة والمكر
اخرى فتنبه يا من خول مالا ان يطغيك الى ان تصير كثعلبة
قصة ثعلبة
المنافق التي قصته مشهورة وهي ما رواه الطبراني والبيهقي وابن
ابي حاتم والطبري وابن مردويه والباوردي وابن السكن وابن
شاهين والعسكري واخرون قال الحافظ السخاوي بسند ضعيف
قصة كثرة مال ثعلبة بن ابي حاطب الذي نافق وكفر بسببها
بعد ان كان من مشاهير الصحابة وليس هو البدري فان هذا قتل
باحد واسمه بن حاطب بلا ابي وحاصلها انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان يرزقه الله مالا فقال له قليل
تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي حقه او قال لا تطيقه فاعاد
السؤال فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى ان
تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي
الجبال ذهبا وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق نبيا

لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولافعلن
ولافعلن فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ
غنما فنمت الى ان ضاقت بها المدينة فتنحى بها فكان يشهد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة النهار فقط ثم نمت حتى انقطع
عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبر بحاله فقال ياويح ثعلبة ثلاثا ثم ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عاملين على جباية اموال الزكوة وقال مرا بثعلبة
وبفلان رجل من بني سليم فاتيا ثعلبة وقرآ عليه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية انطلقا
حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فاعطاهما خيار ماله
ثم رجعا لثعلبة فقال هذه الجزية انطلقا حتى ارى رايي فاتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حين رآهما من بعيد ياويح
ثعلبة فاخبراه بما صنع فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية ،
فاخبره قريب له بذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله
ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك فجعل
يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
عملك امرتك فلم تطعني فرجع فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء بها
الى ابي بكر فلم يقبلها ثم لعمر فلم يقبلها ثم لعثمان فلم يقبلها
وهلك في زمنه فانظر في طغيانات المال وما يتولد عنه من الآفات
اعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه امين و بالجملة فالكرم

محمود

محمود والبخل مذموم لكن الافراط في كل منهما هو المذموم ولذلك
قال ابن الوردي في لاميته ،

بين تبذير وبخل رتبة ، وكلا هذين ان زاد قتل ، وحد
التبذير ان يضيع المال باحتمال غبن فاحش في المعاملة او رميه
في نحو البحر او بغرمه في محرم ولو كان صغيرة وهذا التبذير الحرام
واما التبذير المكروه والجائز فهو صرف المال في المطاعم والمشارب
والملابس والصدقة في وجوه الخير والحال انه لا يليق بحاله ذلك
واما البخل فقد اختلفت فيه عباراتهم والحق انه على قسمين شرعي
وعرفي بحسب اعتقاد معتقده فحده شرعا ترك الواجب فكل من
ادى الواجبات عليه في ماله فليس ببخيل وان بلغ ماله من الكثرة
ما بلغ ولو اشتهر امساكه وشحه عند الناس ما اشتهر فلا عبرة
بذلك لان الامور الشرعية لا تؤثر فيها الامور العرفية وحده عرفا
فعل كل معروف مما ندب اليه الشارع ومما يليق بالمروات المتعارفة
عند عقلاء الناس بالنسبة لحال المؤدي يسارا او غيره والمؤدى
اليه قرابة وصلاحا وحاجة وغيرها وعلى هذا القسم يحمل قول الغزالي
لا يكفي في حد البخل بانه ترك الواجب بل من رد ما اشتراه
لنحو حبة يعد بخيلا وكذا من عنده رغيف يأكل منه فحضر من يظن
انه يشاركه فاخفاه عنه ثم قال فالامساك حيث يجب شرعا
او مروة كالمضايفة في محقر وذلك يختلف باختلاف الاحوال
والاشخاص والازمنة والامكنة بخل والبذل يكون في محل لا يجب
شرعا تبذير والشح اشد البخل واما الجود فاختلفت عباراتهم

ايضا واصحها انه حالة محمودة متوسطة بين وجوب البذل
ووجوب الامساك وهي المشار اليها بقوله عز قايلا ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا وبقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهو ان يبذل ما فوق الواجب
البذل الى ان لا يصير الى التبذير ويعتبر مع ذلك في السخا
وهو اشد الجود ان تكون نفسه مطمئنة الى البذل راضية
به غير ناظرة لمنة او ثناء او شكر واكمل من ذلك ان لا يعلق
قلبه بالمال الا من الحيثية التي يراد المال شرعا للصرف
فيها **خاتمة لهذا المبحث** وليعلم انه ورد في مدح
المال وذمه احاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم من
امن بي وصدقني وعلم ان ما جيت به الحق من عندك فاقلل
ماله وولده واطل عمره مع دعايه لخادمه انس رضي الله عنه
بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان وكذا قال صلى
الله عليه وسلم لنهد قبيلة من اليمن اللهم بارك لهم في
محضها ومخضها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد والجمع بين هذه الاحاديث ممكن
لان المال لا يطلق القول بمدحه ولا بذمه لانه قد يكون وصلة
للخير وقد يكون وصلة للشر وكذا الولد فالمدعو لانس به
هو الماخوذ من وجه حل المصروف في الخيرات وهذا هو مراد
من قال يحتمل ان يكون مع دعايه له بذلك قرينة بان لا ينال

من قبل ذلك ضررا لان المعنى في كراهية اجتماع المال ولو
انما هو لما يخشى في ذلك من الفتنة بها والفتنة لا يومن معها
الهلكة انتهى والمدعو به لمن لم يحبه صلى الله عليه وسلم هو
الماخوذ بوجه حرام المنفق في حرام او المكنوز الذي لا يودي
حق الله منه والمعنى الاول هو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم
لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويودي به عن امانته
ويستغني به عن خلق ربه اي لا خير فيمن يحبه لغير هذه الخصال
وانما الخير في من يحبه لها ومن ثم قال ابن المسيب لا خير في
من لا يجمع المال فيقضي به دينه ويصل به رحمه ويكف به وجهه
واخرج احمد وابن منيع في مسنديهما عن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك في جيش
يغنمك الله ويسلمك الله وارغب لك منه المال الصالح رغبة
يا عمرو ونعما بالمال الصالح للرجل الصالح وفي حديث عند
الديلمي نعم العون على تقوى الله المال واخرج الطبراني قيل
يا رسول الله ما في امتك من سيد قال بلى رجل اعطي مالا
حلالا ورزق سماحة الحديث وصح ذهب اهل الدثور اي
الاموال بالدرجات العلى الحديث وفي اخره ذلك فضل الله
يوتيه من يشاء فعلم ان الخير كل الخير في مال يصلك من حل
ثم توفق للقيام فيه بجميع حقوق الله تعالى وحقوق العباد
الواجبة والمندوبة ولم يزدك ذلك ذرة من كبر او تفاخر او تعا ظم
على الغير او تعويل على ما في يدك او انفاق في باطل وكم من

غني متصف بذلك وازيد منه ككثير من الانبياء الاتي الي
ماصح من قول نبينا صلي الله عليه وسلم ثنا علي ايوب بينما
ايوب عليه السلام يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل
يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى
قال بلي ولكن لاغنا لي عن بركتك وفي لفظ من يشبع من رحمتك
او قال من فضلك وكثير من الصحابة كعثمان وابن عوف
والزبير وطلحة الفياض رضي الله عنهم ومن الاوليا والصالحين
والعلماء العاملين وقال ابن عبد البر ما حاصله ان كلما ورد
من ذم المال او تنقيصه محله عند اهل العلم والفهم ان اكتسب من
حرام او انفق فيه او لم يؤد ما وجب عليه فيه فهذا هو المال
المذموم والكسب المشؤم واما اذا اكتسب بوجه حل وصرف في
مصارفه الشرعية فهذا هو المال المحمود الممدوح كاسبه ومنفقه
لا خلاف بين العلماء في ذلك ولا يخالف فيه الا من جهل امر الله تعالى
وقد اكثر الله سبحانه وتعالى الثنا في كتابه العزيز علي المنفقين
اموالهم في سبل الخيرات وكذلك السنن الصحاح ناطقة بهذا
المعنى متواترة جدا وهو الثابت عن الصحابة والتابعين وفقهاء
المسلمين وقد قال ابو بكر لعايشة رضي الله عنها ما احد من خلق الله
احب الي غني بعدي منك ولا اعز علي فقرا بعد منك واعلم ان
الناس مختلفون منهم من يصلحه الدنيا ويصلح عليها فلا تزداد
بها الا فضلا وتواضعا كما نشاهد في افراد قليلين وقد كان
انس رضي الله عنه يقول اللهم اني من عبادك الذين لا يصلحهم

الا الغني وقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما يقول اللهم
ارزقني مالا وفعالا فانه لا يصلح المال الا بالفعال ولا الفعال
الا بالمال اللهم انه لا يصلحني القليل ولا اصلح عليه وقيس
هذا هو الذي قال فيه النبي صلي الله عليه وسلم ان الجود من شيمة
اهل ذلك البيت وقالت الحسنات لابن عمهما عبد الله بن جعفر
رضي الله عنهم انك قد اسرفت في بذل المال فقال بابي انتما
وامي ان ربي قد عودني ان يتفضل علي وقد عودته ان اتفضل
علي عباده فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عني ومنهم دني
الاصل ردي الطباع واثق بما في يديه فهذا لا يصلحه المال ولا
يصلح عليه ويؤيد هذا الاختلاف ما روي من قوله صلي الله عليه
وسلم يقول الله تعالى ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى
ولو افقرته لفسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا
الفقر ولو اغنيته لفسده ذلك وروي انه صلي الله عليه وسلم
كان يقول اللهم اني اعوذ بك من غني مبطر وفقر منسي
وبالجملة فالمال انما يكون محمودا اذا كان فيما اعان على عمل
صالح ومن ثم كان كثير من السلف الصالح يحب الغنى ويكره الفقر
منهم سفيان الثوري رضي الله عنه فانه كان يقول لان اخلف
عشرة الاف درهم يحاسبني الله عليها احب الي من ان احتاج الي
الناس وكانه اخذ هذا من قوله صلي الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انك ان تذر ورثتك
اغنياء خير لك من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وانك لن

تنفق نفقة الا اجرت فيها ومن قوله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن مالك حين استشاره في الخروج من ماله امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة يا بني عليكم بالمال فانها منبهة الكريم ويستغني به عن اللئيم وقال الثوري مرة لمن عاتبه في تقليب الدنانير دعنا عنك فانه لولا هذه لتمندل بنا الناس تمندلا وقال مرة لولا هذه لتمندل بنا بنو العباس وجاء عنه ايضا المال في هذا الزمان سلاح المؤمن وجاء عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه من كان له مال فليصلحه وفي رواية عنه فلينمه وليكتسب فانكم في زمان من احتاج فيه الى الناس كان اول ما يبذل له دينه قال الحافظ السخاوي بعد ذكره ما مر وكان السفيانين رحمهما الله تعالى اشارا الى ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان اخر الزمان لابد للناس فيه من الدراهم والدنانير يقيم الرجل فيها دينه ودنياه ونحوه يأتي على الناس زمان من لم يكن معه اصفر ولا ابيض لم يتهن بالعيش والدراهم والدنانير خواتيم الله في ارضه من جاء بها قضيت حاجته ومن لم يجئ بها لم تقض حاجته بل روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان اخر الزمان لابد للناس من الدراهم والدنانير يقيم الرجل فيها دينه ودنياه ونحوه يأتي على الناس زمان من لم يكن معه انما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه وكان سعيد بن المسيب يقول اللهم انك تعلم اني لم اجمع المال الا لاصون به حسبي وديني وعن ابي الزناد وقد قيل له

لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني منها لقد صانتني عنها وعن ابي قلابة لا يضركم دنيا اذا شكرتموها وعن عبد الرحمن بن ابزي قال نعم العون على الدين اليسار وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال يا معشر القراء استبقوا الخيرات وابتغوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على الناس قال ابو الدردا رضي الله تعالى عنه من فقه الرجل استصلاحه معيشته ولاجل ذلك كله ذهب كثير من العلماء الى تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وبه يصرح الحديث ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى قال الناظم

والزاعمون بجهلهم ان القبور صدى وهامه

الزعم كما قال الجرجاني هو قول مع علم وقال ابن الانباري انه يستعمل في القول من غير صحة ويقوي هذا القول قولهم زعم مطية الكذب اي هذه اللفظة مركب الكذب فان كانت بمعنى الرجحان تعدت لاثنين كقوله

زعمتني شيخا ولست بشيخ . انما الشيخ من يدب دبيبا

والاكثر تعديها الى ان وصلتها نحو زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وقد زعمت اني تغيرت بعدها وان كانت بمعنى تكفل او راس تعدت لواحد تارة بنفسها وتارة بالحرف وان كانت بمعنى سمن او هزل فهي لازمة والجاهل من قام به الجهل وقد تقدم تعريفه في قول الناظم والجاهل المغتر من لم يجعل التقوى اغتنامه فلا حاجة اليه وقد ذكره الناظم مرارا لاننا في زمان الرياسة فيه للجهال والقول لهم على كل حال . فدعوا ان تبختر الجهل وبأنفه شمخ

واختال زهوا وبيدايه بذخ ، فانه صال على العلم بخيله ورجاله
وبالغ بالتملق بلسان حاله ، وقال اني اصل والعلوم طاريه ،
وانا ملكة والفضايل مكسوبة عاريه ، والاصل بنفسه دليل ،
والفرع لا يصلح لمعارضة ولا تعليل ، هب ان العلم جوهر نفيس ،
وبه ذوو تمييز ، الا انه غريب في الانام ، مجلوب مدا الايام ،
والغريب كما علمت لو كان في نطق بديع الزمان ، وحدس قاضي معرة
النعمان ، وعصبية عيسى بن ماهان ، ومقام الفتح بن خاقان ،
فارتفاعه خفض ، ومنصبه رفض ، فهو مستعمل في الاحوال المنكرة
والامور المبتكره ، تمج حديثه الاذان ، وتنكر حاله الاعيان ،
اما لو لم يكن من معايبه ، وابداء مثالبه ، الا نقص صلواته عن
التمام ، لكان فيه كفاية لمن له في المعرفة المام ، فاجاب لسان
الحال منتصرا للعلم فخاطب الجهل وقال ، ايها المفتخر بمقاله
المستحسن سوء فعاله ، لقد ركبت خطيرا ودبست حصرما
وخبزت فطيرا ، وجعلت عرضك عرضة للكلام ، وعرضا للسهام
غير اني اطبقت العين على القذا ، وقنعت من الزاد بالغذا ،
فالان قد حك الابط الحزام ، وان الفم ان يعلك اللجام ، وسيلوح
لك افتضاح العاطل ، واتضاح الحق من الباطل ، حين لا تترسل
في النضال والتباري في الجدال ، حيث بذخت بانك اصل ،
وليس لك بذلك مزية وفضل ، فان الاصل لا يعمل بمعارضة الدليل
سلمنا دلالته لكن لا يوجب هذا الفخر الجليل ، اذ الاستحسان دليل
وليس متفقا عليه بالتعويل ، وكونك ملكة فهي مكسوبة ، وقد

تكون

تكون الي النقص منسوبه ، فدليلك هذا ذهب عليه الدبور ،
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، واما القول بان العلم غريب
مجلوب ، فذلك مما تحن اليه القلوب ، فان الانبياء والمرسلين ،
والصحابة والتابعين ، والابدال والمخلصين ، وكثير من اهل الصلاح
والدين ، ماتوا متغربين عن الديار ، وقد كتبت لهم بذلك الشهادة
والفخار ، فعلي زعمك ادم في الجنة مقيم ، وفي الحجاز الي الان شيث
الكريم ، والخضر ما صحب الكليم ، وال غسان ما دخلوا الروم
في التنعيم وسبا في البلاد ما تفرقت ، وبلقيس الي سليمان ما
اتت ، ويعقوب ما سار الي مصر راغبا ، وموسى ما اقام فيهامصا
ولا هارون مات حتفا ، ولا دانيال بنواحي السوس توفي ، ولا
الياس الي بعلبك سار ، ولا عيسى ساح في سائر الاقطار ، ولا كان
يوسف بمصر عالي الشان ، ولا حل الي العراق معد بن عدنان ،
ولا قدم قس بن ساعدة الي حلب ، ولا شمعون الصفا في الارض
ضرب ، ولا تغرب ابو النضر والريس ، ولا برح عن بغداد احمد ابن
ادريس ، وفي سيرة سيدنا محمد بن عبد الله النبي ، ما يرفع الغشاوة
عن عقل الغبي ، مع اله الذين هاجروا من ام القرى ، واصحابه
الذين جدوا في السير والسرى ، وكيف يتصور حصر العلم بلقلقة
اللسان ، وايم الله لهذه من عجايب الزمان ، فالزم الجهل ورجع
القهقرى ، وعلم ان ما قاله مان بروافتري ، والقبور جمع كثرة
لقبر وجمع القلة اقبر ، ويقال للمدفون مقبور قال الشاعر ،
لكل اناس تربة بفنايهم ، وهم في انتقاص والقبور تزيد ،

واختلف في اول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هابيل والحكمة
ان الله بعث الي قابيل لما قتل اخاه غرابا ولم يبعث له غيره من الطير
والوحش لان القتل كان مستغربا جدا اي لم يكن معهودا قبل هذه
الواقعة فناسب بعث الغراب روي انه سئل النبي صلي الله عليه وسلم
عن يوم الثلاث فقال يوم الدم فيه حاضت حواء وفيه قتل ابن
آدم اخاه قال مقاتل وكان قبل ذلك السباع والطير تستانس بآدم
فلما قتل هابيل هربت منه الطير والوحش وشاكت الاشجار وحمضت
الفواكه وملحت المياه واغبرت الارض وبقي القبر سنة لازمة في بني آدم
قال الله تعالي ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه اكراما ولم
يجعله مما يلقي علي وجه الارض تاكله الوحوش والطيور والكلاب
فائدة عدد لبنات لحد النبي صلي الله عليه وسلم تسع انتهي
واقل ما يحفر القبر قدر نصف قامة فان زاد فحسن والسنة عند
الحنفية اللحد ولا يشق الا في ارض رخوة ولا باس باتخاذ تابوت ولو
من حجر او حديد عند الحاجة كرخاوة الارض ويسن ان يفرش فيه التراب
وينبغي ان لا يدفن الميت في الدار ولو كان صغيرا لاختصاص هذه
السنة بالانبياء ويستحب ان يدخل الميت من قبل القبلة وان يقول
واضعه بسم الله وبالله وعلي ملة رسول الله صلي الله عليه وسلم ويوجه
الي القبلة وينبغي كونه علي شقه الايمن ويسوي اللبن عليه والقصب
ويهال التراب عليه ويكره الزيادة علي ما خرج منه من التراب لانه
بمنزلة البناء ويستحب حثيه من قبل راسه ثلاثا وجلوس ساعة
بعد دفنه لدعاء وقراءة بقدر ما ينحر الجزور ويفرق لحمه ولا باس

برش الماء عليه حفظا للترابه ولا يربع للنهي ويسنم ندبا وقيل وجوبا
قدر شبر ولا يجصص للنهي عنه ولا يطين ولا يرفع عليه بناء وقيل لا باس
به وهو المختار ولا باس بالكتابة ان احتيج اليها حتي لا يذهب الاثر
ولا يمتهن ولا يخرج من القبر بعد اهالة التراب الا لحق آدمي كان تكون
الارض مغصوبة وجاز زرع القبر والبناء عليه اذا بلي الميت وصار
ترابا ويندب دفن الميت في جهة موته وتعجيله وستر موضع غسله
فلا يراه الا غاسله ومن يعينه وان راي ما يكره لم يجز ذكره لحديث
اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ولا باس بزيارة القبور
ولو للنساء لحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها
ويقول السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
ويقرا يس وفي الحديث من قرا الاخلاص احد عشر مرة ثم وهب
اجرها للاموات اعطي من الاجر بعدد الاموات وقد اختلف في
كراهة تهيئة القبر واما تهيئة الكفن فلا باس بها ويكره المشي في
طريق ظنه محدثا حتي انه اذا لم يصل الي قبره الا بوطئ قبر تركه ولا
يكره الدفن ليلا ولا اجلاس القاري عند القبر والصدا هو
من طيور الليل ويقال له الهامة ايضا وكان اهل الجاهلية يزعمون
انه اذا قتل القتيل ولم يوخذ بثاره يخرج له طاير يقول عند قبره
اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك حتي يوخذ بثار القتيل
ولذلك قيل له صادي والصادي العطشان وقيل الصدا ذكر
البوم ويجمع علي اصدا ويقال له ابن الجبل وابن طود وبنات رضوي
وقال العدبسي الصدا الطاير الذي يطير بالليل ويقفز قفزا

ويظهر والناس يرونه الجندب وانما هو الصدا فاما الجندب فانه
أصغر من الصدا والصدا صوت يرجع من الصوت اذا خرج ووجد ما
يحبسه والصدا هو الصوت الذي يجيبك من الجبال وغيرها ولابي
المحاسن بن الشواني شخص لا يكتم السر وقد اجاد

لي صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة او محال
اشبه الناس بالصدا ان تحدثه حديثا اعاده في الحال

يقال صم صداه واصم الله صداه اي اهلكه الله لان الرجل اذا مات
لم يسمع الصدا منه شيا فيجيبه ومنه قول الحجاج لانس رضي الله عنه
اياك اعني اصم الله صداك روى علي بن زيد بن جدعان ان انسا
رضي الله عنه دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي الجاير فقال له الحجاج
ايه يا خبيث شيخا جوالا في الفتن مع ابي تراب مرة ومع ابن الزبير اخرى
ومع ابن الاشعث مرة ومع ابن الجارود اخرى اما والله لاجردنك جرد
الضب ولا قلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك عصب السلمة فقال انس
من هو لاء الاشرار اهل البخل والنفاق فقال من يعني الامير قال
اياك اعني اصم الله صداك قال علي بن زيد فلما خرج انس من عنده
قال اما والله لولا ولدي لاجبته ثم كتب الى عبد الملك بن مروان
بما كان من الحجاج اليه فكتب عبد الملك الى الحجاج كتابا مع اسماعيل
ابن عبد الله بن ابي المهاجر مولى بني مخزوم فقدم على الحجاج وبدا له
بانس فقال له ان امير المومنين قد اكبر ما كان من الحجاج اليك واعظم
ذلك وانا لك ناصح ان الحجاج لا يعدله عند امير المومنين احد وقد
كتب اليه ان ياتيك وانا اري ان تاتيه فيعتذر اليك فتخرج

من

من عنده وهو لك معظم وبحقك عارف ثم اتى الحجاج فاعطاه
كتاب عبد الملك فقراه فتمعر وجهه واقبل يمسح العرق عن وجهه ويقول
غفر الله لامير المومنين ما كنت اراه يبلغ مني هذا قال اسمعيل ثم رمى
بالكتاب الي وهو يظن اني قراته ثم قال اذهب بنا اليه يعني انسا
فقلت بل ياتيك اصلحك الله فاتيت انسا فقلت اذهب بنا الى
الحجاج فاتاه فرحب به وقال عجلت باللايمة يا ابا حمزة ان الذي كان
مني اليك كان عن غير حقد ولكن اهل العراق لا تكون عليهم
سلطان يقيم جنته ومع هذا فاني اردت ان يعلم منافقوا اهل العراق
اني متى اقدمت عليك فهم علي اهون وانا عليهم اسرع ولك عندنا
العتبي حتى ترضى فقال له انس ما عجلت باللايمة حتى تناولت من
العامة دون الخاصة وحتى سميتنا الاشرار وقد سمانا الله الانصار
وزعمت انا اهل بخل ونحن المويثرون على انفسهم وزعمت انا اهل
نفاق ونحن الذين تبوو الدار والايمان من قبل وزعمت انك
اتخذتني ذريعة لاهل العراق باستحلالك مني ما حرم الله عليك
وبيننا وبينك الله حكم وهو ارضى للرضى واسخط للسخط اليه جزاء
العباد وثواب اعمالهم ليجزي الذين احسنوا بالحسنى فوالله ان
النصارى على شركهم وكفرهم لو راوا رجلا قد خدم عيسى صلى الله عليه وسلم
يوما واحدا لاكرموه وعظموه فكيف ولم تحفظ لي خدمتي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فان يكن احسان شكرنا ذلك منك وان
يكن غير ذلك صبرنا الى ان ياتي الله بالفرج قال وكان كتاب عبد الملك
الى الحجاج اما بعد فانك عبد قد طمت بك الامور حتى عدوت طورك

زاحمتو

وايم الله يا ابن المستنفرة بعجم الذنب لقد هممت ان اضغمك
ضغمة كبعض ضغمات الليوث للثعالب واخبطك خبطة
تود انك لم تخرج من بطن امك قد بلغني ماكان منك لانس بن مالك
واظنك اردت ان تخبر امير المؤمنين فان كان عندك غيره ولا
امضيت قدمًا فلعنة الله عليك اخفش لعين ممسوح العاجز
خمش الساقين نسيت مكات اباءك بالطائف وما كانوا عليه
من الدناءة واليوم اذ يحفرون الابار في المناهل بايديهم
وينقلون الحجارة علي ظهورهم فاذا اتاك كتابي هذا وقراته
فلا تلقه من يدك حتي تلق انسًا بمنزله واعتذر اليه والا ابعث
اليك امير المؤمنين من يسحبك سحبًا ظهرا لبطن حتي ياتي
بك انسا فيحكم فيك ولن يخفي علي امير المؤمنين نباؤك ولكل نباء
مستقر وسوف تعلمون فلا تخالف كتاب امير المؤمنين واكرم
انسًا وولده والا ابعث اليك من يهتك سترك ويشمت بك عدوك
والسلام توفي انس رضي الله عنه سنة احدي او اثنتين او ثلاث
وتسعين بالبصرة وهو اخر الصحابة موتا رضي الله تعالى عنه
وما كانت تعتقده الجاهلية في الصدي قد رده النبي صلى
الله عليه وسلم فقد ورد لا عدوي ولا طيرة ولا هامة وفي
رواية ولا هام وهو جمع لهامة والهامة مخففة هي طاير
الليل واما الهامة مشددة فواحدة الهوام وهي الحيات
والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم
يقول في تعويذه الحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامة

من

من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ام
ابراهيم كان يعوذ اسمعيل واسحق عليهم الصلوة والسلام
وزاد في رواية بعد ولا هامة ولا صفر قال النووي ان المراد
به حية صفراء تكون في جوف الانسان اذا جاع توذيه كذا
كانت العرب تزعم اعتقاده وكما ورد النهي عن ذلك ورد النهي
عن زجر الطير في قوله صلى الله عليه وسلم اقروا الطير في مكانها
لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من ارجعته الطيرة عن
حاجته فقد اشرك اي حيث اعتقد انها توثر انتهى وذلك انه
كان في الجاهلية اذا اراد الشخص ان يخرج لحاجته جاء الي الطير
وازعجها عن اوكارها فان مر الطير علي اليمين سمي سانحا واستبشر
مريد الحاجة بقضائها وان مر علي اليسار سمي بارحًا بالموحدة
والراء والحاء المهملة وقعد مريد الحاجة عنها تفاولا بعدم قضا
اي وهذا ما فسر به الامام الشافعي الحديث المتقدم من قوله صلى
الله عليه وسلم اقروا الطير الخ ويحكي عن وايل بن حجر وكان
زاجرًا حسن الزجر انه خرج يومًا من عنده زيادًا بالكوفة وكان اميرها
المغيرة بن شعبة فراي غرابا ينعق بالغين اي يصيح فرجع الي
زياد وقال له هذا غراب يرحلك من هنا الي خير فقدم رسول
معاوية رضي الله عنه الي زياد من يومه بولاية البصرة ومن
زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الي دار القاضي
ابي الحسن الازدي المالكي فجاء غراب فقعد علي نخلة في تلك
الدار فصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب

هذه الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزجروه
فقام وانصرف ففي سابع يوم مات القاضي وورد اذا راي احدكم
من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا
يدفع السيات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك اللهم لا طير الا
طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمض لحاجته وعلى
ذكر الطيرة ناسب ان اذكر بعض ما وقع من الاتفاقات العجيبة
المخالفة للطيرة فمن ذلك ان بعض الملوك تجهز للغزو فقال له
منجمه من الراي ان يؤخر الركوب في هذا اليوم فان القمر في برج
العقرب وهو مذموم فتطير الملك واراد ان يؤخر السفر فدخل
رجل من ندمايه فراي في العسكر غلاما جميلا من الاتراك قد تنكب
قوسا فقال للملك اركب في هذه الساعة وامض لعزمك فان القمر
قد حل في القوس وهو سعد فتفاءل بقوله وركب في ساعته تلك
فغنم وظفر ومنها ان المنصور بن ابي عامر وزير الاندلس كان
اذا اراد غزوا عقد لواءه بجامع قرطبة فاتفق انه في بعض غزواته
عقد اللواء بالجامع المذكور فرفع اللواء حامله فاصاب ثريا من
قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير
الحاضرون وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال ابشر يا مولانا
الوزير بغزوة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت اعلامك
الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك
وركب من ساعته فكانت غزاته من ابرك الغزوات ومنها انه
حصل في ايام كافور الاخشيدي بمصر زلزلة تهدم منها دور

الاتفاقات العجيبة

كثيرة

كثيرة وارتاع كافور منها فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر وانشده
ما زلزلت مصر من سوء يراد بها ... لكنها رقصت من عدلكم فرحا
فاجازه كافور بالف دينار ومنها ان النجوم تساقطت في ايام
احمد بن طولون فراعه ذلك واحضر العلماء والمنجمين وسالهم
فما اجابوه بشي فدخل عليه الجمل الشاعر فانشده
قالوا تساقطت النجوم لحادث ... فظ عسير فاجبت عند مقالهم
بجواب مختبر خبير ... ان النجوم الساقطات رجوم اعداء الامير
فاستبشر ابن طولون وامر له بجائزة سنية وخلعة وقال للجماعة
اف لكم اما كان فيكم من يقول لمثله ومن ذلك ما حكي ان طاهر ابن
الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على
الضعفاء ثم انه سهى فاسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام
اليه شاعر وقال
هذا تبدد شملهم لا غيره ... وذهابه منا ذهاب الهم
شي يكون الهم نصف حروفه ... لا خير في امساكه في الكم
والعلم المشهور في هذا الباب ما ذكره الثعالبي في كتابه التحسين
والتقبيح قال لما هدد الهادي يحيى البرمكي بالقتل ان لم يحمل اخاه
الرشيد على خلع نفسه رجع الى ولده مغموما وكلم غلاما له في شي فاجا
بما غاظه فلطمه لطمة انكسر بها حلقة خاتمه وطاح الفص فاشتد
ذلك عليه ودخل عليه المنازي فاخبره بالقصة فقال
اخلاك من كل الهموم سقوطه ... واتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق ففك حلقة ضيقه ... فامسك فما ريب الزمان بدائم

فما امسي حتي شاع الخبر بموت الهادي ومصير الامر للرشيد فامر له بعشرة الاف درهم ومثلها كان الافشين محاربا بابك فانكسر سيفه فتطير منه فقال له شاعر كان معه

ان انكسار السيف كسر للعدا ... وبكسره اجناد بابك تكسر

هذاك فال للظنون محقق ... وكانني بالفتح لاح فابشروا

فما كان باسرع من ان انجلت المعركة عن الظفر ببابك فوصل الافشين الشاعر بمال جزيل وكان ابو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما ارادوا الدخول من بابها اندق لواوه فعظم ذلك عليه وتطير فانشد ابو الشمقمق

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشي ولا امر يكون مبدلا

لكن هذا الامر ضعف قدره ... صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسري عن خالد ما كان عنده وكتب صاحب البريد بذلك الي المامون فزاده ديار ربيعه واعطي خالد ابا الشمقمق عشرة الاف درهم ومن الطف ما سمع في هذا الباب ان بعض الامرا كبا به جواده فقال له شاعر يسليه ويهنيه

اما الجواد فلا يعزي الي زلل ... وهل بزل جواد انت صاحبه

لكنه خر نحو الارض من دهش ... لما تيقن ان الليث راكبه

وفي معناها ما قاله عبد القادر الطبري في شرحه علي مقصورة ابن دريد نقلا عن بعض اصحابه في فارس جليل سقط عن فرسه وهو

لا تظنوا السقوط كان لعجز ... منه بالسبق فهو بالسبق عارف

انما كان بالتمهد لما ... رامت الارض لثم تلك المعاطف

وكان الامام اسماعيل المتوكل اراد ان يدخل مكانا له فهوي قنديل كان

معلقا

معلقا فانكسر فتشام لذلك فانشد ابراهيم بن صالح المهندي قائلا

لا تعجبوا انه هوي القنديل منكسرا ... فما عليه اهيل الفضل من حرج

راي الامام كشمس في مطالعها ... وعند شمس الضحي لاحظ للسرج

ونظير ذلك ان زجاجة انسكبت في مجلس سلطان فانشد بعض الشعرا

ومجلس بالسرور مشتمل ... لم يخل فيه الزجاج من ادب

سري باعطافه بنخوته ... فشق اثوابه من الطرب

وعلي ذكر الصدا ذكرني ما وقع لليلي الاخيلية وذلك انه بعد موت مجنون نفام بها بعلها علي قبره فقال لها يا ليلي هذا قبر الكذاب لقايل

ولو ان ليلي الاخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفايح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا ... اليها صدي من جانب القبر صايح

فقالت له اتاذن لي بالسلام عليه فقال نعم فقالت له السلام عليك يا قتيل الغرام ففر من جانب قبرها الصدا وزقا اي صاح فنفر بها البعير ورماها فاندق عنقها وخرت ميتة ودفنت بجنبه وانبت الله علي القبر شجرتين من شجر العنب ملتف بعضها علي بعض فسبحان من حارت الافكار في عجايب قدرته وبدايع حكمته قال الناظم رحمه الله تعالي

والمكثرون من المجون ... اذ اشكي الفكر اهتمامه

المجون ذكر الاشياء السخيفة والماجن هو الذي لا يبالي بما قال ولا بما قيل له وكثرته مذمومة لما فيه من كثرة الضحك المميتة للقلب قال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروة ومن لزم شيا عرف به وعن علي رضي الله عنه ما مزح امرء مزحة الا مج من عقله مجه وعنه رضي الله عنه اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان

حكيته عن غيرك ومزح رجل عند الحسين فقال انما هو عمرك فاقطعه
بما شئت وقال حكيم تجنب شوم الهزل ونكد المزاح فانهما بابان اذا فتحا
لم يغلقا الا بعد عسر وقال الحسن ضحك المؤمن غفلة من قلبه وقال
ابراهيم راى الفضيل اضحك فقال يا ابراهيم الا احدثك حديثا حسنا
قلت بلى رضي الله عنك قال لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقال يزيد
ابن معاوية على منبره ثلاث يخلقن العقل سرعة الجواب وطول الصمت
والاستغراب في الضحك وقال عبد الملك لبنيه اياكم والمزاح فانه
يذهب البهاء واياكم والقهقهة فانها تذهب الهيبة وقال بعضهم
لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجتري عليك قيل المزاح
اوله فرح واخره ترح وقال المزاح يجلب صغير الشر وكبير الحرب
وهذا كله محمول على كثرة المزاح واما وجوده في بعض الاحيان من غير
افراط في الضحك فلا باس به ولذلك قال ابو الفتح البستي

ارح طبعك المكدود بالجد راحة ۔ يجم وعلله بشي من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن ۔ على قدر ما تعطي الطعام من الملح

وورد انه عليه الصلوة والسلام كان يمزح ولا يقول الا حقا فانه صلى
الله عليه وسلم قال لامراءة من الانصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسارت
المراءة نحوه وجها مرعوبة فلما وافته قال لها ما الذي اصابك قالت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في عينيك بياضا قال الرجل ان
في عيني كل انسان بياضا واتت عجوز انصارية رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع لي بدخول الجنة فقال لها اما علمت
ان الجنة لا يدخلها عجوز فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال

وقال اما قرات قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
عربا اترابا وقيل لقي يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى في وجه يحيى
فقال ما لي اراك لاهيا كانك امن فقال ما لي اراك عابسا كانك ايس
فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فاوحى الله عز وجل احبكما الي
احسنكما بي ظنا وروي احبكما الطلق البسام وراى نعيمان رضي الله
عنه وكان مزاحا عكة عسل في يد اعرابي فاشتراها منه وجاء بها بيت
عايشة رضي الله عنها في يومها وقال خذوها فتوهم انه اهداها
ومر نعيمان وترك الاعرابي على الباب فلما طال قعوده قال يا هولا
ردوها علي ان لم تحضر واقيمتها فعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بالقصة فوزن له الثمن وقال لنعيمان ما حملك على هذا قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ورايت الاعرابي معه العكة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظهر له نكيرا وكان ابو هريرة رضي
الله عنه مزاحا كان مروان ربما استخلفه على المدينة فركب حمارا وشد
عليه بردعة وفي راسه شي من الليف فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق
قد جاء الامير سئل النخعي هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم امثال الجبال الرواسي الرواسخ
قال اردشيران للاذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين
بلهو بعض الطرب روحوا الاذان كما تروحوا الابدان وكان ابن عباس
رضي الله عنه يقول عند ملله من دراسة العلم حمضونا فيخوضون في
الاخبار والاشعار وكان الشعبي رضي الله عنه مزاحا فقيل له ما لنا نراك
نحيفا قال اني زوحمت في الرحم لانه كان اخا لتوامين وقال ابو العينا

فيها عشرة اعضا في الشعر اولها كاف

سمعت الاصمعي يقول النوادر تشحذ الاذهان وتفتح الاذان وقالت
الحكما المزح في الكلام كالملح في الطعام وذكر ان عبد الملك بن مروان
سال سويدا عن عشرة اعضاء في الانسان اولها كاف فقال الكف و
والكوع والكرسوع والكاهل والكبد والكرش والكلية والكفل والكعب
قال عبد الملك اخطات في الكرش فانها للحيوان بمنزلة المعدة للانسان
فقال سويد امهلني ساعة ثم ذهب سويد الى الخلا لحاجة فنظر الى
الله فذكر الكمرة فاسرع مكشوف الازار قال يا امير المومنين الكمرة
الكمرة وهي تمام العشرة فضحك كثيرا وامر له بمال كثير قال عطاء ابن
السائب كان سعيد بن جبير لا يقص علينا الا ابكانا من وعظه
ولا يقوم من مجلسه حتى يضحكنا بمزاح قلت وقد احببت ان
اذكر طرفا من مداعبات الادباء اذ كان لا غنى لاهل الادب عن
وذوي المعالي من الرتب عن معرفة ظريف المضحكات وشريف
المفاكهات وقد قال الاصمعي بالعلم وصلنا وبالادب نلنا
حكى ابن هرمة عن ابيه قال كان ابان بن عثمان رضي الله عنه مع
جلالة قدره وشرف نسبه وعلو منصبه من احب الناس لسماع
المزح واولعهم فبينما نحن عنده ذات يوم وعندنا اشعب اذ
أقبل اعرابي معه جمل والاعرابي اشقر ازرق يتلظى كانه افعى والشر
في وجهه لا يدنو منه احد الا شتمه ونهره فقال ابان هذا والله
المراد ادعوه لي فدعوه وقالوا ان الامير ابان بن عثمان يدعوك
فاتاه وسلم عليه وكان ابان ذلك الوقت امير المدينة فسأله
عن نسبه فانتسب فقال حياك الله يا خالي اجلس فجلس فقال

له ابان اني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم اجده فالحمد لله
الذي جعل ظفري به عند من احبه أتبيعه قال نعم ايها الامير
قال فاني بذلت لك فيه مائة دينار قال فطمع الاعرابي وذهب طمعه
الطمع في وجهه فاقبل ابان على اشعب وقال له ويلك يا اشعب
ان خالي هذا من اقاربك قال نعم يا امير المومنين يعني في الطمع
فاوسع له مما عندك قال نعم بابي انت وامي وزياده فقال له ابان
يا خال انما زدتك في الثمن على بصيرة ان الجمل يساوي ستين دينارا
ولكني بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا واني اعطيك عوضا
تساوي مائة دينار فدفع له عمامة تساوي اربعة دراهم فقال ابان
يا اشعب فقال قومها فقال عمامة الامير يشهد بها الاعياد والجمع
وبلغني فيها الخلفاء خمسون دينارا ووضعها بين يدي الاعرابي
وقال لكاتبه اثبت قيمتها فكتبه فكاد الاعرابي يتميز من بعضه غيظا
ولم يقدر على الكلام فقال ثم قال هات قلنسوتي فاخرج قلنسوة
طويلة خلقة قد علاها الوسخ وتخرقت تساوي نصف درهم فقال
قوم يا اشعب فقال قلنسوة الامير يصلي بها الصلوات الخمس
ويجلس بها للحكم ثلاثون دينارا فاثبت الكاتب ووضعت
القلنسوة بين يدي الاعرابي فازبد وجهه وجحظت عيناه
ثم تماسك وقال هات ما عندك فاخرج خفين خلقين قد نقبا
وتقشرا فقال قوم فقال اشعب خفا الامير يطأ بهما الروضة ويعلو
بهما منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعون دينارا فقال
ضعهما بين يديه فوضعهما ثم قال للاعرابي اضمم اليك متاعك

وقال لبعض الاخوان امض مع الاعرابي واقبض ما بقي عليه من ثمن
المتاع وهو عشرون دينارا فوثب الاعرابي فاخذ القماش فضرب به
وجه اشعب وقال لا تدري ايها الامير من اي شي اموت قال لا
قال الذي لم ادرك اباك عثمان فاشرك في دمه اذ ولد مثلك ثم
نهض كالمجنون حتى اخذ براس بعيره وضحك ابان حتى سقط وكان
الاعرابي بعد ذلك اذا راي اشعب يقول هلم يا ابن الخبيثة حتى
اكافيك على تقويمك المتاع فيهرب منه وحكى ابو علي العتابي قال
حدثني الحمدوني قال بعث الي احمد بن حرب المهلبي في غداة السماء
فيها متغيمة فاتيته والمائدة مغطاة موضوعة فحجبت وقد وافت
عجاب المغنية قبلي فاكلنا جميعا وجلسنا على شرابنا فما راعنا
الا داق يقرع الباب فاتاه الغلام فقال من بالباب فكلمه فقال
لي بالباب فتى ظريف نظيف من آل المهلب فقلت ما نريد غير ما
نحن فيه فاذن له فجاء يتخطى وقدامي قدح فيه شراب فكسره
ونظرت اليه فاذا هو رجل آدم ضخم فتكلم فاذا هو اغبى الناس
وجلس بيني وبين عجاب فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت اليه بقولي

كدر الله عيش من كدر العيش • وقد كان سايغا مستطابا
جاءنا والسما توذن بالغيث • وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكاس وهي كالكوكب الدري • ضمت من المدام لعابا
قلت لما رميت منه بما اكره • والدهر ما افاد اصابا
عجل الله غارة لابن حرب • تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة لاحمد فقراها وقال ويحك هلا تنفست فقلت

بعد

بعد حول قال قلت انما اردت ان اقول بعد يوم ولكن خفت ان
تلحقني مضرته وفطن الثقيل فنهض فقال لي اذيته قلت بل هو
اذاني ومن مداعبات الفضلا ما ذكر ان الحيص بيص خرج ليلة من
دار الوزير شرف الدين ابي الحسين علي بن طراد الزينبي وكان متقلدا
سيفا فنبح عليه جرو كلب فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابا
القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان فنظم ابياتا
ضمنها بيتين لبعض العرب ثم ان ابا الفضل كتب الابيات في ورقة
وعلقها في عنق كلبة لها جراو ورتب معها من يطردها واولادها
الى باب الوزير كالمستغيثة فلما خرج الوزير راي الكلبة
فامر باخذ الورقة من عنقها فاحضروها له فاذا فيها

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى • بفعلة اكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدا تشاجعه • على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به • ولم يكن بيواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتبست • دم الابلق عند الواحد الصمد
اقول للنفس تعزاء وتسلية • احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه • هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

فامر الوزير باحضار ابي الفضل والحيص بيص واجازهما واصلح
بينهما وقوله ولم يكن بيواء البواء بفتح البا الموحدة وبعد الواو
همزة ممدودة معناها السوا يقال فلان بواء لدم فلان اذا
كان مكافيا له والشي بالشي يذكر والمناسبة حقها لا ينكر
وحيث جرى ذكر المجون وانه في بعض الاحوال مما تطلبه الاسماع

وله عند بعض الناس شؤون • فاحببت ان اجري يراع القلم في
هذا الميدان • واذكر من نوادره ما ترشفه الاذان • فان النفس
اذا ملت كلت • والطباع اللطيفة تحب الانتقال • وترتاح لسماع
غرايب الاحوال • وقد قيل الموت المميت والسقم المنهك ان تقع النادرة
فاترة • فتخرج عن رتبة الهزل والجد • ودرجة الحر والبرد • فيكون
بها جهد الكرب على القلب حتى قالوا يجب على اللبيب المطرب • ان
لا يطيل فيمل • ولا ينقص فيخل • فللكلام غاية • وللسامعين نهاية
فكيف بالمعاني المستغربة • والكلمات الدقيقة المنتخبة • فان فهمها
موكول للعقل • فاذا غاص لاستخراج صعابها فلا بد وان يحصل له
فتور • فاذا خرج من الجد الى الهزل الذي لا كلفة على قاريه • ولا
احتياج الى حل معانيه • حصل له راحة وانبساط • وانتقل من
الكسل الى النشاط • فلذلك اخترت شحن هذا الكتاب • بما رق وطاب
حتى لا يمل قاريه • ويترحم على جامع مبانيه • فممن عرف بكثرة المجون
وسرعة الجواب • والنادرة ابو العينا فانه كان سريع المحاضرة • فمن قف على عيون ابي العينا
ذلك ما حكي عنه • قال قال لي المتوكل يوما هل رايت طالبيا قط
حسن الوجه • قال يا امير المومنين ما رايت احدا يسال اعمى عن هذا
قال لم تكن بصيرا فيما سلف • وانما سالتك عما سلف قال نعم قال
رايت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رايت اجمل منه ولا الطف
شمايلا فقال المتوكل لعلك كنت تقود عليه قال اتراني كنت اترك
موالي واقود على الغرباء فقال له المتوكل اسكت يا مابون فقال
ابو العينا مولى القوم منهم فقال المتوكل قاتله الله اردت

ان اشتفي منه فاشتفى مني وكان ولاء ابي العينا لبني العباس
ويقال ان جده الاعلى لقي عليا ابن ابي طالب رضي الله عنه فاسا
مخاطبته فدعى عليه بالعمى فكل من كان منهم اعمى فهو صحيح النسب
وكان ابو العينا قبل العمى احول وقال ذكرت عند بعض القينات
فاستظرفتني على السماع فلما راتني استقبحتني فانشدتها

وشاطرة لما راتني تنكرت • وقالت قبيح احول ما له جسم
فان تنكري مني احولا فانني • اديب لبيب لا عيي ولا فدم

فقالت انا لم اردك لاوليك ديوان التمام قال الصولي حدثني
ابو العينا قال دخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته فاستحسن كلامي
وقال بلغني ان فيك بذا فقلت يا امير المومنين ان يكن البذا
الذي بلغك فيّ ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساته فقد زكى
الله وذم فقال نعم العبد انه اواب وقال هماز مشاء بنميم مناع
للخير معتد اثيم وقال الشاعر

اذا انا لم امدح على الخير اهله • ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه • وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر الذي بلغك عني كفعل العقرب التي تلدغ النبي والذمي
لطبع لا لتمييز فقد صان الله عبدك عن ذلك فقال له المتوكل بلغني
انك رافضي فقال وكيف اكون رافضيا وبلدي البصرة ومنشاي
في مسجد جامعها واستاذي الاصمعي وليس يخلو القوم ان كانوا ارادوا
دينا او دنيا فان كانوا ارادوا الدين فقد اجمع المسلمون على تقديم
من اخروه وايمان من كفروه وان كانوا ارادوا الدنيا فانت واباؤك

ك

امراء المومنين لادين الا بكم ولا دنيا الا معكم قال كيف ترى هذه
قال رايت الناس بنوا دارهم في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك
وكان يوما واقفا على باب دار فمر به رجل فسلم عليه وقام يمشي معه
فقال لا تنعى يا ابا عبد الله قال ما عنى من ابعدك عن دار وقال
ابو العينا لولده في مرضه اي شيء تشتهي قال اشتهي ان يتيم وسرق
حمار ابي العيناء فتخلف عن ابن المتيقن فقال له ما خلفك عنا يا ابا
عبد الله قال سرق حماري قال وكيف سرق حمارك قال لم اكن مع اللص
فاخبرك قال فما منعك ان تاتينا على غيره قال قلة يساري وذلة
المكاري ومنة العواري . ووقف على باب ابراهيم بن رياح فقيل انه
مشغول عنك فقال اذا اشغل بكاس يمناه . وبحر بيسراه وانتسب
الى اب لا يعرف ابله . لا يخفل بحجاب من اتاه . ووقف على باب صاعد
بن مخلد وكان صاعد هذا نصرانيا ثم ترقى في الحال الى ان اسلم
وتولى الوزارة للموفق فاتاه ابو العيناء فقيل له انه يصلي فانصرف
ثم عاوده فقيل انه يصلي فقال لكل جديد لذة وقال المتوكل
يوما انا ابراهيم بن نوح النصراني واجد عليك فقال ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقال له ان جماعة
الكتاب يلومونك فقال . اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا علي لئامها . وقدم اليها بو عيسى بن المتوكل سكباجه
فجعل لا تقع يده الا على عظم فقال جعلت فداك هذا قدر
ام قبر وسئل ابو العينا عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني
اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره . قيل فاخوه قال كسراب

بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا قيل فما تقول
في محمد بن مكرم والعباس بن رستم قال هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما
وقال ابن مكرم ان ابن الكلبي تجيد الرائحة الخبيثة فقال سيدي لو
وجدك لم يشغلك وزحمه رجل على حمار في الجسر فضرب بيده على اذن الحمار
وقال يا انسان قل للحمار الذي فوقك يقول الطريق وقيل لابي العيناء
قد كثر بنو هاشم عندنا بعد السلام فقال كيف لا يكثرون والناس يصلون
كل يوم وليلة ويدعون بالبركة لمحمد وال محمد وحضر ابو العيناء مجلس
بعض العوام فقدم له فالوذج ليس بالشديد الحلاوة فقال هذا عمل
قبل ان يوحي ربك الى النحل ولنذكر نبذة من اخبار مزبد الذي ذكره
اخبار مزبد
الخوارزمي في رسالته فاقول قال ابن الكتبي في كتابه الذي ذيل به على
تاريخ ابن خلكان في ترجمة مزبد فقال هو بالزاي والباء الموحدة مشددة
والدال المهملة ابو اسحق المديني كان كثير المجون حلو المحاضرة له اخبار
كثيرة في البخل لانه كان بخيلا جدا احضر بعض الولاة وقد اتهم بشرب الخمر
فقال قيئوه قال ومن يضمن عشائي اصلحك الله وقال له اخوانه
يوما هل لك في الخروج معنا الى قبا والعقيق واحد ناحية قبور الشهدا
فان يوما كما ترى طيب فقال اليوم يوم الاربعاء ولست ابرح من منزلي
فقالوا له وما تكره منه وفيه ولد يونس بن متى فقال بابي انتم وامي
فقد التقمه الحوت ونبذ بالعراء فقالوا انه اليوم الذي نصر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فقال اجل صلى الله عليه وسلم ولكن
بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا
قالوا وفيه ولد يوسف عليه السلام فقال ما احسن ما فعل اخوته

يوسف به قالوا وفيه اوحي الله الي ابراهيم قال ما ابرد الا توت التي
الثي فيها وقيل له ايولد لابن ثمانين قال نعم اذا كان له جار ابن ثلاثين
وسمع رجلا يروي عن ابن عباس قال من نوي حجة فعاقه عنها عائق
كتبت له فقال مزبد ما خرج كرا ارخص من العام ودخل يوما علي بعض
العلويين فجعل يعبث به ويوذيه فتنفس الصعداء وقال صلي الله
علي عيسي بن مريم فان امته معه في راحة لم يخلف فيهم من يوذيهم
وطلب منه بعض جيرانه ملعقة ياكل بها فقال له مزبد ليت لنا ما ناكله بالاصابع
جمع مرة في بيته متعاشقين فتعاتبا ساعة ثم ان العشوق مد يده
اليها فقالت دع هذا عنك فليس هذا موضعه فسمعها مزبد فقال
يا زانية واين موضعه ابين الركن والمقام والله ما بنيت هذه الدار
الا للقحاب والقوادين ولا اشتري خشبها الا من دراهم القمار فاي
موضع احق بالزنا منه ولقي مزبد رجلا من اصحاب ابيه فقال له الرجل
يا بني كان ابوك عظيم اللحية فقال خرجت لامي ونظر يوما في المراة
فقال له مزبد خرجت لامي ونظر يوما في المراة فراي قبح وجهه فقال
الحمد لله الذي لا يحمد علي المكروه غيره وقالت له امراته يوما ليس شي
اربح من النبيذ فعملته فاتاها رجل معه درهم واحد فقالت له لا ا
الا جملة فجاءها رجل اخر معه ثلاثة دراهم يشتري بها فقالت لا ابيع الا
جملة فاتي مزبد لصاحب الشرطة فقال له ان امراتي عندها نبيذ فوجه
الحرس وقال كونوا معه فان وجدتم في بيته نبيذا فاكسروه واطرحوه
هو وامراته في الحبس وان لم يكن فيه شي فردوه الي فجاوا فدخلوا منزله
فوجدوا الجب والنبيذ فقال لامراته قد جيتك بمن ياخذه جملة

فكسروا

فكسروا النبيذ وخلدوهما جميعا ومضوا بهما الي الحبس فلما حصلا
فيه قال لها وازيدك فائدة عما غني فيه لم تخطر ببالك قالت ما
هي يا مشوم قال استرحنا من كرا البيت وزفت اليه امراة فقالت
له الماشطة هب لها شيا قال قد وهبتها طلقة واحدة وقيل له
مات اليوم من المدينة عواد وطبال وزمار فقال لا اشك ان في
جهنم عرسا في هذا اليوم وقال مزبد كنت اسمع الناس يقولون من
تزوج احرز دينه فتزوجت فذهب ديني ودين امي فقيل له اما دينك
فلم ولجك وكيف ذهب دين امك قال انها قبل زواجي كانت ملازمة
للصلوة في اوقاتها فاشتغلت عن الصلوة بملازمة زوجتي واشتغلت
انا بشتمها فذهب ديني ودينها. اجتمع ابو هفان ومزبد علي نبيذ
فقدم اليهما فالوذجه حارة فقال ابو هفان هذه اشد حرا من مكانك
يا مزبد من لظي فقال له مزبد بردها بشعرك وقد قدمنا انه كان
بخيلا فمن ما ذكر من بخله انه كان بالمدينة جارية تسمي بصص مغنية
حاذقة وكان اهل المدينة يهيمون بعشقها ويبذلون الاموال في
سماعها وكان مولاها ابن نفيس يتعيش منها فاتفق انهم ذكروا يوما
بخل مزبد فقالت الجارية انا اخذ لكم منه درهما فقال مولاها ان فعلت
ذلك كسوتك ثوب وشي واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة
فقال لو قطع رجليك لم اقل شيا فخرج ابن مصعب فراي مزبدا في مسجد
المدينة فقال يا ابا اسحق اما تحب ان تري بصص جارية ابن نفيس
فقال امراته طالق ان لم اكن منذ سنة اسال الله ان يرينيها فلم يفعل
فقلت له ان احببت اليوم فوافني هنا فقال امراته طالق ان برحت

من هنا حتى يجي صلوة العصر قال فلما كان العصر دخلت فوجدته
فيه فاخذته بيده واتيناهم فاكلوا وشربوا وتساكر القوم وتنادموا
فاقبلت الجارية عليه وقالت يا ابا اسحاق كانك تشتهي ان تجلس
الي جانبي فتعرضني واغنيك

قالت وابثثتها وجدي فبحت به ٭ قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها ٭ غطى هواك وما القي على بصري

فقال امراته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام فغنته ثم قالت
برح الخفا انا اعلم انك تشتهي ان تقبلني واغنيك

انا ابصرت بالليل ٭ علاما حسن الدل
كغصن البان قد ٭ اصبح منقباس الطل

فقالت انت نبيه مرسلة فغنته ثم قالت يا ابا اسحق اما ترى هولا
القوم ما رايت اسقط مروة منهم يدعونك ويخرجون اليك ولا يشترون
ريحانا بدرهم يا ابا اسحاق هلم درهما اشتري به ريحانا قال فوثب
قايما وصاح واحرباه انت زانيه انقطع والله منك الوحي الذي كان
يوحي اليك وقام موليا وتضاحك القوم ثم خرج فلم يعد اليهما بعد
ذلك فما عاودا القوم مجلسهم ولم يكن لهم نقل بقية يومهم الاحديثه
والضحك منه ولا باس بذكر بعض نكت من اخبار الجماز فيحكى انه
قال رجل للجماز اشتهي ان ارى الشيطان فقال له انظر في المراة
فانك تراه وقال له رجل خرج لي دمل قال اين هو قال في اخر موضع
في فقال كذبت اني اري بوجهك شيا وقال له رجل اردت ان احمل
امي الي بغداد فخفت ان انا حملتها في البراذ تعطب وان حملتها في

البر

البراذ تتعب فقال خذها في سفينة وقال بعض جلساء المتوكل كنا
نكثر عنده ذكر الجماز حتى اشتاقه فكتب في حمله من البصرة فلما دخل اخذ
هيبة الخلافة فافحم فقال له المتوكل تكلم فاني احب ان استبريك
قال بحيضة ام بحيضتين يا امير المومنين فضحك المتوكل ثم قال له
الفتح قد ولاك امير المومنين على الكلاب والقردة قال فاسمع لي واطع
فانك من رعيتي فقال له اذا وهب لك امير المومنين جارية فما تصنع
بها فقال انا لا اعرف من نفسي ما احتاج والله جارية الا ان اقود
عليها فضحك المتوكل وامر له بعشرة الاف درهم فمات من الفرح ولم يصل
الى البصرة وسمع مزبد رجلا من جيرانه يضرب غلامه ضربا مبرحا فقال
له مزبد ما ذنبه قال ذنبه عظيم قال ما هو قال سرق خبلاج به ابي و
به امي فقال له مزبد والله لو سرق الكعبة حتى يبقى الناس بلا حج وجب
عليه هذا وقال منصور بن عمار يوما في مجلسه اللهم اغفر لاعظمنا
ذنبا واقسانا قلبا واقربنا بالخطية عهدا واشدنا اصرارا على
الذنب فقال مزبد امراته طالق ان كان اراد بهذا كله الا ابليس فان
هذه الخصال كلها فيه ودخل مزبد يوما على خالصة المغنية فراي
مكتوبا في بعض جوانب بيتها ادم وحوا فقال ما هذا يا خالصة قالت
ان الشيطان لا يدخل بيتا كتبا فيه فقال انه دخل عليهما وهما في
الجنة في جوار رب العالمين فكيف لا يدخل عليهما في بيت مغنية زانية
وشكي رجل من القراء يوما الي مزبد سقوط اسنانه فقال له الذنب منك
لانك تقرا القران والله تعالى يقول انا سنلقي عليك وقال ابو سورة لابنه
يا بني تعلم خطبة النكاح فاني اريد ان ازوج اخاك قال نعم

فلما كان من الليل قال له تعلمت شيئا قال نعم قال هات فقرأ الحمد
لله احمده واتوكل عليه واومن به واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله حي على الصلوة حي على الفلاح
فقال ابوه يا بني لا تتمم حتى اذهب واتوضا فاني على غير وضوء وهذا
كقول ابي حفصة لما قال علي بن الجهم قصيدته التي اولها
الله اكبر والخليفة جعفر

اراد علي ان يقول قصيدة ، بمدح امير المومنين فاذنا
فقلت له لا تعجلن اقامة ، فلست على طهر فقال ولا انا

وقد جرت المناسبة الى ذكر شيء من اخبار المغفلين لترتاح
لذلك الباب السامعين فاقول كان لرجل غلام كسلان فامره
ان يشتري له عنبا وتينا فابطا وجاء باحدهما فضربه وقال له
ينبغي اذا استقضيتك في حاجة ان تقضي حاجتين ثم ان مولاه
مرض فارسله لياتيه بطبيب فجاءه بطبيب ورجل اخر معه فقال له
هذا الطبيب عرفته ومن هذا الاخر فقال له امرتني ان اقضي لك
حاجتين في حاجة جئتك بالطبيب فان لم يرق لك علاجا فهذا
الغاسل يغسلك وجاء رجل مغفل الى جماعة من العلماء وهم يتكلمون
في وقعة صفين والجمل فقال لهم ما تقولون في معاوية وعلي فقالوا
ومن معاوية وعلي فقال او ليس هو علي بن فاطمة فقال له ومن فاطمة
قال امراة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عايشة فقالوا وما كانت
قصة علي قال لم اقف له على قصة لانه قتله مرحب في غزوة خيبر
تزوج مغفل فاعطى شهود النكاح اجرة العقد فقالوا هذا

قليل

قليل فقال خذوا هذا وسنخلفه عليكم في الطلاق وسئل بعض المغفلين
عن مسئلة في الفرايض فلم يدر كيف القسمة فقال هل مات بعد
الميت احد من اقاربه قالوا لا قال انها تركة لا تنقسم الا بتكميلها من
تركة ميت آخر قال بعضهم كان لي عم مغفل قد بلغ من العمر سبعين
سنة فسمعته يقول في دعايه اسالك بمن كان بين محمد وادم من النبيين
والمرسلين فقلت له من كان بين محمد وادم من النبيين والمرسلين فقال
العشرة المبشرون بالجنة اصحاب السقيفة الذين بايعوا تحت الشجرة
حكى الجاحظ قال شهدت رجلا قدم خصما له الى الوالي فقال اصلحك
الله ان هذا رجل ناصبي رافضي جهمي مشبه جبري يسب الحجاج بن الزبير
الذي هدم الكعبة على معاوية بن عفان فقال له الوالي لله درك
ما اعلمك بالانساب فقال اني تعلمت ذلك وانا في الكتاب وقال
ابو العيس صحبني رجل في السفينة فقلت من الرجل فقال من اولاد
الشام كان جدي من اصدقاء المنصور علي بن سالم الانباري شاعر الانبار
بالاندلس من الذين بايعوا تحت الشجرة مع ابي مسلم معقل بن يسار في
وقعة علي الفاروق ايام قتل الحجاج بن يوسف بالنهروان على شاطئ
الفرات مع ابي السرايا قال ابو العنبس فلم ادر على ماذا احسده على
معرفته بالانساب ام على بصره بايام الناس ام على حفظه للسير
وقال آخر مررت في بعض الاسواق برجل اجتمع عليه قوم يضربونه
فقلت ما ذنبه قالوا اشتم معاوية بن ابي سفيان صديق النبي
صلى الله عليه وسلم ومن صلى معه اربعين سنة على طهر واحد وكان من
من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان وسمي خال المو

لانه اخو حواء من امها وابيها وقال الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب
في لوح صبي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص
رؤياك علي اخوتك فيكيدوا لك كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا جنات النعيم فقلت له ويحك اتدخل سورة في
سورة فقال اسكت يا جاهل انت تقرا علي حرف ابي عاصم بن العلا
الكساي وانا اقرا علي حرف ابي حمزة بن عاصم المدني فقلت له معرفتك
بالقرا اعجب من معرفتك بالقران ومن اظرف النكت المضحكات
ما نقله بعضهم قال دخلت حمص وفي فمي درهم لاشتري به شيا
اكله فاذا انا برجل جالس في باب الجامع علي كرسي وعلي راسه عمامة
متحنك بها علي قلنسوة وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل وتقلد
سيفا وفي حجره مصحف وعنده كلب رابطه ممسك بمقوده فسلمت
عليه وقلت اتري القوم قد صلوا فقال لي وانت اعمي اما تري اني
جالسا قلت ومن انت قال ابو خالد امام الجامع قلت ما هذه الحلية
قال ورد رجل زنديق يقرا السبع الطوال ويشتم ابا بكر الصادق
وعمر القواريري وعثمان بن ابي سفيان احد حملة العرش الذي
زوجه النبي ابنته عايشة في زمن الحجاج بن المهدي فاستولدها
الحسن والحسين فقلت ما اعرفك بالانساب فقال وما خفي عنك
اكثر فقلت له اقرا لي شيا من القران فقرا واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك علي اخوتك فيكيدوا لك
كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا قال فرفعت يدي وصفعته
صفعة اطاحت عمامته عن راسه وبقي متحنكا فصاح بالناس

احملوه

احملوه للوالي فحملوني للمحتسب فاذا رجل حاسر الراس مكشوف العورة
عليه دراعة بلا سراويل فاخبروه بقصتي فقال يا مسكين
اهلكت نفسك هذا احكم الله فصبرا عليه فقلت وما حكم الله
قال اما ان اسمر عينيك واما ان اقطع يديك واما ان تدفع نصف
درهم قال فرفعت يدي فصفعت المحتسب صفعة ثم اخرجت
الدرهم وقلت النصف لك والنصف الاخر للامام وخرجت من
البلد وقد رويت هذه الحكاية علي غير هذه الصفة وهي ما حكي
ان المامون غضب علي بعض مقربيه فنفاه الي حمص فاقام بها
الي ان رضي عليه فلما حضر قال له المامون اخبرني باعجب ما
رايت من حماقة اهل حمص فقال يا امير المومنين لما دخلتها رايت
لهم من اللطافة وحسن النزهة ما انكرت منه حماقتهم فدخلت يوما
المسجد الجامع فرايت رجلا مكشوف الراس وعليه دراعة طويلة بلا
سراويل فقلت السلام عليك فلم يرد علي فكررت السلام فنظر
الي مغضبا وقال لعلك من هولاء الصفاعنة الذين ياتون من
اسفل الشام قلت وما شانهم قال انهم يبغضون ابا بكر الفاروق
وعمر بن عفان وعثمان بن يزيد ومعاوية بن الخطاب احد حملة العرش
الرحمن فقلت ومن معاوية هذا قال هو رجل ارسله الله الي قوم نوح
يعلمهم ان عصي موسي كانت من خشب النخل فلقبه محمود النبي فزوجه
ابنته عايشة فولدت له الحسن والحسين ايام الحجاج بن ابي مسلم
فقلت له اراك خبيرا بالتواريخ واسماء الرجال فقال كيف لا اكون
كذلك وانا افنيت عمري في هذا الفن وفي غيره فقلت له عسا

تحفظ القران قال اقروه باللغات السبع فقلت اقرا لي شيا منه فقرا
وكانوا اذا جاءهم بشيرا ونذيرا استغششوا استغشاشا وقاموا
الى ناقة الله فنجوها ومكروا مكرا كبارا فباي الاء ربكما تكذبان
فقلت له يا شيخ كيف ترضى بهذه الحالة مع حوزك هذه الفضايل
هلا سكنت بغداد لاجل ان يعرفوا فضلك فقال بغداد دار الجهلة
والمجانين ما اصنع بها فقلت صدقت وتركته قال فارسل المامون
في طلبه فوجده الرسول قد مات فاسف المامون على عدم رويته
وعن الحسين بن يحيى قال مررت بشيخ في حجره مصحف ويقراء ولله
ميزاب السموات والارض فقال هذا المطر الذي ترى فقلت انما هو
ميراث السموات والارض فقال انا منذ اربعين سنة اقراوها في مصحفي
هذا هكذا قال ابو فزارة الاسدي قلت لسعيد بن هشيم لم
حفظت عن ابيك عشرة أحاديث حتى يقولوا هذا ابن هشيم فسمعوا
منك قال شغلني عن ذلك القران فلما كان في يوم اخر قال الكان
خبير نبيا او صديقا قلت ومن خبير قال الذي قال الله عز وجل
فيه فاسئل به خبيرا فقلت له يا فاعل تزعم ان القران شغلك
وقال ابو عبيدة كان يجلس الى ابي عمرو بن العلا رجل فنخوض في
فنون من العلم والرجل ساكت لم تكلم حتى نقوم فقلنا لا يخلوا اما
ان يكون هذا الرجل مجنونا او اعلم الناس فقال يونس ساظهر لكم
امره فقال له يوما كيف علمك بكتاب الله قال عالم به قلت في اي
سورة هذه الاية الحمد لله لا شريك لمعن لم يقلها فنفسه ظلماء قال
فاطرق ساعة ثم قال هي في حم الدخان قال ابراهيم بن محمد بن عرفة

اصطحب

اصطحب ناس وكانوا يتذاكرون القران والاداب والاخبار وساير
العلوم وكان معهم شاب لا يخوض معهم الا انه كلما سمع شيئا من
ذلك قال رحم الله ابي والله ما كان يعدل بالقران وعلمه شيا وكانوا
يرونه اعلم الناس بالقرات فقال في اي سورة من القران هذه الاية
وفينا رسول الله يتلو كتابه ۔ اذا انشق مبيض من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ۔ اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
قال يا سبحان الله ولا تعرفون هذا هذا في حمعسق قالوا اما قصر
ابوك في ادبك فقال أو كان ابي يتغافل عني كتغافل ابايكم عنكم ؟
ومثلها ان رجلا قدم ابنا له الى القاضي فقال اصلح الله القاضي
ان ابني هذا يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي ما تقول يا غلام
فقال هو غير صحيح اني لا اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه اصلح الله القاضي
هل تصح صلوة بلا قراءة فقال اقراء فقال بسم الله الرحمن الرحيم
علق القلب ربابا ۔ بعد ما شابت وشابا ۔ ان دين الله حق لا ارى
فيه ارتيابا ۔ فقال ابوه والله ما تعلم هاتين الايتين الا البارحة
لانه سرق مصحفا من بعض جيراننا فقبحكم الله يقراء احدكم كتاب الله
ولا يعمل به وقال ابو المنبس كان في دربنا معلم طويل اللحية فكنت
العنبس ن
اجلس اليه كثيرا واتلهى به فجئته يوما وبين يديه صبي ويلك
الدجلة من حفرها قال عيسى بن مريم قال فالجبل من خلقه قال
موسى بن عمران قال فالبعر من دوره في است الجمل قال شيطان
يقال له الجن قال احسنت فادم من ابوه قال نوح قال بخ بخ
والله قال فقلت له يا سبحان الله اليس ادم ابا البشر قال نعم

قلت فكيف يكون نوح اباه فقال ويحك تعرفني بادم وانا ابو عبد الله
معلم الصبيان يا صبيان كرهتموه فحلفت ان لا اجلس بعدها الى
معلم وقال ابو علي الرازي كان الطالقاني من اصحاب ابي حنيفة
وكان مغفلا فقال يوما لابن عقيل كيف مذهبكم في المراة هل يجوز
ان يتزوجها ابنها فقال له ابن عقيل في مذهبنا تفصيل ان كانت
بكرا جاز وان كانت ثيبا جاز لم يجز فقال ما سمعت بهذا التفصيل
قط وتخاصم رجلان الى قاض احدهما يدعي حقا على الاخر يزعم انه
ميراث ابيه فقال اعز الله القاضي انا رجل من بعض قراباته قال
فمن اي وجه قرابتك لنعرف نصيبك من الميراث فقال كانت امراة
ابيه جدها لامها اخو عمة خالة اخي اختي بنت ابن ربيب خالي
فقال القاضي يا سفلة هذه اخلاط شربة لا نسبة ادفعوها الى
الصيادلة حتى يميزوها خلطا خلطا وتخاصم رجلان الى قاض
فقال احدهما اعز الله القاضي هذا اخي ومالي في يده وهو يزعم اني
توسوست ولست كما قال وانما طمع في اخذه فقال له القاضي ما تقول
قال نعم هو موسوس واخشى ان يضيع المال وطال النزاع فلم ير
القاضي في اخيه علامة الوسوسة فامر اخاه ان يرد عليه ماله
ويمكنه من التصرف فيه فوثب الموسوس الى القاضي فاخذ بشفتيه
وجعل يعركهما حتى ادماهما ويقول فديت شفيقات القاضي ما
احسن ما قاله والقاضي في اثناء ذلك يقول لاخيه احتفظ بماله
ولا تمكنه منه والعالم المشهور في هذا الباب جحا ويكنى ابا
الغصن وكان مغفلا شديد الغفلة فمما يحكى من غفلته ان رجلا

قال

قال له يا جحا سمعت الساعة من داركم صراخا قال نعم سقط قميصي
من فوق السطح فقال فاذا كان فقال يا احمق لو كنت فيه الم كنت تكسر
ومات له جار فارسلوه الى الحفار ليحفر له فجرت بينهما ملاحاة في اجرة
الحفر فمضى جحا الى السوق فاشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل
عن ذلك فقال ان الحفار لا يحفر باقل من خمسة دراهم وهذه الخشبة
بدرهمين فنصلبه عليها ونستريح من ضغطة القبر وارسله ابوه
يوما ليشتري له راسا من الشواء فاشتراه وجلس في الطريق فاكل
عينيه واذنيه ولسانه ودماغه وحمل الباقي لابيه فقال له ويحك
ما هذا قال الراس الذي طلبته قال اين عيناه قال كان اعمى قال
اين اذناه قال كان اصم قال فلسانه قال كان اخرس قال فدماغه
قال كان موذب اطفال قال ويحك رده وخذ الدراهم قال
اشتريته بشرط البراءة من كل عيب ومات ابوه فقيل له اذهب فاشتر
له كفنا فقال اخاف ان اذهب لشراء الكفن فتفوتني الصلاة عليه
وحكي ان المهدي احضره يوما ليمزح معه فدعا بالنطع فقال جحا
للسياف احذر ان يصيب محاجمي فاني احتجمت امس ودب ليلة على
جارية ابيه فانتبهت وقالت من انت فقال اسكتي انا ابي ووقع
جحا فانكسر ضلعه فاتاه عمه بالمجبر فقال المجبر ليس علاج هذا
الضلع كسائر الاضلاع انما علاجه ان يملأ جوفه بالطعام فجعل جحا
يلكزه بيده ويقول له ارفع صوتك حتى يسمع عمي قال ابن عاصم
كنت يوما عند ابن ابي ليلى فجيء بجحا وقد شج رجلا فقال ابن ابي
ليلى الكم بينة فقال جحا وما تنفع البينة اذا لم اقر انا وقد انكس

انكر الحافظ بن الجوزي غفلة جحا وقال روي عن مكي بن ابراهيم
انه قال رايته رجلا كيسا ظريفا والذي يقال عنه مكذوب عليه
لانه كان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه
ذلك قال ابو بكر الكلبي خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة
اذا انا بشيخ جالس في الشمس فقلت له يا شيخ اين منزل الحكم
فقال وراءك فرجعت الى خلفي فقال ويلك ترجع الى خلفك اخبرني
عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل
سفينة غصبا انه كان بين ايديهم فقلت ابو من انت قال
ابو الغصن فقلت الاسم قال جحا ولنذكر نبذة من لطائف
النساء الماجنات ذكر ابو حيان في كتابه البصائر قال كان
لطاهر بن الحسين جارية اسمها سكون فواعدها الزيارة ثم غفل
عنها وكانت قد تهيأت فكتبت اليه رقعة عنوانها الامير المظفر
الميمون ذو اليمينين طاهر من سكون وفي الرقعة

الا يا ايها الملك الهمام ۔ لامرك طاعة ولنا ذمام
نشطنا للزيارة وانتظرنا ۔ ولم يك غير زيك والسلام

فاعجبه ذلك وعجل زيارتها وقيل ان ابن ابي فتن الشاعر
نزل بجوار زرياب المغنية فقالت يا شيخ تحول من جوارنا لئلا
يقول الناس هذا الهجاء ابو هذه المغنية فقال لها الذي يلزمني
من العار اكثر لان الناس يقولون هذا الشاعر ابو هذه القحبة
وقال المقتدر لجارية عرضت عليه اتشتهين ان اشتريك قالت
ان اشتهيت ان تنيك وقالت عجوز لزوجها وقد رأته يزني اما

تستحي ان تزني ولك حلال طيب قال اما حلال فنعم واما طيب
فلا ووقع بين رجل وزوجته كلام فهتا جرا اياما ثم وثب عليها
فاخذ برجلها فلما فرغ قالت له حياك الله كلما قاطعتك جئتني
بشفيع لا استطيع رده قال ابو العيناء رايت جارية في النخاسين
تحلف انها لا ترجع الى سيدها فقلت لها لم ذلك فقالت يا سيدي
انه يجامعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن
بالقران ويصوم الخميس والاثنين ويفطر شهر رمضان ويصلي
الضحى ويترك صلوة الخمس وكان ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
قبيح الوجه ناتئ العينين يحكي عنه انه قال ما اخجلني قط
الا امراة اخذت بيدي وانطلقت الى نجار فقالت له مثل هذا
وتركتني ومضت فبقيت متحيرا فسالت النجار عن امرها فقال
ان هذه امراة سالتني ان اصنع لها عفريتا تفزع به ابنها اذا
بكى فطلبت منها مثالا فجاءتني بك وكان لرجل عنين امراة فراها
مع امراده فقال لها خرق على خرق فقالت الى ان اجد ما يسده
قالت امراة لزوجها يا مفلس يا قرنان فقال لها ان كنت صادقة
فواحدة من الله والاخرى منك وتزوج رجل امراة فولدت له
يوم دخوله بها فقال ما هذا فقالت له اظنك ملحدا قال وكيف
ذلك قالت اوليس الله بقادر على ان يخلق الولد من ساعته فقام
اليها وقبلها في راسها وقال لها تكلمك بالسنة احب الي من هذا
المولود وقال رجل لامراته الحمد لله الذي رزقنا ولدا طيبا
قالت ما رزق احد مثل ما رزقنا فدعاه فجاء فقال له الاب

يا بني من حفر البئر قال موسى بن عمران قال فمن بلطه قال محمد بن
الحجاج فشقت المراة جيبها ونشرت شعرها واقبلت تبكي فقال
ابوه ما لك تبكي قالت ابني لا يعيش مع هذا الذكاء قيل كانت
لرجل من الاعراب امراة رعناء فدخل عليها يوما فراها مغضبة فقال
لها ما لك قالت انك لم تشبب بي كما يشبب الرجال بالنساء قال
افعل وانشد • تمت عبيدة الا في ملاحتها • والحسن منها بحيث الشمس والقمر
• تخالف الظبي منها حين تبصرها • الا سوالفها والجيد والنظر •
• قل للذي عابها من حاسد حنق • اقصر فراس الذي قد عبت والحجر
فضحكت وفرحت ورضيت ولنذكر نبذة من اخبار ظرفاء
المجانين من ذلك ما حكاه بعض كتاب الكوفة قال اجتاز بي
جعيفران المجنون يوما فقال لي انا جايع فهل عندك ما تطعمني
فقلت عندي سلق بخردل فقال لي اشتر لي معه بطيخا قلت نعم
ودخل فبعثت الخادمة في شراء البطيخ وقدمت اليه الخبز والسلق و
بالخردل فاكل حتى شبع وابطات الخادمة فاقبل علي مغضبا وانشد
سلقتنا وخردلت • ثم ولت فازبلت • واراها بواحده • وافى الاير قد خلت
قال فخرجت اطلبها فوجدتها خالية في الدهليز مع سايس علي ما
وصف ولقيته امراة صبيحة فابتدر اليها واعتنقها فاجتمع الناس
يضربونه فقال • علقوا لحم البزاة • على ذروتي عدن •
• ثم لاموا الحب فيه على خلعة الرسن • لو ارادوا عفافه
نقبوا وجه الحسن ومن لطيف اخبار المجانين ما حكي عن ابي العباس
محمد بن يزيد المبرد قال دخلت البيمارستان فرايت جماعة من المجانين

على

على احوال مختلفة وبينهم شيخ يبرق جبينه بالدهن وهو جالس
على حصير نظيف مستقبل القبلة كانه يريد الصلاة فجاوزته
الى غيره فقال سبحان الله اين السلام فاستحييت منه وقلت
السلام عليك فقال لو كنت ابتدات لاوجبت علينا الرد الحسن
عليك غير انا نصرف سوء ادبك الى احسن جهاته من العذر لانه
يقال للداخل دهشة اجلس اعزك الله عندنا واوما الى حصير
بين يديه فجلست على الدنو منه فنادى اياك اياك فاحجمت
ثم قال وقد راى معي محبرة اتجالس اصحاب الحديث ام الاغبياء
ام الادباء اصحاب النحو والشعر فقلت الادباء فقال اتعرف ابا
عثمان المازني قلت نعم قال اتعرف الذي يقول فيه واي
فتى من مازن اهل البصرة امه معرفة وابوه نكرة قلت لا اعرفه
قال افتعرف غلاما قد نبع في النحو في هذا العصر معه ذهن
وله حفظ قد برز في النحو وجلس في مجالسه يعرف بالمبرد قلت
انا الخبير به قال فهل انشدك من عبثات شعره قلت لا احسبه
يقول الشعر قال سبحان الله اليس هو القايل •
حبذا ماء العناقيد • بريق الغانيات • بهما ينبت لحمي • ودمي اي نبات
قلت قد سمعته ينشد هذا في مجلس انس قال او يستحيي ان ينشد
هذا حول الكعبة ما تسمع الناس يقولون في نسبه قلت يقولون
هو من الازد ازد شنوءة ثم من ثمالة قال قاتله الله ما ابعد
غوره اتعرف قوله • سالنا عن ثمالة كل حي • فقال القايلون ومن ثماله
• فقلت محمد بن يزيد منهم • فقالوا زدتنا بهم جهاله •

قلت اعرف هذا الشعر لعبد الصمد بن المعذل يهجوه به قال كذب والله
كل من ادعى هذه غيره هذا كلام رجل لا نسب له يريد ان يثبت له بهذا
الشعر نسبًا فقلت انت أعلم فقال لي يا هذا قد غلبت بخفة روحك على
قلبي وقد اخرت ما كان يجب تقديمه ما الكنية اصلحك الله قلت
ابو العباس قال فالاسم قلت محمد قال فالاب قلت يزيد قال
قبحك الله احوجتني الى الاعتذار مما قدمت ثم وثب ليصافحني
فرايت قيده قد شد الى خشبة في الارض فامنت غايلته فقال لي يا ابا
العباس صن نفسك عن الدخول في هذه المواضع انت المبرد وأخذ
يصفق وتغيرت حالته فاسرعت ولم اعد له بعد ذلك ومن ظرفاء
المجانين خالد الكاتب والبهلول اما خالد الكاتب فقد قال ابن الكتبي ظرفاء المجانين
في كتابه الذيل على تاريخ ابن خلكان في ترجمة خالد بن هذا هو خالد ابن
يزيد ابو الهيثم البغدادي اصله من خراسان وكان احد كتاب الجيش
ولاه ابن الزيات الاعطاء ببعض الثغور فخرج اليها فسمع في طريقه
منشدا ينشد قوله

من كان ذا شجن بالشام يطلبه • فمن سوى الشام امسى الاهل والوطن

فبكى حتى سقط مغشيا عليه ثم افاق وقد اختلط عقله واتصل به
ذلك الى الوسواس وترك الكتابة وكان موسومًا بالمحبة للمردان م
ينفق عليهم ما يفيد فهوى غلامًا يقال له عبد الله كان ابو
تمام يهواه فقال فيه خالد

قضيب بان جناه ورد • تحمله جنة وورد
لما انثنى طرفي الى لثيه • مات غرام وعاش وجد

ملك

ملك يطيعه اللطف حتى • علمه الحسن كيف يبدو
واجتمع الضد فيه حتى • ليس لمخلوق سواه ضد

فبلغ ذلك ابا تمام فقال

شعرك هذا كله مفرط • في برده يا خالد البارد

فعلمها الصبيان ومازالوا يصيحون به يا خالد يا بارد حتى
وسوس ومن شعره

عش بحبك سريعًا قاتلي • والضنا ان لم تزرني واصلي
ظفر الشوق بقلب دنف • فيك والسقم بجسم ناحل
فهما ما بين وجد وضنى • تركاني كالقضيب الذابل

وكبر حاله وبلغ سنا عالية حتى رق جلده وعظمه قال علي بن محمد
ابن مقلة حدثني ابي قال اجتاز بي خالد الكاتب وانا على باب داري
والصبيان يولعون به فسالني صرفهم عنه فصرفتهم وادخلته داري
وقلت ما تشتهي قال هريسة فاحضرتها له فلما اكلها قلت ما تحب
بعد هذا قال رطبا فاحضرته له فلما فرغ من اكله قلت انشدني
قال ما قلته في زمن الصحو والجنون قلت انشدني ما شئت فانشد

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته • وكم مثله من مسعف ومعين
ورقت دموع العين حتى كانها • دموع دموعي لا دموع عيوني

من الطف ما تشنف به الاذان ما اورده الفاضل ابن خلكان
في تاريخه في ترجمة نفطويه قال حكى بعض اصحاب المبرد قال انصرفت
يوما من مجلس المبرد فبينما انا في الطريق امشي اذ خرج علي شيخ
من خربة وبيده حجر فهم ان يرميني فتسترت بالمحبرة والدفتر

فقال مرحبا بالشيخ فقلت وبك قال ومن اين اقبلت قلت من مجلس
المبرد فقال وما انشدكم بارذكم قال وكان من عادة المبرد ان يختم
مجلسه ببيتين من الشعر او ببيت فقلت له انشدنا

اغار الغيث نايله   اذا ما ماءه فقدا   وان اسد شكى جبنا   اعار فواده الاسدا

فقال اخطاء قايل هذا الشعر قلت كيف قال الم تعلم انه اذا اعار
الغيث نايله بقي بلا نايل واذا اعار الاسد فواده بقي بلا فواد
هلا قال مثل قولي هذا

علم الغيث الندا حتى اذا   ما وعاه علم الباس الاسد
فاذا الغيث مقر بالندا   واذا الليث مقر بالجلد

فكتبتهما عنه وانصرفت ثم مررت بعد مدة بذلك المكان فاذا
به قد خرج علي وبيده حجر فكاد يرميني به فتسترت بالمحبرة
فضحك وقال مرحبا بالشيخ فقلت وبك قال من مجلس المبرد قلت
نعم قال وما انشدكم قلت انشدنا

ان المروة والسماحة والندا   دفنا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاذبح له   كوم الجياد وكل طرف سابح

فقال اخطاء قايله قلت كيف قال لو نحر بخراسان لما وفاه
حقه هلا قال   احلاي ان لم يكن لكما   عقر الي جنب قبره فاعقرا بي
وانضحا من دمي عليه فقد   كان دمي من نداه لو تعلمان
قال فقلت له هل رايت احدا واسي احدا بنفسه قال نعم هذا الفتح
ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى اختلط لحمه بلحمه ودمه بدمه
ثم تركني ومضى قال فلما عدت الى المبرد قصصت عليه القصة

فقال

اخبار البهلول

فقال اما تعرفه قلت لا قال هذا خالد الكاتب ناخذه السوداء من
الخريف ايام الباذنجان انتهى و اما بهلول فكنيته ابو وهيب
بهلول بن عمر المجنون كوفي قال علي بن سعيد الكندي خرج الرشيد
حاجا فلقي بهلول راكبا على قصبة والصبيان يعدون خلفه فقال
من هذا قالوا هذا بهلول فقال كنت اشتهي ان اراه فادعوه لي
غير مروع فقالوا له اجب امير المومنين فعدا على قصبة فقال
له السلام عليك يا بهلول فقال وعليك السلام يا امير
المومنين فقال له عظني فقال له بم اعظك هذه قصورهم
وهذه قبورهم فبكي الرشيد فقال له الحاجب حسبك فقد اوجعت
امير المومنين فبكي الرشيد فقال له بهلول اسكت فانما افسده
انت واضرابك وساله يوما علي بن عبد الصمد البغدادي ان
ينشده ما قاله في رقة البشرة فقال له اكتب

اضمر ان اضمر حبي له   يشتكي اضمارا ضمار
رق فلو مرت به نملة   لخضبته بدم جاره

فقال اريد ارق من هذا فانشده

شبهته قمرا اذ مر مبتسما   يكاد يجرحه التشبيه او كلما
ومر في خاطري تقبيل وجنته   فسيلت فكرتي من وجنتيه دما

فقلت اريد ارق من هذا فقال يا ابن الفاعلة ارق من هذا كيف
يكون رويدك حتى انظر ان كان قد طبخ في المنزل حريرة ارق من هذا
ثم مر يعدو وتركني وحكى البحتري قال تعرضت لابي فحة وكان
مجنونا ببغداد وله بديهة حسنة وهو آخذ بيد غلام حسن فقال

له الغلام رجاء الخلاص من يده كيف اصبحت فانشد

اصبحت منك على شفا جرف ◦ متعرضا لموارد التلف
واراك تخوي عنه ملتفت ◦ متحرفا عني منحرف
يا من اطال بهجره تلفي ◦ اسفي عليك اشد من تلفي

قال فاخرجت له من كمي قبضة نرجس فاخذها وشمها وانشا يقول

لما تزوجت الجنوب بباطل ◦ جون سفوح زبرج ذلاح
اضحى يلقحها بوسمي الصبا ◦ فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا خان المخاض تفجرت ◦ فاتت باولاد بلا ارواح
جاد الربيع لها نباتا وشيت ◦ بيد الندا وانامل الارياح

وحكي ان جعيفران المجنون دخل يوما على علي بن اسمعيل فقال له اعطني درهما فامر الغلمان بطرده فولى وهو يقول

قد غرّ الناس ولم يكذبوا ◦ انك من غير بني هاشم

فقال لهم ردوه واعطوه درهمين فاخذهما وانصرف وهو يقول

قد كذب الناس احاديثهم ◦ يا هاشمي الاصل من آدم

وروى ان الرشيد قال يوما لبهلول ابو بكر وعمر خير ام علي بن ابي طالب فقال واحد بازاء اثنين لا يجوز ولكن علي والعباس خير من ابي بكر وعمر وحكي انه دخل يوما على الرشيد فاجلسه في صحن الدار وجلست زبيدة بحيث لا يراها وكان عند الرشيد عيسى بن جعفر فقال لبهلول يا بهلول قد امر امير المؤمنين لكل مجنون بدرهمين فقال له البهلول فهل اخذت نصيبك فقال له الرشيد ويلك يا ابن اللخنا اما تستحي مني فقال له وانت ايضا اعزل لنفسك

درهمين

درهمين ودخل يوما على الرشيد وعنده عليان جالس معه فكلمهما واغلظ لهما في القول فاغلظا عليه في الجواب فامر بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثة فضحك الرشيد وامر لهما بصلة وحكي سليمان بن الحارث قال كنت في موكب جعفر البرمكي اذ اعترضنا البهلول فارا من الصبيان وبيده حجران فالقاهما من يده واخذ بلجام فرس جعفر وانشد

يا جعفر الجود والانعام والكرم ◦ يا كعبة الفضل والانعام والنعم
يا من اذا السحب لم تسمح بدرتها ◦ كانت انامله تندى من الديم
ما لي اليك شفيع استعين به ◦ الا العلا وعظيم الاصل والشيم

قال له جعفر ما حاجتك قال ترد علي عقلي قال لا اقدر عليه قال تؤمني من الموت قال وهذه اصعب قال فتكفيني اولاد الزناء هؤلاء فامر بكفهم ولما مات ابو البهلول خلف له ستماية درهم فاخذها القاضي وحجر عليه فاتاه البهلول يوما فقال اصلح الله القاضي انك قد حجرت علي لما زعمت اني مصاب في عقلي فانا جايع عريان فارفع لي مايتي درهم اتجر فيها واقوم منها بنفقتي فاعطاه فانفقها ثم عاد له فقال يا بهلول ما صنعت بالمال قال انفقته فليزن مولانا القاضي من ماله عوضه قال فانت تجحدني ما اخذت قال لا ولكني ما اقمت عندك بينة برشدي ولا ثبت عندك قال صدقت وغرم القاضي عوضها من الطف ما مر بي من اخبار المحرورين ما ذكره ياقوت الحموي قال قدمت آمد فرايت اهلها مطبقين على مدح علي بن الحسين م

المعروف بشميم الحلي الشاعر وكان قد عمر دهرا طويلا قال م
فقصدته فوجدته شيخا كبيرا في السن نحيف الجسم وبين يديه
جدان مملو كتبا من تصانيفه فسلمت وجلست فاقبل علي وقال
من اين قدمت قلت من بغداد فاقبل يسالني عن اهلها واخبرهم
ثم قلت له قصدتك لاقتبس من علمك شيا قال من اي علم تحب
قال من علم الادب فقال ان تصانيفي فيه كثيرة وذلك اني كلما
رايت الناس يستحسنون شيا من الادب اعملت فكري فيه واتيت
بما ادحض به المتقدمين رايت الناس مجمعين علي تفضيل خمريات
ابي نواس فعملت منها ما لو عاش ابو نواس لاستحيي ان يذكر
شعر نفسه ورايتهم يمدحون خطب ابن نباته فصنفت كتاب
الخطب وليس للناس الان اشتغال الا بخطبي وجعل يزري علي
المتقدمين ويمدح نفسه فعجبت منه ثم قلت له انشدني من شعرك
شيا فانشد

امزج بمسبوك اللجين . ذهبا حلته دموع عيني . لما نعي ناعي الفراق
بين من اهوي وبيني . كانت ولم يقدر لشي . قبلها ايجاد كوني
فاحالها التحريم لما . شبهت بدم الحسين . خففت لنا شمسا من
لالايها في الخافقين . وبدت لنا في كاسها . من لونها في حلتين
فاعجب هداك الله من . كون اتفاق الضرتين . في ليلة بيد السرور
بها يطالبنا بدين . وبدا طلوع الراح مذ . قد كان مغلول اليدين
هي زينة الاحياء في . الدنيا وزينة كل زين . قال فاستحسنت
ذلك فقال لي ويحك يا جاهل ما عندك غير الاستحسان فقلت

له

له فاذا اصنع قال هكذا وقام يرقص ويصفق الي ان تعب ثم
جلس وقال ما اصنع بهولاء الذين لا يفرقون بين الدر والبعر
والياقوت والحجر فاعتذرت اليه وسالته ان ينشدني شيا
اخر من شعره فانشد

ليت من طول بالشام . ثواه وثوي به . جعل العود الي الزوراء
من بعض ثوابه . اتري يلتمني الدهر . ثري مسك ترابه
واري يا نور عيني . موطنا لي وتري به . فسالته عمن تقدم
من العلماء فلم يحسن الثناء علي احد منهم فسالته عن المعري فغضب
وقال ويلك تسيء الادب بين يدي من هو ذاك الكلب الاعمي حتي تذكره ٥
بين يدي ثم شطح وشتم وخلط فتركته ومضيت ولنمسك عنان
الطراد عن الجيال في ميدان الاستطراد وفيما ذكرناه كفايه
وهو في هذا الباب غايه والفكر في قول الناظم اذا اشكي الفكر
اهتمامه هو التامل في الشي ومثله الفكرة ويقال افكر في الشي
وفكر فيه بالتشديد وتفكر فيه بمعني ورجل فكير بوزن سكيت
يعني كثير التفكر ونسبة الشكوي الي الفكر من المجاز العقلي ويسمي
مجازا حكميا ومجازا في الاثبات واسنادا مجازيا وحقيقته اسناد
الفعل او معناه الي ملابس له غير ما هو له اي غير الملابس الذي
ذلك الفعل او معناه له يعني غير الفاعل فيما بني للفاعل
وغير المفعول فيما بني للمفعول وله ملابسات شتي تلابس الفاعل
والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب فاسناده الي
الي الفاعل والي المفعول به اذا كان مبنيا له حقيقة واسناده

الى غيرها للملابسة اي لاجل ان ذلك الغير يشابه ما هو له في
ملابسة الفعل مجاز ولا يخفى انه لا مجاز ولا استعارة في شيء من طرفي
الاسناد في الاسناد المجازي وانما الغرض تشبيه هذه الحالة بحالة
الاستعارة الاصطلاحية كما قال في دلائل الاعجاز تشبيه الربيع
بالقادر في تعلق وجود الفعل به ليس هو التشبيه المستفاد بكان
والكاف ونحوهما وانما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين
اعطى الربيع حكم القادر في اسناد الفعل اليه وهو مثل قولنا شبه
ما بليس فرفع بها الاسم ونصب بها الخبر فان الغرض بيان تقدير
قدروه في نفوسهم وجهة راعوها في اعطاء ما حكم ليس في العمل
مثال ما بني للفاعل واسند للمفعول به عيشة راضية اذ العيشة
مرضية وعكسه سيل مفعم اذ المفعم اسم مفعول من افعمت الاناء
اذا ملأته وقد اسند الى الفاعل ومثال الاسناد الى المصدر
قولهم جد جده ومثال الزمان نهاره صائم والمكان نهر جار والسبب
الامري بنى الامير المدينة والسبب الغائي ضربه التأديب ومثله
يقوم الحساب اي اهله لاجله وليعلم ان المجاز العقلي اعم من
ان يكون في النسبة الاسنادية او غيرها فكما ان اسناد الفعل
الى غير ما حقه ان يسند اليه مجاز فكذا ايقاعه على غير ما حقه ان
يوقع عليه واضافة المضاف الى غير ما حقه ان يضاف اليه لانه
جاز موضعه الاصلي من ذلك قوله تعالى شقاق بينهما ومكر الليل
والنهار وقول الشاعر ، يا سارق الليلة اهل الدار ،
وقولنا اعجبني انبات الربيع البقل وجرى الانهار ونحو قوله تعالى

ولا

ولا تطيعوا امر المسرفين وقولنا نومت الليلة واجريت النهر وما
اشبه ذلك من النسب الاضافية الايقاعية وح فالتعريف المتقدم
للمجاز العقلي اما تعريف له بحسب الاسناد خاصة ولمطلقه باعتبار
ان يجعل الاسناد المذكور في التعريف اعم من ان يكون يدل عليه
الكلام بصريحه كما مر او يكون مستلزما له كما في هذه الامثلة فانه
جعل فيها البين شقاقا والليل والنهار ماكرين والليلة مسروقة
والامر مطاعا وكذا فيما جعل الفاعل المجازي تمييزا كقوله تعالى
اولئك شر مكانا واضل سبيلا لان التمييز في الاصل فاعل وليعلم
ان هذا المجاز كما يدل عليه صريحا كما مر فقد يكون كناية كما ذكروا
في قولهم سل الهموم انه من المجاز العقلي حيث جعل الهموم محزونة
بقرينة اضافة التسلية اليها فافهم فانه مبحث لطيف ومقصد
شريف واقسام المجاز العقلي اربعة لان طرفيه وهما المسند اليه
والمسند اما حقيقتان وضعيتان نحو انبت الربيع البقل او مجازان
وضعيان نحو احيى الارض شباب الزمان فان المراد باحياء الارض
تهييج القوى النامية فيها واحداث نضارتها بانواع النبات
والاحياء في الحقيقة اعطاء الحيوة وهي صفة تقتضي الحس والحركة
الارادية وتفتقر الى البدن والروح وكذا المراد بشباب الزمان
ازدياد قوتها النامية وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في
زمان يكون حرارته الغريزية مشبوبة اي قوية مشتعلة او مختلفان
نحو انبت البقل شباب الزمان فيما المسند حقيقة والمسند اليه مجاز
واحيا الارض الربيع في عكسه والمجاز العقلي في القرآن كثير منه قوله

تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاسند الزيادة الى
ضمير الايات مجازا لان الزيادة فعل الله تعالى وانما الايات
سبب لها ومنه يذبح ابناءهم نسب الى فرعون التذبيح الذي
هو فعل جيشه لانه سبب امر ومنه ينزع عنهما لباسهما نسب نزع
اللباس عن ادم وحواء وهو فعل الله حقيقة الى ابليس لان
سببه الاكل من الشجرة وسبب الاكل وسوسته ومقاسمته اياهما
انه لهما لمن الناصحين ومنه يوما يجعل الولدان شيبا نسب الفعل
الى الزمان وهو لله حقيقة وهذا كناية عن شدته وكثرة الهموم
والاحزان فيه لان الشيب يتسارع عند تفاقم الاحزان او عن طوله
وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة ومنه واخرجت الارض
اثقالها جمع ثقل وهو متاع البيت اي ما فيها من الدفاين والخزاين
نسب الاخراج الى مكانه وهو فعل الله حقيقة ولابد للمجاز العقلي
من قرينة صارفة عن ارادة ظاهره لان المتبادر الى الفهم عند
انتفاء القرينة هو الحقيقة لفظية كما في قول ابي النجم
افناه قيل الله للشمس اطلعي . فانه قرينة لفظية صارفة
لاسناد ميز الى جذب الليالي او معنوية كاستحالة قيام المسند
بالمذكور معه عقلا يعني يكون من حيث العقل انه لا يدعي احد من
المحقين والمبطلين بانه يجوز قيامه به لان العقل اذا خلا ونفسه
يعده محالا كقولك محبتك جاءت بي اليك او عادة اي من جهة
العادة نحو هزم الامير الجند وقيام المسند بالمسند اليه اعم من
ان يكون عنه بجهة صدوره عنه كضرب وهزم او غيره كبعد

وقرب ومرض ومات وصدوره عن الموحد مثل اشاب الصغير
وافنى الكبير . كر الغداة ومر العشي . وانبت الربيع البقل فمثل هذا
الكلام اذا صدر عن موحد نحكم بان اسناده مجاز لان الموحد
لا يعتقد انه الى ما هو له ومعرفة حقيقته اما ظاهرة كما في قوله
تعالى فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم واما خفية لا
تظهر الا بعد نظر وتأمل كما في قولك سرتني رؤيتك اي سرني الله
عند رؤيتك وقول ابن المعتز .
يزيدك وجهه حسنا . اذا ما زدته نظرا
اي يزيدك الله في وجهه حسنا لما اودعه من دقايق الحسن والجمال
يظهر بعد التامل والامعان وكقولك اقدمني بلدك حق لي على فلان
اي اقدمتني نفسي لاجل حق لي عليه ومحبتك جاءت بي اليك اي جاءت
بي نفسي اليك لمحبتك وقول الشاعر .
وصيرني هواك وبي . لحيني يضرب المثل . اي
صيرني الله بسبب هواك بهذه الحالة وهو اني يضرب المثل بي
لهلاكي في محبتك ففي معرفة الحقيقة في هذه الامثلة نوع خفا
ولهذا لم يطلع عليها بعض الناس وانكر السكاكي المجاز العقلي
وقال الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية بجعل
الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة
في التشبيه وجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة والمراد
بالطبيب هو الشافي الحقيقي بقرينة نسبة الشفاء اليه
والحاصل ان يشبه الفاعل المجازي المذكور بالفاعل الحقيقي

في تعلق وجود الفعل به ثم يفرد بالذكر ويسند اليه شي من لوازم
الفاعل الحقيقي وفيما ذهب اليه السكاكي نظر لانه يستلزم ان
يكون المراد بعيشة في قوله تعالى فهو في عيشة راضية صاحبها
وليس كذلك اذ لا معنى لقوله فهو في صاحب عيشة وكذا لا معنى
لقولنا خلق من شخص يدفق الماء اي يصبه في قوله خلق من ماء
دافق ويستلزم ان لا يكون الامر بالبناء في قوله تعالى يا هامان
ابن لي صرحا لهامان لان المراد هو العملة انفسهم وليس
كذلك لان النداء له والخطاب معه واللوازم كلها منتفية
كما ذكرنا فينتفي كونه من باب الاستعارة بالكناية لان انتفاء
اللوازم يوجب انتفاء الملزوم وجوابه ان مبنى هذه الاعتراضات
على ان مذهب السكاكي في الاستعارة بالكناية ان تذكر المشبه
وتريد المشبه به حقيقة وهذا وهم لظهور ان ليس المراد بالمنية
في قولنا مخالب المنية نشبت بفلان السبع حقيقة بل المراد
الموت بادعاء السبعية له وجعل لفظ المنية له مرادفا للفظ
السبع ادعاء وقد قال السكاكي ندعي ان اسم المنية اسم للسبع
مرادفا له بارتكاب تاويل وهو ان المنية تدخل في جنس السبع
مبالغة في التشبيه وح يكون المراد بعيشه صاحبها بادعاء
الصاحبية لها وبالنهار الصائم بادعاء الصائمية له لا انه
لا بحقيقته حتى يفسد المعنى وتبطل الاضافة ويكون الامر
بالبناء لهامان كما ان النداء له لكن بادعاء انه بان وانه من
جنس العملة لفرط المباشرة ويحتمل ان يكون قول الناظم اذا

شكي

شكي الفكر اهتمامه من باب ايجاز الحذف واصله اذ اشكا صاحب
الفكر اهتمامه وايجاز الحذف هو ما يكون بحذف شي والمحذوف
اما جزء جملة مضاف نحو واسئل القرية اي اهل القرية او موصوف
نحو قول العرجي • انا ابن جلا وطلاع الثنايا • متى اضع العمامة
تعرفوني • الثنية العقبة وفلان طلاع الثنايا • اي ركاب
لصعاب الامور اي انا ابن رجل جلا اي انكشف امره او جلا الامور
اي كشفها فحذف الموصوف وقيل انما الصفة اذا كانت جملة لا
موصوفها الا بشرط ان يكون الموصوف بعض ما قبله من المجرور
بمن او بفي كقوله تعالى ومنهم دون ذلك وكقولك ما في القوم
دون هذا او في غيره نادر لا سيما اذا لزم منه اضافة غير الظرف
للجملة فلفظ جلا ههنا علم وحذف التنوين لانه محكي كيزيد في
قوله • نبئت اخوالي بني يزيد • ظلما علينا لهم فديد • لا
لانه غير منصرف للعلمية ووزن الفعل على ما توهمه بعض النحاة
لان هذا الوزن ليس مما يختص بالفعل ولا في اوله زيادة كزيادة
الفعل وتحقيق ذلك ان الفعل المنقول الى العلمية اذا اعتبر
معه ضمير فاعله وجعل الجملة علما فهو محكي والا فحكمه حكم المفرد
في الانصراف وعدمه او صفة نحو وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا اي كل سفينة صحيحة او نحوها كسليمة او غير
معيبة وما يؤدي هذا المعنى بدليل ما قبله وهو قوله فاردت
ان اعيبها فانه يدل على ان الملك كان ياخذ الصحيحة دون
المعيبة او جواب شرط اما لمجرد الاختصار نحو واذا قيل لهم اتقوا

مابين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اي اعرضوا بدليل ما بعده وهو
قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين
او للدلالة على انه جواب الشرط شي لا يحيط به الوصف او لتذهب
نفس السامع كل مذهب ممكن ولا يتصور مطلوبا او مكروها الا
وهو يجوز ان يكون الامر اعظم منه بخلاف ما اذا ذكر فانه يتعين
وربما يسهل امره الا ترى ان المولى اذا قال لعبده والله لئن قمت
اليك وسكت تزاحمت عليه من الظنون المعترضة للوعيد اكثر
مما لو نص على مؤاخذته على ضرب من العذاب وكذلك اذا قال المبتهج
اذا رايتني شابا وسكت جالت الافكار له بما لم يحل به لو اتى بالجواب
مثالهما اي مثال الحذف للدلالة على انه لا يحيط به الوصف والحذف
لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو
ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
روسهم عند ربهم ومنه قوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها
او غير ذلك كالحال نحو الكر بستين اي منه والمستثنى نحو زيد
جاني ليس الا والمضاف اليه نحو بين ذراعي وجبهة الاسد
ونحو يا رب ويا غلام وكجواب القسم نحو والفجر وليال عشر وجواب
لما نحو فلما اسلما وتله للجبين وكالمعطوف مع حرف العطف نحو
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي ومن انفق بعده
وقاتل بدليل ما بعده وهو قوله اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا واما جملة مسببة عن سبب مذكور نحو
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل ومنه قول ابي الطيب

اي المحذوف مؤلف

اتي

اتي الزمان بنوه في شبيبته • فسرهم واتيناه على هرم • اي
فساءنا او سبب لمذكور نحو قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفجرت ان قدر فضربه فيكون قوله فضربه بها جملة محذوفة
هي سبب المذكور نحو قوله تعالى فانفجرت ومنه قوله تعالى كان
الناس امة واحدة فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله
بدليل قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا ويجوز ان يقدر فان
ضربت بها فقد انفجرت فيكون المحذوف جزء جملة هي شرط كقوله تعالى
فالله هو الولي والفاء في مثل قوله فانفجرت تسمى فاء فصيحة وظاهر
كلام الكشاف ان تسميتها فصيحة انما هو على تقدير الثاني وهو
ان يكون المحذوف شرطا وظاهر كلام المفتاح على العكس وقيل انها
فصيحة على التقديرين والمشهور في تمثيلها قوله
• قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جئنا خراسانا •
او غيرهما اي غير المسبب والسبب نحو فنعم الماهدون بناء على انه
حذف المبتدا والخبر في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدا محذوف ونحو
واما اكثر من جملة نحو انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف اي فارسلوني
الى يوسف لاستعبره الرؤيا ففعلوا واتاه وقال له يا يوسف ومنه
بيت السقط • طرب لضوء البارق المتعالي • ببغداد وهنا ما لهن ومالي
اي طربن فاخذت اسكنها وهي لا تسكن شراعا و ذها وتدافعني
الى ان قضيت العجب من كثرة معاودتي وشدة مدافعتها والحذف
على وجهين احدهما ان لا يقام شي مقام المحذوف كما مر وان يقام
نحو وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فلا تحزن واصبر

اي الرجع مؤلف

لان تكذيب الرسل من قبله متقدم عليه على تكذيبه فلا يصح وقوعه
جزاءً له بل هو سبب لعدم الحزن والصبر فاقيم مقام المسبب ثم
الحذف لابد له من دليل وادلته كثيرة منها ان يدل العقل عليه اي
على الحذف والمقصود الاظهر على تعيين المحذوف نحو حرمت عليكم
الميتة اي تناولها فان العقل دل على ان الاحكام الشرعية انما تتعلق
بالافعال دون الاعيان فلا بد ههنا من محذوف والمقصود الاظهر
دل على ان المحذوف تناول لان الغرض الاظهر من هذه الاشيا تناولها
وتقديرا لتناول اولى من تقدير الاكل ليشمل شرب البانها فانه ايضا
حرام ومنها ان يدل العقل عليهما اي على الحذف وتعيين المحذوف
نحو وجاء ربك اي امره او عذابه فان العقل يدل على امتناع المجي على الله
ويدل على تعيين المحذوف بانه الامر او العذاب اي احدهما وليس المراد
انه يدل على تعيين الامر او تعيين العذاب فليتامل ومنها ان يدل
العقل عليه والعادة على التعيين نحو فذلكن الذي لمتنني فيه فان
العقل دل على ان في قوله فيه مضافا محذوفا اذ لا معنى للوم الانسان
على ذات شخص بل انما يلام على فعل كسبه واما تعيين المحذوف فانه
يحتمل ان يقدر في حبه لقوله قد شغفها حبا وفي مراودته لقوله
تراود فتاها عن نفسه وفي شانها حتى يشملهما اي الحب والمراودة
والعادة دلت على الثاني اي مراودته لان الحب المفرط لا يلام
صاحبه عليه في العادة لقهره اياه اي لقهر الحب المفرط صاحبه
وغلبته عليه فلا يصح ان يقدر في حبه ولا في شانه لكونه شاملا
له وتعين ان يقدر في مراودته نظرا الى العادة ومن ادلة

تعيين المحذوف الشروع في الفعل لان الشروع مثلا انما يدل على
ان المحذوف هو الفعل الذي يشرع فيه واما الدلالة على الحذف
فانما هي من جهة ان الجار والمجرور لابد له من فعل يتعلق هو به على ما
تشهد به القوانين النحوية ويدل على تعيينه الشروع في الفعل
نحو بسم الله فيقدر ما جعلت التسمية مبتدا له اي يقدر عند
الشروع في القراءة اقرا وعند الشروع في القيام والقعود بسم الله
اقوم واقعد وكذا كل فعل شرع فيه ومنها الاقتران اي ومن ادلة
تعيين المحذوف اقتران الكلام او المخاطب بالفعل كقولهم للمعرس
بالرفا والبنين اي اعرست فان كون هذا الكلام مقارنا لاعراس
المخاطب دل على ان المحذوف اعرست والباء للملابسة والرفا هو
الالتيام والاتفاق تقول رفات الثوب ارفاه اذا اصلحت ما
وهى منه قال الناظم رحمه الله تعالى

اين الغريض ومعبد . واشعب وابو دلامه .

اين اصله ظرف مكان ثم ضمن معنى حرف الاستفهام فبني على الفتح
طلبا للخفة وهو خبر مقدم لان اسماء الاستفهام لها الصدارة كما
تقدم والغريض مبتدا مؤخر قال شارحها العلامة السندوبي الغريض
علم منقول من اسماء الشعر لرجل قديم لم اقف على ترجمته انتهى وفيه نظر
لان المراد الغريض بالغين المعجمة وهو في الاصل المغني المجيد قال في
القاموس في فصل الغين من باب الضاد الغريض المغني المجيد وما
المطر وكل ابيض طري انتهى ثم لقب به عبد الملك قال ابو الفرج
الاصبهاني في كتابه الاغاني الغريض لقب لقب به عبد الملك لانه

كان طري الوجه نضرا غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك الغريض
الطري من كل شي قال ابن الكلبي شبه بالاغريض وهو الجمار فلقب به
بذلك وثقل ذلك على الالسنه فحذفت منه الالف فقيل له الغريض
وكنيته ابو زيد واخبرنا اسمعيل بن يونس الشيعي عن عمر بن شبه عن ابي
غسان عن جماعة من المكيين انه كان يكني بابا مروان وهو مولى العبلات
وكان مولدا من مولدات البربر قال اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري
قال حدثني محمد بن نصر الضبيعي قال حدثني عبد الكريم بن ابي معاوية
الغلابي عن هشام بن الكلبي عن ابي مسكين واخبرني احمد بن عبد العزيز
قال حدثنا عمر بن شبه قال وحدثني ابو غسان محمد بن يحيى ومحمد بن ابي
الازهر حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن الزبيري والمدايني ومحمد
ابن سلام وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريض قالوا كان الغريض

قصة الغريض المغني حفظ الله سؤلها

يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب وكان جميلا وضيا
وكان قبل ان يغني خياطا واخذ الغنا في اول امره عن شريح لانه
كان يخدمه فلما راي ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشي
ان ياخذ غناه فيغلبه عند الناس عليه ويفوقه بحسن وجهه وحسنه
فاعتل عليه وشكاه الي مولياته اللاتي كن دفعنه اليه ليعلمه الغناء
وجعل يتجني عليه فطرده فشكي الغريض ذلك لمولياته وعرفهن غرض
ابن سريج في تنحيته اياه عن نفسه وانه حسده على تقدمه فقلن
له هل لك ان تسمع نوحنا على قتلانا فتاخذه وتغني عليه قال نعم
فافعلن فاسمعنه المراثي فاخذها وخرج غناً عليها وكان ينوح
مع ذلك ويدخل الماء ثم يخرج وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن

كل من سمعه ولما كثر غناوه اشتهاه الناس وعدلوا اليه لما كان
فيه من الشجا فكان ابن سريج لا يغني صوتا الا عارضه الغريض
فيه وغني فيه لحنا اخر فلما راي ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه
وحسده فغني الارمال والاهزاج فاشتهاها الناس فقال له
الغريض يا ابا يحيى قصرت الغنا وحذفته قال نعم يا مخنث حين
جعلت تنوح على ابيك وامك انتني ومعبد كمعبد اسم رجل مغني ممدوح
على لسنة الشعراء قال الشاعر

اجاد طويس والسريجي بعده ۔ وما قصبات السبق الا لمعبد

وكل من طويس والسريج ممن تفرد بالغناء في عصره الا ان معبدا فاقهما
في ذلك وتقدم ان الغناء عن سريج واما طويس فهو اول من غني في
الاسلام وكان اسمه طاووسا فلما تخنث سمي بطويس وهو من مخنثي
المدينة وهو موصوف بالشوم ومن امثالهم اشام من طويس اي لانه
ولد يوم وفاة المصطفي صلى الله عليه وسلم وفطم يوم وفاة الصديق
رضي الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضي الله عنه وتزوج يوم قتل
عثمان رضي الله عنه وجاءه ولد يوم قتل علي او الحسين واسمه
عبد النعيم وفي نفسه قال انني عبد النعيم وانا طاووس الجحيم
انا اصعر من يمشي على الحطيم ۔ صوت والغنا فيه لمعبد

والله يا طرفي الجاني على بدني ۔ لتطفين بدمعي لوعة الحزن
اولا بوحن حتى يحجبوا سكني ۔ فلا اراه ولو ادرجت في كفني

صوت والغنا فيه لمعبد قال ابو الفرج لم يقع لي قايل هذا الشعر

باح بالوجد قلبك المستهام ۔ وجرت في عظامك الاسقام

يوم لا يملك البكاء اخو الشوق ... فيشفي ولا يرد سلام ... صوت والغنا فيه لمعبد

سلي هل قلاني من عشير صحبته ... وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي ... اذا اغبر مخشي الفجاج عميق
ولو تعلمين الغيب ايقنت انني ... لكم والهدايا المشعرات صديق

حكاية نفيسه

قال في الاغاني قيل ان الاحوص راد الشخوص الى يزيد بن عبد الملك فسال معبدا الصحبة قال الاحوص فانطلقت حتى اذا كنا بالبلقاء اصابنا مطر فاصبحت الارض منه غديرا فجلسنا نتغذا على جانب غدير فاذا جاريه بيضاء قد خرجت من قصر بازائنا وبيدها جرة فملتها من الغدير ثم رميت بها الارض فكسرتها فدعونا بها وقلنا لها قد رأينا منك عجبا فما سبب كسر الجرة قالت كنت وا تراب لي بالمدينة لآل الوليد بن عقبة وكنت عندهم كيف شيت حتى قدمت عليه ابنة عم له فما زالت منزلتها تعلو عندي حتى امرته ببيعي فابتاعني منه صاحب هذا القصر وهو رجل من آل الوصيد فانا فيه كالمسجونة لا ارى فيه داعيا ولا مجيبا فلما ملأت الجرة ذكرت شعرا كنت انا واترابي فيه لا نزال نتغنى به فوالله ما ملكت نفسي ان صنعت الذي رايتماه قلنا وما الشعر فاندفعت تغني هذه الابيات

يا بيت عاتكة الذي اتعزل ... حذر العدا وبه الفواد موكل
اني لامنحك الصدود وانني ... قسما اليك مع الصدود لاميل
واصد عنك وليس ذاك لبغضة ... الا مخافة كاشح لا يغفل
هل عيشنا بك في زمانك راجع ... فلقد تفاحش بعدك المتعلل

ولقد نزلت من الفواد بمنزل ... ما كان قبلك والامانة ينزل
ولقد شكوت اليك بعض صبابتي ... ولما كتمت من الهوى لك افضل
انا الشباب وعيشنا اللذ الذي ... كنا به زمنا نسر ونجذل
ذهبت بشاشته واصبح ذكره ... شجن يعل به الفواد وينهل
ابكي لما قلب الزمان جديده ... خلقا وليس على الزمان معول

فاجادت جدا فقلنا لمن هذا الشعر فقالت للاحوص قلنا فلمن الغنا قالت لمعبد قلت اتعرفيهما قالت لا والله قلت انا الاحوص وهذا معبد فسالناها عن اسم مولاها فاخبرتنا فلما وصلنا الدمشق وحضرنا مجلس يزيد اخبرناه بالقصة فكتب الى عامله على البلقاء فاشتراها بثلاثين الف درهم واشعب بالبا الموحده وقيل بالمثلثة في اخره وهو ابن جبير واسمه شعيب وكنيته ابو العلا وقيل ابو اسحاق وكان يقال لامه ام الخلندح وقيل ام حميده وهي مولاة اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل كان ابوه قد خرج مع المختار بن عبيد فاسره مصعب فضرب عنقه صبرا وقال اتخرج علي وانت مولاي ونشا اشعب بالمدينة في دور آل ابي طالب وتولت تربيته وكلفته عايشة بنت عثمان بن عفان حكي عنه انه حكى عن امه انها كانت تنمي بين ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهن ان خلقت وطيف فكانت تنادي على نفسها من راني فلا يرني فقالت لها امراة كانت تطلع عليها نهانا الله عنه فعصيناه نطيعك وانت مجلودة محلوقة راكبة على جمل وذكروا انها كانت مع عثمان رضي الله عنه في الدار فلما جرد ما لبك السيوف ليقتلوا فقال الحمد عثمان رضي الله عنه

لعله وكفلته

من اغمد سيفه فهو حر قال اشعب فلما وقعت في اذني كنت والله
اول من اغمد سيفه فاعتقت ولد اشعب سنة تسع من الهجرة
وكان اشعب خال الاصمعي وقيل خال الواقدي وقرا القران
وتنسك وروى الحديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وتوفي
١٥٤ وله اخبار ظريفة غير ما تقدم من ذلك ما حكى الصابئ
قاسم الكاتب قال قيل لاشعب طلبت العلم وجالست الناس
فلو جلست لنا فسمعنا منك فقال فجلس لهم فقال سمعت عكرمة
يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خلتان لا يجتمعان في مؤمن ثم سكت فقالوا وما الخلتان
قال نسي عكرمة واحدة وانا نسيت الاخرى وحدثنا الزبير
ابن بكار قال قال الواقدي لقيت اشعب يوما فقال لي يا ابن
واقد وجدت دينارا فكيف اصنع به قلت تعرفه قال سبحان الله
قلت فما الراي قال اشتري به قميصا واعرفه قلت اذن لا يعرفه
احد قال فذاك اريد . قال هيثم بن عدي اسلمت فاطمة بنت
الحسين في البزازين فقيل له كيف بلغت من معرفة البز فقال احسن
النشر ولا احسن اطوي وارجو ان اتعلم الطي ومر برجل يعمل طبقا
فقال اجعله واسعا لعلهم يهدون لنا فيه شيئا فيكون كبيرا
خير من ان يكون صغيرا خرج سالم بن عبد الله الى ناحية من
نواحي المدينة متنزها ومعه حرمه فبلغ اشعب فوافى الموضع
الذي هم فيه فصادف الباب مغلقا فتسور الحائط فقال له سالم ويحك
بناتي وحرمي فقال لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم

اخبار اشعب

سالم

ما

ما نريد فوجه اليه بطعام فاكل منه وحمل الى منزله وقال يا سليمان
الشاذكوني كان لي ابن في المكتب فانصرف فقال يا ابت الا احدثك
بظريف حديث فقلت نعم فقال كنت اقرا على المعلم ان ابي يدعوك
واشعب الطامع عندنا فلبس نعله وقال امش بين يدي فقلت
انما اقرا عشري فقال عجبت ان تفلح او يفلح ابوك وحكى الحسن
ابن علي الخلال عن ابي عاصم قال سمعت اشعب يقول ما زفت
بالمدينة امراة الى زوجها قط الا كنست بيتي ورفعت ستري طمعا
في ان تهدى الي وقيل لاشعب هل رايت اطمع منك قال نعم شاة
كانت لي على سطح فنظرت الى قوس قزح فظنته حبل قت فاهوت
اليه واثبت فسقطت من السطح فاندق عنقها وقدم على يزيد ابن
حاتم مصر فجلس مجلسه من الناس فدعى يزيد بعض غلمانه واسر
له بشيء فقام اشعب فقبل يده فقال له ولم فعلت ذلك قال اسررت
الى غلامك بشيء فعلمنا انك قد امرت لي بصلة فضحك منه وقال
ما فعلت ولكن اصروا امروا له بصلة وحكى المدائني قال اتي اشعب
بفالوذجة عند بعض الولاة فاكل منها فقال له كيف تراها يا اشعب
قال امراته طالق ان لم تكن عملت قبل ان يوحي الله الى النحل وحكى
المدائني عن محمد بن خلف قال حدثني رجل قال قلت لاشعب لو تغديت
عندي العشية قال اكره ان يجيء ثقيل قلت ليس غيري وغيرك
قال فاذا صليت الظهر فانا عندك فصلى وجاء فلما وضعت
الجارية الطعام اذا بصديق لي يدق الباب قال الا ترى قد صرت
الى ما اكره قال ان له عندي فيه عشر خصال قال فما هي قلت

اولها انه لاياكل ولا يشرب قال التسع خصال لك دعة يدخل
وجدت عن المدايني قال توضاء اشعب فغسل رجله اليسري
وترك اليمني فقيل له تركت غسل اليمني فقال لان النبي صلي الله
عليه وسلم قال امتي غر محجلون من اثار الوضو وانا احب ان اكون
اغر محجلا من الثلاث مطلق اليمين وحكي الهيثم بن عدي قال
لقيت اشعب فقلت له كيف تري اهل زمانك هذا قال يسئلون
عن احاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد وحكي المدايني
قال بعث الوليد بن يزيد الي اشعب بعد ما طلق امراته سعدة
فقال له يا اشعب لك عندي عشرة الاف درهم علي ان تبلغ
رسالتي سعدة فقال له احضر المال حتي انظر اليه فاحضر الوليد
بدرة فوضعها اشعب علي عنقه وقال هات رسالتك يا امير
المومنين قال قل لها يقول لك

اسعدة هل اليك لنا سبيل ... وهل حتي القيمة من تلاق
بلي ولعل دهرا ان يواتي ... بموت من خليلك او طلاق
فاصبح شامتا وتقر عيني ... ويجمع شملنا بعد افتراق

قال فاتي اشعب الباب فاخبرت بمكانه فامرت ففرش لها فرش
وجلست فاذنت له فدخل فانشدها ما امره فقالت لخدمها
خذوا هذا الفاسق فقال لها يا سيدتي انها بعشرة الاف درهم
قالت والله لاقتلنك او تبلغه كما بلغتني قال وما تهبين
لي قالت بساطي الذي تحتي قال قومي عنه فقامت فطوته ثم
قال هات رسالتك جعلت فداك قالت قل له

اتبكي علي لبني وانت تركتها ... وقد ذهبت لبني فما انت صانع

فاقبل اشعب فدخل علي الوليد فانشده البيت فقال اوه قتلتني
والله ما تراني صانعا بك يا ابن الزانية اختر اما ان أدليك
في البئر منكسا او ارمي بك من فوق القصر منكسا او اضرب راسك
بعمودي هذا ضربة واحدة فقال ما كنت فاعلا بي شيا من ذلك
قال ولم قال لانك لم تكن معذبا عينين نظرتا الي سعدة
قال له صدقت يا ابن الزانية اخرج عني قال الزبير حدثني
مصعب قال قال لي ابي كليب حدثت اشعب مرة فبكي فقلت
له ما يبكيك قال انا بمنزلة شجرة الموز اذا نشات ابنتها قطعت
هي وقد نشات انت في موالي وانا الآن اموت وانا ابكي علي نفسي
وكان اشعب يغني وله اصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة
يغنيها فمن اصواته

اروح من يقوم لكم مقامي ... اذا ما الامر جل عن الخطاب
الي من تفزعون اذا حثوتم ... علي قبري بايديكم ترابي

وقيل له هل رايت اطمع منك فقال نعم بغلة فلان القاضي
رات رجلا عليه طيلسان اخضر فظنته قتا فجرت خلفه
الي ان قيل للرجل ارم ما علي ظهرك فرمي الطيلسان عن ظهره وعدل
فاقبلت البغلة عليه فقضمته ثم ثنت راسها ومضت وسيل
مرة هل رايت اطمع منك قال نعم وذلك اني رايت يوما دخانا
في دار جيراننا فقلت لامي اغلي القصعة لعلهم يغرفون لنا منه
شيا فغسلت صحنين فسالتها عن ذلك فقالت لعلهم طبخوا

لونين مما نقله الزمخشري في امثاله عن عمرو بن بحر الجاحظ
قال لما قدم اشعب الى المدينة بغداد تلقاه اصحاب الحديث لانه
كان ذا اسناد فقالوا له حدثنا فقال خذوا حدثنا سالم ابن عبد الله
وكان يبغضني في الله وابغضه قال خصلتان لا يجتمعان
في مؤمن وسكت فقالوا اذكرهما فقال نسي سالم احدهما ونسيت
انا الاخرى فقالوا اخذنا عافاك الله في حديث غير هذا فقال
خذوا سمعت ظلمة تقول وكانت من عجايزنا اذا انا مت فاحرقوني
بالنار ثم اجمعوا رمادي في صرة فاتربوا به كتب الاحباب
فانهم يجتمعون لا محالة واوسوا منه الخاتنات ليذروا
منه على جروح الصبيات فانهن يلهجن بالزنا ما عشن فضحكوا
منه وتفرقوا عنه ومن لطائفه ما حكى انه كان بالمدينة امرأة
تصيب بعينها كل شي استحسنته فدخلت على اشعب في مرض موته
وهو في النزع وهو يقول لابنته يا بنية اذا انا مت فلا تندبيني
وتقولي يا ابتاه انك كنت للصوم والصلوة والفقه وقراءة
القرآن فيسمعك الناس فيكذبونك ويلعنوني ثم التفت
فرأى المراة فغطى وجهه بكمه وقال لها يا خالة بالله ان استحسنت
شيا مما انا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني
فغضبت المراة وقالت سخنت عينك وفي اي شي انت مستحسن
انت في اخر رمق فقال قد علمت ذلك ولكن لعلك تستحسنين رفق
ملك الموت بي وخفة النزع فيشتد ما انا فيه فخرجت وهي تشتمه
وضحك من كان حوله من الناس ثم فاضت روحه وقيل له يوما

هل رأيت اطمع منك قال نعم راهب في صومعة وذلك اني خرجت
يوما مع جار لي الى الشام فتلاحينا عند صومعة الراهب في شي
فقلت اير الراهب في است الكاذب فنزل الراهب من صومعته منعظا
ويقول ايكما الكاذب وقيل له يوما ما بلغ من طمعك فقال
اضجرني الصبيان يوما فقلت لهم ان في الموضع الفلاني عرسا
فنفروا عني فلما ذهبوا قلت ولعل ما قلت حق فمضيت
خلفهم فاخطأوا بي ومما حكي عنه انه قال لم يمت شريف قط
بالمدينة الا استعدي على وصيه او وارثه وقال له احلف
انه لم يوص لي بشي قبل موته انتهى واخباره كثيرة رحمه الله تعالى
وقوله وابو دلامه فهو زند بالنون بن الجون الشاعر كوفي
اسود كان مولى لبني اسد ابوه عبد لرجل منهم يقال له
فصافص فاعتقه ادرك اخر بني امية ولم يكن له نباهة في
ايامهم ونبغ ايام بني العباس وانقطع الى السفاح والمنصور
والمهدي وكانوا يفضلونه ويستطيبون نوادره ومدح المنصور
وذكر قتله ابا مسلم في ابيات قال فيها قوله

ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الاسد الورد
ابا مسلم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

وانشدها المنصور في محفل من الناس فقال له احتكم فقال عشرة
نوادر ابي دلامة
الاف درهم فامر له بها وقال له لما خلا به اما انك لو تعديتها
لقتلتك وقيل انه بقي الى خلافة الرشيد ولم يثبت ومن نوادره
لما ماتت حمادة بنت عيسى امراة المنصور والناس معه على

حزنها ينتظرون مجي الجنازة فقال المنصور يا ابا دلامه ما اعددت
لهذا المصرع قال حمادة بنت عيسي فاضحك القوم وضحك المنصور
حتي استلقي ثم قال ويحك فضحتنا بين الناس وكانت ابنة عم
المنصور وكان ابو دلامه صاحب نوادر وحكايات وادب ونظم
وكتب ابو دلامة الي سعيد بن دعلج وكان يومئذ يتولي الاحداث
بالبصرة وارسلها اليه من يغدا دمع ابن عم له

اذا جيت الامير فقل سلام ، عليك ورحمة الله الرحيم
واما بعد ذاك فلي غريم ، من الاعراب قبح من غريم
له الف علي ونصف الف ، ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن ، وصلت بها شيوخ بني تميم

فسير له دعلج ما طلب وكان من وقايعه انه لما كان روح بن حاتم
المهلبي واليا علي البصرة فخرج الي حرب الجيوش الخراسانية
ومعه ابو دلامة فخرج من صف العدو مبارز فخرج اليه جماعة
فقتلهم فتقدم روح الي ابي دلامة بمبارزته فامتنع فالزمه فاستعفاه
فلم يعفه فانشد

اني اعوذ بروح ان تقدمني ، الي القتال فيخزي بي بنوا اسد
ال المهلب حب الموت اورثكم ، ولم اورث لحب الموت من احد
ان الدنو الي الاعداء اعلمه ، مما يفرق بين الروح والجسد

فاقسم عليه ليخرجن وقال لماذا تاخذ رزق قال فما لك لا تبرز
الي العدو والله فقال ايها الامير ان خرجت اليه لحقت بمن مضي وما
الشرط ان اقتل عن السلطان بل اقاتل عنه فحلف روح ليخرجن

اليه

اليه فتقتله او تاسره او تقتل دون ذلك فلما راي ابو دلامة
الجد منه قال ايها الامير تعلم ان هذا اليوم اول يوم من ايام
الاخرة ولابد فيه من الزوادة فامر له بذلك فاخذ رغيفا مطويا على
دجاجة ولحم وبطيخة من شراب وشيا من نقل وشهر سيفه وحمل
وكان تحته فرس جواد فاقبل يجول ويلعب بالرمح وكان مليحا في
الميدان والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة حتي اذا وجدها حمل
عليه والغبار كالليل فاغمد ابو دلامة سيفه وقال للرجل لا تعجل
واسمع مني عافاك الله كلمات افتتحن اليك فاني اتيتك في مهم فوقف
مقابله وقال ماهو المهم قال اتعرفني قال لا قال انا ابو دلامة
سمعت بك حياك الله قال فكيف برزت الي وطمعت في بعد من قتلت
من اصحابك فقال ماخرجت لاقتلك ولا لاقاتلك ولكني رايت
لباقتك وشهامتك فاشتهيت ان تكون لي صديقا واني لادلك
علي ما هو احسن من قتالنا قال قل علي بركة الله تعالى قال اراك قد
تعبت وانت بغير شك جيعان ظمان قال هو كذلك قال فما علينا من
خراسان والعراق ان معي خبزا ولحما وشرابا ونقلا وهنا غدير ماء
غير بعيد بالقرب منا فاتبعني حتي نخرج من حلول الابطال فعمل
وروح يتطلب ابا دلامة فلا يجده والخراسانية تتطلب فارسا فلا
تجده فلما طابت نفس الخراساني قال له ابو دلامة ان روحا كما علمت
من ابناء الكرام وحسبك بابن المهلب جودا فانه يبذل لك خلعة
فاخرة وفرسا جوادا ومركبا مفضضا وسيفا محلا ورمحا طويلا
وجارية بربرية وان نزلك في اكثر العطا وهذا خاتمه معي لك فقال

ويحك وما اصنع باهلي وعيالي فقال استخير الله تعالي وسر معي
ودع اهلك فالكل يخلف عليك فقال سر بنا علي بركة الله تعالى فسارا
حتى قدما من وراء العسكر فجاءا علي روح فقال يا ابا دلامة واين كنت
فقال في حاجتك اما قتل الرجل فما اطقته واما سفك دمي فما طبت
به نفسا واما الرجوع خايبا فما اقدر عليه وقد تلطفت واتيتك
بالرجل اسير كرمك وقد بذلت له عليك كيت وكيت قال فمضي م
اذن وثق لي بان ينقل اهله فقال الرجل اهلي علي بعد ولا يمكنني
نقلهم الان ولكن امدد يدك اصافحك واحلف لك متبرعا بطلاق
الزوجة اني لا اخونك فان لم اف بعهد اذا حلفت بطلاقها فما ينفعك
نقلها فقال صدقت فحلف له وعاهده ووفي بما ضمنه له ابو دلامة
وزاد عليه وانقلب الخراساني معهم فقاتل الخراسانية ونكى فيهم اشد
نكاية وكان اكبر اسباب ظفر روح ذلك ودخل ابو دلامة على
المهدي فقال له سلني حاجتك فقال يا امير المؤمنين هب لي كلبا
فغضب المهدي وقال اقول لك سلني حاجتك فتقول هب لي كلبا
فقال يا امير المومنين الحاجة لي ام لك قال لك قال فاني اسالك
ان تهب لي كلب صيد فامر له بكلب صيد فقال يا امير المومنين هبني
خرجت الي الصيد أأعدو علي رجلي فامر له بدابة فقال يا امير
المومنين من يقوم عليها فامر له بغلام فقال يا امير المومنين هبني
صدت صيدا واتيت به المنزل فمن يطبخه فامر له بجارية فقال
يا امير المومنين هولاء اين يبيتون فامر له بدار فقال يا امير المومنين
قد صيرت في عنقي كفا من عيالي فمن اين اقوت هولا قال فان امير

المومنين

المومنين قد اقطعك الف جريب عامرا والف جريب غامرا فقال
اما العامر فقد عرفته فما الغامر قال الخراب الذي لا شي فيه قال انا
اقطع امير المومنين مائة الف جريب بالبدو ولكني اسال امير المومنين
جريبا واحدا عامرا قال من اين قال من بيت المال فقال المهدي
حولوا المال واعطوه جريبا فقال يا امير المومنين اذا حول منه المال
صار غامرا فضحك منه ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم قال ما
هي قال تاذن لي ان اقبل يدك قال ما الي الي ذلك سبيل فقال والله
ما رددتني حاجة اهون علي فقدا منها وتاخر ابو دلامة عن الحضور
بباب ابي جعفر اياما فامر بالزامه القصر والزمه الصلاة في مسجده
ووكل به فضرب به ابو دلامة ايوب المرزباني وزير ابي جعفر فدفع له
ابو دلامة رقعة مختومة وقال هذه ظلامة لامير المومنين فصلها
بخاتمها فاوصلها اليه فاذا فيها

الم تعلموا ان الخليفة لزني … بمسجده والقصر مالي وللقصر
اصلي به الاولى مع العصر دايما … فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم … ولا البر والاحسان والخير من امري
وما ضره والله يصلح امره … لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور واحضره وقال هذه قصتك قال دفعت الي ابي
ايوب قصة مختومة اسال فيها اعفاي من لزوم الذي امرني بلزومه
والذي كتبها الي ابو دلامة فقال له ابو جعفر اقراها قال ما احسن
اقراء وعلم انه ان قراءها احتج بذكر الصلاة فلما راه يحيد قال
يا خبيث لو اقررت ضربتك الحد ثم قال اعفيتك من لزوم المسجد

فقال ابو دلامة وكنت ضاربي يا امير المومنين لو اقررت قال
نعم قال مع قول الله يقولون ما لا يفعلون فضحك منه وتعجب
من انتزاعه ووصاله ومرض ولده فاستدعى طبيبا يداويه
وشرط له جعلا فلما برئ ولده قال ما عندنا شي نعطيك ولكن
ادعي على فلان اليهودي بمقدار الجعل وانا وولدي نشهد لك
به عليه فمضي الطبيب الى القاضي بالكوفة محمد بن عبد الرحمن بن
ابي ليلى وحمل اليه اليهودي وادعى عليه بذلك المبلغ فانكر فقال
له بينة فخرج واحضر ابا دلامة وولده وخاف ابو دلامة ان
يطالبه القاضي بالتزكية فانشد في الدهليز بحيث يسمع القاضي
فقال ؞ ان الناس غطوني تغطيت عنهم ؞ وان بحثوا عني ففيهم مباحث
؞ وان حفروا بيري حفرت بيارهم ؞ ليعلم قوم كيف تلك النباث
ثم اديا الشهادة فقال كلامك وشهادتك مقبوله ثم غرم المبلغ
من عنده واطلق اليهودي وما امكن ان يرد شهادتهما خوفا من لسانه
وتحمل المغرم من ماله وكان المنصور قد امر بهدم دور كثيرة تزدحم
في السور وكان من جملتها دار ابي دلامة فكتب الى المنصور يقول له
؞ يا ابن عم النبي دعوة شيخ ؞ قد دنا هدم داره وبواره
؞ فهو كالماخض التي اعتادها الطلق فقرت وما يقر قرارها ؞
؞ لكم الارض كلها فاعيروا ؞ عبدكم ما انطوى عليه جداره ؞
فامر له بدار عوضا عنها ولما قدم المهدي بن المنصور من الري الى
بغداد دخل عليه ابو دلامة للتهنئة والسلام فاقبل عليه المهدي
وقال كيف انت يا امير المومنين ثم انشد هذين البيتين فقال

؞ اني حلفت لئن رايتك سالما ؞ بقرى العراق وانت ذو وفر
؞ لتصلين على النبي محمد ؞ ولتملأن دراهما حجري ؞
فقال له المهدي اما الاولى فنعم واما الثانية فلا فقال جعلني
الله فداك انهما كلمتان لا يفرق بينهما فقال يملا حجر ابي دلامة
دراهم فقعد وبسط حجره فملاءه دراهم فقال له قم الان يا ابا
دلامه فقال يتخرق قميصي يا امير المومنين حتى اشيل الدراهم
واقوم فردها الى الاكياس ثم قام وخرج المهدي وعلي بن سليمان
الى الصيد ومعهما ابو دلامة فرمى المهدي ظبيا فشكه ورمى علي
ابن سليمان ظبيا فاخطاه واصاب كلبا فشكه فضحك المهدي
وقال يا ابا دلامة قل في هذا فقال ؞
؞ قد رمى المهدي ظبيا ؞ شك بالسهم فواده ؞ وعلي بن سليمان رمى
؞ كلبا فصاده ؞ فهنيئا لكما كل ؞ امرئ ياكل زاده ؞
فامر له بثلاثين الف درهم ودخل ابو دلامة على المهدي فقال يا امير
المومنين ماتت ام دلامه وبقيت ليس احد يعاطيني فقال انا
الله اعطوه الف درهم يشتري بها امة تعاطيه قال ودس ام
دلامة على الخيزران فقالت يا سيدتي مات ابو دلامة وبقيت ضايعة
فامرت لها الخيزران بالف درهم ودخل المهدي على الخيزران وهو
حزين فقالت يا امير المومنين مات ابو دلامة فقال انما ماتت
ام دلامة قالت ابو دلامه واخبرته واخبرها فقال لا خدعانا
والله وكان ابو عطا السندي مولى بني اسد قد هجاه بقوله ؞
؞ الا ابلغ لديك ابا دلامه ؞ فلست من الكرام ولا كرامه ؞

اذا لبس العمامة كان قردا ۰ وخنزيرا اذا وضع العمامه ۰
فلم يتعرض له ابو دلامه وهو اول من جمع بين تهنية المهدي م
بالخلافة وتعزيته بوالده ابي جعفر المنصور في قصيدته التي يقول
فيها ۰ عيناي واحدة ترى مسرورة ۰ بمليكها جذلا واخرى تذرف ۰
تبكي وتضحك تارة ويسوؤها ۰ ما انكرت ويسرها ما تعرف ۰
فيسوؤها موت الخليفة محرما ۰ ويسرها اذ قام هذا يخلف ۰
ما ان رايت كما رايت ولا ارى ۰ شعرا اسرحه واخر انتف ۰
هذا حباه الله فضل خلافة ۰ ولذاك جنات النعيم تزخرف ۰
وكان جبانا لا يقدر على مقاومة الفرسان حكي ان المنصور
قال يوما في بعض غزواته وابو دلامة معه وقد برز للميدان علج
من كفاني هذا العلج فله عشرة الاف درهم فطمع في ذلك ابو دلامة
وبرز له فلما راى منه ما لا طاقة له به ولى هاربا فقالوا هرب
ابو دلامة من خصمه فبلغ الخليفة ذلك فلامه ووبخه فقال له
عندي قول هرب قاتله الله خير من مات رحمه الله وفي بغلته
ضرب المثل فقيل بغلة ابي دلامة ويضرب به لكثرة العيوب
فيقال ما هو الا بغلة ابي دلامة وحمار طياب وشاة منيع وحمار
العبادي ۰ ويضرب المثل باخلاق البغال في التلون لتولده
بين مزاجين ۰ قال ابن حازم ۰
مالي اراك لا تدوم ۰ على المودة للرجال ۰
خلق جديد كل يوم ۰ كاخلاق البغال ۰ وقال اخر
ومتى سبرت ابا العلاء وجدته ۰ متلونا كتلون البغل ۰

اول من جمع بين التهنيه والتعزيه

واما حمار طياب المذكور في المثل فهو انه كان لطياب السقا حمار
قديم الصحبة ضعيف الحملة شديد الهزال كاسف البال
يستقي عليه ويرتفق به مدة من الدهر وكان عرضة لشعر ابي علانة
المخزومي ولابي علانة في وصفه بالضعف والتوجع له نيف وعشرون
مقطوعا اوردها حمزة الاصبهاني على حروف المعجم ولما مات حمار
ابي طياب مات ابو طياب بعده باسبوع ومات ابو علانة على اثر طياب
باسبوع فكان اتفاقا عجيبا فضرب بحمار ابي طياب المثل كبغلة ابي دلامة
في الضعف وكثرة العيوب ومن ملح ابن علانة في هذا الحمار
حمار اناخ به ضره ۰ ودار عليه بذاك الفلك ۰
يميل من الضعف في مشيه ۰ ويسلك في كل درب سلك ۰
اما الشعير فما ذاقه ۰ كما لا يذوق الطعام الملك ۰
تغني على الفت لما راه ۰ وقد جعله الجوع لما هلك ۰
اخذت فؤادي وعذبته ۰ واسهرتني فما حل لك ۰
واما شاة سعيد ومنيع فانه يضرب بهما المثل لكثرة ما قال الحمدوني
فيهما ۰ صاح بي سعيد من ورا الحجرات ۰ قرب الناس للاضاحي وانا قرب
شاتي ۰ شاة سوء من جلود ۰ وعظام نخرات ۰
كلما اضجعتها ۰ للذبح قالت بحياتي ۰ وحمارا العبادي
يضربان مثلا للشيئين الرديين ليس احدهما بامثل من الاخر
فيقال لحماري العبادي وهو الذي قيل له اي حماريك شر فقال
هذا ثم هذا وتحاكم نفر الى الرقاشي في ايهما ارذل الكناس والحجام
فانشد ۰ حمارا العبادي كالذي سل عنهما ۰ فكانا على حال من الشر واحد ۰

قال الناظم رحمه الله ٠ اين الألى هاموا بسعدى او بثينة او امامة

الألى مقصور جمع للذي وقد يمد قال الشاعر ٠

وتبلي الالى يستلئمون على الالى ٠ تراهن يوم الروع كالحدإ القبل

وقال اخر ٠ ابا لله كالشم الالاء لا كانهم ٠ سيوف اجاد القين يوما صقالها

والكثير استعمالها في جمع من يعقل ويستعمل في غيره قليلا وقد يستعمل

ايضا جمعا للتي كما في قوله في البيت الاول على الالى تراهن وقوله

محي حبها حب الالى كن قبلها ٠ وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

كما استعمل اللاء الذي هو جمع للتي جمعا للذي قليلا في قوله

فما اباؤنا بأمن منه ٠ علينا اللاء قد مهدوا الحجورا ٠

والهيام بالضم والتخفيف كالجنون من العشق وبالضم وتشديد

الياء الموسوس من العشق وكسحاب ما لا يتماسك من الرمل ورجل

هائم وهيوم متحير وهيمان وعطشان وهام يهيم هيما وهيما نا

أحب امراة كذا في القاموس وسعدى وبثينة وامامة اعلام

على نساء كزينب ودعد وهند ومية والرباب وليلى وعزة

وسعاد وكلهن ترنمت فيهن الشعراء وذكروا أوصافهن قال

الحريري في مقامته النحوية ٠

الى م سعاد لا تصلين حبلي ٠ ولا تؤوين لي مما ألاقي

صبرت عليك حتى عيل صبري ٠ وكادت تبلغ الروح التراقي

وها انا قد عزمت على انتصاف ٠ أساقي فيه خلي ما أساقي

فان وصلا ألذ به فوصل ٠ وان صرم فصرم كالطلاق

وعلى هذه الابيات بنى مقامته النحوية ٠ التي هي على غرار الالى

محتوية

محتوية ٠ قال فاستفهمنا العابث بالمثاني ٠ لم نصب الوصل

الأول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه ٠ لقد نطق بما اختار

سيبويه ٠ الى اخر ما ذكر من القرين ٠ والمبتكرات الدرر ٠ وقد كنت

وانا بالشهبا ٠ طلب مني سيادته بعض الادبا ٠ فاحجمت عن الاقدام

لكوني لا أصلح ان اكون لمباري اقلام ٠ فالح في الطلب ٠ ولم يزد

مدافعتي الا شغب ٠ فجاريته في ميدانه ٠ وان لم اكن من ابطاله

وفرسانه ٠ فقلت حكى الفكر الفاتر ٠ عن ما خلج في الضماير وقال

رفعت الهمم ٠ لنصب جولة الانبساط وتفريج الغمم ٠ حين

انخفضت عن الاقران ٠ وجزمتني عوامل المعاصرة المفضية

الى الحرمان ٠ فبني قلبي معهم على الكسر ٠ وخاطر غيري مبني على

الضم والجبر ٠ فنبت على الفتح لسان حالي ٠ وانتدبت الى

المساعدة افكار امالي ٠ ونادتني بالخروج الى بعض الروابي

والمروج ٠ عسى يكون لي ببعض الافاضل اختصاص ٠ فاخرج الى

فضاء المنادمة من ضيق الاقفاص ٠ فسموت سمو الحباب في التيار

وظهرت ظهور الشمس رابعة النهار ٠ اروم ان اكون بذي الخال

او على راس او عال ٠ وهل من اضر العنا ٠ ببلوغ مارام من المنا

فافضى بي المسير الى حبوب خيت ٠ بها من سائر الازهار نبت

وثمت عصابة اشدة ٠ كندامى جذيمة عدة ٠ قد دارت بينهم

كوس المحاضرة ٠ وعلت اصواتهم بتناشد الاشعار والمذاكرة ٠

وفيهم المخطي والمصيب ٠ والبوم والعندليب ٠ فبادرتهم

بالسلام ٠ وحييتهم بتحية الاسلام ٠ فردوا على سلامي وضربوا

صفحا عن محادثتي وكلامي • وقد كرهوا ورودي • واختاروا
قيامي علي قعودي • فجلست في ناحية عنهم • وانا ازن بميزان
النقد ما يصدر منهم • فدار بينهم مناشدة الاشعار • كدوران
كاسات العقار • فانشد شاديهم حين غرد من الطرب ساقيهم •
اعلمه الرماية كل يوم • فلما اشتد ساعده رماني • وقول
الاخر • ارموا العيش على برض فات • رهت ارتشافا رهت صعب المنتشا
وقولها • ما للجمال مشيها وئيدا • اجندلا يحملن ام حديدا •
فاختلفت اراء الجمع • بين نصب مشيها والرفع • واختلفا ايضا
بينهم الكلام • هل اشتد والمنتشا بالاهمال او الاعجام •
فاضطربت بينهم في ذلك الاقوال • وكثر في ذلك النزاع والجدال
وانا قاعد في زاوية الخمول • انتقد كلامهم في الفكر المصقول •
فالتفت بعض من حضر • والي بطرف نظر • فراي مني ابتسام •
من له بذلك خبرة والمام • فقال هل لك وصول • الي كشف خبايا
ما تقول • فاقسمت بمن هو للخلائق رب • انه يجوز في ذلك الرفع
والجر والنصب • ولا يختلف احد من الانام • ان المنتشا واشتد
يجوز فيهما الاهمال والاعجام • فلما سمعوا جوابي • ووقفوا على
حقيقة خطابي • نظروا الي بعين الاحتقار • وصاروا علي
يتغامزون بالابصار • فقلت ومن جهل للناس بصاير • ان لهذين
ايضا نظاير • فمنها قول المتلمس •
• احارث انا لو تساط دماؤنا • تزايلن حتى لا يمس دم دما •
ومنها لفظ الشطرنج وتسميت العاطس • التي يعمر فيهما الاديب

ينافس

وقف علي هذا مؤلفه حفظه الله

ينافس • فهذه ايضا جاء اعجامها واهمالها • ولا يخفى علي ذي معرفة
حالها • لكن حيث ازدريتم لمقالي • ولم ترضوا الا بنزالي • فما
شئ هو للفائدة عماد • والكلام منه لا يستفاد • وما شئ هو ركن
اول • وعلي ركنيته لا يعول • وما شئ من الاوصاف يجوز بما
هو ممنوع بلا خلاف • واي كلمة عند بعض الثقات • اثباتها نفي
ونفيها اثبات • وما شئ يدخل علي اثنين عند الانفراد •
واذا اجتمعا لا يدخل الا علي احدهما من غير ترداد • وما شئ لا يستقيم
علي حالته • وقد نهي عن مماثلته • وما شئ علي حرفين • وهو معرب
بلا مين • وما شئ يعمل مقلوبا ومستقيم • عند كل نحوي فهيم •
وما شئ يستوي فيه خطاب الانثى والذكر • ولا يختلف حاله الا
في بعض الصور • وما شئ لا يقبل غير حرفين • ولا يدخل عليه غير
هذين • وهل ثمة اثن لا يذكر له مؤنث عند النحاة من غير منكر • هذه
مسايل احد عشر • منتخبة غرر • فان زدتم زدناكم • وعلي منهل
المسايل اوردناكم • فلما اطلعوا علي هذه المنح • تهلل وجههم بالفرح
واقبلوا علي من كل جانب • وتزاحموا علي بالمناكب • فاخذت عليهم
العهود والايمان • ان لا يحتقروا قط انسان • وان كان رث
الثياب في مرائي العين • اشعث اغبر ذا طمرين • ومن اراد تفسير
احاجيها • وما اشتملت عليه من ابكار معانيها • فليراجع حلتنا
الشاميه • فانها علي ذلك وعلي كثير من الفوايد محويه • وبنية
حسن قد جميل وله فيها اشعار كثيرة منها قوله •
• لو والذي تسجد الجباه له • ما لي بما تحت ذيلها خبر •

تفت على هذه الظرف

ولا بفيها ولا همت بها . ما كان الا الحديث والنظر .
ولهذين البيتين قصة غريبة وهي ان بثينة دخلت على عبد الملك
ابن مروان فقال لها يا بثينة ما ارى فيك شيئا مما كان يقول جميل
فقالت يا امير المؤمنين انه يرنو الي بعينين ليستا في راسك
فقال كيف رايتيه في عشقه قالت كان كما قال
لا والذي تسجد الجباه له . البيتين ومن ذلك قول من قصيدة
. بثينة تزري بالغزالة في الضحى . كان اباها الظبي او امها المها .
حكي ان هشاما تامل في الوفود فلاحت له امراة عليها سمات
الجمال الا انها كبيرة السن وقد ذهب اكثر محاسنها فاستدعاها وقال
من انت فقالت بثينة فقال انت الذي يقول فيك جميل بثينة تزري
بالغزالة الخ فقالت له نعم وقد قال ابلغ من ذلك فقال لها فاذا
راى بك من المحاسن حتى استهام بك في الاودية والجبال فقالت له مثل
ما راى فيك الناس اذ ولوك الخلافة وفيهم من هو امثل منك فامر
بقضاء حاجتها واكرامها لسرعة جوابها وفصاحتها وعلى ذكر الغزالة
اقول انه قد سميت امراة شبيب بن يزيد الشيباني بالغزالة
وكان شبيب قد خرج في خلافة عبد الملك بن مروان والحجاج امير
العراق يومئذ وخرج بالموصل وهزم العساكر التي للحجاج وحصره
في قصر الكوفة وضرب باب القصر بعمود فثقبه وبقيت الضربة فيه
الى ان خرب قصر الامارة وكانت زوجته غزالة نذرت ان تصلي ركعتين
في مسجد الكوفة تقرا فيهما سورة البقرة وال عمران ففعلت وكانت
شجيعة وقيل فيها . وفت غزالة نذرها . يارب لا تغفر لها .

وهرب

واقعة شبيب

وهرب الحجاج في بعض حروبه من شبيب من غزالة فعابه عمران
ابن حطان السدوسي بقوله .
. اسد علي وفي الحروب نعامة . فتخاء تنفر من صفير الصافر .
. هلا كررت على غزالة في الوغا . بل كان قلبك في جناحي طائر .
قيل ان الحجاج لما برز له شبيب الخارجي في بعض ايام محاربته ابرز
اليه غلاما البسه سلاحه المعروف به واركبه جواده الذي لم يكن
يقاتل الا عليه فلما راه شبيب غمس نفسه في الحرب الى ان وصل له
وخلص اليه فضربه بعمود كان في يده وهو يظنه الحجاج فلما
احس الغلام بالضربة قال اخ بالخاء المعجمة فعرف شبيب بهذه
اللغة انه عبد فانثنى عنه وقال قبح الله الحجاج يتقي الموت بالعبيد
قال الحريري والعرب انما تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة ولما
عجز الحجاج عن شبيب بعث عبد الملك اليه عساكر كثيرة من الشام
فتكاثروا على شبيب فهرب شبيب فلما حصل على جسر دجلة بالاهواز
نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع وخوذ فالقاه في الما فقال
له بعض اصحابه اغرقا يا امير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم
فلما غرق القاه دجلة الى الساحل فحملوه الى الحجاج فشق بطنه واستخرج
قلبه فاذا هو كالحجر اذا ضرب به الارض نبا عنها فشق فكان
داخله قلب اخر صغير كالكرة فشق فاصيب فيه علقة من الدم
وكان شبيب اذا صاح على الجيش لا يلوي احد على احد ولما اغرق
احضر عبد الملك عتبان الحروري وهو يرمي راي الخوارج فقال له
يا عدو الله الست القائل .

فان يك منكم كابن مروان وابنه • وعمرو ومنكم هاشم وحبيب •
فمنا حصين والبطين وقعنب • ومنا امير المومنين شبيب •
فقال لم اقل ذلك يا امير المومنين وانما قلت ومنا امير المومنين شبيب
فقبل قوله وعفي عنه وهذا الجواب في غاية الحسن فانه اذا كان
قوله • ومنا امير المومنين شبيب مرفوعا كان مبتدا فيكون شبيب
امير المومنين واذا نصب كان معناه ومنا يا امير المومنين شبيب
ولم يخرج عليهم احد مثل شبيب فان ايامه طالت وهزم عدة
عساكر وجيوش الحجاج انتهى وفي المثل انوم من غزال لانه اذا رضع امه
فروي امتلاء نوما وقالوا تركت الشيء ترك الغزال كناسه وهو
الذي يستظل به من شدة الحر واذا نفر منه لا يعود اليه البتة

ومن محاسن شعر المتنبي قوله •

بدت قمرا ومالت خوط بان • وفاحت عنبرا ورنت غزالة •

وانشد الثعالبي لبعض شعراء عصره •

رنا ظبيا وغنى عندليبا • ولاح شقائقا ومشى قضيبا •

ومن شعر جميل •

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل • الى الان ينمي حبها ويزيد •
وافنيت عمري في انتظار نوالها • وابليت فيها الدهر وهو جديد •

ومن شعره اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي • من الوجد قالت ثابت ويزول
فما كل مخضوب البنان بثينة • ولا كل مسلوب الفؤاد جميل •

الى غير ذلك من الابيات وجميل هذا هو ابن عبد الله بن معمر ويكنى
ابا عمرو وهو احد عشاق العرب المشهورين بالعشق وصاحبته

بثينة

بثينة المذكورة وهما جميعا من عذرة وكانت بثينة تكنى ام
عبد الملك وعشق جميل بثينة وهو غلام صغير فلما كبر خطبها فرد عنها
فقال الشعر وكان يأتيها سرا ومنزلها وادي القرى فجمع له قومها
لياخذوه اذا اتاها فحذرته بثينة فاستخفى وقال •

ولو ان الغادون بثنة كلهم • غياري وكل منهم يبتغي قتلي •
لحاولتها اما نهارا مجاهرا • واما سرى ليل وقد قطعت رجلي •

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان وهو يومئذ عامل معاوية على
المدينة ليقطع لسانه فلحق بجذام باليمن وهي قبيلة من اليمن
فاقام هناك الى ان عزل مروان عن المدينة فانصرف عن بلاده
وكان يختلف اليها سرا وكان يصعد بالليل على قور رمل ويتنسم
الريح من عوارض بثينة حتى اذا تهور الليل ومل الوقوف اخذ في الانشاد
فيقول • ايا ريح الشمال اما تريني • اذوب وانني بادي النحول •
فهبي لي بحقك ريح بثني • ومني بالهبوب على جميل •
وقولي يا بثينة حسب نفسي • قليلك او اقل من القليل •

ثم ينصرف من الفجر وكانت بثينة تقول لجوار من الحي عندها وحكي
اني لاسمع انين جميل من بعض الغيران فيقلن لها اتقي الله فهذا من
عمل الشيطان وحدث عمرو بن شبة عن اسحاق قال لقي جميل
بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعاتبا ساعة فقالت له
ويحك يا جميل تزعم انك تهواني وانت الذي تقول •

رمى الله في عيني بثينة بالقذى • وفي الغر من انيابها بالقوادح •

قال فاطرق قليلا يبكي ثم قال بل انا القائل •

لينثني عني اصم نفوذني • بثينة لا يخفى علي كلامها • فقالت
وما حملك على هذا العنى أوليس في سعة العافية ما كفانا • حدث
الزبير بن بكار قال دخلت حماما بمصر يقال له حمام الفرقد فاذا لم أر
من خلق الله أحسن منه وظننته قرشيا فاعظمته وسألته من هو
فقال انا جميل بن عبد الله قلت صاحب بثينة فضحك وقال نعم
اني لأراها ستغلب على نسبي كما غلبت على عقلي قال فقلت له قد ملأ
بلاد الله بذكرها وصار اسمها لك نسبا واني لاظنها احدى الروقو
دقيقة الطنبوب كثيرة وسخ المرفق وله ديوان شعر فلا حاجة الى
ذكر شيء منه وقيل له لو قرأت القرآن لكان اعود عليك من الشعر
فقال هذا انس بن مالك اخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من الشعر لحكمة قال سهل بن سعد الساعدي لقيني رجل من اصحابي
فقال هل لك في جميل فانه ثقيل فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فقال
ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يقتل نفسا حراما قط يشهد
ان لا اله الا الله فقلت أظنه والله نجا فقلت من هذا الرجل قال
انا فقلت والله ما لو سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة
قال اني لفي آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة فلا نالتني
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت وضعت يدي عليها لريبة
قط فما قمنا حتى مات رحمه الله وذاكرت هذا بعض مشايخنا فقال
كيف يكون هذا اليس هو القائل •

فدنوت مختفيا الم ببيتها • حتى ولجت الى خفي المولج •
قالت وعيش أخي ونعمة والدي • لأنبهن القوم ان لم تخرج •

فتناولت

فتناولت رأسي لتعرف مسه • بمخضب الأطراف غير مشنج •
فخرجت خيفة قولها فتبسمت • فعلمت ان يمينها لم تحرج •
فلثمت فاها آخذا بقرونها • شرب النزيف ببرد ماء الحشرج •

وقدم جميل مصر على عبد العزيز بن مروان ممتدحا له فاذن له وسمع
مدائحه واحسن جائزته وسأله عن حبه بثينة فذكر وجدا كثيرا
فوعده في امرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزل وما يصلحه فما اقام
الا يسيرا حتى مات هناك في سنة اثنين وثمانين للهجرة رحمه الله تعالى
وذكر في الاغاني عن الاصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته
الوفاة بمصر انه دعاه فقال له هل لك ان اعطيك كلما اخلفه على
ان تفعل شيئا اعهده اليك قال فقلت نعم قال اذا انا مت فخذ
حلتي هذه فاعزلها جانبا وكل شيء سواها لك وارحل الى رهط بثينة
فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها والبس حلتي هذه واشققها
ثم اعل على شرف وقل هذه الابيات •

قومي بثينة فاندبي بعويل • وابكي خليلك دون كل خليل •

وامامة هي المقول فيها •

بكر العارض تحدوه النعامى • فسقاك الري يا دار امامه •
وتمشت فيك ارواح الصبا • يتأرجن بانفاس الخزامى •
وبجرعاء الحمى قلبي فعج • بالحمى واقر على قلبي السلاما •
وترحل فتحدث عجبا • ان قلبا سار عن جسم اقاما •
قل لجيران الغضى آه على • طيب عيش بالغضى لو كان داما •
حملوا ريح الصبا نشركم • قبل ان تحمل شيحا وثماما •

وابعثوا اشباحكم لي في الكرى • ان اذنتم لجفوني ان تناما •
ومن اشتهر حبه في الاقطار • وظهرت محبته لمحبوبته ظهور
الشمس رابعة النهار كثير عزة وهو ابن عبد الرحمن بن ابي جمعه
الاسود بن عامر بن عويمر الخزاعي أحد عشاق العرب المشهورين به
وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن اياس بن عبد العزى وله معها
حكايات ونوادر وامور مشهورة وأكثر شعره فيها وكان يدخل
على عبد الملك بن مروان وينشده وكان رافضيا شديد التعصب
لآل ابي طالب حكى ابن قتيبة في طبقات الشعرا ان كثير دخل يوما
على عبد الملك فقال له عبد الملك بن مروان وينشده وبحق ابي
طالب هل رايت اعشق منك قال يا امير المومنين لو نشدتني بحقك
لاخبرتك قال نشدتك بحقي الا ما اخبرتني قال بينما اسير في بعض
الفلوات إذا انا برجل قد نصب حبالة فقلت له ما أجلسك ههنا
فقال اهلكني واهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيا
ولنفسي ما يكفينا ويعصمنا يومنا قلت ارايت ان اقمت معك
فأصبت صيدا تجعل لي فيه جزوا قال نعم فبينما نحن كذلك
اذ وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني اليها وحلها
واطلقها فقلت وما حملك على هذا قال دخلني رقة لشبهها بليلي
وانشا يقول • ايا شبه ليلى لا تراعي فانني • لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها • فانت لليلى ما حييت طليق •
ولما عزم عبد الملك على الخروج لمحاربة مصعب بن الزبير هم
ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ان لا يخرج بنفسه

وان يستنيب غيره في حربه ولم تزل عليه في المسألة وهو يمتنع
من الاجابة فلما يئست اخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من
جواريها وحشمها فقال عبد الملك قاتل الله ابن ابي جمعه يعني
كثيرا كانه راى موقفنا هذا حين قال •
اذا ما اراد الغزو لم يثن عزمه • حصان عليها نظم در يزينها •
نهته فلما لم تر النهي عاقه • بكت فبكى مما شجاها قطينها •
ثم عزم عليها ان تقصر فاقصرت وخرج لقصده • ويقال ان
عزة دخلت على ام البنين ابنة عبد العزيز وهي اخت عمر بن عبد العزيز
زوجة الوليد بن عبد الملك الاموي فقالت لها ارايت قول كثير
قضى كل ذي دين فوفى غريمه • وعزة ممطول معنى غريمها •
ما كان ذلك الدين

ما كان ذلك الدين قالت قبلة وعدته بها قالت ام البنين انجزيها له وعلي اثمها
ولها بقية في الطبقات وكان لكثير غلام عطار بالمدينة
وربما باع نساء العرب بالنسيئة فاعطى عزة وهو لا يعرفها شيا
من العطر فمطلته اياما وحضرت الى حانوته في نسوة فطالبها
فقالت حبا وكرامة ما اقرب الوفا واسرعه فانشد متمثلا •
قضى كل ذي دين فوفى غريمه • وعزة ممطول معنى غريمها •
فقالت النسوة اتدري من غريمتك فقال لا والله فقلن هي عزة
فقال اشهدكن انها في حل مما في يدها ثم مضى الى سيده فاخبره بذلك
فقال له كثير وانا اشهد الله انك حر لوجه الله ووهبه جميع ما في
حانوته من العطر فكان ذلك من عجيب الاتفاق • ولكثير في المطل
بالوعد شعر كثير فمن ذلك قوله •

اقول لها من بين مطلت ديني ٭ وشر الغانيات ذوو المطال ٭
فقالت ويح غيرك كيف اقضي ٭ غريما ما ذهبت له بمال ٭ ومن شعره
قوله ٭ وقد زعمت اني تغيرت بعدها ٭ ومن ذا الذي يا عز لا يتغير ٭
تغير جسمي والخليقة كالذي ٭ عهدت ولم يخبر بذلك مخبر ٭
ولما قتل يزيد بن المهلب ابن صفرة وجماعة من اهل بيته بعقر
بابل ٭ وكانوا يكثرون الاحسان الي كثير فلما بلغه ذلك قال
ما اجل الخطب ٭ ضحي بنو حرب بالدين يوم الطف ٭ وضحي بنو
مروان بالكرم يوم العقر ٭ واسبلت عيناه بالدموع وحدثنا
ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني ان كثيرا خرج من عند
عبد الملك بن مروان وعليه مطرف فاعترضته عجوز في الطريق
اقتبست نارا في روثة فتافف كثير في وجهها فقالت من انت
فقال كثير عزة فقالت الست القائل ٭
فما روضة زهرا طيبة الثري ٭ يمج الندا جثجاثها وعرارها ٭
باطيب من اردان عزة موهنا ٭ اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها ٭
فقال كثير نعم فقالت لو وضع المندل الرطب علي هذه الروثة لطاب
ريحها هلا قلت كما قال امرؤ القيس ٭
الم تر باني كلما جئت زائرا ٭ وجدت بها طيبا وان لم تطيب ٭
فناولها المطرف وقال لها استري علي هذا قال ابن خلكان
وسمعت بعض مشايخ الادب في زمن اشتغالي بالادب يقول ان
النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة اوصاف الروضة ايضا
فكانه قال ان هذه الروضة الطيبة الثري التي يمج الندا جثجاثها

وعزارها

وعرارها اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي باطيب من اردان
عزة وعلي هذا لا يبقي عليه اعتراض لكنه يبعد ان يكون هذا مقصوده
وكان كثير ينسب الي الحمق وروي انه دخل يوما علي يزيد بن عبد الملك
فقال يا امير المومنين ما يعني الشماخ بقوله ٭
اذا الارطي توسد ابرديه ٭ خدود جوازئ بالرمل عين ٭
فقال يزيد وما يضرني ان لا اعرف ما عني هذا الاعرابي الجلف واستحمقه
وامر باخراجه ودخل كثير علي عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز
يعوده في مرضه واهله يتمنون انه يضحك وكان يومئذ امير مصر
فلما وقف عليه قال لولا ان سرورك لا يتم بان تسلم واسقم لدعوت
ربي ان يصرف ما بك الي ولكني اسال الله لك العافية ولي في
كنفك النعمة فضحك عبد العزيز وانشد كثير يقول ٭
ونعود سيدنا وسيد غيرنا ٭ ليت التشكي كان بالعواد ٭
لو كان يقبل فدية لفديته ٭ بالمصطفي من طارف وتلاد ٭
ومما يستجاد من شعر كثير قصيدته التائية التي من جملتها قوله
واني وتهيامي بعزة بعدما ٭ تسليت من وجد بها وتسلت ٭
قال الناظم رحمه الله تعالى وبكوا لفرط جواهم ٭ والليل قد ارخي ظلامه
اي وبكوا الافراط جواهم من شدة المحبة والغرام والكابة والهيام ٭
فنادي لسان الحال مفصحا وقال ٭ ايها العاشق المشوق ٭ والمحب
المحروق ٭ والواله الحيران ٭ والظامئ العطشان ٭ ما هذا الدمع
الهامي الهامل ٭ والعقل الذاهب الذاهل ٭ والجفن المقروح ٭ والكبد
المجروح ٭ والدمع المنسجم ٭ واللهب المضطرم ٭ ان ادعيت حصول

مرض . او زعمت حصول امر قد عرض . كما زعمه ابو العتاهية
حيث يوري ويقول . كم من صديق لي . اسارقه البكاء من الحيا
فاذا تامل لامني . فاقول ما لي من بكاء . لكن ذهبت لارتدي
فطرفت عيني بالرداء . وهذا المعنى اخذه من قول بشار كما
اعترف هو به حين قال له ابو العتاهية لا والله يا ابا معاذ
ما لذت الا بمعناك ولا اجتنيت الا من غرسك حيث تقول .
شكوت الى الغواني ما الاقي . وقلت لهن ما يومي بعيد
فقلن لقد بكيت فقلت كلا . وقد يبكي من الطرب الجليد .
ولكني اصاب سواد عيني . عويد قذى له طرف حديد .
فقلن فما لدمعهما سواء . اكلتا مقلتيك اصاب عود .
فكف دمعك عن ذلك . وافق قلبك من حالك الحالك . كيف
وكلما قلت لجفنك زال العارض فكفف دمعك ازداد . ومتى قلت
لقلبك اما تشعر هام مع الشعراء في كل واد . اليس هما من اعظم
الادلة والشهود . او ما هذه حالة لا يمكن معها الكتم ولا الجحود .
علامة ذل الهوى على العاشقين البكا . ولا سيما عاشق اذا لم يجد
مشتكى . بل هي علامة ظاهرة يعرف بها العشاق . فصرح بمن
تهوى ولا تخف ما صنعت بك الاشواق شعر .
لولا مدامع عشاق ولوعتهم . لبان في الناس عز الماء والنار .
فكل نار فمن انفاسهم قدحت . وكل ماء فمن دمع لهم جار .
ابعد دمعك الهامي وقلبك الهائم . وشهادة الظاهر والباطن
عند قاضي الحب الحاكم . يمكنك التمويه والانكار . ويسعك التوجيه

والاسرار . فارق يا اخا الادب والوجد في هذا الترقي من الظاهر
الى الباطن في اعلى الطباق . وحدق النظر في حدايق الادب
لتنظر ما بين العين والقلب من الشقاق . وقد اورد صاحب
ديوان الصبابة مجادلة وقعت بين العين والقلب من حيث
ان العين تتمتع بالنظر والقلب يتعذب بالالم والضجر . وهي
مشهورة بين اهل الادب . وامر كتم المحبة والغرام . واخفا شواهد
الوجد والهيام . فهو امر مقرر مشهور . وقد مال الى التصريح الجمهور
اخفيت حبكم فاخفاني اسى . حتى لعمري كدت عني اختفي .
وكتمته عني فلو ابديته . لوجدته اخفى من اللطف الخفي .
ولكل من الفريقين . وجه وجيه في الطريقين . اما اهل الكتم فلان اخفا
ادلة لا تخفى عند اهل الغرام . ولكنما بهم شواهد لايحة واضحة
وضوح البرق في جنح الظلام . وذلك انهم راوا المحبة كنزا مكنوزا
وسرا لا يحسن ان يذاع مرموزا . فيجب كتمانه عن كل احد . ويتحتم
صونه عن الوالد والولد . وراوا كشف استاره . وظهور
اسراره . مما يكون سببا للوشاة عند الحبيب . ودواعيا للملازمة
اللاحي والرقيب . وعرضا لعذل العذول . باعثا للوم اللايم
مانعا من حصول الوصول . ربما فرق بين المحبوب والعشاق . وكدر
ما صفا من ماء الود والوفاق . وربما اظهر الاسرار . وكان سببا في
بعد المزار الى غير ذلك من الامور . الباعثة على الكتم المانعة من
الظهور . ما اظرف العباس بن الاحنف حيث يقول .
وسعى بها ناس وقالوا انها . لهي التي يشقى بها ويكابد .

وجدتهم ليكون غيرك ظنهم ۔ اي ليعجبني المحب الجاحد ۔

ولهذين البيتين قدمه المامون في الصلوة عليه علي ابراهيم النديم الموصلي والكسائي وهشيم حين امره الرشيد بالصلوة عليهم واما من صرح وباح ۔ ولوح بالغرام وناح ۔ واظهر احواله واعلن مقامه ولم يلتفت للعذل واللوم ۔ وقال ليقل من شا ما شا خرج الامر وعقلي لا عتب علي اليوم فاني ذو المحبة افضل حليه واجل خلة واحسن وصف وجمال ۔ واجل نعت وكمال ۔

وما الناس الا العاشقون ذووا الهوى ۔ ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال ابن جني في الخصايص نشر الحب واظهاره هو الاكثر في كلامهم وهو الانسب عندهم والاعذب علي سمعهم لان فيه ايذانا بان صاحبه يعجز عن ستره مثله ولو امكنه اخفاوه والتحامل به لكان مطيعا له قال عمر بن ابي ربيعه ۔

فقلت لهم ما بي لهم من ترقب ۔ ولكن سري ليس يحمله مثلي ۔

انتهي وهذا الكتم والاظهار ۔ والاخفا والاشهار ۔ مبني علي حالة الاختيار ۔ دون حالة الاضطرار ۔ والظاهر انهما بين الحالتين انما علكهما العاشق في اول امره ۔ عند قدرته علي كتم هواه وسره واما اذا تمكن عليه سلطان الغرام بقهره ۔ وادخله باسره تحت حكمه واسره ۔ فعند ذلك يرتفع عنه الملام ۔ ويستولي عليه الوله والهيام ۔ وينشد عنه في هذا المقام ۔

الا ليقل من شا ما شا انما ۔ يلام الفتي فيما استطاع من الامر

قضي الله حب العامرية فاصطبر ۔ عليه فقد تجري الامور علي قدر ۔

ولله

ولله در سيدي عمر بن الفارض رحمه الله حيث قال ۔

هو عبرة نمت به وجوى نمت ۔ به حرق ادواوها بي اودت

فطوفان نوح عند نوحي كادمعي ۔ وايقاد نيران الخليل كزفرتي

ولولا زفيري اغرقتني ادمعي ۔ ولولا دموعي احرقتني زفرتي ۔

وما الطف قول المتنبي في هذا المعني ۔

حاشا الرقيب فخانته ضمايره ۔ وغيض الدمع فانهلت بوادره

وكاتم الحب يوم البين منهتك ۔ وصاحب الدمع لا تخفي سرايره

ويعجبني هنا قول ابن عربي الموصلي ۔

انا صب ودمع عيني صب ۔ واسير من الضنا في قيودي

وشهودي علي الهوي ادمع العين ۔ ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الظهير الاربلي ولكنه قصد تعديلهما بجرحهما ۔

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا ۔ دون الورا انت العليم بقرحه

وهما بحبك شاهدان وانما ۔ تعديل كل منهما في جرحه

ولله در ابن المولي في قوله ۔

وقد طال توقاني اكفكف عبرة ۔ علي ومنه كادت النفس تزهق

وانسان عيني في دواير لجة ۔ من الماء يبدو تارة ثم يغرق ۔

وللعين من دمعي سريحا صبابة ۔ رشي الرجا والجايل المترقرق

وهذا المتنبي يقول ۔

بكيت يا ربع حتي كدت ابكيكا ۔ وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

فعم صباحا لقد هيجت لي شجنا ۔ واردد تحيتنا انا محيوكا

باي حكم زمان صرت متخذا ۔ ريم الفلا بدلا عن ريم اهليكا

ايام فيك شموس ما انبعثت لنا . الا ابعثن دما باللحظ مسفوكا
والعيش اخضر والاطلال مشرقة . كان نور عبيد الله يعلو كا

وقال . اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل . دعي فلباه قبل الركب والابل
ظللت بين اصيحابي اكفكفه . وظل يسفح بين العذر والعذل

وما اظرف الارجاني حيث يقول من جملة قصيدة .

ولله ربع من اميمة عاطل . توشحه الانداء باللولو الرطب
جعلت به قيد الركايب وقفة . اذا شاء ربع الحي طالت على صحبي
رميت محيا دارهم عن صبابة . بسافحة الانسان سافحة الغرب
اروي بها خدي وفي القلب غلة . وقد يخطي الغيث امكنة الجدب

والدمع حار وبارد فدمع الفرح بارد ودمع الحزن حار . ومن ثم قيل في المثل احر من دمع المقلاة وقيل برد الله دمعتك يعني ابرد عينك او فرحك لان البكا من الفرح دمعه بارد ويكون من شدة السرور قال الات
طفح السرور علي حتى انه . من عظم ما قد سرني ابكاني

وقد يوجد الحزن ولا يوجد البكا . وقد اعتذرت عن ذلك الشعرا ومن الطف ما قيل في ذلك قول ابي فراس في الروميات .

اقول وقد ناحت بقربي حمامة . ايا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى . ولا خطرت منك الهموم على بال
اتحمل محزون الفواد قوادم . على غصن نائي المسافة عال
ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا . تعالي اقاسمك الهموم تعالي
ايضحك ماسور وتبكي طليقة . ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة . ولكن دمعي في الحوادث غالي

ولم

وله من قصيدة وهي من الروميات ايضا .

اراك عصي الدمع شيمتك الصبر . اما للهوى نهي عليك ولا امر
بلى انا مشتاق وعندي لوعة . ولكن مثلي لا يذاع له سر
اذا الليل اضواني بسطت يد الجوى . واذللت دمعا من خلايقه الكبر
تكاد تضي النار بين جوانحي . اذا هي اذكتها الصبابة والفكر

لجوا ابا الفضل الحرقة وشدة الوجد من العشق والحزن من باب صداقتها الجوا فهو جو والليل لجة جلة حالية من ضميمة بكوا العابد الى الانه في البيت قبله ولم تزل احوال العشاق مختلفة في السهر والارق . ومتفاوتة في الوجد والقلق ومنهم من حصل النوم في الليال . ذريعة الى اصطياد طيف الخيال . ومما ارق قول القايل حيث قال .

وزارني طيف من اهوى على حذر . من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا . وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت واما لي تخيلني . نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

بقاك من نكد الوجود ان الانسان يرى في منامه انه وجد مالا او اصاب جوهرا او ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيا وربما يرى انه قد احدث فاذا انتبه كان ذلك يقينا ثم انشد

ارى في منامي كل شي يسوني . ورويا ي بعد النوم ادهى واقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم . وان كان شرا جاني قبل اصبح

ومن هذا المعنى قول الاحنف العكبري

واحلم في المنام بكل خير . فاصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي . لقيت الشر من قبل الاذان

قال الصلاح الصفدي في شرح اللامية واعلم ان السبب في
تاخر تحقق المنامات الجيدة وسرعة تحقق المنامات الردية
هو ان القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات توجب تعجيل
البشارة بالخير الكاينة قبل وانها مدة طويلة لتكون مدة
الفرح والسرور اطول فتكون النفس المغتبطة بالبشارة مرتاحة
بتوقع وصولها قبل حصولها وموجب الانذار بالشرور الكاينة
في زمان تقريب حصولها لتقصير زمان الهم والغم الي اخر ما ذكر
وقد كان هذا المحب قانعا بالوصال مكتفيا لو امكنه المنام
بطيف الخيال . شعر .

اهلا بطيفكم وسهلا . لو كنت للاغفاء اهلا . لكنه وافي وقد حلف الغرام علي انْ لا

وفي هذا الاكتفا عند اهل الادب ما لا يخفي غير ان اهل الغرام
لما منعوا طيف الخيال لعدم المنام تقوموا وتوهموا ان المحبوب
ارسل طيف خياله . نايبا عنه عند عدم وصاله . ولله در المتنبي في
مقاله .

لا الحلم جاد به ولا بمثاله . لولا ادكار وداعه وزياله .
ان المعيد لنا المنام خياله . كانت اعادته خيال خياله .
بتنا تناول من قلايد جيده . وتنال عين الشمس من خلخاله .
بنتم عن العين القريحة فيكم . وسكنتم طي الفواد الواله .
فدنوتم ودنوكم من عنده . وسمحتم وسماحكم من ماله .
اني لابغض طيف من احببته . اذ كان يهجرنا زمان وصاله .

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما علي الوزير الزينبي
وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما

ثالث لانني قد استوفيت المعني فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله . فما شفاني منه الضم والقبل .
ما زارني قط الا كي يوافقني . علي الرقاد فينفيه ويرتحل .

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في قوله فقال ان اعادهما سمع
لهما ثالث فاعادهما فقال .

وما دري اذ نومي حيلة نصبت . لطيفه حين اعيي اليقظة الحيل .

ومن لطايف القاضي الفاضل في انشا به ان الطيف لا اعتد
بمنه وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطي الي اغصان القنا
وخاض جداول الظبا . ووطي شوك النصال . وعثر بحبال الحبال
وحل واعتنق الشهب التي حول روان . ودنا واطراف القسي
دوان . وكيف اعتد له بمنة والفكر بدنيه وانا يقظان .
ويمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخيلني منه
ورب احباب خالين به ذوي ويوجدنيه وانا رهن شوقي لو
طلبوني عندي ما وجدوني انتهي وما الطف الشهاب محمود في
قوله سري والدجا شوق اليه وتذكار . خيال اتانا من ضلوعي لبنان

امره بالتهويم سر قدومه . اذا ما استزارته جفون وافكار .

قالوا وما ولع احد بطيف الخيال ولوع البحتري ولا ابدع فيه مثل
ابداعه حتي صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال طيف البحتري فمن ذلك
قوله

بلي وخيال من اثيلة كلما . تاوهت من وجد تعرض يطمع
يري نفلتني ما لا تري من لقايه . وتسمع اذني رجع ما ليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل . ترد به نفس اللهيف وتسمع

وقد اوضح بعضهم الحال، بما هو كالسحر الحلال، وارق من طيف حيث قال

عاتبت طيفا لذا اهوى وقلت له ... كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال انست نارا من جوانحكم ... يضيء منها لذا السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها ... نور يضيء فماذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الامر واحدة ... انا الخيال ونار الشوق تخييل

واعتذر كشاجم عن تاخر الخيال، على لسان الحبيب فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم ... علي وقالت رحمة لغيبي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا ... وسادك ان يلقاه طيف رقيبي

ومما وقع لي في هذا المعنى قولي

على غفلة في جنح ليل توهما ... رايت حبيبي في المنام يعود
وحولي من الواشين جمع عدمتهم ... فيا رب حتى في المنام شهود

وقول بعضهم

منامارايت الحب اقبل زائرا ... حماي وحولي من حماه قريب
فيا رب حتى الطيف فيه مراصد ... كئيب وحتى في الخيال رقيب

وما اظرف القاضي الارجاني في اعتذاره عن محبوبته وتلطفه في مزارها حيث يقول

وعدت باسترافة للقباء ... وباهداء زورة في خفاء
واطالت مطل المحب الى ان ... وجدت خلسة من الاعداء
ثم غارت من ان يما شيها الظل ... فزارت في ليلة ظلماء
ثم خافت لهارات انجم الليل ... شبيهات باعين الرقباء
فاستنابت طيفا يلم ومن ثم ... لك غفايهم بالاغفاء
هكذا نيلها اذا نولتنا ... وعناء سماح ذا البخلاء

يهدم

يهدم الانتهاء باليأس منها ... ما بناه الرجاء بالابتداء

ومثل هذا الاعتذار اعتذار شرف الدين بن عنين حيث كتب من اليمن الى اخيه

سامحت كتبك في القطيعة عالما ... ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل

والثاني لابي العلاء المعري وهو من المبالغات المقبولة ولا تنس يا اخا الادب القاضي السيد هبة الله بن سناء الملك حيث يقول

بات تعانقني ولكن في الكرى ... اترى درى ذاك الرقيب بما جرى
ونعم دري لما راى في بردتي ... زردا وشم من الثياب العنبرا
طيف تخطى الهول حتى يشتري ... بيت الحشا فقد اشترى وقد اجترا
مازار الا في نهار جبينه ... فاقول سار ولا اقول له سرى
بابي وامي من حلمت بذكرها ... لما انتبهت وقد رقدت تعسرا

ويعجبني في هذا الباب قول الاديب الشهاب بن كمية الشهير بالعنابي حيث شرح الحال لطيف الخيال فقال

ارسل الطيف جاريا بالملام ... فمضى وهو عادل بالسلام
قال لي كيف نمت والشرط في الحب ... ان لا تذوق طعم المنام
قلت عذرا فما منامي عن ... حبيبي والعذر عند الكرام
غير اني عندي رسالة شوق ... وحبيبي عني بعيد المرام
واخاف الصبا على سرها ... وهي معتلة بحمل الخزام
فتوهمت كي اراك فاملك ... عزامي ومن حفظ الزمام
هاك يا طيف قل لبدر اني ... منذ فارقته حليف سقام

جل جسمي بنابلوس وقلبي ۔ عنده في طرابلوس الشام
وَبمراك ما لقيت فحدث ۔ عن عيانٍ وخل نقل الكلام
هل ترى غير اعين باكيات ۔ تتراءى في باليات العظام
دنف لو حملته لم تجدني ۔ حمله من عنا ولا آثام
في ظلام من وحدة وفراق ۔ اذ من غاب بدره في الظلام
لا كتاب ولا رسول يوافي ۔ بسلام الحبيب من منذ عام
اتناسى ما بيننا من عهود ۔ في عقود محكومة الانبرام
ان تناسى فلست ناسٍ وعندي ۔ من محياه شاهد بالتزام
عن يميني وعن شمالي وخلفي ۔ وامامي في قعدتي وقيامي
وترى الطرف يحمد القلب اذ كنت ۔ لم موسنا بطول المقام
وترى القلب يحمد الطرف ۔ اذ كنت لم موحشا بطول انضرام
نفسي ذا الفراق يطوي ۔ ويطفي بتلاق وما فيهما من خصام
اهل وادي طرابلوس خصمي ۔ نحوكم قاده الهوى بالزمام
كلما طال بعدكم طال شوقي ۔ فابتدائي في حبكم كالختام

وهذه طريقة للعشاق معهوده ۔ وحيلة لحصول ذلك الطيف مقصوده ۔ ولبعضهم رسالة الطيف مشهورة ۔ واشعارهم المتنوعة في هذا المعنى كالدرر المنثوره ۔ وفي البكا راحة للمحزون ۔ واطفا لنار الشجون ۔ فقد كان السلف فيما مضى يبكون على ما صدر منهم حتى قال بعضهم لو لم يكن يبكي الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس بغير طاعة لكفاه رحمه الله ابن المقري حيث يقول
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى ۔ بملئ السما والارض اية ضيعة

انظر الى ادم عليه السلام وبكايه على خطيته بعد ما تاب الله عليه وبعد هبوطه من الجنة ؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ادم وحوا بكيا على ما فاتهما من نعيم الجنة مايه سنة وقال وهب بن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكي ثلاثماية سنة لا يرقى له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم حين اخرجه الله من الجنة اكثر وقال مجاهد بكى ادم مائة عام لا يرفع راسه الى السماء وانبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوا حتى انبت الله من دموعها القرنفل والافاوى واما داود عليه السلام فبكى اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمان فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض القدح من دموعه وروي عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه كان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليهما السلام لبكايه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيا تواري به اضراسك عن

مطلب نفيس في البكاء

فاذن لها فعمدت الى قطعة لبود فالصقتها على خديه فكان
اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت
اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال
اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال
له زكريا يوما يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيني فقال
يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء قال زكريا عليه السلام فابك يا بني وقيل كان الخليل
عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا
في ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقريك السلام ويقول هل
رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي
نسيت خلتي واما الصالحون من السلف والخايفون من الخلف
فبكاوهم مشهور . وحالهم في الخوف غير منكور . قال الغنيري اجتمع
اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة
وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم
ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعا
كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج
قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي
فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال امر يجده الخايفون في
قلوبهم قالوا وما هو قال روعة لنداء بالعرض على الله عز وجل كان الخواص
يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني

مدامع العشاق ما تفتر . وطرفه من جزع ينهمر .

وقلبه

تف على هذا المحل خط السر مولفه

وقلبه من خوف معبوده . ملتهب من جزع منكر . فلو تراه في دجى الليل
والدمع من اجفانه يقطر . رايت عبدا خايفا واقفا . على عقبا الخوف ما يعثر
وانما خص البكاء بالليل لان الليل اخص زمان للمحبين لجمعهم الحواس
فيه واختلف في تفضيل الليل على النهار فقيل ان الليل افضل
لان الاسراء كان فيه ولانه وقت الصلوة التي فرضت عليه صلى الله عليه وسلم
دون غيره في قوله تعالى قم الليل الا قليلا . قال بعض اهل الاشارات
لما محى الله اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان
اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر الليل على النهار
بالشمس فقال ان كانت الشمس تشرق فيك ففي عرج شمس الوجود
الى السما قال ابن وهب اكرم الله نبينا صلى الله عليه وسلم
ليلا بامور منها انشقاق القمر وايمان الجن به ورويته اصحابه
نيرانهم كما في صحيح مسلم وخروجه الى الغار ليلا والليل اصل
ولهذا كان اول الشهر ليلته وسواده يجمع ضوء البصر ويجد كليل
النظر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم اكثر اسفاره ليلا
وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل
والليل وقت الاجتهاد في العبادة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم
حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل في حقه واجبا وقدم الحق
تعالى الليل في كتابه على ذكر النهار فقال عز وجل وجعلنا الليل
والنهار ايتين وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا الى غير ذلك من الايات وصح انه صلى الله عليه وسلم
قال ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل

فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفر
فاغفر له الحديث وهذه الخصوصية لم تجعل للنهار ولان الله تعالى
اكرم اقوامًا في الليل بانواع الكرامات كقوله تعالى في قصة ابراهيم
فلما جن عليه الليل الاية وفي لوط فاسر باهلك بقطع من الليل وفي
موسى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الايات ووقعت المناجاة مع
موسى ليلا وامر باخراج قومه ليلا وصنف بعضهم كتابا فرج فيه
افضلية الليل بوجوه منها ما تقدم ورجح بعضهم افضلية النهار
بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة
ويوم الجمعه ولكن رد هذا بانه بالنسبة الى الايام لا الليالي وبان
ليلة القدر خير من الف شهر وقد دخل في هذا اربعة الاف جمعة
وكما اختلف في تفضيل الليل على النهار اختلف في تفضيل ليلة القدر
على ليلة الاسرا فقال بعضهم ليلة القدر افضل وقال بعضهم ليلة الاسرا
افضل وفصل بعضهم وهو الشيخ ابو امامة بن النقاش في التفضيل
بين ليلة القدر وليلة الاسراء فقال ليلة الاسراء افضل في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها خير لهم
من عمل اكثر ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا فلم يات في
ارجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ومن قال فيها شيئا فانما
قاله بمرجح استانس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم
يثبت الامر فيها على شي قال الشيخ نجم الدين الغيطي المصري لكن بقي
النظر في تحرير محل الخلاف وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ
ابن حجر فقال ان كان المراد ليلة الاسراء ونظايرها من كل عام افضل

من ليلة القدر فهذا باطل بحيث يكون قيامها والدعاء فيها
افضل من ليلة القدر فهذا باطل وان اراد الليلة المعينة
التي اسري فيها بمحمد صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل
في غيرها من غير ان يشرع تخصيصها بقيام او عبادة فهذا صحيح
ان قام دليل على ان انعام الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسراء كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران ليلة
القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز لاحد ان يتكلم فيه بلا علم
ولا يعرف عن احد من الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر من الامور
وان كان الاسراء في نفسه اعظم من فضايله كما انه صلى الله عليه
وسلم لم يفضل غار حرا الذي انزل فيه الوحي عليه بشي انتهى
تنبيه في فتاوى ابن حجر الهيتمي مسئلة هل الليل في السما
والجواب الذي دلت عليه الايات القرانية انه من خواص اهل
الارض لان الله تعالى من به رافة لنا لانا نتعب ونمل بخلاف اهل
السماء ومعنى يسبحون الليل والنهار لا يفترون انهم دايمون على
ذلك فكني به عن الدوام ووقوع المعراج ليلا انما هو بالنسبة
الى اهل الدنيا انتهى وقوله والليل قد ارخى ظلامه الظلام اول
الليل وسمي به لشدة ظلمته والظلمة ضد النور وضم اللام لغة
فيها وجمع الظلمة ظلم وظلمات مثلثة اللام انتهى والله اعلم
قال الناظم رحمه الله وتتبعوا اثار من عشقوا بنجد وبرامة
التتبع هو الطلب والاستقصا فيه وباب تبع فرح ويقال على
الاحكام في الشي ومنه حديث تابعنا الاعمال فلم نجد شيا ابلغ

في طلب الآخرة من الزهد والآثار تطلق على الخطا قال الحدادي
في تفسير قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم
أي وخطاهم فان كل خطوة في الطاعة طاعة وكل خطوة في المعصية
معصية وتطلق على المساعي حسنة كانت او قبيحة قال القاضي
البيضاوي وآثارهم الحسنة كعلم علموه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس
ظلم وآثار المصطفى صلى الله عليه وسلم سننه ويقال لمن اشتغل
بها اثري واثاري وقد تطلق الآثار على ما يبقى بعد الانسان
من متاعه والعشق بالكسر افراط الحب والتعشق هو التكلف في
الحب واكثر الناس عشقا بنو عذرة وهو حي من قبايل العرب
تؤديهم المحبة الى الموت قال شاعرهم

اذا اسلم العذري من ميتة الهوى • فذاك ورب العالمين دخيل •

وذلك لان احدهم اذا عشق مات ولا يخلو احدهم من العشق فلا
يكون موته الا عشقا ولذلك اشار المتنبي حيث يقول

وعذلت اهل العشق حتى ذقته • فعجبت كيف يموت من لا يعشق •

يحكى عن رجل من بني عذرة قال كان فينا فتى ظريف فهوي جارية
من الحي فراسلها فاظهرت جفوته فوقع مضنى مدنفا فظهر امره
فلم تزل النساء من اهله واهلها يشفعن له عندها حتى اجابت
وصارت اليه عايدة فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع وانشا
يقول • ارايتك ان مرت عليك جنازتي • تلوح على ايدي طوال وتسرع
اما تتبعين النعش حتى تسلمي • على رمس ميت في الحفيرة مودع •
قال فبكت رحمة له وقالت ما اظن ان الامر قد بلغ بك كل هذا

فوالله لا ساعدتك ولا دنوت على وصالك • فهملت عيناه بالدموع
وانشا يقول • ولما رايتني في السباق تعطفت • علي وعندي من تعطفها شغل
دنت وحياض الموت بيني وبينها • وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل •
ثم شهق شهقة خرجت روحه معها فوقعت عليه تلثمه وتبكي فما
اقيمت عنه الا وهي ميتة وسئل بعضهم عن سبب موتهم شغفا فاجاب
بان في قلوبنا خفة وفي نسائنا عفة وقال بعض العرب لرجل منهم
ما لنا لا نرى احدا يموت عشقا في هوى تحصل الا انتم وانما ذلك لضعف
نفس تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال اما والله لو رايتم الحواجب الزج
فوق النواظر الدعج • تحتها المباسم الفلج • لاتخذتموها اللات والعزى
قلت هو والله كلام اللاعب بالعقول • الخليق بالقبول فان
صاحب العقل السليم • والطبع المستقيم • اذا راى الجمال • يتبلبل
منه البال • وحول من حال الى حال • فاذا دعي نفسه للوصال اسرعت
بالاجابة • وبادرت الى الانابة •

روح دعاها للوصال حبيبها • فاتت اليه تطيعه وتجيبه •
يا مدعي صدق المحبة هكذا • فعل المحب اذا دعاه حبيبه •

وللجمال سر عجيب • يحير فيه العاقل الاريب • حتى انه لو سئل
العاشق عن سبب هواه • وما الذي في هواه رماه • يتحير في مقاله
ولم يدر كيف حاله • كما شرح الحال من قال • يا

بالذي الهم تعذيبي ثناياك العذابا • ما الذي قالته عيناك لقلبي فاجابا

والموت عشقا يعتري للعشاق كثيرا من بني عذرة وغيرهم ومن وقف
بين معترك الاحداق والمهج شاهد مقابر الشهداء • ومن وقع في تضا

سهام العيون ورماح القدود فكيف لا يصاب بالردا وقيل
العشق هو عبارة عن الافراط في المحبة وقيل هو اختلال نظام
الدنيا والدين لحكم استيلاء الفكرة كما قال الشاعر

تركت للناس دنياهم ودينهم ۰ شغلا بحبك يا ديني ودنيائي
كانت لقلبي اهواء مفرقة ۰ فاستجمعت لي بذاك القلب اهوائي

ونقال ان سيدنا يعقوب عليه السلام انقطع يوما زر ثوبه فقرب
من الخياط وقال له يا يوسف خط هذا فانظر ما وقع منه مع ما له
من قوة النبوة حتى استولى عليه حب سيدنا يوسف

ما القلب من جسمي بمنفرد ۰ في الحب كل جوارحي قلب

وفتنته
انه اذا استحكم ذهب بلذة النوم والاكل ويستدعي الاسقام والالام
حتى يودي الى الهلاك لان بكثرة الهموم تختنق الحرارة الغريزية
في القلب حتى تخمد فيموت صاحبها روي انه قال عروة ابن الزبير
يوما لشاب من بني عذرة يا هذا اما بلغك انكم ارق الناس قلوبا
قال نعم والله لقد تركت في الحي ثلاثين شابا كلهم قد خامرهم
السام ما لهم داء غير الحب ومن حسن ثمرات العشق ان من مات
به ينال درجة الشهادة كما روت المشاهير الثقاة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وعف وكتم ومات فقد مات
شهيدا ومن اثاره المرضية انه يجمع الهموم المتفرقة الى هم واحد
ويقطع عن القلب علقة الخلايق ولا يبقى بين القلب وبين مشاهدة
الربوبية الا حجاب واحد ولذلك يكون مانعا قويا وايضا العشق
يجر المتكبر الى التواضع ويصير البخيل كريما ويخلع عن القلب حلة

الرعونة فيلبس حلة السكينة

تذلل لها واخضع على القرب والنوا ۰ فما عاشق من لا يذل ويخضع

وسعادة عظيمة لمن يكون التواضع خلقه والمسكنة صفته وايضا
العشق يرقق الطبع ويلطف القريحة كما يقول ابن عر

وكنت اقول الشعر قبل تكلفا ۰ فعلمني حبيك كيف اقول
ومن لم يكن في طبعه لطافة وغريزته لم يعشق شعر
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ۰ فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
وما العشق الا ما تلذ وتشتهي ۰ وان لام ذو الشنان فيه وفندا

ومقرر هذا الكلام انه كان في غزنين عالم يقال له امين عبد السلام
وكان يعقد له مجلس الوعظ في الصحراء فانه كان لا يسع جمعه محوط
لان اكثر اهل غزنين كان يحضر وكان ينشد الضالة في مجمعه فقام
يوما رجل فنادى بان ضل لي حمار من يدلني عليه رجاء ثواب الله تعالى
وشرع الامام في الوعظ وخاض في كلام العشق وقرر كنوزه ورموزه
فهرسه وبين عموم سلطنته وشمول ولايته بان قال ليس قلب لم
يشمه العشق ولا اذن لم يقرطه داء قد عمم في بني آدم فتنة انساب
بانسان ثم قال وهل يكون في مجلسنا هذا من لم يصر لاثير العشق
اسيرا ولم يبتل وقتا ما ببلاء القلب فظن رجل سليم القلب ان الخلو من
العشق فضيلة عظيمة قام وقال رحمك الله ها انا ذا الذي في مدة
عمري لم يخسف رجل معاملته في وحل العشق فقال عبد السلام يا ذا الذي
ينشد الحمار قم هذا الذي تطلبه خذه واجعل الحبل في عنقه

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ۰ فقم واعتلف تبنا فانت حمار

ومنشأ ابتلاء القلب النظر كما يقول

تمتعتما يا ناظري بنظرة • فاوردتما قلبي امر الموارد

اعيني كفا عن فؤادي فانه • من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقد يكون العشق باستماع اوصاف الكمال والجمال

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة • والاذن تعشق قبل العين احيانا

ثم العشق فنون لانه جنون ومن العشاق من يجد الشفاء بالوصل فيزداد محبة • اعانقها والنفس بعد مشوقة • اليها وهل بعد العناق تدانِ

والثم فاها كي تموت صبابتي • واز داد ما القى من الهيمان

كان الذي بي ليس يشفي غليله • سوى ان ارى الروحين يمتزجان

ومنهم من لا يحتمل فرح الوصال كما حكي عن جرير بن مسعود الطائي انه قال اتيت قبيلة بني عذرة فنزلت عند باب خيمة فلقيني صاحبها بالبشاشة واقام لي رسوم الضيافة فوقعت بصر عيناي فيها فتاة لم يعمل قلم التصوير في نقش خلقتها دقيقة فلما فرغنا من مجالسة الطعام فطفت حول القبيلة على طريق التفرج حتى بلغت خيمة اخرى رأيت فيها فتى يوقد النار ويترنم لنفسه بهذه الابيات

فلو كان لي قلبان عشت بواحد • وافردت قلبا من هواك يعذب

ولكنني احيا بقلب مروع • ولا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب

قال ولما سمعت منه الحرقة وانين الغم عرفت ان في باطنه جوى فسألت عن حاله قالوا انه عاشق منذ خمس عشرة سنة ومعشوقته في الخيمة التي نزلت بها

ما ان رأت عيناك جسما فاترا • الا وآفة ذاك طرف فاتر

واذا

واذا مررت بناظر يبكي دما • اسفا فما اذاه الا ناظر • قال ثم رجعت الى خيمة مضيفي وسألت الفتاة فقال هكذا الامر انه منذ مدة مبتلى بي ولكن منذ خمس عشرة سنة لم يستسعد برؤيتي قط مع ان القبيلة واحدة واتصال القرابة محكم قال قلت لها ايش يكون لو كحلت عين نظره بجمالك قالت مصلحته في ان لا يراني فظننت انها تتعلل فتضرعت اليها وتشفعت بحق القرابة حتى قبلت شفاعتي فقالت الساعة امر من امامه ولكن اذهب انت قبلي لترى حاله عند مروري به قال فذهبت اليه وجلست عنده فبعد ساعة اتت وهي تجر ذيلها على الارض فرأى الفتى من تحت اذيال الخيمة ذيلها والغبار المنبعث فيها فصاح صيحة وخر مغشيا عليه في تلك النار فقبل ان ينقل عنها احترقت مواضع من بدنه ثم رجعت انا الى الخيمة مضيفي برقة القلب له وتألم الخاطر بحاله فقالت الفتاة انت الذي جنيت عليه بما لقي فانه لا يطيق رؤية غبار ذيلنا فانى يطيق لقانا

أعيذك ان يسطاك الحدق النجل • فما امرها هونا ولا خطبها سهل

اتياها بما حول الحتوف احذر الهوى • فاولها خبل واخرها قتل

وللعشق وان خفي علامات فعلامته انه اذا ذكر المحبوب يتغير وجه المحب قال الشاعر • علامة من كان الهوى في فؤاده • اذا ذكر المحبوب ان يتغيرا

ويصفر منه الوجه بعد احمراره • وان طال منه الجو لم يتحيرا

وقال الابوصيري • واثبت الوجد خطي عبرة وضنا • مثل البهار على خديك والعنم

والبهار ورد اصفر قال في الصحاح البهار بالفتح العرار الذي يقال له عين البقر وهو بهار البر وهو نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت

ايام الربيع يقال له العرارة وقال ابن السيد له نور اصفر ولهذا
شبه لون العاشق به وقيل هو النرجس والعنم بفتح العين المهملة
والنون شجر له اغصان حمر لينة تشبه البنان يقال له بنان معنم
اي مخضوب وقال ابو عبيدة هو اطراف الخرنوب الشامي وقال ابن
الخشاب هو نبت بالهند له حب احمر واصفرار الوجه علامة ظاهرة
وعلامة باهرة تعرف بها العشاق . انا الذي يعشق معروف . لانه
اصفر مخوف . وذلك لان العاشق اذا ذكر من يهوى يهرب دمه
ويستحيل لونه وترتعد فرايصه . والحكمة في ذلك ما ذكره بعض
الاطبا ان سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا يأوي
مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجاة فيضطرب قلبه وتشتعل
الحرارة وتخمد فاذا خمدت برد النار وجمد الدم واستحال اللون
الى السواد والخضرة ثم يتصفى فيصفر واما احمرار الوجه العشوق
فمن الخجل والخجل يعرض من حركة تاعور القلب فيجذب الدم ويلطفه
فيظهر في ارق مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة الغريزية
ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس
فيمنعه الحاجز من النفوذ فيبسط الى الوجه الرقيق لنشره الصافي
الاديم ومن كان بهذه الصفة فاذا خجل احمر واذا فزع اصفر وقولهم
ديباجة الوجه يريدون تلونه من رقته فحمرة لون الانسان يولدها
الفرح والصحة وصفرته يولدها الفزع والبوس والغم والسقم
انتهى تتمة اعلم ان العشق يكسو كل انسان عكس طباعه بحسب
ما يظهر عليه من اثاره وقد لا يظهر على بعض العشاق حالة

غرام من صفرة لون ونحافة جسم كما اعتذر بعضهم بقوله .
احب قلبي وما درى بدني . ولو درى لم يقم على السمن . ومثله قول
الاخر . وقايلة ما بال جسمك جاسما . وعهدي باجسام المحبين تسقم .
فقلت لها قلبي بسري لم يبح . لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم .
وقد تختلف احوال المحبين فمنهم من اذا ذكر محبوبه اعتراه اصفرار في
لونه ورعدة في مفاصله وتلعثم في كلامه وجمود في دمه كما قال ابو بكر
الصنوبري . اية من علامة العشاق . اصفرار الوجوه عند التلاق .
وانقطاع يكون من غير عي . وولوع بالصمت والاطراق .
وسئل محمد بن داود متى يكون البليغ عييا قال اذا سال ما يتمناه وشكى حبه
الى من يهواه ثم انشد .
بليغ اذا يشكو لغيرها الهوى . وان هو لاقاها فغير بليغ .
فهذا يدل على ان البليغ يكون عييا عند سوال مطلوبه وكذلك المحب متى
رام شكو حاله الى محبوبه ولذلك قال بعضهم موطنان لا انفك من العي
فيهما اذا شكوت الى محبوبي عشقي واذا سالت حاجة لنفسي فان
السائل قد يهاب المسئول وتتبع السائل مع الهيبة ذلة السوال
سال العتابي رجل حاجة فما قلل في كلامه فقال له مالك بن طوق في
ذلك فقال كيف لا يقل كلامي ومعي دهشة الداخل وحيرة الطالب
وذل السوال وخوف الرداء انتهى وكيف لا يعتري العاشق العي ويدهش
فلا يفرق بين الحي والبي . وقد وقف بين يدي محبوبه الذي هو سؤله
وغاية مطلوبه . وهو بصفة سايل عقله واله وفكرة ذاهل .
بلي وحرمة الغرام . انه ليعذر حالة الحزن فكيف الكلام . ومنهم

من اذا ذكر محبوبه زها لونه . وانبسطت نفسه . وحسن نظمه ونثره
الى غير ذلك من الصفات واجاب بعض الاطبا عن ذلك بان مرجع
ذلك الى الطبيعة بحسب ما يغلب على طبع العاشق من الحرارة والبرودة
ورد بان هاتين الحالتين يوجدان في انسان واحد والجواب الظاهر
ان ذلك انما يكون بحسب حال المحب مع محبوبه فمن علم من محبوبه الجفا
والهجر اعترته الصفرة وما ذكر معها واذا علم اللطف والكمال والظرف
والوصال اعترته الحالة السارة وقد يتلون عليه محبوبه فيتلون
حاله باعتبار تلوناته ونظير ذلك ما ذكره ابن الميلق في شرح اسما الله
الحسنى فقال فصل واعلم ان الله تعالى جعل قلوب العارفين بين
يديه شهود ثوابه وافضاله وشهود عذابه ونكاله فاذا فكروا
في ثوابه وافضاله ازدادت رغبتهم واذا فكروا في عذابه ونكاله
ازدادت دهشتهم وخوفهم انتهى والاصل في ذلك كله ما ذكر عن
جالينوس الحكيم ان في القلب تجويفين ايمن وايسر وفي التجويف
الايمن من الدم اكثر من الايسر وفيهما عرقان ياخذان من الدماغ
فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه ويكرهه انقبض فانقبض
لضعفه العرقان فيصفر الوجه لذلك ويتالم الجسد ويتكدر له
سائر الحواس واذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط فانبسط لانبساطه
العرقان فينبسط لذلك سائر الجسد ويصفو جميع الحواس وانما
يظهر ذلك الاصفرار على وجه العاشق اشارة الى جريان تلك الشهود
العدول في مجاري التزكية على وجه القبول بشهادة الظاهر
والباطن بالحب البايح والوجد الكامن فاثبت قاضي الوجد خطه

علي

علي ما جرى ولا يسعك الانكار مع هذا الضنا
ضني في الهوى كالسم في الشهد كامنا . لذذت به جهلا وفي اللذة الحتف
فاظهر الوجد الكامن ولا تخفيه . وصرح بمن تهواه ودعني من التمويه
لا تخف ما صنعت بك الاشواق . واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى . في حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست اول مغرم . فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على جور الحبيب فربما . عاد الوصال وللهوى اخلاق
فلا برح الجفا . وصرح بالحب بعد الخفا . والتفت من الانكار في
الخطاب . الى التكلم والتحدث بعشق الاحباب . وتجرد عن التجريد في
الحال . الى التكلم مع المتكلم فقال لسان الحال
وقد برح التبريح بي وابادني . وابدى الضنا مني خفي حقيقتي
وقال النحر حرمت دمعك قلت عن . امور جرت في كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف الطيف من جفني الكرا . فسالت دما ادمعي فوق وجنتي
وقد اختلف في العشق هل هو اختياري او اضطراري والصحيح
ان ابتداه اختياري فاذا تمكن صار اضطراريا لان اوله نظرة
وآخره حسرة . ويقال اول العشق النظر واول الحريق الشرر قال
اك من لا ترمين الى الحسان بنظرة . اني اراها آفة الالباب
اني رايت الكلب اسرعه عمى . من كان مسكنه لدى القصاب
ولآخر . وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا . لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر . عليه ولا عن بعضه انت صابر
والعشق امر فوق المحبة قال الجاحظ العشق اسم لما جاوز حد

المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود والبخل اسم لما جاوز حد الاقتصاد
قالت الحكماء العشق طاير لا يلتقط الا حبة القلوب وسيل افلاطون
عن العشق فقال داء لا يعرض الا للفارغ قال الشاعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى • فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وقيل العشق كالنار اذا احكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول
اذا اتصل مددها تعذر صدها قال بعضهم في وصفه خفي ان يرى
وجل ان يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر والزهر في الشجر ان قدحته
اورى او تركته توارى وان اسقيته اخرج نورا وان لم يكن
شعبة من الجنون فهو عصارة السحر وقال بعضهم العشق يشجع
جنان الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويخضع
لسلطانه عزة الملوك قال سيف الدولة

ايا ربة الخال التي سلبت نسكي • على اي حال كان لا بد لي منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى • واما بعز وهو اليق بالملك

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر لاولاده عفوا تشرفوا واعشقوا
تظرفوا وعن ابن معاذ الرازي لو امرني الله ان اقسم العذاب
بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا قال الشاعر

حسب المحبين في الدنيا عذابهم • تالله لا عذبتهم بعدها سقر

وقد جعل القاضي الماوردي في كتاب ادب الدنيا والدين ان
العشق آخر رتب المحبة فقال اول اسباب الاحباء التجالس في
حال يجتمعان فيها ويلتقيان لها ثم يحدث التجالس موانسة بين
المتجانسين وهي الرتبة الثانية ثم يحدث الموانسة رتبة ثالثة

وهي

وهي المصافاة ثم يحدث عن المصافاة المودة ثم يحدث عن المودة
المحبة العظمى ثم العشق وجعل صاحب كتاب الريحان والريعان
العشق خامس رتبة فقال الحب اوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف
ثم الوجد ثم العشق ثم الشغف ومثله اللاعج واللوعة والغرام
ثم الجوى ثم التتيم ثم الهيام ثم الوله انتهى ملخصا والكلام
على كل نوع منها مذكور في محله فلا حاجة للاطالة في ذلك ونجد
وتهامة موضعان في الحجاز يغلب على اهلهما المحبة لحسن نسائها
وكثيرا ما تتغزل بذلك الشعراء لكن المعروف في كلام الشعراء مقابلة
نجد بتهامة قال الشاعر

ان تتهمي فتهامة وطني • او تنجدي يكن الهوى نجدا

قال الناظم رحمه الله وتعللوا والشوق يغلب بالاراكة والبشامة

يحتمل ان المراد بالتعلل هنا المرض كما في قول الشاعر

تعاللت كي اشجى ومابك علة • تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

ويحتمل ان يراد به التسلي والتلهي يعني ان العشاق عللوا
انفسهم ليتسلوا عن هجر الحبيب وبالجملة بعد حالته والشوق
هو الميل الى المحبوب والاشتياق هو الميل الى المحبوب ميلا
تحترق به النفوس والاحشاء بحيث لا تسكن باللقاء فهو اعلى
من الشوق لان الشوق تسكن الاحشاء معه بلقاء المشتاق اليه
بخلاف الاشتياق واما المحبة فقد قال البيضاوي هي ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها فرسخ
فيها وقيل المحبة اسم لغليان وثوران ما في القلب من الاحزان

والهيجان الي لقا المحبوب مشتق ذلك من قولهم حبابات القدر لرغوتها حين غليانها وثورانها وقيل ان المحبة اسم لاعلى حال يكون في القلب من امر المحبوب مشتق من قولهم لما يعلو من الماء الراكد عند سقوط القطرات عليه حباب وقيل ان المحبة اسم لامتلاء القلب من حب المحبوب فلا يسع غيره مشتق من الحب وهو الخابية الملاءى وقيل ماخوذ من الحب وهو القرط سمي الحب بها لقلقلته واضطرابه فان قلب المحب كريشة بمحل الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق وهي من حب الانسان وهو صفاها وبياضها والاظهر انه ماخوذ من قولهم احب البعير احبابا اي فهو محب وهو ان يصيبه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت كذلك المحب اذا اصابه مرض المحبة فلا يبرح مقيما الى ان يبرا بالوصال او يموت بالهجر ويجوز ان يكون ماخوذا من احب الزرع اذا دخل فيه الاكل ونشا فيه الحب او من تحبيب الابل اذا شربت حتى تملات ريا او من الاحباب وهو في الابل كالحران في الخيل لانه يقف عندها فلا يتعداها وقيل المحبة حالة لطيفة يجدها في قلبه الانسان وهي الطف من ان يعبر عنها اللسان تحمله على تعظيم محبوبه ودوام الاستيناس بذكره والمسارعة الى مطلوبه وكثرة الشوق اليه وقلة الصبر عنه وعدم القرار دونه وطلب رضاه بالخضوع تارة وبالدموع اخرى والكلام على ذلك اكثر من ان يحصر واشهر من ان يذكر وهو باب واسع ورحب شاسع قد ذكره اهل الادب وقضوا منه الارب فعلى هذا نعلم ان الشوق

والمحبة

والمحبة متقاربان وبعضهم فرق بينهما فلا حاجة للاطالة في ذلك والاراكة والاراك هو عود السواك قال الشاعر

ما كنت اقنع بالسواك ولي فم • عطر بريقك لا يريد سواك
فتركتني وكتمت عود اراكة • حتى وددت لاني اكون اراكا

وقال اخر

تمتعت يا عود الاراك بثغرها • وماخفت مني يا سواك اراك
لو كان غيرك يا سواك قطعته • ما فازني يا سواك سواك

وقال اخر

ولما رمتني بالسواك اجبتها • وحقك مالي حاجة بسواك
فقالت ومن لك ان تكون كمثله • فقلت ومالي ان اقبل فاك

وقال اخر

نقل الاراك بان ريقة ثغره • من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه • روى نصا عن صحاح الجوهر

وقال اخر

ليس البشام لنا بما التي • تضني غيرا لا نجم لغفر
فليقل السواك ما عنده • فهو غنا الضحاك والزهر

والبشامة كالبشام شجر عطر الرائحة يتخذ منه السواك ايضا فلا يخفى ما في الجمع بينهما من المناسبة الظاهرة وبالاراكة والبشامة متعلق بتعللوا والجملة قبلها حالية والمعنى ان المحبين في حالة غلبة الشوق عليهم يتعللون اي يتسلون بالاراكة والبشامة

قال الناظم رحمه الله اضنى النوى قيسا فقابى لا عجا اغرى غرامه

الضنا المرض قال في المختار الضنا المرض وبابه صدا فهو رجل ضني وضنين يقال تركته ضنيا وضنيا واضناه المرض اثقله انتهى واراد بالنوى هنا البعد فقط والاصل فيها الوجه الذي ينويه المسافر مطلقا قال في المختار والنوى الوجه الذي ينويه المسافر

مطلقا قال في الختان والنوى الوجا لذي ينويه المسافر من
قرب او بعد وهي مؤنثة لا غير والمراد بقيس هو قيس بن ملوح
صاحب ليلى العامرية وهو من مشاهير المحبين تتيم بليلى بنت
عمه حتى هام فيها في القفار وشاع حبه فيها في ساير الاقطار
ولم يقض لهما اجتماع وسببه انه كان بينه وبين ابن عمه منافرة
فابى تزويجه اياه فلما اشتد به الهيام اتخذ البراري سكنا
وصارت تاوي اليه الظبا والارام وله اشعار كثيرة فمن ذلك

امر على الديار ديار ليلى ، اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ، ولكن حب من سكن الديارا

وله

رضعت هواك مع لبني ، فرحي الروح والبدن
وقد اصبحت سيدتي ، ومالكتي بلا ثمن
فلا انساك يا روحي ، ولا اسلاك يا سكني
الى ان يعتريني الموت ، وابقا عظيم في كفني

وله من قصيدة

تعلقت ليلى وهي بكر صغيرة ، ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا ، الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وله

وبت ليلى بالعراق مريضة ، فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

واشعاره كثيرة وقد مات قبلها وسببه انه مر عليه رجل من حي
ليلى وهو مع الوحوش في القفار فناداه يا قيس فالتفت اليه
وكان يسمع الكلام ولا يجيب لانه صار له نفرة من الخلق فقال الرجل
يمزح معه ان ليلى قد ماتت فلما سمع منه ذلك استقبل القبلة
ونام وسار ذلك الرجل لحاجته فلما رجع وجده نايما فناداه
يا قيس فلم يقم وكان من عادته النفار فدنا اليه فوجده

فراه

فراه قد مات فتعجب من ذلك غاية العجب وسار الى حي ليلى
وحدث بنات قبيلتها بالخبر وكان من عادة بنات الحي انهن في كل ليلة
يذهبن للتصبير للسمر عند ليلى فلما ذهبن تلك الليلة للسمر
تحدثن فكل واحدة منهن تحدثت بخبر فاخبرت بنات ذلك الرجل
عن خبر قيس فلما سمعت ليلى ذلك الخبر اشارت بالانصراف
واضطجعت على جنبها فلما اصبح الصباح جاءت اخوتها اليها
ليوقظوها فوجدوها قد ماتت وراوها قد كتبت هذين البيتين

باح مجنون عامر بهواه ، فكتمت الهوى فمت بوجدي
واذا ما كان في القيامة نودي ، من قتيل الهوى تقدمت وحدي

فرحمهما الله ومن ثم قيل انها ابلغ في الحب من قيس لانها احبت
وكتمت وذلك حب وباح هكذا ترويه قصته على وجه الاختصار
لكن رايت في النصايح المعهودة الموجوده في بيان الشيم
المحمودة انها ماتت قبله لانه نقل حكاية تدل على ذلك حيث قال
وعلة هلاك المجنون ما كان الا عشقه كما حكي انه لما توفيت
ليلى ونعيت الى المجنون دخل الى المقبرة وجعل يشم تراب القبور حتى
وصل الى قبر ليلى فقال

ارادوا لان يخفوا التراب عن حبيبها ، وطيب تراب القبر دل على القبر

واخذ من ذلك التراب كفا وشمه وصاح صيحة عظيمة فخرجت
روحه من بدنه وخر ميتا ودفن بجنبها انتهى والظاهر ان
صاحب النصايح اشتبه عليه غير المجنون به فنقل ذلك لان
المشهورين هما مجنون العامرية كما تقدم والاخيلية واسمه

توبة وكل منهما مات قبل محبوبته كما نقله الثقاة من المورخين ونقل
ابن خلكان ان ليلي الاخيلية قدمت علي الحجاج فانشدته

اذا ورد الحجاج ارضا مريضة . تتبع اقصي دايها فشفاها
شفاها من الداء السقام الذي بها . غلام اذا هز القناة ثناها

فقال لا تقولي غلام وقولي همام ثم قال يا غلام اذهب بها الي فلان
فقل له اقطع لسانها قال فامر باحضار الحجام فقالت ثكلتك امك
اما سمعت ما قال انما امرك بقطع لساني في البر والصلة فبعث اليه
فاستشاط غضبا وهم بقطع لسانه وقال ارددها فلما دخلت عليه
قالت كاد وامانة الله ان يقطع مقولي ثم قالت

حجاج انت الذي ما فوقه احد . الا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج انت شهاب الحرب ان لفحت . وانت للناس نور في الدجا يقد

ثم اقبل الحجاج علي جلسائه فقال اتدرون من هذه قالوا لا والله
ايها الامير الا انا لم نر امراة قط افصح منها لسانا ولا احسن
محاورة ولا املح وجها ولا ارق شعرا منهن فقال هذه ليلي الاخيلية
التي مات توبة الخفاجي من حبها ثم التفت اليها وقال يا ليلي
قولي لنا بعض ما قال فيك توبة فقالت نعم ايها الامير هو الذي يقول

حمامة بطن الواديين ترنمي . سقاك من الغر الغوادي مطيرها
ابيني لنا لا زال ريشك ناعما . ولا زلت في خضراء غض نضيرها
وكنت اذا ما جيت ليلي تبرقعت . فقد رابني منها الغداة سفورها

فقال لها الحجاج ما رابه من سفورك قالت ايها الامير كان يلم بي
كثيرا فارسل الي ان اتيك ففطن الحي به وارصدوا له فلما اتاني

سفرت فعلم ان ذلك لشر فلم يزد علي التسليم والرجوع فقال لله
درك فهل رايت منه شيا تكرهينه فقالت لا والذي اسال ان يصلحك
غير انه قال لي مرة قولا ظننت انه خضع لبعض الامر فانشات اقول

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها . فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه . وانت لاخري صاحب وخليل

قال فانشدينا بعض مراثيك فيه فانشات تقول ابياتا فلما انشدتهم
وكان من جلساء الحجاج محصن الفقعسي فقال والله اني لاظنها كاذبة
فنظرت اليه وقالت ايها الامير والله ان هذا القايل لو راي توبة
لود ان لا يكون في داره عذرا الا وهي حاملة منه فقال الحجاج هذا وابيك
الجواب وكنت عنه غنيا ثم قال لها سلي يا ليلي تعطي قالت اعطاء
مثلك هو العطا قال لك عشرون قالت زد فمثلك من زاد فافضل
قال لك ستون قالت زد فمثلك من زاد فاكمل قال لك ثمانون قالت
زد فمثلك من زاد فتمم قال لك مائة واعلمي يا ليلي انها غنم قالت
معاذ الله ايها الامير انك اجود جودا وامجد مجدا واروي زندا من
ان تجعلها غنما قال ويحك ما هي قالت مائة ناقة برعاتها فامر لها
بها انتهي وبها تعلم ان مجنونها مات قبلها ح ومن شعر توبة بن الحمير

كان القلب من حين يغدو . بليلي الاخيلية او يراح
قطاة عزها شرك فباتت . تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في الليل نالت ما ترجي . ولا في الصبح كان لها براح

ثم ان قوله عزها قد تصحف فيقال غرها من الغرور وليس كذلك
انما هو غلبها كما قالت العرب من عز بز ومن غلب سلب وعلق الجناح

بالنون المعجمة من قولهم لا يغلق الرهن على راهنه وقد تصحف بالعين
المهملة انتهى نكتة ذكر الحريري في درة الغواص ان ليلى الاخيلية
المذكورة في الشعر كانت تتكلم بلغة بهرا وذلك انهم يكسرون حرف المضارعة
فيقولون انت تعلم وانها استاذنت على عبد الملك بن مروان وبحضرته
الشعبي فقال له يا امير المومنين ائذن ان اضحكك منها فقال افعل فلما
استقر بها المجلس قال لها الشعبي يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون
فقالت له ويحك اما نكتني بكسر حرف المضارعة فقال لها لا والله ولو
فعلت لوجب الغسل فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك في الضحك
واللاعج اسم فاعل والماضي منه لعج قال في القاموس لعج في الصدر كمنع خلج
والجلد احرقه والبدن آلمه ولاعجه الامر اشتد عليه والتعج ارتمض من
هم والتعج النار في الحطب أوقدها والملتعجة الشهوانية المتوهجة
الحارة الفرج انتهى وبين فيس وقاسي الجناس المطلق وجعله في التلخيص
ملحقا بالجناس وسمي المقارب والمشابه ايضا وهو ان يجمع اللفظان
في المشابهة فقط نحو قال اني لعملكم من القالين وجنا الجنتين دان
وان يردك بخير فلا راد لفضله ليريه كيف يواري سوءة اخيه وحديث
احدهما من حاكم بين الناس لاحشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه
حتى يقف به على جهنم وحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك وان
افتاك المفتون على رواية فتح الميم وضم النون مفردا من الفتنة كما
قرره السيوطي انتهى والمقاساة المكابدة من وجد وغيره يقال قاسى الامر
يقاسيه مقاساة كابده ونسبة الاغراء الى اللاعج مجاز عقلي وقد
تقدم تعريفه قال الناظم رحمه الله تعالى

وغوي

وغوى الهوى غيلان مذ ابدى تميته هيامه

الغي الضلال قال في المختار الغي الضلال والغية ايضا وقد غوى
يغوى بالكسر غيا وغواية ايضا بالفتح فهو غاو وغوي واغواه غيره
فهو على فعيل قال الاصمعي ولا ينال غبوه والغوغاة من الناس الكثير
المختلطون انتهى والهوى هنا بالقصر هو هوى النفس وجمعه اهوا
والمراد به الحب مصدر هوي احب وبابه صدي والهوا الممدود
هو الذي بين السماء والارض قال الشاعر

جمع الهواء مع الهوى في اضلعي ۰ فتكاملت في مهجتي ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى ۰ ومددت بالمقصور في اكفاني

قال في المختار الهواء ممدود وهو ما بين السماء والارض والجمع الاهوية وفي
كل حال هواء وقوله تعالى وافئدتهم هواء يقال انه لا عقول لهم والهوى
مقصور هوى النفس والجمع الاهواء وهوي احب وبابه صدي قال
الاصمعي هوى يهوي كرمى يرمي هويا بالفتح سقط الى اسفل واهوى
مثله واهوى بيده ليأخذه واستهواه الشيطان استهامه والهاوية
اسم من اسماء النار قلت وهي معرفة بغير الالف واللام قال
تعالى فامه هاوية اي مستقرة النار انتهى ومذ قبل تمام فرع عن
منذ بدليل رجوعهما الى الضم ذال مذ عند ملاقات الساكن نحو مذ اليوم
ولولا ان الاصل الضم لكسروا ولان بعضهم يقول مذ من طويل
فيضم مع عدم الساكن وقال ابن ملكون هما اصلان لانه لا تصرف
بالحرف ولا شبهه ويرده تخفيفهم ان وكان ولكن ورب وقط
وقال المالقي اذا كانت مذ اسما فاصلها منذ او حرفا فهي اصل

ولمذ ومنذ ثلاث حالات احداها ان يليهما اسم مجرور فقيل هما
اسمان مضافان والصحيح انهما حرفا جر بمعنى من ان كان الزمان ماضيا
وبمعنى في ان كان حاضرا وبمعنى من والى جميعا اذ كان معدودا نحو
ما رايته منذ يوم الخميس او مذ يومنا او عامنا او مذ ثلاثة ايام
واكثر العرب على وجوب جرها للحاضر وعلى ترجيح جر منذ للماضي على
رفعه وترجيح رفع مذ للماضي على جره ومن الكثير في منذ قوله
وربع عفت اثاره منذ ازمان ۔ ومن القليل في مذ قوله
اقوين مذ حجج ومذ دهر ۔ والحالة الثانية ان يليهما اسم مرفوع
نحو مذ يوم الخميس ومنذ يومان فقال المبرد وابن السراج والفارسي
مبتدآن وما بعدهما خبر ومعناهما الامد ان كان الزمان حاضرا او
معدودا واول المدة ان كان ماضيا وقال الاخفش والزجاج
والزجاجي ظرفان مخبر بهما عما بعدهما ومعناهما بين وبين مضافا
بمعنى لقيته مذ يومان بيني وبين لقائه يومان ولا يخفى ما فيه من
التعسف وقال اكثر الكوفيين ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها
وبقي فاعلها والاصل مذ كان يومان واختاره السهيلي وابن مالك
وقال بعض الكوفيين خبر لمحذوف اي ما رايته من الزمان الذي هو
يومان بناء على ان منذ مركبة من كلمتين من وذو الطائية والحا
لة الثالثة ان تليهما الجمل الفعلية كما في البيت هنا وقوله ما زال
مذ عقدت يداه ازاره ۔ فسما فادرك خمسة الاشبار ۔ او الاسمية
كما في قوله ۔ وما زلت ابغي المال مذ انا يافع ۔ شبابا وكهلا حيث شبت وامردا
والمشهور انهما حينئذ ظرفان مضافان فقيل الى الجملة وقيل الى زمن

مضاف

٢٠٠

فقيل ان غيلان هو ذو الرمة والكلام عليه

مضاف الى الجملة وقيل مبتدآن فيجب تقدير زمان مضاف للجملة
يكون هو الخبر وغيلان هو ابن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة
ابن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة المشهور المعروف
بذي الرمة احد فحول الشعراء ويقال انه كان ينشد شعره في سوق
الابل فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له ذو الرمة كيف ترى ما تسمع
يا ابا فراس فقال ما احسن ما تقول قال فما لي لا اذكر مع الفحول فقال
قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للابعار والظعن
وهو احد عشاق العرب المشهورين بذلك وهو صاحب مية ابنة مقاتل
ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وقيس بن عاصم هو الذي وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فاكرمه وقال له انت
سيد اهل الوبر وقال ابو عبد الله البكري هي مية بنت عاصم بن طلبة
ابن قيس بن عاصم وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها في شعره واياها
عنى ابو تمام الطائي بقوله في قصيدته البائية
ما ربع مية معمورا يطيف به ۔ غيلان ابهى ربا من ربعه الخرب
وقال ابن قتيبة في كتاب الطبقات للشعراء وقال ضرار الفتوى
رأيت مية واذا معها بنون لها فقلت صفها لي فقال مستوية الوجه
طويلة الخد شماء الانف عليها وسم جمال قلت اكانت تنشدك شيئا
مما قال فيها ذو الرمة قال نعم ومكثت مية زمانا تسمع شعر
ذي الرمة ولا تراه فجعلت لله ان تنحر بدنة يوم تراه فلما رأته
رأت رجلا دميما اسود وكانت من اجمل الجمال فقالت واسوأتاه
فقال ذو الرمة هذا الشعر

اعلى بوجه قد خلا من حلاوة ، وتحت الثياب العار لو كان باديا ،
الم تر ان الماء يخبث طعمه ، وان كان لون الماء ابيض صافيا ،
فيا ضيعة الشعر الذي لج فانقضى ، بمي ولم املك ضلالا فؤاديا ،

وكان ذو الرمة يشبب بخرقا ايضا وهي من بني البكا بن عامر ابن صعصعة وسبب تشبيبه بها انه مر في سفر ببعض البوادي فراى خرقا خارجة من خبا فنظر اليها فوقعت في قلبه فخرق اداوته ودنا يستطعم كلامها فقال اني رجل على ظهر سفر وقد تخرقت اداوتي فاصلحيها لي فقالت والله ما احسن العمل واني لخرقا والخرقا التي لا تعمل شغلا لكرامتها على اهلها فشبب بها ذو الرمة وسماها خرقا وقال الفضل الضبي كنت انزل على بعض الاعراب اذا حججت فقال لي يوما هل لك ان اريك خرقا فقلت ان فعلت فقد بررتني فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر ميل فخرجت علينا امراة حسانة والحسانة اشد حسنا من الحسنا فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت لي حججت قط قلت غير مرة قالت فما منعك من زيارتي اما علمت اني منسك من مناسك الحج قلت وكيف ذلك قالت اوما سمعت كلام عمك ذي الرمة ،

، تمام الحج ان تقف المطايا ، على خرقاء واضعة اللثام ،

واخبار ذي الرمة كثيرة والاختصار اولى وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ولما حضرته الوفاة قال انا ابن نصف الهرم انا ابن اربعين سنة وانشد يقول ،

يا قابض الروح عن نفسي اذا احتضرت ، وغافر الذنب زحزحني عن النار

وانما

وانما قيل له ذو الرمة لانه لقوله من قصيدة باقي رمة التقليد والرمة بالضم للراء الحبل البالي وبكسرها العظم البالي قال ابو عمرو ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج قال الناظم رحمه الله تعالى

اين الاكاسر والقياصرة المجلون القمامه

اين خبر مقدم والاكاسر والقياصر مبتدا مؤخر والاكاسر جمع لكسرى وهو معرب خسرو اي مجدد الملك وهو بفتح الكاف وكسرها وانكار الزجاج الكسر منكر فقد رونه الثقات عنهم الفرا وابن السكيت وجمع الاكاسرة على غير قياس لان حق الافاعلة ان يكون جمعا لافعال مثل اسكاف واساكفة وكسرى لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشة الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وقيل فرعون لمن ملك مصر والشام فان اضيف لهما الاسكندرية سمي العزيز ويقال جالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك ويقال لمن ملك اليونان بطليموس والقطيون لمن ملك اليهود اومالح والنمرود لمن ملك الصابئة والاخشيد لمن ملك فرغانة ودهمي لمن ملك الهند وغانة لمن ملك الزنج وجرجير لمن ملك افريقية وشهرمان لمن ملك خلاط وفور لمن ملك السند والاصفر لمن ملك علوي ورتبيل لمن ملك الخزر وكامل لمن ملك النوبة وماجد لمن ملك الصقالبة وكسرى اذا اطلق في النظم يراد به انوشروان وقد يراد به ابرويز بن هرمز اما كسرى انوشروان فهو صاحب الايوان بن قباذ بن فيروز اشهر ملوك الفرس واحسنهم سيرة واخبارا كان ملكا جليلا محبا للرعايا

قف على هذا المليح

تمام التدبير فتح الامصار العظيمة في الشرق واطاعته الملوك
وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مزدك واصحابه في قصة
ذكرها الاخباريون ولما قتله عظم في عين الفرس واحبوه وسلك
سيرة ازدشير وتوطيت مملكته وبني المباني المشهورة منها السد
العظيم علي جبل الفتح عند باب الابواب واقام الحرس وحسم المادة
من فساد من خلفه ومنها الايوان المذكور الباقي الذكر المعدود
من عجايب الدنيا حتي كان انصداعه من المعجزات النبوية مع ما هو
عليه من العظم والاحكام الذي لا يظن به انه لا يهدمه الا نفخة
الصور فصدعه وسقوط اربعة عشر شرافة منه ليس الا لمحض
اية دالة علي نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم والي ما ذكرنا
يشير قول صاحب الهمزية

وتداعي ايوان كسري ولولا ... اية منك ما تداعي البناء

قال الثعالبي يضرب به المثل للبنا الرفيع العجيب الصنعة
المتناهي في اثار الملوك وهو بالمداين من بغداد علي مرحلة بناه
كسري في نيف وعشرين سنة وتانق في تاسيسه وتشييده وتحسينه
طوله مائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة ذراع ولما بني المنصور
مدينة السلام اراد هدمه ليبني به فاستشار خالد بن برمك
فنهاه عنه وقيل ان الرشيد اراد هدمه واستشار يحيي بن خالد
البرمكي فنهاه منه وقال يا امير المومنين ان في بقايه معجزة باقية
وهواية الاسلام واذا راه الناس علموا ان من هذا بناوه لا يزيل
امره الا الانبياء وفيه مع هذا مصلي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

والمؤنة

والمؤنة في هدمه اكثر من الارتفاق به فقال له ابيت الا ميلا الي العجم
او الي ابايك يعني الفرس وامر بهدمه فصرف علي شرفة منه مالا كثيرا
فكف عنه وقال قد صرنا الي رايك فيه فقال اما الان فاشير عليك بهدمه
قال وكيف قال لئلا يتحدث الناس بانك قد عجزت عن هدم ما
بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه حكي عن بعض الملوك انه
دخل الايوان فراي فيه اعوجاجا فسال عنه فقيل انه مكان بيت لعجوز
فقيرة سالها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير فلم تفعل
فتركها وبني الايوان علي ما هو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج
احسن من الاستواء ويروي ان العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك
عن البيت وقالت انما اردت بامتناعي اولا ان يتحدث الناس بعدلك
بعدك ثم صنع كسري في الايوان سلسلة عظيمة ذات اجراس وحمل
لها طرفا خارج القبة وامر مناديه من كان مظلوما فليحرك
السلسلة ليعلم الملك فيزيل ظلامته وهذا نهاية في طلب العدل
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ولدت في زمن الملك العادل
يعني كسري وله سيرة تشتمل علي حكايات حسنة منها ان عاملا له
علي ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستاذنه في الزيادة
علي الرسوم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه
قد كان في ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به عن تكلف ما لم تومر
به فاذا قد ابيت الا تماديا في سو الادب فاقطع احدي اذنيك
واكفف عما ليس من شانك فقطع العامل اذنه وسكت عن ذلك
الامر وقد انصدع ايوان كسري في زمنه صلي الله عليه وسلم

سيرة كسرى

قال الابوصيري وبات ايوان كسرى وهو منصدع البيت والصدع
الشق في الشيء لصلب شقا واضحا متبينا ظاهرا كما اقتضاه لفظ
منصدع وهو ابلغ من منكسر وكسرى الثاني وهو ابرويز بن هرمز
ومعنى ابرويز بالعربية المظفر وهو الذي غلب الروم حين انزل
الله الم غلبت الروم وهو الذي عرض في المنام على الله عز وجل
فقال له سلم ما في يديك لصاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من
ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبي صلى الله عليه
وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه حتى كان من امره ما كان
وهذا هو الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حجة
الله على كسرى فقال ان الله ارسل اليه ملكا فسلك يده في جدار
مجلسه حتى اخرجها اليه وهي تتلألأ نورا فارتاع كسرى فقال له
الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسوله فاسلم تسلم فقال
سانظر وهو الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم فمزق الكتاب
فقال عليه السلام مزق الله ملكه وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى
وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله فاني ادعوك بدعاء الله عز وجل فاني رسول الله
الى الناس كلهم لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم
تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق الله ملكه
وفي البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث

بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان يدفعه
الى عظيم البحرين ودفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه
فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يمزقوا كل ممزق وفي كتاب الانوار لابي عبيد من مرسل عمر
ابن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى فلما قرأ
الكتاب مزقه وقتل كسرى هذا قتله ابنه ليلة الثلاثاء لعشر من
جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة وملك بعده سابور بن ابرويز
اخو شيرويه ملك نحو شهرين في مدة النبي صلى الله عليه وسلم
وهلك وملك اخوه شيرويه نحو ستة اشهر ثم ملكت بوران اختهما
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ملكتهم امراة
فملكت سنة ثم هلكت وتشتت امورهم كل الشتات ثم اجتمعوا بعد
ذلك على يزدجرد بن شهريار حفيد ابرويز وهو اخر ملوك الفرس ثم
وكانت المسلمون قد غلبوا على اطراف ارضهم ثم كانت حرب القادسية
معهم الى ان قهرهم المسلمون والاسلام وفتحت بلادهم وسلب ملكهم
وهزم سلطانهم على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم انه قتل في
اول خلافة عثمان وجد مستخفيا في رحى فقتل وطرح في قناة الرحا
وذلك بمرو من ارض فارس وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه اذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه تنفق في سبيل الله
وقد انقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزقت اصحابه كل ممزق
بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمزيق كتابه وقد بشر صلى الله
عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة كيف بك

لبست سواري كسري فلما اتي بهما عمر رضي الله عنه البسهما اياه
اظهارًا للمعجزة وقال الحمد لله الذي نزعهما من كسري والبسهما
سراقة قيل انه لما جي لعمر رضي الله عنه في زمن خلافته بسواري
كسري وتاجه ومنطقته اي وبساطه وكان ستين ذراعًا
في ستين ذراعًا منظومًا باللؤلؤ والجواهر الملونة علي الوان زهر
الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور
وجي له رضي الله عنه بمال كثير من مال كسري وبنات كسري
وكن ثلاث وعليهن من الحلل والحلي والجواهر ما يقصر اللسان
عن وصفه وعند ذلك دعا رضي الله عنه سراقة وقال ادفع
يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما
كسري بن هرمز الذي كان يقول انا رب الناس والبسهما سراقة
ابن مالك اي ورفع عمر بهما صوته وصب المال الذي جي به من
اموال كسري في صحن المسجد وفرقه علي المسلمين ثم قطع البساط
وفرقه بين المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين
فاصاب عليا رضي الله عنه منه قطعة باعها بخمسين الف دينار
ثم جي ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وامر المنادي
ان ينادي عليهن وان يزيل ثيابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون
في ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره
فغضب عمر رضي الله تعالى عنه واراد ان يعلوهن بالدرة وهن
يبكين فقال له علي كرم الله وجهه مهلا يا امير المؤمنين
فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم

ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه رضي الله تعالى عنه فقال له
علي كرم الله وجهه ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن
من بنات السوقة فقال له عمر رضي الله عنه كيف الطريق الي العمل
معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن
واخذهن علي رضي الله عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر رضي
الله عنهما فجاء منها بولده سالم واخري لمحمد بن ابي بكر رضي الله
عنهما فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين رضي الله
عنهما فجاء منها بولده علي الملقب بزين العابدين رضي الله عنهم وهولاء
الثلاثة رضي الله عنهم فاقوا اهل المدينة علما وورعا وكان اهل
المدينة رضي الله عنهم قبل ذلك يرغبون عن التسري فلما نشا
هولاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه وما وقع لكسري من اعظم الايات
الدالة علي نبوته صلي الله عليه وسلم والقياصرة جمع لقيصر وهو
اسم لمن ملك الروم كما تقدم ومعناه في اللغة البقير لانه شق عنه
فان امه ماتت في المخاض فشق عنه واخرج فسمي قيصر فكان
يفتخر بذلك ويقول لم اخرج من فرج والمشهور منهم هو هرقل
وهو الذي كتب له النبي صلي الله عليه وسلم كتابا يدعوه الي الاسلام
وبعثه به دحية الكلبي رضي الله عنه وامره ان يدفعه لقيصر
وقيل امره صلي الله عليه وسلم دحية ان يدفعه الي عظيم بصري
وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الي قيصر ولما انتهي دحية الي الحارث
ارسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه يوصله الي قيصر فذهب به
اليه فقال قومه لدحية اذا رايت الملك فاسجد له ولا ترفع راسك

ابدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه والله لا افعل هذا
ابدا ولا اسجد لغير الله قالوا اذن لا يأخذ كتابك فقال له
رجل منهم انا ادلك على امر يأخذ فيه كتابك من غير سجود له
فقال دحية وما هو فقال له ان له على كل عتبة منبر يجلس عليه
فضع صحيفتك تجاه المنبر فان احدا لا يحركها حتى يأخذها
هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما اخذ قيصر الكتاب وجد عليه
عنوان كتاب العرب فدعى الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم
قال له انظر لنا احدا من قومه نسأله عنه وكان ابو سفيان ابن
حرب رضي الله عنه بالشام قال ابو سفيان فاتانا رسول قيصر
وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس
فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال للترجمان
اسألهم ايهم اقرب نسبا لهذا الذي يزعم انه نبي فقال ابو
سفيان انا اقربهم نسبا اليه فقال ادنوه مني ثم امر باصحابي
فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لهؤلاء انما قدمت هذا
امامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وانما جعلتكم
خلف كتفيه لتردوا عليه ان كذب قال ابو سفيان فوالله لولا
الحياء يومئذ ان يردوا علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت
وانا كاره ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم
قلت هو منا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول احد منكم
قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس
قبل ان يقول ما قال قلت لا قال هل كان من آبائه ملك

قلت

قلت لا وفي رواية كيف عقله ورايه قال لم نعب عليه رأيا
ولا عقلا قط قال فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم
قلت بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون او ينقصون قلت بل
يزيدون قال هل يرتد منكم احد منهم سخطة لدينه قلت
لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فهل يغدر اذا عاهد قلت
لا ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها قال فكيف
حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة ويدال علينا
اخرى والحرب سجال اي نوب قلت فما يامركم به قلت يأمرنا
ان نعبد الله وحده والذي في البخاري يقول اعبدوا الله
وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا
بالصلوة والصدقة وفي لفظ والزكوة والوفاء بالعهد واداء
الامانة فقال لترجمانه قل له سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم
ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب في قومها وسألتك هل
هذا القول قاله منكم احد قبله فزعمت ان لا فلو كان احد منكم
قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتكم
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا
فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك
هل كان من آبائه ملك فقلت لا ولو كان من آبائه ملك لقلت
رجل يطلب ملك ابيه وسألتك اشراف الناس يتبعونه ام
ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل
يزيدون او ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان

حتى يتم وسألتك هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فزعمت
ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك
هل قاتلتموه قلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال
عليكم مرة وتدالون عليه اخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم
العاقبة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر
فعلمت انه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اظن انه فيكم
وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك اي يقرب ان يملك موضع
قدمي هاتين ثم قال قيصر ولو اعلم اني اخلص اي اصل اليه
لتجشمت اي تكلفت المشقة للقيه قال الامام النووي
رحمه الله تعالى ولا عذر له في هذا وقال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل
لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب اسلم تسلم وحمل الجزاء على
عمومه في الدنيا والاخرة لسلم من كل ما يخاف ولكن التوفيق بيد الله
ثم قال ولو كنت عنده لغسلت قدميه ولا اطلب منه ولاية ولا
منصبا فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت اصوات الذين
حوله وكثر لغطهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات
زاد في البخاري فلا ادري ما قالوا والصخب اختلاط الاصوات
عند المخاصمة وامر بنا فاخرجنا فلما اخرجت انا واصحابي وخلصنا
قلت لقد امر امر ابن ابي كبشة اي عظم امره هذا ملك بني الاصفر
يخافه وروي ان ابا سفيان قال لقيصر هل كنتم تتهمونه
بالكذب قال لا ولكن اخبرك عنه ايها الملك خبرا تعلم انه كذب قال
وما هو قلت يزعم لنا انه خرج من ارضنا ارض الحرم في ليلة فجاء

مسجدكم

مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة قبل الصباح قال بطريق اي
قائد من قواد الملك صدق ايها الملك فنظر اليه قيصر وقال
ما اعلمك بهذا قال اني كنت لا انام ليلة ابدا حتى اغلق باب المسجد
فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد
غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن حضرني فلم نستطع ان نحركه
كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع
ان نحركه حتى نصبح فلما اصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذي في
زاوية المسجد مثقوب واذا فيه اثر مربط الدابة فقلت لاصحابي
ما حبس الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم
الستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم
ترجون ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله
في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث شاء اي وامر بانزال
دحية واكرامه وذكر ان ابن اخي قيصر اظهر الغيظ الشديد وقال
لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم فقال له الق به
يعني الكتاب فقال له انك والله لضعيف الراي اترى ارمي بكتاب رجل
يأتيه الناموس الاكبر هو احق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا
صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي رواية انه قال له قيصر
انك احمق صغيرا او مجنون كبيرا تريد ان تمزق كتاب رجل قبل
ان انظر فيه ولعمري لئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول
لنفسه احق ان يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم لقد
صدق ما انا الا صاحبهم وما املكهم ولكن الله سخرهم ولو شاء

سلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله
عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت الله ملكه وفي لفظ سيكون لهم بقية
ولقد صدق الله ورسوله فقد ذكر الحافظ بن حجر ان الملك المنصور قلاوون
ارسل بعض امرايه الى ملك الغرب بهدية فارسله ملك الغرب الى ملك الافرنج
في شفاعة فقبله واكرمه وقال له لاتحفنك بتحفة سنيه فاخرج له
صندوقا مصفحا بالذهب واخرج منه مقلمة وفي لفظ قصبة من
ذهب وعن السهيلي قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب
تعظيما له فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد الصق عليه
خرقة من حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى
الان وذكر لنا اباونا عن ابائهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول
الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى
ليدوم الملك فينا ولابنا فيه ما جاء اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده
لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه احد وكان كذلك ولم
يبق الا ببلاد الروم ويروى ان قيصر لما رجع من بيت المقدس الى
الى دار ملكه وهي حمص كان له فيها قصر عظيم فاغلق ابوابه وامر مناديا
ينادي الا ان هرقل قد اتبع محمدا وآمن به فدخلت الاجناد في سلاحها
وطافت بقصره تريد قتله فارسل اليهم اني اردت اختبار صلابتكم
في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه لكن الذي في البخاري ان قيصر لما سار الى
حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر بابوابها فغلقت ثم
اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت
ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب

فوجدوها

فوجدوها قد اغلقت فلما راى قيصر نفرتهم وايس من الايمان منهم
اي وقالوا له اتدعنا نترك النصرانية ونصير عبيد الاعراب فقال
ردوهم علي اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رايت
فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وارسله مع دحية الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب
وارسل بهدية فلما قرئ الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال كذب
عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين انتهى وفي
المحلوف القمامة هو راجع الى القياصرة فقط لانهم هم الذين
يعظمونها والقمامة معبد للنصارى في بيت المقدس يعظمونه
أشد تعظيم قال الناظم رحمه الله تعالى

اين الذي الهرمان من بنيانه أحالكي اعتزامه

الهرمان مثنى هرم وغالب هذا البيت ماخوذ بالحرف من قول المتنبي

اين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الاثار عن اصحابها * ابدا فيصرعها الزمان فتصرع

وانما ذكر الهرمين مع انه ببلاد مصر اكثر من ذلك لعظمهما ولانهما
من عجايب الدنيا فلا باس بذكر نبذة مما نقله الثقات في شان
ذلك فنقول وليعلم ان الاهرامات كانت بمصر كثيرة جدا
منها بناحية بوصير شي كثير بعضها كبار وبعضها صغار
وبعضها طين ولبن واكثرها حجارة واكثرها مخروطا املس وقد
كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدد كثيرة كلها صغار
هدمت في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد

تهاء الدين وكان من اولياء الله الصالحين وكان السبب في هدم
هذه الاهرامات الصغار لما شرع السلطان صلاح الدين لبنا
قلعة الجبل وتجديد السور المحيط بالقاهرة وتجديد الابواب
التي بها فاحتاج الي هدم الاهرامات الصغار التي حول الهرمين الكبير
لان حجره عنده صلابة عظيمة لا نظير لها في الصحة فكان هو السبب
في هدم ذلك وقيل انه وجد فيهم امواتا في حيضان من زبرجد
وياقوت وما شاكل ذلك من التحف والظاهر ان الاهرامات الصغا
قبور اولاد الملوك السالفة فكانوا يتفننون علي قبورهم بهذه
الاحجار ليلا تدرس قبورهم علي توالي الدهور والايام وكذلك
الاهرامات الكبار لا شك انها قبور الملوك المتقدمين فاتقنوا
علي قبورهم هذا الاتقان العظيم وجعلوا له الطلاسم ليلا تندرس
معالمهم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر ومما بناه السلطان صلاح الدين
ايضا القناطر التي بين الجزيرة من حجارة الاهرامات الصغار
وقد اختلف الناس في وقت بنائها وفي اسم بانيها والسبب في
بنائها وقالوا في ذلك اقوالا متباينة والاصح والله اعلم انها
بنيت قبل الطوفان فان المشهور في التواريخ في اخبار مصر
وعجائبها ان الذي بناها قبل انه يسمي سوريد بن شهلوق
ابن توميد وتبن بدرسان بن هوصال واوليك كانوا ملوكا بمصر
قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة امسوس والسبب
في بناء الاهرام هذه انه قد راي في منامه رويا هائلة عبرها له
علماء زمانه بان تاتي آفة سماويه وتغسل جميع ما في الارض

ويهلك

ويهلك جميع الخلايق وكان ذلك قبل حدوث الطوفان بثلثماية
عام وكسور فاقتضي رايه بناء هذه الاهرام التي بالجيزة وحصن
فيها جميع كتبهم واموالهم وطلسم عليها خشية الفساد وبنا
في هذا البنا العظيم خوف الخراب فهذا ما دلت عليه التواريخ
القديمة وقيل انه قبر ادريس عليه السلام وقيل قبر شيث عليه
السلام ومما نقل عن الرويا التي راها الملك سوريد ان مدينة
امسوس انقلبت باهلها والاصنام تهوي علي رؤسها وكان اناسا
نزلوا من السماء بايديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها
فقلت لهم ولم تفعلون بالناس هكذا قالوا لانهم كفروا بالههم
قلت فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من اراد الخلاص فليلحق
بصاحب السفينة فانتبه مرعوبا ثم امر بجميع كهانه الذين كانوا
في زمنه وقص عليهم ما راي فكل منهم يقول ان هذا يدل علي حادث
عظيم فان رويا الملوك لا تخيب فقال لهم الملك خذوا ارتفاع
الكوكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك
واخبروا بامر الطوفان وبعده بالنار التي تخرج من برج الاسد
تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الافة بلادنا فقالوا
نعم ياتي الطوفان علي اكثره ويلحقه خراب مدة سنين قال فانظروا
هل يعود عامرا كما كان او يبقي مغمورا بالماء دايما قالوا بل تعود لما
كما كانت وتعمر ثانيا قال ثم ماذا قال يقصدها ملك يقتل اهلها
وياسر بعضهم وياخذ مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم
مشوهون من ناحية النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قال

ينقطع نيلها وتخلو من اهلها فامر عند ذلك بعمل الاهرام وان
يعمل لها مسارب يدخل منها النيل الي مكان بعينه ثم ملاءها
طلسمات وعجايب واموالا واصناما وامر الكهان فزبروا عليها
جميع ما قالته الحكما وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها واسطوا
جميع العلوم الغامضة وصور فيها كواكبها كلها وزبروا اسماء
العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات والحساب والهندسة
وجميع علومهم مفسرا لمن يعلم لغاتهم وتفهم كتابتهم وكانوا
يستخدمون الجان في حمل الاثقال فهذا الذي اعانهم علي بنايها وجعلوا
لها ابوابا محكمة بصنعة تحير فيها العقول فاما باب الهرم
الشرقي فانه من ناحية الشرقية علي مقدار مائة ذراع من وسطه
حايط الهرم وكذلك باب الهرم الغربي فانه من ناحية الغربية
علي مقدار مائة ذراع من وسط الحايط الاسفل واما باب الهرم
الصغير الملون فانه من الناحية الجنوبية علي مقدار مائة ذراع
من وسط الحايط الجنوبي فاذا بعد هذا القياس وصل الي باب
الازج المبني ويدخل منه الي باب الهرم وهو باب من حجر عديم النظير
وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرامات في الهواء مائة ذراع بالذراع
الملكي وهو الذي يعدونه الان قصبة عند قبايطين البلاد وكان
ابتداء بنايها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه فانها لا تنهدم
ابدا وتستمر الي اخر الدهر فلما فرغ من بنايها كساها الحرير وزبر
عليها قد كسوتها الحرير فاكسوها انتم الحصير وعمل لها عيدا
حضره اهل مملكته باجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين خزانة من

حجارة

حجارة صوان ومن حجارة الزبرجد ومن حجارة اليشم ومن انواع الرخام
الفاخر العديم النظير بحيث لو راها الناظر يندهش وملاها
بالاموال الجمة والالات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة والا
الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصدا ابدا والزجاج الذي
ينطوي ولا ينكسر واصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم
القاتلة وعمل في الهرم الشرقي اصناف القباب الفلكية والكواكب
وما عمله اجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها الي الكواكب
ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في ادوارها وما
عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاوقات التي ينتظر
فيها ما يحدث وكل من يلي مصر الي اخر الزمان من طايفة وجنس
وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المطهرة المدبرة وما اشبه ذلك
وجعل في الهرم الملون اخبار الكهنة في توابيت من صوان اسود مع
كل كاهن مصحف وفيه عجايب صناعته واعماله وسيرته وما عمل في
وقته وما كان وما يكون من اول الزمان الي اخره وجعل في الحيطان
من كل جانب اصناما تعمل بايديها جميع الصنايع علي مراتبها
واقدارها وصفة كل صنف وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما
من العلوم حتي زبره ورسمه وجعل فيها اموال الكهنة وهو شي عظيم
لا يحصي وجعل لكل هرم منها خازنا فخازن الهرم الغربي صنم من حجارة
صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وفي عنقه شبه حية قد
تطوقت به من قرب منه وثبت اليه وطوقت علي عنقه حتي تقتله
ثم تعود الي مكانها وجعل خازن الهرم الشرقي صنما من جزع

اسود وابيض له عينان باذقان مفتوحتان براقتان وهو جالس
علي كرسي ومعه حربة اذا نظر اليه أحد يموت وجعل خازن الهرم الملون
صنما من حجر المهت علي قاعدة امسه من نظر اليه جذبه حتي يلتصق
به فلا يفارقه الي ان يموت فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح
وذبح لها الذبايح لتمنع عن انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال
الوصول اليها ومما نقل للمامون من تواريخ القبط الاول انهم قرؤا
ما هو مكتوب علي الاهرام بالقلم القديم وفسروه بالعربي أنا
سوريد بن شهلوق بن سرياق بن توميذون بن بدرسان بن هوصال
ابن شيث بن ادم عليه السلام بنيت هذه الاهرام في وقت كذا وكذا
واتممت بناها في ست سنين فمن اتي بعدي وزعم ان ملكه مثل ملكي
فليهدمها في ستين سنة وقد علم ان الهدم ايسر من البنيان واني
كسوتها عند فراغها الحرير فليكسها ان قدر بالحصير فنظروا
ان كلاهما لا يمكن فعله لا هدمها ولا كسوتها بالحصير وذكروا ان
روحانية الهرم الجنوبي امراة عريانة بادية الفرج في فمها انياب
كبار تستهزي بالانسان اذا راته وتضحك له حتي يدنو منها
فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون الصغير شيخ في يديه مبخرة
يبخر بها وقد راي ذلك مرات متعددات وهو يطوف حول الهرم
وقت القايلة يعني وقت زوال الشمس ووقت غروبها وطلوعها
ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه امواله وذخايره وكنوزه وكذا
كل من مات من اولاده واقاربه واهل بيته حوله فان حول الهرم
قبور لا تحصي ولكن لا تري الا من فوق الاهرام فمن اراد ان يحيط

بذلك

بذلك علما بالعيان فليصعد فوق الهرم وينظر ما ذكر بالعيان
وقال القبط ايضا ان سوريد هو الذي بني البرابي واودع فيها
كنوزا وزبر عليها علوما ووكل به روحانيات تحفظها ممن يقصدها
قالوا واما اهرام دهشور فيقال ان شداث بن عديم هو الذي بناها
من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن أبيه شداث هذا يزعم
بعض الناس انه شداد بن عاد وقال من انكر ان تكون العادية
دخلت مصر انما غلطوا باسم شداث بن عديم فقالوا شداد بن عاد
وقل ما يجري علي السنتهم شداث بن عديم والا فما قدر احد من ملوك
الارض يدخل مصر ولا قوي علي اهلها غير بخت نصر والله اعلم
وذكر العلامة ابو الحسن المسعودي في كتابه اخبار الزمان عمن
اباده الحدثان ان الخليفة عبد الله المامون بن الرشيد لما قدم
مصر واتي علي الاهرام احب ان يهدم احدها ليعلم ما فيها فقيل
له انك لا تقدر علي ذلك فقال لا بد من فتح شي منه ففتحت له الثلمة
الآن بنار توقد ودخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى
انفق عليها اموالا عظيمة فوجدوا عرض الحايط قريبا من عشرين
ذراعا فلما انتهوا الي اخر الحايط وجدوا خلف النقب مطهرة
خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار اوقية وكان عددها
الف دينار فجعل المامون يتعجب من ذلك الذهب وجودته ثم
امر بحساب جملة ما انفق علي فتح الثلمة فوجدوا الذهب الذي
اصابوه لا يزيد علي ما انفقوه ولا ينقص فتعجب بمعرفتهم ومن تركهم
ما وزنوه في هذا الموضع عجبا عظيما وقيل انه راي مكتوبا علي

المطهرة في لوح من الزبرجد وكان مطبقا عليها كالغطا بالقديم
قد فسره بالقبط من الصعيد من ذرية قفط يعرفون قلم اصولهم
القديما معناه ليأتين في اخر الزمان رجل من امه نبي لرحمة المبعوث
بالقران ويصل الي هذا المكان فليرح نفسه فلا وصول له الي شي
غير ذلك وهذا قدر المال الذي يصرفه علي فتح هذه الثلمة فان تعرض
الي فتح شي غير ذلك فقد اوقع نفسه فيما لا طاقة له به وقيل ان المطهرة
التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد فامر المامون بحملها الي خزانته
وكانت اخر ما حمل من عجايب مصر واقام بها الناس يقصدونه وينزلون
فيه من الزلاقة التي فتحها المامون فمنهم من سلم ومنهم من هلك
فاتفق عشرون من الاحداث علي دخوله واعدوا لذلك ما يحتاجون
اليه من طعام وشراب وحبال وشمع مطيب ونحوه ونزلوا في الزلاقة
فراوا فيها من الخفافيش ما يكون كالعقبان فضرب وجوههم فلم
يرجعوا ثم انهم دلوا احدهم بالحبال فانطبق عليهم المكان وسمعوا
صوتا فغشي عليهم ثم قاموا فاقوا وهموا بالخروج فما خرجوا
الا بعد ان ايسوا من الحيوة لها فبينما هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم
واذا بالارض قد انشقت وخرج صاحبهم حيا من بين ايديهم يتكلم
بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا فاخذهم الغفرا واتوا
بهم الي الوالي وحدثوه بخبرهم ثم سالوا عن الكلام الذي قال صاحبهم
قبل موته فقيل لهم معناه هذا جزاء من طلب ما ليس له وكان الذي
فسر لهم معناه بعض قبط من اهل مصر من الصعيد من اهل قفط فانهم
يزعمون انهم من نسلهم يقال انه وجد علي قبر من القبور التي من داخل

الهرم

الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب ويقال انه
وجد في موضع من هذا الهرم ايوان في صدره ثلاثة ابواب علي ثلاثة
بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع من رخام
منحوت محكم الهندام علي صفحاته خط ازرق لم يحسنوا قراته واتهم
اقاموا ثلاثة ايام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب اذ رفعوا ابوابها
علي عشرة اذرع منها ثلاثة اعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله
وفي وسط الخرق صورة طاير ففي الاول من هذه الاعمدة صورة حمام من حجر
احمر فحركوا البازي فتحرك الباب الاول الذي في مقابلته فبرموا البازي
قليلا فارتفع الباب الاوسط فعلموا ان البازي هو لولب فلا زالوا به الي
ان فتحوا الباب بعد مشقة عظيمة فدخلوا اليه فوجدوا فيه ثلاثة
سرر من حجارة شفافة مضيئة لا نظير لها في هذا الزمن ولا يعلم
لها جنس وعلي السرر ثلاثة من الاموات وعلي الميت ثلاث حلل
مذهبه بصنعة غريبة والجثة مدهونة بالعقاقير التي لم تبل
وعند راسه كتاب مكتوب بالقلم القديم مجهول المعني وحول ذلك
البيت في اركانه رفوف من حجر المرمر الشفافة النقي البياض كانه
قد تم عمله في احسن صنعة وابلغ هندام وعليها من اواني الذهب
والفضة المرصعة بالاحجار النفيسة العديمة الموجود وعليه
الات الحرب من السيوف التي لا قيمة لها ولا نظير لها فقيس منها
سيف فكان طوله سبعة عشر شبرا وكل درع من تلك الدروع
اثني عشر شبرا فامر المامون بحمل ما وجد في البيوت من السلاح
وابقاء الاموات في اماكنهم من غير تشويش وامر فانطبقت
الابواب كما كانت ويقال انهم وجدوا في مخزن اخر حجرا اخضر

حسبي ربي وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن عبد
وكفى

طول الادمي فوجدوه حجرين مطبقين على بعضهما ففكوا احدهما
من الاخر فوجدوهما مجوفا ومن داخله انسان ميت وعليه درع
من ذهب مزين بانواع الجواهر وهو راقد كالعروس وعلى صدره
نصل سيف لا قيمة له وعند راسه حجر من ياقوت احمر قدر بيضة
الدجاجة يدهش الناظر فاخذه المامون وقال هذا خير من خراج
مصر وفي سنة ٧٠٩ ظهر بتربة بوصير من ناحية الجيزة بيت هرمس
ففتحه القاضي بنا الشنزودي واخذ منها اشياء من جملتها كلاب
وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج واصنام من
ذهب ومن نحاس وغير ذلك وفي بوصير منها شي كثير وبعضها
كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها
مدرج واكثرها مخروط واملس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير
كلها صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر
في الجيزة وقد بقي من هذه الاهرامات الصغار قليلها واثار المهدومين
باقية الى الان بحذاء الاهرام الصغار من قبليها فمن اراد النظر
الى ذلك فليذهب الى بر الجيزة ويراهم بالعيان ونقل اصحاب
التواريخ القديمة ان سيدنا ادريس وهو الذي تسميه الحكماء
المتقدمون هرمس الاول المدعو بالمثلث الذي اعطاه الله تعالى
الكتاب والحكمة والنبوة وهو الذي تسميه العبرانيون اخنوخ بن
يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام
استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض
فشرع في بناء الاهرامات واودعها الاموال وصحايف

العلوم

العلوم ليشفق عليه من الدروس والذهاب حفظا لها واحتياطا
عليها وهو اقوى شي يكون فان هذا امر عجيب يكاد ان يكون معجز
ولا يقدر على هذا الامر الا من له اليد العليا في العلوم والحكم وهذا
امر يعجز عنه البشر الا من اعطاه الله العلم والحكمة وكان الملك
العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب لما استقل بالملك
بعد ابيه سول له بعض جهلة اصحابه ان يهدموا الاهرامات الصغار
فبدا بالصغير الاحمر فاخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة
امراء دولته وعظماء مملكته وامرهم بهدمه فخيموا عنده وحشروا
الرجال والصناع وفرق عليهم النفقات واقاموا نحو ثمانية اشهر
بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع
في ذلك فاذا اسقط الحجر من فوق الى اسفل يسمع له رجفة عظيمة
فلما طال عليهم المطال ولم يحصل لهم طائل من ذلك رجعوا وهم
محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم الصغير ورجعوا بعجز
وذلك في سنة ٥٩٣ وبازاء الاهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة
المقدار عميقة الاغوار يسع الفارس يمشي فيها لسعتها وبعدها
وعند هذه الاهرامات الصغار اثار ابنية ومغاير كثيرة وقلما
ترى في ذلك الاشيا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول
لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وبين الهرمين صنم تسميه العامة
ابا الهول كان اسمه في زمن القبط الاول بلهيب ويقال انه
وضع للرمل يمنع ليدفع الرمل عن بر الجيزة وهو الظاهر ومما
يدل على ذلك انه كان بمصر القديمة صنم تجاه ابي الهول في صورة

امراة كاملة الاعضاء كما وصف وفي حجرها ولد وعلى راسها هيئة
ماجور وهي كلها من صوان مانع تزعم الناس انها سرية ابي الهول
المذكور وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على راس ابي الهول
خيط ومد الى بر مصر لكان على راسها مستقيما فعلمنا من ذلك
ان الذي وضع ابا الهول في ذلك البر وضع هذه في هذا البر وقيل
انها طلسمان وضعا لمنع الرمل عن نيل مصر وقال ابن المتوج زقاق
الصنم هو الزقاق الشارع اوله باول السوق الكبير يجاور
درب عمار ويعرف هذا الصنم بسرية ابي الهول وكلاهما وجهه
الى الشرق وقد نزل في سنة ٧١١ امير يعرف بجانبلاط في نفر من
الحجارين والقطاعين وكسروا هذا الصنم المعروف بسرية ابي الهول
وقطعوه اعتابا وقواعد ظنا ان يكون تحته مال فلم يوجد سوى
الرمل فمن ذلك العهد ظهر الرمل ببر مصر وتزايد الى هلم وعمل
من ذلك الصنم قواعد للعمد الصوان التي بالجامع المسجد بظاهر
مصر القديمة الذي امر ببنايته الملك الناصر محمد بن قلاوون
فلما ان تزايد الرمل على بر مصر علم ان هذا الصنم كان طلسما
للرمل ويقال والله اعلم ان خراب مصر يكون من تزايد الرمل على
ماء النيل خصوصا في ايام احتراق البحر كما هو ظاهر الآن ومما
نقله المؤرخون ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام ابن
نوح عليه السلام وصى اخاه عند موته ان يحمله في سفينة
ويدفنه في جزيرة في وسط البحر فلما مات اتريب فعل به ذلك
ووضعه في حوض من مرمر واطبق عليه باحكام وحمله الى المحل

الذي اشار به ودفنه به من غير ان يعلم به جميع اهل مصر فاتهموه
بقتل اتريب لما ان راوه اخذ الملك لنفسه فخرجوا عن طاعته
وحاربوه مدة سنين فلما اتى حربهم قال لهم ما الذي تريدون قالوا
نريد ان تخبرنا عن اتريب وما فعلت فيه فاخبرهم بما اوصاه به
وانه لم يعلم بموته احد فقالوا له نريد ان تدلنا على قبره لنجعل
له مزارا ونجعل له عيدا في كل عام في اليوم الذي مات فيه فوافقهم
على ذلك ومضى بهم حتى اوقفهم على قبر اتريب فقالوا لابد ان
ننبشه وننظر ان كان به جراحة ام لا فاجابهم الى ذلك فحفروا
قبره فلم يجدوا فيه احدا وقد نقلته الشياطين الى موضع ابي
الهول ودفنته هناك بجانب قبر ابيه وجده فلما لم يجدوه
ازدادوا له تهمة وعادوا الى منيف واقاموا الحرب عليه حتى
قتلوه ودفنه اهله على شاطئ النيل فكان النيل اذا زاد يعلوه
قبره حتى افتتن به طائفة وقالوا قد قتل ظلما وصاروا
يسجدون لقبره فذهب الشيطان اللعين الى قوم اتريب
واولاده في صورة راهب ودلهم على قبر اتريب حيث نقله
فاخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فلم يروا به جرحا ولا ضررا
فتكلم لهم الشيطان على لسانه وحسن لهم عبادته في ان يسجدوا
له ويعبدوه ويتقربوا بعبادته الى الله تعالى وذلك من كيد
الشيطان فصاروا يسجدون له كما سجد اولئك لاتريب فصمم
آخرون وهم اولاد اشمون الى حجر فنحتوه على صورة اشموم
ابن مصرو وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين

بعمود مرمر

وجعلوا يسجدون له فصار اهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابية
تعظم ابا الهول وتقرب له ويبخروه بالسندروس ويتبركونه
وكان ذلك هو السبب في عبادة قبط مصر للاصنام وصاروا
كل من مات من كبرايهم يصورن اهله ويصنعون صورته في موضعه
الذي كان فيه حال حياته ويعبدونه ويظنون ان هذا يقربهم
الى الله تعالى وقال بعضهم نظما في ذكر الاهرام واجاد شعره

مباني الاهرام كم من واعظ ۔ صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرتني قولا تقادم عهده ۔ اين الذي الهرمان من بنيانه
هي الجبال الشامخات تكاد ان ۔ تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو ان كسرى جالس في سفحها ۔ لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده ۔ مددا ولم تاسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عند هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة ۔ فمباني الاهرام من اوثانه
افاويل يقضي رجع نفسه ۔ من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه وجسمه ۔ فترى الامن من اذى طوفانه
او انها للسايرات مراصد ۔ يختار راصدها اعز مكانه
او انها وضعت لشتى كواكب ۔ احكام فرس الدهر او يونانه
او انهم نقشوا على حيطانها ۔ تملي بحارا الفكر في بنيانه
في قلب رائيها ليعلم انه ۔ فكر يعض عليه طرف بنانه

ولبعضهم ايضا

انظر الى الهرمين واسمع منهما ۔ ما يرويان عن الزمان الغابر

لو ينطقان لخبرانا بالذي ۔ صنع الزمان باول وباخر ولبعضهم
تعبينك هل ابصرت اعجب منظر ۔ على طول ما ابصرت من هرمي مصر
انافا عنان السماء واشرقا ۔ على الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا ۔ كانهما نهدان قاما على صدر

وقال الفقيه عمارة اليمني

خليلي ما تحت السماء بنية ۔ تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما ۔ على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنايها ۔ ولم يتنزه في المراد به فكري
وقال اخر انظر الى الهرمين اذ برزا ۔ للعين في علو وفي صعد
وكانما الارض العريضة اذ ۔ ظميت لفرط الحر والبرد
حسرت عن الثديين بارزة ۔ تدعو الاله لرقة الولد
فاجابها بالنيل يوسعها ۔ ريا ويشفيها من الكمد

وقال ظافر الحداد

تامل هيئة الهرمين وانظر ۔ وبينهما ابو الهول العجيب
كعمارتين على رحيل ۔ لمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل بينهما دموع ۔ وصوت الريح عندهما نحيب
ودونهما المقطم وهو يحكي ۔ ركاب الركب ابركها اللغوب
وظاهر سجن يوسف مثل صب ۔ تخلف وهو محزون كييب

وقال ابن الساعاتي

ومن العجايب والعجايب جمة ۔ دقت على الاكثار والاسهاب
هرمان قد هرم الزمان وادبرت ۔ ايامه وتزيد حسن شباب

لله اي بنية ازلية … تبقي السماء باطول الاسباب
وكانما وقفت وقوف تبلد … اسفا علي الايام والاحقاب
كتمت علي الاسماع فصل خطابها … وغدت تشير به الي الالباب

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اي غريبة وعجيبة … في هيئة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع فصل خطابها … وقضت عن الاسماع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة … من غير ما عمد ولا اطناب

وقال بعضهم تبين ان صدر الارض مصر … ونهداها من الهرمين شاهد
فوا عجبا وقد ولدت كثيرا … علي هرم وذاك النهد ناهد

وقال الشهاب المنصوري

انجزت بالهرمين قل كم فيهما … من عبرة للعاقل المتامل
شبهت كلا منهما بمسافر … عرف المحل فبات دون المنزل
او عاشقين وشي بوصلهما ابو … الهول الرقيب فخلفاه بمعزل
او حايرين استهديا نجم الدجا … فهداهما بضيايه المتهلل
او ظاميين استسقيا صوب الحيا … فسقاهما عذبا روي المنهل
يفني الزمان وفي حشاه منهما … غيظ الحسود وضجرة المستثقل

ولما عدي القاضي الفاضل بن فضل الله الاهرام كتب الي الامير الجاي الدويدار وذلك سنة ٧٢٩

لي البشارة اذ امسيت جاركم … في ارض مصر باني غير مهتضم
حفظتم الي شبابي في ظلالكم … مع انكم قد وصلتم بي الي الهرم

ومما قيل فيهما نثرا من رسالة لضياء الدين بن الاثير في وصف

مصر

مصر لقد شاهدت بلدا يشهد بفضله علي البلاد ووجدته هو المصر وما عداها فهو السواد فما راه راء الا ملا عينه وصدره ولا وصفه واصف الا علم انه لم يقدر قدره وبه من عجايب الاثار ما لا يضبطه العيان فضلا عن الاخبار من ذلك الهرمان اللذان هرما الدهر وهما لا يهرمان قد اختص كل منهما بعظيم البنا وسعة الفنا وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير علي بعد تحليقه ولا يدركها الطرف علي مدة تحديقه فاذا اضرم براسه قبس ظنته المتامل نجما واذا استدار عليه قوس السما كان له سهما ومعني البيت ان من بني الاهرام الحاكي بنيانه شدته والجواب محذوف تقديره ذهب كذهاب امس اذا مضي وسيري ما قدمه يوم العرض وفصل القضا والعرامة الشدة قال في القاموس عرم كنصر وضرب وكرم عرامة وعراما بالضم فهو عارم وعرم اشتد ويوم عارم نهاية في البرد والعرمة بالضم سواد تختلط ببياض والعرما الحية الرقشا والاعرم المتلون والابرش والقطيع من ضان ومعز والعرمرم الداهية والتعريم الخلط والعرمرم الشديد والجيش الكثير والعرمية كخزيمة رملة انتهي ملخصا قال الناظم رحمه الله تعالي

امر ابن غمدان وسيف … والوفود به امامه

ليعلم ان غمدان هذا يسمي هكذا بيت غمدان فحذف الناظم لفظ بيت وهو قصر مشيد من عجايب الدنيا يقال انه كان هيكلا للزهرة تتعبد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لا افلحت

الرجب مادام فيهما مادام فيهما عمدان فلما ولي عثمان رضي الله
عنه الخلافة هدمه وكان لهذا القصر اربعة وجوه اخضر
واحمر وابيض واصفر وبنا من داخله قصر بسبعة سقوف بين كل
سقفين اربعين ذراعا وبه من العجايب والصناعات الغريبة
ما يحير العقول قال في سيرة الخميس ان باني غمدان هو يشرح بن
الحارث بن صيفي بن ساجد بلقيس قال في القاموس غمدان
كعثمان قصر باليمن ذكر انه بناه يشرح الخ ثم نقل بعد ذلك
ان سيدنا سليمان امر الجن ان تبنيه لما تزوج بلقيس كما سياتي
في الحصون وسيف هو هو سيف بن ذي يزن الحميري وقوله
والوفود به اما مه اشارة الي وفود العرب التي وفدت عليه تهنيه
برجوع الملك له لان الحبشة كانت انتزعت ملكه واستمر في
ايديهم سبعين سنة حتى ذهب الي كسرى وبلغه مراده قيل انه
لما وفد علي كسري وراي قصره وكان رفيع البنا طاطا راسه عند
مروره به فامر له كسري باربعة احمال من الدراهم ففرقها قبل
ان يصل اليه ولما دخل علي كسرى حياه بتحية الملوك وترجم باحسن
كلام فاعجبه ذكاوه وعقله ولما وضعت السفرة قدم كسرى له
دجاجة فاكل بعضها وتشاغل فاراد وزير كسري اخذها فضربه
علي يده بالخنجر قطعها فلما رفعت السفرة باسطه كسرى ثم ساله
عن طاطاة راسه عند مروره بقصره وعن تفريطه برفده وعن
قطع يد وزيره فقال له ايها الملك اني قست همتي بقصرك فوجدتها
اعلا منه فانحنيت واردت ان اخبر الملك بان ما اعطاه من الرفد

اخبار سيف ابن ذي يزن

الكثير

الكثير ليس هو مرادي واما قطع يد الوزير فلاساءة ادبه وانه
لم يرني اهلا لكرامتك فقال له كسرى سل ما تريد فقال اريد
عشرة الاف فارس من جنودك اختارهم ليعينوني علي اخراج عدوي
فانعم له بذلك وخيره فاختار منهم عشرة الاف وجهزهم كسرى
جميعا وامرهم بطاعته فذهب بهم فانتصر علي عدوه وطرده عن
ملكه واستولي علي الحبشة ايضا فوفدت اليه العرب تهنيه
فقد روى ابو نعيم والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري لما
ولي علي الحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم
بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها وشعراوها لتهنيه
بهلاك ملوك الحبشة وتوليته عليهم وكان من جملتهم وفد
قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب ووجهائهم
اي كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وهو
ابن عم عايشة رضي الله عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب
ابن عبد مناف وقصي بن عبد الدار فاخبر بمكانهم اي وكان
في قصر غمدان المذكور بصنعاء اليمن وهو مضمخ بالمسك
وعليه بردان والتاج علي راسه وسيفه بين يديه وملوك حمير
عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب
وفي رواية وجدوه جالسا علي سرير من الذهب وحوله اشراف
اليمن علي كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا
عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذن في الكلام
فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال ان

الله عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا باذخا منيعا
وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته وثبت اصله
وبسق فرعه في اطيب موضع واكرم معدن وانت ابيت اللعن اي
انت ابيت ان تأتي من الامور ما يلعن عليه ملك العرب التي تنقاد
له وعمودها الذي عليه العماد وكهفها الذي تلجاء اليه العباد
سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من
انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل حرم الله وسدنة
بيته اشخصنا اليك اي احضرنا اليك الذي ابهجنا من كشف
الكرب الذي قد فدحنا اي اثقلنا فنحن وفد التهنية لا وفد
الرزية اي التعزية فعند ذلك قال الملك من انت ايها المتكلم
قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا اي لان ام عبد المطلب
من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى
القوم فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا
وملكا ربحلا اي كثير العطا يعطي عطاء جزلا فقد سمع الملك مقالتكم
وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة
ما اقمتم والحبا ما ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود
فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يوذن لهم بالانصراف
ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال
يا عبد المطلب اني مفضي اليك من سر علمي امرا لو غيرك يكون لم
ابح له به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك طلعه اي عليه فليكن
عندك مخباء حتى ياذن الله فيه اني اجد في الكتاب المكنون

والعلم

والعلم المخزون الذي اخترناه وادخرناه لانفسنا واحتجبنا
دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة
الوفاة للناس عامه ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له
عبد المطلب مثلك ايها الملك سر وبر فما هو فدا لك اهل الوبر
زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامه غلام بين كتفيه شامه
كانت له الامامه ولكم بها الزعامه الى يوم القيمة فقال له
عبد المطلب ايها الملك ابت بخير ما اب بمثله وافد قوم ولولا هيبة
الملك واجلاله واعظامه لسالته ان يخبرني من مساره اي مسارته
اياي بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد
فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه
قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا
يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض
اي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض
الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل
وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله
قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل
الملك ساري بافصاح فقد اوضح لي بعض الايضاح قال
والبيت ذي الحجب والعلامات ذي النقب اي الطرق انك لجده
يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له
ارفع راسك ثلج صدرك فهل احسنت بشيء مما ذكرته لك قال نعم
ايها الملك اني كان لي ابن وكنت معجبا به وعليه رفيقا واني

زوجته كريمة من كرايم قومي امنه بنت وهب بن عبد مناف بن
زهره وجات بغلام فسمته محمدا مات ابوه وامه وكفلته
انا وعمه يعني ابا طالب فقال له ان الذي قلت لك كما قلت
فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل
الله لهم عليه سبيلا قال واطو ما ذكرته عن هولاء الرهط الذي
معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان يكون لهم
الرياسة فينصبون له الحبايل ويبغون له الغوايل وهم فاعلو
ذلك او ابناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي
قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار ملكه فاني
اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام امره
واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه
العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره واعليت على اسنان العرب
كعبه ولكني صارف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا
بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود
وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال
فضة ومائة من الابل وكرش مملو من عنبر وامر لعبد المطلب بعشرة
امثال ذلك وقال اذا جاء الحول فانبئني بخبره وما يكون من امره
فمات الملك قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول
لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما
يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول
ولو بعد حين انتهى والوفود جمع وفد ويجمع على اوفاد والمراد به

هنا

هنا الورود وفي الاصل ورده رسولا قال في المختار وفد فلان
على الامير اي ورد رسولا وبابه وعد والاسم الوفادة بالكسر واوفده
الى الامير ارسله ووفد الحاج وفد الله اي وفد بيت الله وقوله امامه
ان قلنا الضمير في به عايد على غمدان فامامه بالفتح اي قدامه
والضمير في امامه عايد على سيف اي وقوفا بين يديه وان قلنا
ان الضمير في به عايد على سيف فأمامه بالضم والباء للسببية
والمعنى ان الوفود بسببه اي بسبب نواله لانه الامامة بالضم
كما في القاموس هو الرجل الجامع للخير وهذا اقرب لما فيه من عود الضمير
على اقرب مذكور فليتامل قال الناظم رحمه الله تعالى

أين الخورنق والسدير ومن بنى بهما أو أمه

الخورنق والسدير قصران عظيمان من احسن البنا وقيل ان السدير
بالسين والدال المهملتين اسم نهر لكنه لا يلايم عطفه على الخورنق
فالصحيح ان المراد به القصر قال في المختار السدير نهر وقيل قصر
لكن عليه شرح قصيدة عدي بن كعب زيد عند قوله

وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يحويه والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال فما غبطة حي الى الممات يصير

ان المراد بالسدير قصر عجيب محكم البنا والخورنق قصر النعمان بن
امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي
وكان النعمان من اشد الناس نكاية غزا اهل الشام مرارا واكثر في
القتل وكان قد اعطي الملك والكثرة والغلبة مع فتى السن قال ابو

عثمان الحافظ عاش النعمان بن امرئ القيس ثمانين سنة وكان
لما عزم على بنايه بعث الى بلاد الروم فاتى برجل مشهور بعمل
المصانع والحصون والقصور للملوك يقال له سنمار فكان
يبني سنين يريد بذلك ان يطيل البنا فلما فرغ منه تعجب
تعجب منه النعمان من حسنه واتقان عمله فقال له سنمار عند
ذلك تقربا اليه بالحذق وحسن المعرفة ابيت اللعن والله اني
لاعرف فيه موضع حجر لو زال لزال جميع البنيان فقال له او كذلك
قال نعم فقال لاجرم والله لادعنه لا يعلم بمكانه احد ثم امر به فرمي
من اعلاه فتقطع فذكرته العرب في اشعارها فمن ذلك قول
سليط بن سعد

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر . وحسن فعل كما يجزى سنمار

اعاد الضمير وهو الهاء الى المفعول وهي متصلة بالفاعل وكلاهما
في رتبته كقولك ضرب غلامه زيدا ولم يجز ذلك احد من النحويين
لان رتبة الضمير المتاخر عن مظهره فاذا تقدم المضمر على مظهره
لفظا ومعنى لم يجز ان ينوى به غير رتبته واستعماله في الشعر من
اقبح الضرورات فاما قول الاخر

جزى ربه عني عدي بن حاتم . جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فقد تاوله على اعادة الهاء الى المصدر الذي دل عليه جزى فقدر
جزى رب الجزاء وهو عندي كالبيت الذي قبله وقوله كما يجزى
سنمار اراد كما جزي سنمار فوضع المستقبل موضع الماضي ومثل
ذلك قول ابي النجم

ثم

ثم جزاه الله عنا اذ جزى . جنات عدن في العلالي العلا

وضع اذ جزى موضع اذ يجزى وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي
ايضا

جزاني جزاه الله شر جزائه . جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة . يعلي عليه بالقراميد والسكب
فظن سنمار به كل حبرة . وفاز لديه بالمودة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من فوق برجه . فذاك لعمر الله من اعظم الخطب

سنمار اسم عربي ذكره س في الابنية يقال رجل سنمار اذا كان
حسن الوجه ابيضه ويقال للقمر سنمار وقوله سوى رصه البنيان
رص البنا نضم بعضه الى بعض وفي التنزيل كانهم بنيان مرصوص
والقراميد جمع القرميد وهو الاجر والبا فيه كالبا في الصياريف
وحذفها مما لا يخل بالوزن ولكنه كان مما لا يقبل طباعه الزحاف
ويقال القرمد واجرة مشددة الراء واجرة مخففتها واجورة
والسكب النحاس والرصاص والحبرة الفرح وقول عدي

فارعوى قلبه فقال فما غبطة . حي الى الممات يصير

ارعوى رجع وكف والغبطة السرور والفرح والغبطة ايضا حسن الحال
وذلك ان النعمان بن امرئ القيس ضربت له قبة على الخورنق
وقد اخذت الارض فيه زخرفها من اختلاف الوان نبتها فهي احسن
منظر ومختبر من نور ربيع مونق في صعيد كانه قطع الكافور
فنظر النعمان فابعد النظر فراى البر والبحر وصيد الظبا والحمر
وصيد الطير والحيتان والبحر اذ ذاك يتلاطم امواجه
وتتواثب حيتانه وسمع غنا الملاحين وتطريب الحادين وراى

الفرسان تتلاعب بالرماح في الميادين ورأي انواع الزهر من
النخيل والشجر في البساتين وسمع اصوات الطير علي اختلافها
وابتلافها فاعجب بذلك اعجابا شديدًا وقال لجلسائه هل
رايتم مثل هذا المنظر والمسمع وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجر
قد دب علي دب الحق ومنهاجه فقال له ايها الملك قد سالت عن
امر فائذن في الجواب عنه قال نعم قال ارايت هذا الذي انت
فيه اشيء لم تزل فيه ام شيء صار اليك ممن كان قبلك وهو زائل
عنك وصاير الي من بعدك فقال بل هو شيء صار الي ممن كان قبلي
وسيزول عني الي من كان بعدي والاوام بضم الهمزة حر العطش
كما في المختار وليس المراد هنا بل المراد ملزومه وهو شفا الغليل
لانه بالزوم من يطفي اوامه ان يشتفي غليله قال الناظم رحمه الله

ومداين الاسكندر الذي لها أعلي دعامة

المداين بالهمز جمع مدينة وتجمع ايضا علي مدن من دان بالمكان
اذا اقام به والنسبة الي مدينته عليه الصلاة والسلام والي
مدينة المنصور والي مداين كسرى مدني ومديني ومدايني للفرق
بينهم وانما جمع مداين بالنظر الي قصباتها لانها كانت سبع قصبات
قال الامام السيوطي اخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر والبيهقي في
دلايل النبوة عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال جاء رجال
من اهل الكتاب معهم كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم اخبرتكم عما اردتم ان
تسالوني قبل ان تتكلموا وان شئتم تكلمتم واخبرتكم قالوا اخبرنا قبل

ان نتكلم قال جئتم تسالوني عن ذي القرنين وساخبركم عما تجدونه
مكتوبا عندكم ان اول امره انه كان غلامًا من الروم اعطي ملكا فسار حتى
اتي ساحل البحر من ارض مصر فابتني عنده مدينة يقال لها الاسكندرية
فلما فرغ من بنايها اتاه ملك فعرج به حتى استعله فرفعه فقال انظر
ما تحتك قال اري مدينتي واري معها مداين معها ثم عرج به فقال انظر فقد
اختلطت مع المداين فلا اعرفها الحديث بطوله وقد اورده في التفسير
المأثور في سورة الكهف واخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال كان اول شان الاسكندرية ان فرعون اتخذ بها
مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبني بها فلم تزل علي بنايه
ومصانعه فتداولها الملوك ملوك مصر بعده فبنت دلوكة ابنة
زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان
ابن داود عليهما السلام علي الارض اتخذ بها مجلسا وبني فيها مسجدا ثم
ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة
وغيرهم من ذلك الا بناء سليمان بن داود لم يهدمه ولم يغيره
واصلح ما كان خرب منه واقر المنارة علي حالها ثم بني الاسكندرية من
اولها الي اخرها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك من الروم
وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به
وما ينسب اليه قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني منارة الاسكندرية
قلبطرة الملكة وهي التي ساقت خليجها حتي ادخلته الاسكندرية
ولم يكن يبلغها الماء قال ويقال ان الذي بنا الاسكندرية شداد
ابن عاد وقال ابن لهيعة بلغني انه وجد حجر بالاسكندرية

الكلام علي الاسكندرية

مكتوب فيه انا شداد بن عاد وهو الذي نصب العماد وجند الاجناد
وسد بذراعه الواد بنيتهن اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة لي في
اللين مثل الطين قال ابن لهيعة والاجناد كالعباد واخرج ابن عبد
الحكم عن تبيع قال ان في الاسكندرية مساجد خمسة مقدسة مسجد موسى
عليه الصلوة والسلام عند المنارة ومسجد سليمان صلى الله عليه وسلم
ومسجد ذي القرنين ومسجد الخضر احدهما عند القيسارية والاخر
عند باب المدينة ومسجد عمرو بن العاص الكبير قال ابن عبد الحكم
وحدثنا ابي قال كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض
منه وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهي موضع قصبة
الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على واحدة منهن سور وسور من
خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا واخرج ابن عبد الحكم
عن عبد الله بن طريف الهمداني قال كان على الاسكندرية سبعة
حصون وسبعة خنادق واخرج عن خالد بن عبد الله وابي حزرة ان
ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها
فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد
من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجوا فيها بالليل من بياض
الرخام واذا كان القمر ادخل الرجل الذي يخيط بالليل في ضوء القمر
الخيط في خرم الابرة قال وذكر بعض المشايخ ان الاسكندرية بنيت
في ثلثماية سنة وسكنت ثلثماية سنة وخربت ثلثماية سنة ولقد
مكثت سبعين سنة ما يدخلها احد الا وعلى بصره خرقة سوداء من
بياض جصها وبياضها ولقد مكثت سبعين سنة ما يسرج بها وانبانا

ابن

ابن ابي مريم عن العطاف بن خالد قال كانت الاسكندرية بيضاء تضيء
بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد منهم من بيته ومن
خرج اختطف وكان منهم راعي غنم يرعى على شاطي البحر وكان يخرج من
البحر شيء فياخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جارية
فتشبث بها فذهب بها الى المنزل فانست بهم فراتهم لا يخرجون بعد
غروب الشمس فسالتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيات لهم الطلسمات
بمصر في الاسكندرية واخرج عن عطا الخراساني قال كان الرخام قد
سخرهم حتى يكون من بكرة النهار الى الظهر بمنزلة العجين فاذا انتصف
النهار اشتد ويبس واخرج عن هشام بن سعد المدني قال وجد
بالاسكندرية حجر مكتوب فيه فذكر فيه مثل حديث ابن لهيعة سواء وزاد
فيه وكنزت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا لن يخرجه احد حتى تخرجه امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال التيفاشي في كتاب سرور النفس بمدارك
الحواس الخمس قال كانت الاسكندرية تسمى قبل الاسكندر قوده وبذلك يعرف
القبط في كتبهم القديمة قال ابن عبد الحكم وحدثنا عبد الله بن صالح
عن الليث بن سعد قال كانت بحيرة الاسكندرية كرما كلها لامراة
المقوقس فكانت تاخذ خراجها منهم الخمر فريضة عليهم وكثر الخمر عليها
حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخمر اعطوني دنانير فقالوا
ليس عندنا فارسلت عليها الماء فغرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها
الحيتان حتى استخرجها بنو العباس فسدوا جسرها وزرعوا فيها وقال
صاحب مراة الزمان من عجايب الدنيا قصر عمود السواري بالاسكندرية
وليس في الدنيا مثله وقد شاهدته وقال ابن فضل الله في المسالك

بظاهر الاسكندرية عمود السواري وهو عمود مرتفع في الهوي تحته قاعدة
وفوقه قاعدة يقال انه لا نظير له في العمد في علوه واستدارته ثم
قلت وقد رايت هذا العمود لما دخلت الاسكندرية في رحلتي ودور
قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ومن المتواتر عند اهل الاسكندرية
ان من حاذاه عن قرب وغمض عينيه ثم قصده لا يصيبه بل يميل عنه
وذكروا انه لم يحصل اصابته لاحد قط مع كثرة تجريبهم وقد جربت
ذلك مرارا فلم اقدر ان اصيبه وذكر لي بعض فضلاء الاسكندرية
انها كانت اربع عمد على هذا النمط وكان عليها قبة يجلس فيها ارسطو
الحكيم صاحب الرصد وفي هذا العمود يقول الشاعر

نزيل اسكندرية ليس يقرا . سوى بالماء او عمد السواري .
وان تطلب هناك كريم خبز . فلم يوجد لذاك الحرف قاري .

واخرج ابن عساكر في تاريخه عن اسامة بن زيد التنوخي قال كان
بالاسكندرية صنم يقال له شراحيل على خشفة من خشف البحر وكان
مستقبلا باصبعه القسطنطينية لا يدرى اكان مما عمله سليمان
او الاسكندر فكانت الحيتان تجتمع عنده وتدور حوله فتصاد فكتب
اسامة الى الوليد بن عبد الملك يخبره بخبر الصنم ويقول له
الفلوس عندنا قليلة فان راى امير المؤمنين ان يقلع الصنم فيضرب به
فلوسا فارسل اليه الوليد رجالا امناء فانزلوا الصنم فوجدوا عينيه
ياقوتتين حمراوتين ليس لهما قيمة فذهبت الحيتان فلم تعد الى ذلك
الموضع **ذكر منارة الاسكندرية وبقية عجائبها** قال صاحب مباهج
الفكر من عجائب المباني التي بارض مصر منارة الاسكندرية مبنية

بحجارة

بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر
على ظهر سرطانات من نحاس وفيها نحو ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض
مصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها وللبيوت طاقات
ينظر فيها الى البحر واختلف اهل التاريخ فيمن بناها فقيل انها من بناء
الاسكندر وقيل انها من بناء دلوكة ملكة مصر وكان في اعلاها تماثيل من
نحاس منها تمثال قد اشار بسبابته يده اليمنى نحو الشمس اينما كانت من
الفلك يدور معها حيث دارت ومنها تمثال وجهه الى البحر متى صار
العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت يعلم به اهل المدينة طروق العدو
ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا وكان
باعلاه مراة يرى منها قسطنطينية وبينهما عرض البحر فكلما جهز الروم
جيشا رؤي في المراة وحكى المسعودي ان هذه المنارة كانت في
وسط الاسكندرية وانها كانت تعد من بنيان العالم العجيب بناها
بعض ملوك اليونان يقال ان اهل الاسكندرية لما كان بينهم وبين الروم
من الحروب فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فيها مراة من الاحجار المشفة
يشاهد فيها مراكب البحر اذا اقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار
عن ادراكها ولم تزل كذلك الى ان ملكها المسلمون فاحتال ملك الروم
لما اتسع بها المسلمون في مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بان انفذ
احد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على انه راغب في الاسلام
فوصل الى الوليد واظهر الاسلام واخرج كنوزا ودفائن كانت بالشام
حمل الوليد على ان صدقه ان تحت المنارة اموالا ودفائن واسلحة دفنها
الاسكندر فجهزه مع جماعة من ثقاته الى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة

وازال المنارة ثم فطن انها مكيدة فاستشعر ذلك فهرب في مركب كان
معدة لذلك ثم بنى ما هدم بالجص والآجر قال المسعودي وطول المنارة
في وقتنا هذا وهو سنة ٣٣٣ مايتان وثلاثون ذراعا وكان طولها
قديما نحوا من اربعماية ذراع وبناؤها في عصرنا ثلاثة اشكال فقريب من
الثلث مربع بالحجارة ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبني بالآجر والجص
نحو ستين ذراعا واعلاها مدور الشكل قال صاحب المباهج وكان احمد
ابن طولون بنى في اعلاها قبة من خشب فهدمتها الرياح فبني مكانها
مسجدا في ايام الملك الكامل صاحب مصر ثم ان وجهها البحري تداعى
وكذلك الرصيف الذي كان بين يديها من جهة البحر وكاد ان يهدمها
وذلك ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وذكر ابن فضل الله
في مسالكه ان هذه المنارة قد خربت وبقيت اثرا بلا عين وكان هذا
وقع في ايام قلاوون او ولده وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ
المتغفل من عجايب منارة الاسكندرية التي بناها ذو القرنين ان
طولها اكثر من ثلثماية ذراع مبنية بالحجر المنحوت مربعة الشكل وفوق
المنارة المربعة منارة مثمنة مبنية بالآجر وفوق المنارة المثمنة
منارة مدورة وكلها مبنية بالصخر المنحوت على اكثر من مائتي
ذراع وكان عليها وكان عليها مراة من الحديد الصيني عرضها
سبعة اذرع كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع
بلاد الروم فان كانوا اعداء تركوهم حتى يقربوا من الاسكندرية
فاذا قربوا منها ومالت الشمس للغروب اداروا المراة مقابل الشمس
واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع الشمس في ضوء المراة على السفن

فتحترق

فتحترق السفن في البحر عن آخرها ويهلك من كان فيها وكانوا يؤدون
الخراج ليأمنوا بذلك من احراق المراة لسفنهم فلما فتح عمرو بن العاص
الاسكندرية تحايلت الروم بان بعثت جماعة من القسيسين المستعربة
وأظهروا انهم مسلمون واخرجوا كتابا زعموا فيه ان ذخاير ذي القرنين
في جوف المنارة فصدقهم العرب لقلة معرفتهم بحيل الروم وعدم
معرفتهم بفايدة تلك المراة والمنارة وتحيلوا انهم اذا اخذوا الذخاير
والاموال اعادوا المراة كما كانت فهدموا مقدار ثلثي المنارة فلم يجدوا
فيها شيئا وهرب اولئك القسيسون فعلموا انها خديعة فبنوها
بالآجر ولم يقدروا ان يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما اتموها نصبوا عليها
تلك المراة كما كانت فصديت ولم يروا فيها شيئا وبطل احراقها والنصف
الاسفل الذي من عمل ذي القرنين يدخل الانسان من الباب الذي للمنارة
وهو مرتفع من الارض مقدار عشرين ذراعا يصعد اليه على قناطر مبنية
بالحجر المنحوت فاذا دخل من باب المنارة يجد على يمينه بابا فيدخل منه
الى مجلس كبير طوله عشرون ذراعا مربعا يدخل منه الضوء من جانبي المراة
ثم يجد بيتا آخر مثله ثم مجلسا ثالثا ومجلسا رابعا كذلك قال وقد عملت
الجن لسليمان مجلسا من اعمدة الرخام الملون كالجزع اليماني المصقول
كالمراة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وكان عدد
الاعمدة ثلثماية عمود كل عمود ثلاثون ذراعا وفي وسط المجلس عمود طوله
مائة ذراع واحد عشر ذراعا وسقفه من حجر واحد اخضر مربع قطعته
ومن جملة تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا يشاهد ذلك الناس
ولا يدرون ما سبب حركته قال ومن عجايب الاسكندرية عمود السواري

والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم السبت ويرمون بالكرة فلا
تقع في حجر احد منهم الا ملك مصر وكان يحضر هذا الملعب ما شاء الله
من الناس ما يزيد على الف الف رجل فلا يكون منهم احد الا وهو ينظر
في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا او لعبوا لونا من الوان
اللعب راوه عن اخرهم قال ومن عجائبها المسلتان وهما حجران منقوشان
قايمان على سرطانات من نحاس في اركانها كل ركن على سرطان فلو
اراد احد ان يدخل تحتها شيا حتى يعبره من جانبها الاخر لفعل
قال ومن عجائبها عدد الاعماد وهما عمودان ملتقيان ووراء كل
عمود منهما جبل حصباء كحصبا الجمار فمتى اقبل المتعب او النصب على
احد اخذ سبع حصيات من تلك الحصبا واستلقى على احدهما ثم
يرمي وراءه بالسبع حصيات ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطيته
فاذا كان لم يتعب ولم يحس بشيء قال ومن عجائبها القبة الخضراء
وهي اعجب قبة ملبسة بنحاس كانه الذهب الابريز لا يبليه القدم
ولا يخلقه الدهر قال ومن عجائبها منية عقبة وحصن فارس
وكنيسة اسفل الارض ثم هي مدينة على مدينة وليس على وجه الارض
مثلها ويقال انها ارم ذات العماد وسميت بذلك لان عددها
لا يرى مثلها طولا وعرضا انتهى وقال صاحب مراة الزمان كان
للاسكندر اخ يسمى الفرما فلما بنى الاسكندر الاسكندرية بنى الفرما
على نعت الاسكندرية ولم تزل مدينة الاسكندرية بهجة يرتاح
اليها كل من راها ولم تزل الفرما دارثة فلما فتحت الاسكندرية قال
عوف بن مالك لاهلها ما احسن مدينتكم فقالوا ان الاسكندر لما

بناها قال قد بنيت هذه المدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس
فبقيت بهجتها ولما فتحت الفرما قال ابراهيم بن الصباح لاهلها
ما اخلق مدينتكم قالوا ان الفرما لما بناها قال هذه مدينة غنية
عن الله فقيرة الى الناس فذهبت بهجتها انتهى من حسن المحاضرة
للاسيوطي وقد اختلف في باني الاسكندرية فالذي نقله
صاحب الخميس كما قدمته ان بانيها الاسكندر الاكبر ولكن نقله
غيره ان بانيها الاسكندر الاصغر وقد بنيت مرات متعددة
فاول ما بنيت بعد الطوفان في زمن مصرايم بن بيصر بن حام
ابن نوح عليه السلام وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقوده
ثم جددت بعد ذلك مرتين ثم جددها الاسكندر الرومي اليوناني
ابن فيلبس المكدوني الذي قتل دارا ملك بلاد الفرس بعد تخريب
بخت نصر اقليم مصر بمائة وعشر سنين شمسية فرقنا به وقد
ذكرنا سابقا الفرق بين اسكندر الرومي وبين ذي القرنين على
وجه الاستطراد فلنتممه لفائدة فنقول ان الذي ذكره علماء
الاخبار ان ذا القرنين المذكور في القران الشريف ليس اسمه الاسكندر
وانما اسمه المصعب بن ذي مرايد بن الحارث بن الرائش بن سكسك
ابن وايل بن حمير من نسل التابعية وهم العرب العاربة ويقال العرباء
وكان ذو القرنين متوجا ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله عز وجل
واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن ان الاسكندر بن فيلبس هو ذو
القرنين الذي بنى السد فان لفظة ذو عربية وهي من القاب العرب
ملوك اليمن واما الاسكندر فهو رومي يوناني وقد تكلمت علماء الاخبار

في ذلك كلاما كثيرا وافوا لا مختلفة وسئل ابن عباس عن ذي القرنين
ممن كان فقال من حمير هو الصعب بن ذي مراييد الذي مكنه
الله تعالى في الارض واتاه الله من كل شي سببا فبلغ قرني الدنيا
من الارض وبنا سد ياجوج وماجوج فقيل له فالاسكندر المشهور
قال كان رجلا صالحا حكيما بني المداين واكثر الاثار وسئل
كعب الاحبار عن ذلك فقال الصحيح عندنا من اخبارنا واسلافنا
انه من حمير وانه الصعب بن ذي مراييد واما الاسكندر كان
رجلا من بني يونان من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ع
ورجال الاسكندر الرومي ادركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس
الحكيم وارسطاليس ايضا وفي ذي القرنين اقاويل كثيرة م
وفي كتاب هردوسيوس ان الاسكندر ملك الدنيا اثني عشر سنة
فكانت الدنيا ما سوق بين يديه طول ولايته فلما مات تركها
بين يديه طول ولايته قواده فاعظم بطلميوس بن لاوي ثم
تداولوا الملك بعد موت الاسكندر وصار بينهم حروب وكان
نحو العشر ملوك الى ان ازال دولتهم قيصر انتهى وقوله الا لا
لهما على دعامه والدعامه كما في القاموس بكسرتين عماد
البيت والخشب المنصوب للتعريش قال الناظم رحمه الله تعالى

ابن الحصون ومن يصون بها من الاعدا خطامه

المراد بالحصون هنا هي الحصون التي بناها سليمان فقد نقلت علما
الاخبار ان سيدنا سليمان لما تزوج بلقيس ام الجن فابتنوا بارض
اليمن ثلاثة حصون لم ير مثلها ارتفاعا وحسنا واتقان بنا

وهي بينون وسلحين وغمدان المتقدم ذكره وفي معجم ما استعجم
سلحين بكسر اوله واسكان ثانيه بعدها حاء مهملة مكسورة
على وزن فعلين علم على موضع باليمن وهو قصر سبا بالمارب انتهى
والحصون جمع حصن وهو بالكسر كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه
كذا في القاموس وقوله ومن يصون يقال صانه صونا وصيانة
فهو مصون ومصوون حفظه كصطانه كذا في القاموس والاعدا
جمع عدو والانثى عدوه قال ابن السكيت فعول اذا كان بمعنى فاعل
كان مونثه بغير ها كرجل صبور وامراة صبور الا حرفا واحدا
وهو عدوة قال الفرا وانما ادخلوا الهاء فيها تشبيها بصديقة
لان الشي يبني على ضده والعدو الخصم وضد الولي والعداوة
مذمومة فقد ورد عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول شي نهاني ربي بعد عبادة الاوثان لعن الخمر وملاحاة
الرجال وقال عليه الصلاة والسلام لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا
تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام
راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس وقال عليه الصلاة
والسلام لن ينال العبد صريح الايمان حتى يصل من قطعه
ويعطي من حرمه ويعفو عن ظلمه ويحسن الى من اساء اليه وقال
عليه الصلاة والسلام ما من ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة
في الدنيا مع ما يدخر له في الاخرة اشد من قطيعة الرحم والبغي وقال
عليه الصلاة والسلام لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك
وقال داود لابنه لا تستقل ان يكون لك عدو واحد ولا تستكثر

ان يكون لك الف صديق وقال صلى الله عليه وسلم الكلام في القطيعة
والعداوة دم يقطر وقال عليه الصلاة والسلام لا تعادين احداً
حتى تنظر كيف صنيعه فيما بينه وبين ربه فان كان حسن الصنيع
فان الله لا يسلمه اليك لعداوته اياك وان كان سيء الصنيع فان
خطاياه تكفيه كما روي انه كان عادة امة موسى عليه الصلاة والسلام
اذا ارادوا ان يدعوا على احد يقولون ابتلاه الله تعالى بالفعل
السيء اذ من اصطنع بايذاء الناس لا بد ان يجره ذلك الى المعاطب
ويلقيه في المتالف وقال النبي صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس
فوقهما من الخير شيء الايمان بالله والنفع لعباده وخصلتان ليس
فوقهما من الشر شيء الكفر بالله والضر لعباده وقال عليه الصلاة
والسلام ملعون من ضر مسلما او غيره ويقال ان المقصود من بعث
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووضع الشرايع والتحريض على مكارم
الاخلاق وايصال النفع الى الخلايق ورفع الضر عنهم عاجلاً وآجلاً
لان دوام العالم بالتألف والترتيب للتخلف شعر

المرء قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم

فالظلم وايصال الاذى سبب لخراب العالم وانقطاع نسل بني آدم
وحكي ان ظالما في عهد انوشروان ظلم ضعيفا فامر انوشروان
بضرب عنقه فقال بعض خواصه عجبت من عدل السلطان انه قتل
بهذا المقدار من الجناية انسانا فقال اني لم اقتل انسانا وانما
قتلت سبعا او حية او عقربا وهذه الكلمة مستندة الى اصل مقرر
لان خلق الملائكة افاضة الخير غالبا فمن تهيأ لفعل الخير يضرب

عرقه

عرقه الى الملايكة ومن تهيأ لايصال الشر يكون شعبة من السباع
وحكي ان ابا اسحاق الشيرازي كان يمر يوما في طريق ضيق فاستقبله
كلب فزجره تلميذه فقال الشيخ له لا تطرده اما تعلم ان الطريق
مشترك بيني وبينه والاكابر كانوا يحترزون عن ايذاء الكلب على
هذا الحد فكيف بالادمي المحترم

الخير والشر مقرونان في قرن والشر اخبث ما اوعيت من زاد

وحكي ان ملك الروم سال اسيادروس الحكيم فقال بما نال عيسى
عليه السلام ما نال فقال بافاضة الخير وكف الاذى ومما يجب اعتباره
لذوي العقول ان يتفكروا بان عمر الانسان ايام معدودة مستقا
ويتيقنوا ان الاقرب للصواب والاولى لاولي الالباب ان ياخذوا
طريق التودد مع الاخوان والاقارب ويجتهدوا في احياء اسباب
التقرب والاتصال فان القطيعة الممتدة بانصرام ايام الاجال
امام كل احد شعر

فاكرم اخاك الدهر ما دمتما معا كفى بالممات فرقة وتنائيا

وحكي انه كانت لامير المومنين هرون الرشيد جارية متحلية بغاية
الحسن والجمال يتعالى لها الالباب وكان هرون الرشيد يحبها حبا
شديدا حتى انه بعلو امره وجلال قدره كان يكلمها بالتواضع والتضرع
وانها نظرت يوما من منظر العلية الى بعض حجرات دار الخليفة
فابصرت الخليفة مع جارية اخرى في محل الانس ومقام التمتع
فاشتعلت نائرة الغيرة في صميم ضميرها فعلاها البكاء وعراها
النحيب ونزلت من المنظر وجعلت تطوي كشحها عنه فلما اتى الخليفة

الي خلوتها اعرضت عنه وسترت وجهها وجعلت تبكي بكا شديدًا
وكلما تلطف وتذلل لها وتواضع لم ينفع شعر

كل ذنب لك مغفور سوى لاعراض عنا ٭ فقام عنها الخليفة

بضجرة تامة ثم كل من بعثها اليها شفيعًا وناصحا لم يقع كلامه نافعًا بل هي اصرت علي هذا الكلام بان قالت يا امير المؤمنين لاجل ما صدر مني من العصيان والسفاهة بان يقتلوني باشد وجوه السياسة او يبيعوني لاخس الخلايق عقوبة ونكالا واني لا اريد القلب نصفين ولا ارضي بالحبيب المشترك اما البيع واما السيف وكان الخليفة يزداد فيها كل يوم ولهًا وتحيرًا وقد عجز عن اصلاحها ورد قلبها اليه حتى انه كان يومًا جالسًا في حجرته الخاص مضطرب الحال مشتغل القلب من هذه الواقعة فاذا اللبابة دخلت عليه مبتسمة منشرحة فالقت يداها علي جيده فعانقته فكاد الخليفة يزهق روحه من فرط الفرح فامر بان فتحت الخزانة واحضرت الجواهر النفيسة مع الثياب الثمينة فالقيت ونثرت عليها وتقلد منها الملك طوق منة عظيمة عليه ثم شاق معها الكلام في حكايات ايام الفراق وشكايات مقاسات الاشواق ثم قال لها ينبغي ان اعرف من تحمل المنة في هذه النعمة ونصيحة من اثر وسعي من اثمر وكلام من بلغ الي محل القبول حتى اشكر سعيه واكافي فعله فقالت لبابة الحق ما قصر الناصحون في النصيحة وقد بالغ العاذلون في الملامة فلم يقر قلبي لشي منها واني اليوم فتحت الكتاب فاول السطور كانت هذه الكلمات العمر اقصر مدة ٭ من ان يدنس بالعتاب ٭ اوان يكدر

ماصفي

ماصفي منه بهجر واجتناب ٭ فتفكرت ان جواهر الانفاس معدودة وايام الحياة مستعارة مردودة ٭ واما منا هذا الفراق الذي لا مفر منه فالهجران علي هذا خسران مبين شعر

وايام الهموم منغصات ٭ وايام السرور تطير طيرا ٭

فغلبتني هذه الفكرة حتى سترت وجه الجفا بحلة الوفا ٭ وبادرت الي الصلح والصفا فالمراة مع قصور عقلها وضعف رايها وركاكة نظرها اذا عرفت ان خاتمة القطيعة غير مرضية وحاصل الجفا بالندامة مفضية فالعاقل يكون موسوما بكمال العقل والذكاء ووفور الفطنة والدراية فهو لهذا المعنى اولي واليق قال ابن عطا ما سلمت علي عدوك تسليما الا حلت من صدره عقدة وقال هلال الرقي تدبرت هذه الابيات فاسترحت من العداوات ٭

لما عفوت ولم احقد علي احد ٭ ارحت نفسي من هم العداوات ٭
اني احيي عدوي عند رؤيته ٭ لادفع الشر عني بالتحيات ٭
واظهر البشر للانسان ابغضه ٭ كانه قد حشا قلبي محبات ٭

ولا حزن ٭ وذقت مرارة الاشيا جميعًا ٭ فما طعم امر من السؤال ٭
ولم ار في الخطوب اشد هولا ٭ واصعب من معادات الرجال ٭

ومن تحقق عنده سرعة نفاد الحظوظ العاجلة لم يتحمل تعب الخصومة لاجلها وحكي ان ملكا من الملوك جر عسكرا عظيما لقهر عدو من اعدايه حتى انتهى مرة الي ذيل جبل كان فيه صومعة راهب فلما راي العابد طلايع العسكر نزل من اعالي الجبل الي الحضيض فقام

على رأس الطريق متكئا على عصاه الى ان بلغه الملك فلما عرفه
صفا وقت العابد تقرب اليه واقام شرايط التعظيم فجازاه
العابد بالدعا بالخير ثم سال عن سبب حركة الملك وباعث عزمه
فقال اريد خارجا عن ربقة الطاعة فقال الزاهد وهل يمكن ان
تتوقف اياما فيفرغ كل واحد منكما عن الامر بغير هذا التعب
والمشقة فاثر كلامه في قلب الملك حتى ثنا عنان عزيمته فرجع
الى دار مملكته وسلم الملك والسرير الى ولي عهده واختار بقية
عمره العزلة والقناعة والطاعة وهكذا ينتفع العاقلون من
كلام الحكماء ومن تكون ساحة صدره منورة بنور العقل فهم
وعلم ان نعمة تكون فيها ايذاء الخلايق لا تمنا فان الظالم
مرتعه وخيم وكف اليد واللسان عن اموال الناس وانفسهم من
مكارم الاخلاق كما حكي ان ظالما قال لعالم علمني اي الطاعة افضل
حتى اعمل به قال افضل الطاعات لك القيلولة حين يامن الناس
في تلك الساعة من اذاك ثم ان خسران اللسان اشد من خسران البدن
شعر جراحات السنان لها التيام ولا يلتيم ما جرح اللسان
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المومن بالطعان ولا اللعان
ولا الفاحش ولا البذي شعر
هينون لينون ان سادوا ذووا شرف سواس مكرمة ابناء ايسار
لا ينطقون عن الفحشا ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثار
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه البر شي هين وجه طليق
ولسان لين وجواهر الكلام خير من جواهر الخزاين لان الرغبة

الى المال انما تكون للئام الناس والكرام تكون راحتهم في الكلام
اكثر من المال ازوركم لا ابتغي شرفا به فكيف وفي كل الورى شرف
وما طمعي منكم نوالا انا له ولكن كلام طيب وتلطف وقال
ابو حاتم رحمه الله لا يجب على العاقل ان يكافي الشر بمثله وان
يتخذ اللعن والشتم على عدوه سلاحا اذ لا يستعان على العدو
الا بمثل اصلاح العيوب وتحصين العورات حتى لا يجد العدو اليه
سبيلا والعاقل لا يرحم من يخافه ولا يترك احصاء معايب العدو
وتفقده على ما هو عليه مع السكوت عن معايبه ولا يستضعف عدوا
فان من استضعف الاعداء اغتر ومن اغتر لم يسلم اللهم الا ان
يكون العدو ذليلا فاذا كان كذلك عطف عليه بالاغضا لان
العدو الذليل اهل ان يرحم كما ان المستجير الخايف اهل ان يومن
والمعاداة للعاقل خير من المصادقة للجاهل كما قيل
ولان يعادي عاقلا خير له من ان يكون له صديق احمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا ان الصديق على الصديق مصدق
وقال بعضهم واحسن
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ابصر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا
قال ابو حاتم رحمه الله العاقل يبصر مواضع خطواته قبل ان يضعها
ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ولا يقاربه كل المقاربة فيجترئ
عليه والعاقل لا يعادي ما وجد الى المحبة سبيلا ولا يعادي من ليس
له بد ان لان العدو الحنق الذي لا يطاق ليس له حيلة الا الهرب

منه وحيلة الضعيف الى القدرة على العدو وجود الفرصة
وان يرى العدو انه لا يتخذه عدوا ثم يصادق اصدقاءه ويدخل
بينهم واحزم الامور في امر العدو ان لا يذكره بسوء الا عند الفرصة
وان من ايسر الظفر بالاعداء اشتغال بعضهم ببعض وان مما
يستعين به المرء على عدوه مجانبة من يعاشره ويصحبه عدوه
قال ابن السماك لا تخف ممن تحذر منه ولكن احذر ممن تأمن قال
طيب ابن صالح استوصيت محمد بن مقاتل فقال لي احذر شر من
احسنت اليه وقال بعض الحكماء اللهم احفظني من الصديق فقيل
له لاي شيء تحفظ من الصديق قال لاني من العدو اشد حذرا
وقال الثوري وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام
وحكي انه كتب رجل على باب داره جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه
خيرا فاما اصدقاؤنا الخاصة فلا جرم انا لم نؤت قط الا منهم
قال موسى بن فضل الشيباني كان صياد العصافير في يوم ريح
قال فجعلت الرياح تدخل في عينيه فتذرفان فكلما صاد عصفورا
كسر جناحه والقاه في ناموسه فقال عصفور لاخيه ما ارقه علينا
الا ترى الى دموع عينيه فقال له الآخر لا تنظر الى عينيه ولكن انظر
الى عمل يديه قال ابو حاتم المعاداة بعد الخلة فاحشة عظيمة
لا يليق بالعاقل ارتكابها فان دفعه الوقت الى ركوبها ترك للصلح
موضعا ولابي الاسود الدؤلي

وأحبب اذا احببت حبا مقاربا ... فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت غير مجانب ... فانك لا تدري متى انت راجع
وكن معدنا للحلم واصفح عن الاذى ... فانك راء ما عملت وسامع

ولغيره

اذا انت عاديت امرأ بعد خلة ... فدع في غد للعود والصلح موضعا
فانك ان نابذت من خل زلة ... ظللت وحيدا لم تجد لك مفزعا

قال عبيد الله بن الحسن لابنه محمد اياك ومعاداة الرجال فانها لا تعدم
بك مكر حليم او مبادرة جاهل قال ابو حاتم وان من اعظم الاعوان
على الاعداء تعاهد المرء ولده وعياله وحرمه وتوقيه اياهم عن المعايب
والزلات وقد روي ان سليمان بن داود عليهما السلام قال لابنه
اذا اردت ان تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا وقوله حطاما
قال في القاموس الحطم الكسر او خاص باليابس وليس ذلك مرادا هنا
لان الناظم اطلقه على ما يجمع من الاموال مجازا كما اراده الشاعر بقوله

وحطام الورى وان جل قدرا ... فهو حال عما قليل يحول
فالسعيد السعيد من صحب الناس ... ثم ولى والذكر عنه جميل

اين المراكب والمواكب والعصائب والعمامه

قوله المراكب قال في المصباح المركب واحد المراكب وهو ما يركب في
البر والبحر والركوبة بفتح الراء فهما ما يركب وقرأت عائشة فمنها
ركوبتهم وارتكاب الذنوب اتيانها ويقال مر بنا راكب اذا كان على
بعير خاصة واذا كان على فرس او حمار قلت مر بنا فارس كذا قاله ابن
السكيت كما في المختار وقال عمارة راكب الحمار حمار لا فارس والركب اصحاب
الابل في السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها والركبان الجماعة
منهم والركاب جمع راكب مثل كفار جمع كافر والاقرب انه اراد بالمراكب هنا
مراكب البحر لعطفه المواكب عليه لاجل الجمع بين ما يختص البحر والبر لان
المواكب جمع موكب وهو القوم والركوب على الابل وجماعة الفرسان واول

الكلام على سفينة سيدنا نوح

ما صنع من المراكب سفينة سيدنا نوح عليه السلام لما دعا على قومه
وامره الله تعالى باتخاذ السفينة اخذ في علاجها يروى انه استاجر
اجراء يتخذون معه وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه لمعالجته
السفينة لانهم كانوا يرونه يعمل السفينة مع انه لم يكن بقربه ماء
وكان من لدن ادم عليه السلام الى نوح يسقون من ماء المطر بلا بحر
ولا نهر جار فكانوا يقولون انظروا الى هذا الشيخ الضال يصنع
السفينة يخوفنا بالغرق ويجعل للماء اكافا فاين الماء وكانوا
يقولون في كلامهم فرغت من امر النبوة واخذت في امر النجارة وكانوا
يرونه ينجر الخشب وهي شبه البيت العظيم فاذا سالوه عن ذلك
قال اعمل سفينة تجري في الماء ولم يكن هناك ماء ولم يكن قبل ذلك
سفينة وكانوا يتضاحكون ويتعجبون من امره فلما اراد الله تعالى
اهلاكهم كما قال ابن عباس اوحى الله تعالى اليه ان موعدك ان يخرج
الماء من احر مكان في دارك وهو تنور الجابرة تنور آدم عليه السلام
كان يوم خروج نوح عليه السلام راى تنور آدم عليه السلام فحمله معه
ووهبه الله تعالى له ثم قال له اذا رايت الماء قد فار منه فاحمل
في السفينة ما امرت به من اجناس الحيوان كما يشير اليه قوله تعالى قلنا
احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن
آمن قال العلامة الحدادي اي احمل من آمن معك ايضا في السفينة
وقال ابن عباس وعكرمة والزهري معنى قوله تعالى وفار التنور اي
انبجس الماء على وجه الارض وقال علي رضي الله عنه وفار التنور
اي طلع الفجر وقوله تعالى جاء امرنا اي عذابنا وقوله تعالى قلنا

احمل

احمل فيها من كل زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج وهو
قول الحسن ومجاهد وقتادة قالوا ذكرا وانثى فلما فار الماء من التنور
ارسل الله السما بمطر شديد فاقبلت الوحوش حتى اصابها مطر السماء
الى نوح وسخرت فحمل في السفينة من كل طير زوجين ومن كل وحش زوجين
ومن كل بهيمة ودابة زوجين ومن كل سبع زوجين وحمل من البقر والغنم
خمسة ازواج وبعث الله جبريل فقطع فقار العقرب وضرس الحية
فحملها في السفينة فكانت السما تمطر وكان هو عند قومه يحذرهم ثم
حذرهم حتى ابتلت اقدامهم وصار الماء الى الكعبين ثم حذرهم
حتى صار الماء الى نصف الساق ثم حذرهم حتى صار الماء الى الركب
وكل ذلك وهو يحذرهم وينذرهم وكان ينوح ويبكي عليهم قال ابن
عباس سمي نوحا لانه كان ينوح على الاسلام حيث لم يقر به قومه فلما
بلغ الماء الذروة قال غرق قومي ثم قال لابنه كنعان يا بني اركب معنا
فكثر الماء حتى صار فوق الجبال خمسة عشر ذراعا بالذراع الاول
وكان للسفينة ثلاثة ابواب بعضها اسفل من بعض في الباب
الاسفل السباع والهوام وفي الباب الاوسط الوحش والبهائم
وفي الباب الاعلى بنو آدم وكانوا ثمانين انسانا اربعين رجلا واربعين
امراة وفيهم سام وحام ويافث ونساؤهم وفيهم الخضر وهو
ابن بنت نوح واختلفوا في مقدار السفينة قال الحسن كان
طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال ابن عباس
كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها
ثلاثين وهو قول قتادة قال وكان لها بابان في عرضها وقيل

مقدار السفينة

تعالى واهلك الا من سبق عليه القول اي واحمل اهلك يعني ولده
وعياله الا من سبق عليه القول يعني امراته واهله وابنه كنعان ومن
امن اي واحمل من آمن ومما قيل في السفينة لبعض البغداديين

فكانها والماء يلطم وجهها ۞ والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجا ۞ يهوي بصوت واصطفاق جناح

ولابن رشيد الاندلسي

تجري فللماء ساقا عائم درب ۞ وللرياح جناحا طائر حذر
قد الفتها يد التقدير بينهما ۞ عند المسير فلم تسبح ولم تطر

وقال غيره

امرتني بركوب البحر مفتريا ۞ عليك غيري فاخصصه بذا الراي
ما انت نوح فتنجيني سفينته ۞ ولست موسى انا امشي على الماء

وقوله والمواكب جمع موكب وهو الجماعة ركبانا او مشاة او ركاب الابل
للزينة واوكب لزمه والطائر تهيأ للطيران او ضرب بجناحيه
وواكبهم سايرهم او بادرهم او ركب معهم والوكب الانتصاب والقيام
وبالتحريك الوسخ وسواد التمر اذا نضج والوكاب ككتان الكبير الحزن
وشاعر هذلي والوكبة القائمة وناقة مواكبة تساير الموكب او
يعنق في سيرها كذا في القاموس وبين المراكب والمواكب تجنيس التصريف
وهو ما وقع الاختلاف في انواع الحروف ويشترط ان لا يكون باكثر
من حرف واحد وان لا يبعد التشابه ويفقد التجانس وهو قسمان
ما يكون التجانس بحرف واحد مقارب في المخرج وما يكون بغيره
والاول يسمى المضارع والثاني اللاحق وكل منهما اما في الاول او
الوسط او الاخر ويكون من نوع او من نوعين فالاول من المضارع

نحو بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس ومن اللاحق حديث
اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وحديث
الحمد لله الذي حسن خلقي وزان مني ما شان والثاني من المضارع
كحديث نعوذ بالله من طمع يهدي الى طبع وقوله تعالى وهم ينهون عنه
وينأون عنه ومن اللاحق قوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه
لحب الخير لشديد وحديث الطبراني لولا رجال ركع وصبيان رضع
وبهائم رتع وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون ومنه قول الناظم المراكب والمواكب والثالث
من المضارع كحديث الصحيحين الخيل معقود في نواصيها الخير ومن
اللاحق نحو واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وحديث الطبراني
لن تفنى امتي حتى يظهر فيها التمايز والتمايل وحديث الديلمي احب
المحبين الى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لامة محمد صلى
الله عليه وسلم وسمى قوم هذا النوع المطمع لانه لما ابتدأ بالكلمة على
وفق الحروف التي قبلها اطمع في انه يجانسها في مثلها جناسا تاما لاتيه
وقوله العصائب قال في المختار عصبته بالعصابة تعصيبا
والعصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين والعصابة بالكسر
الجماعة من الناس والخيل والطير ويوم عصيب اي شديد وقال في
القاموس العصب الطي واللي والشد وضم ما تفرق من الشجر والعصبة
بالضم من الرجال والخيل والطير ما بين العشرة الى الاربعين واعصوصبوا
صاروا عصبة وعصبوا به كسمع وضرب اجتمعوا واعصوصبت
الابل جدت في السير والمعصب كمحدث الشديد ويوم عصبصب

وعصيب شديد الحر والعصابة بالكسر ما عصب به كالعصابة
والعمامة والمعصوب الجائع جدا والسيف اللطيف وتعصب شد
العمامة العصابة واتى بالعصيبة وتقنع بالشيء ورضي به كاعتصب
به وعصبه تعصيبا جوعه انتهى وقوله العمامة بالكسر المغفر والبيضة و
ما يلف على الراس وفي المختار العمامة مفرد العمائم وعممه تعميما
لبسه العمامة وعمم الرجل سود لان العمائم تيجان العرب ونقل في
الشمائل عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح وعليه عمامة سودا وعن ابن حريث عن ابيه قال رايت
على النبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين
كتفيه وكان ابن عمر يفعل ذلك ونقل السيوطي ان اول من لبس
العمامة ذو القرنين كما اخرجه الشيخ بن حبان في كتاب العظمة
وتقدم ذلك في قصته واول ما لبس العباسيون العمائم السود اي
بعد لبسه صلى الله عليه وسلم وذلك حين قتل مروان بن ابراهيم
ابن محمد لما تسمى منه دعوى الخلافة فلبسوها حزنا عليه فصار
شعار اهلهم قلت واخرج ابن عساكر عن يحيى بن حمزة قال اول
رجل رايته يلبس السواد عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس عم
السفاح امير دمشق واول من شرف بالعلامة الخضرا الاشرف
شعبان بن حسين سنة ثلاثة وسبعين وسبعماية وقال في ذلك
ابو عبد الله الاندلسي لاحمي

حعلوا لابناء الرسول علامة ۔ ان العلامة شان من لم يشهر

نور

نور النبوة في وسيم وجوههم ۔ تغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال الاديب شمس الدين محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس ۔ خضر باعلام على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها ۔ شرفا ليفرقهم من الاطراف

واول من لبس الطيلسان المقور من العرب في الاسلام جبير بن المطعم
واول من امر بتغيير اهل الذمة زيهم المتوكل وقال ابن حجلة في كتاب
السكردان في سنة سبعماية من الهجرة البس النصارى العمائم الزرق
واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر وسبب ذلك ان مغربيا
كان جالسا بباب القلعة عند بيبرس فحضر بعض كتاب النصارى
بعمامة بيضا فقام له المغربي وتوهم انه مسلم ثم ظهر له انه نصراني
فدخل الى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وفاوضه في
تغيير زي اهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم ويتحرزوا منهم فاجابه
الى ذلك انتهى وقال الشهاب البراعي في ذلك

لا تعجبن من النصارى واليهود ۔ وما عراهم من اذى وهوان

ما ذاك الا انهم لما طغوا ۔ وتمردوا في الزي والبهتان

عصفت بهم ريح الشريعة فارتدوا ۔ لما اعتدوا واذ آدموا الازمان

لبسوا شعار شناعة وضراعة ۔ وتميزوا لتخالف الاديان

اما اليهود فقل عليهم صفرة ۔ برؤوسهم كتلهب النيران

وكذا النصارى خزيهم ابدا بهم ۔ زرقا كما قد جاء في القران

حكم قضى فيهم بخزي دائما ۔ والخزي مقترن مع العصيان

هذا لهم في هذه الدنيا وانهم غدا في زمرة الشيطان

الكلام على اول من
غير زي اليهود والنصارى

وقال شمس الدين احمد بن يوسف الطيبي في ذلك

تعجبوا للنصارى واليهود معًا ، والسامرين لما قد عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ منتهلا ، نسر السما فاصبح فوقهم زرقا

قال علاء الدين علي بن مظفر الكندي الوداعي

لقد الزم الكفار شاشات ذلة ، تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما البسوكم عمائما ، ولكنهم قد الزموكم براطيشا
غيروا زيهم بما غيروه ، من صفات النبي رب المكارم
فعليهم كما ترون بالطبش ، ولكنها تسمى عمائم
لقد لبسوا اهل الكتابين ذلة ، ليظهر فيهم كل ما كان كامنا
فقلت لهم ما البسوكم عمائما ، ولكنهم قد البسوكم لعائنا

قيل ان اول من وضع العمائم الكبار للعلماء الامام ابو يوسف وذلك انه كان يجلس عنده في الدرس رجل عظيم الهيئة حسن الزي فكان الامام يجله ويتأدب معه لما يرى من هيئته فيظنه من اهل العلم فمكث على ذلك مدة سنة وهو لا يتكلم بشيء مع الامام وبعد السنة كان الامام يقرر في الصوم فقال يباح الافطار بغروب الشمس فقال ذلك الرجل فان لم تغرب الشمس فقال الامام آن لي أن امد رجلي وكان قاعدًا على ركبه وشرع بان يكون للعلماء زي يخصهم فكبرت العامة لهم ووسعوا الكم ليمتاز العالم من الجاهل وفي زماننا هذا ليس في ذلك فرق لما انه غلب الجهل وتغير الحال قال بعضهم

ان رمت تدعى حبرًا فقيهًا ، فكبر الكم والراس عممه
واجلس مع القوم في جدال ، لا بالبخاري ولا بمسلم

الا بصفق وزهو كمه ، وقول لا لا ولا اسلم ، وقال آخر

وقايلة لما رأته مكبرًا ، عمامته هذا فقيه بلا شك
فقلت لها لم يدر فقهًا وانما ، يكبرها كيما تقيه من الشك

وقال آخر

ما العمائم في الفضيلة تدخل ، نسبان لبس عمامة وازار
اني لارحم حاسدي لفرط ما ، ضمت صدورهم من الاوغار

وقال آخر

زماننا مثلنا لم يبق تنظر ، الا ثياب واكمام وهيئات
يكورون على الهام من حمق ، عمائمًا تحتها الجهل حشوا

وقد قيل المرء مخبوء تحت لسانه ، لا تحت طيلسانه ، والمرء باصغريه قلبه ولسانه ، لا بعمامته وطيلسانه ، وقيل لا تغرنكم الصور ودعوا الصور ، وسلوا عن الخبر فرب صورة خالفت المخبره وقيل

لا يعجبنك اثواب على احد ، دع عنك اثوابه وانظر الى الادب
فالعود لو لم تفح منه روائحه ، لم تفرق الناس بين العود والحطب

وقال الحريري

ومن الغباوة ان تعظم جاهلا ، لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبًا في نفسه ، لدروس بزته ورثة فرشه
فلكم اخا طمر يهيب لفضله ، ومفوف البردين عيب لفحشه
ما ان يضر العضب كون قرابه ، خلقا ولا البازي حقارة عشه

وكان المبرد كثيرا ما ينشد في مجالسه

يا من تكبس لي ثوابا يتيه بها ، تيه الملوك على بعض المساكين
ما غير الجل اخلاق الحمير ولا ، نقش البراذع اخلاق البراذين

اي العساكر والدساكر والندامى في المدامة

العساكر جمع عسكر وهو كما في القاموس الجمع والكثير من كل شيء ومن

الليل ظلمته والقوم تجمعوا او وقعوا في شدة والموضع معسكر بفتح
الكاف وعسكر محلة بنيسابور ومحلة بمصر منها محمد بن علي والحسن
ابن رشيق العسكريان واسم سر من راى وعسكر وعساكر اسمان
والدساكر جمع دسكرة وهي كما في القاموس القرية والصومعة والارض
المستوية وبيوت الاعاجم يكون فيها الشراب وبناء كالقصر حوله
بيوت والندامى جمع ندمان قال في المختار نادمه على الشراب فهو
نديمه وندمانه وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى والمراة
ندمانة والنسوة ندامى ايضاً وقيل المنادمة مقلوبة من التادمة
لانه يدمن شرب الشراب مع نديمه قال في القاموس نادمه منادمة
جالسه على الشراب والنديم الكيس الظريف يقال خذ ما استدم
اي ما تيسر وقيل الندامى الاصحاب يقال فلان نديم فلان
اذا شاربه وفلانة نديمة فلانة ويقال ايضا اذا صاحبه وحدثه
وان لم يكونا على شراب قال ابو جعفر سمي النديم نديما للندامة
جذيمة حين قتل مالكا وعقيلا ابني فالج اللذين اتيا بعمرو ابن
اخته فسالاه ان يكون في سمره فوجد عليهما وقتلهما ثم ندم فسمي
كل شارب نديما وقيل من الندم ندمان وندى وقيل من المداومة
ندمان ونديم الاصل فيهما واحد لانه انما قيل للمتواصلين ندما
لانهم يجتمعون على ما يندمون عليه من اتلاف المال وجمعه ندام
وندامى وندمانون وهذا كله من المنادمة لانه من الندم وهذه
ارجوزة ان رمت جمع النديم يا فتى … خذ ذاك مني واسمع النظاما
هي الندامى ثم ندمانون لا … تنس وقيل بعيد ذا الندامى

قلت

قلت وايضا ندماء وهو بها … اخل يا من قد غدا اماما
وكانت الخلفاء المتقدمون من بني العباس والامويين احب شي
اليهم مجالسة النديم حكي عن الرشيد انه قال للفضل بن الربيع
من بالباب من الندماء فقال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى
بني امية وامير المؤمنين يشتهي سماعه قال فاذن له وحده فاذن
له ودخل فقال هات يا هاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول
اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا … جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فيا ويح نفسي حب نفسي الذي بها … ويا ويح عقلي ما اصيبت به اهلي
خليلي فيما عشتما هل رايتما … قتيلا بكى من حب قاتله قبلي
قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال احسنت لله درك ثم قلده
عقدا نفيسا فلما راه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال الرشيد
وما يبكيك يا هاشم قال يا امير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا
عجيبا ان اذن لي امير المؤمنين حدثته به قال قد اذنت لك
قال يا امير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو في بحيرة طبرية
ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عيناه علي
قال هذا اعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به نتجز خبره فدعاني
فصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لي فاخطات
فيه فقلت لها اخطات يا جارية فضحكت ثم قالت يا امير المؤمنين
اما تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فنظر الي
كالمنكر فقلت يا امير المؤمنين انا ابين لك فلتصلح وتر كذا وتر
كذا ففعلت وغنت الصوت فقامت الجارية منكبة علي وقالت

استاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد اهاشم بن سليمان
انت قلت نعم يا امير المؤمنين وكشفت عن وجهي واقمت معه
بقية يومنا فامر لي بثلاثين الف درهم فقالت الجارية يا امير
المومنين اناذن لي في بر استاذي قال ذلك اليك فحلت يا
امير المومنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي ثم قربوا
اليها السفينة ليرجع الي موضعه فركب في السفينة وطلعت معه
احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فارادت ان ترفع رجلها
وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم نقدر
عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكا بكاء شديدا وبكيت لبكائه
فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك فيما وهبناك ولكن ان يكن هذا
العقد عندنا نذكرها به فتبيعني اياه ثم عوضني ثلاثين الف
درهم فلما وهبني امير المؤمنين العقد تذكرت قصته وهذا
سبب بكائي فقال الرشيد لا تجزع فان الله كما ورثني مكانهم
ورثني اموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنا حماد بن الاشقر
عند الرشيد يوما فانشد

اذا نحن ادلجنا وانت امامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالدابغ منا فانزفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طواك الدهر يا ام مالك * فشان المنايا القاضيات وشانيا

فاضطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال
لمن قال الهني والمري وهما ضيعتان غلتهما اربعون الف دينار
في كل سنة فامر له بهما فقيل له يا امير المؤمنين ان هاتين الضيعتين

من جلالتهما لا يجب ان يسمح بمثلهما قال الرشيد لا سبيل الي استرداد
ما اعطيت ولكن احتالوا في شرايهما منه فساوموه فيهما حتى
وقفوا معه علي مائة الف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد
ادفعوها له فقالوا يا امير المؤمنين في اخراج مائة الف
دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل
بخمسة الاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكي اسحاق الموصلي
قال كان الواثق بن المعتصم اعلم الناس بالغنا وكان يضع
الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال يوما يا
ابا محمد لقد فقت الخلق في كل شي فغني شعرا ارتاح اليه
وارتاح واضطرب عليه يومي هذا فغنيته

ما كنت اعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا وبان قد حدي بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وامر لي بمائة الف درهم ومن المشاهير
في المنادمة ابراهيم النديم الموصلي فانه كان ليس في زمانه
مثله في الغنا واختراع الالحان ساله يوما المعتصم عن معرفة
النغم كيف يميز بينها على تشابهها واختلافها فقال يا امير
المومنين ان من الاشيا ما لا يحيط به العلم ولا تؤديه الصفة
وكان يقول حق الصوت الحسن ان يردد اربع مرات فالاولي بديهة
والثانية للتفهيم والثالثة للفرح والرابعة للشبع وكان اذا

غني ابراهيم وضرب له منصور المعروف بزلزل اهتز لهما
المجلس وكان ابراهيم زوج اخته زلزل قال ابراهيم النديم ولما
اردنا الانصراف ليلة عن المامون التفت الي ابراهيم ابن
المهدي عمه فقال نحتي عليك يا عم الا ما صنعت ابياتا وصنعت
عليها لحنا ثم قال لي مثل ذلك وقال بكرا علي فقد اشتهيت
الصبوح غدا فقال اسحق فقلت والله لاكيدن ابراهيم ولاسرقنه
فلما صليت العشاء الاخرة ركبت وسرت الي ساباط لابراهيم
كان له عليه مجلس يقعد فيه فدعوت الحارث فاعطيته دينارا
وقلت له لا تعلم احدا بمكاني وصرفت غلامي وامرته ان ياتيني
بدابتي سحرا فلم البث ان جاء ابراهيم فجلس في مجلسه ذلك
ودعا جواريه وجعل يلقنهن الشعر وقد صاغ عليه اللحن فهو
يضرب بالعود وانا اضرب على فخذي بايقاع الصوت حتى اخذته
واحكمته فلما كان السحر اتاني غلامي بدابتي فصرت من فوري
الي باب المامون فقال لي احمد بن هشام بكرت ثم دخل فاعلمه
فاذن لي فدخلت علي المامون فقال اكلت فقلت لا فدعي لي
بالطعام وقد كان اكل وشرب فغنيته شعر ابراهيم ولحنه وهو

قالت نظرت الي غيري فقلت لها ۝ وما ترى الدمع من عيني ينحدر
نفسي فداك فطرفا لعيني مشترك ۝ والقلب مني عليك الدهر مقصور
العين تنظر احيانا وباطنه ۝ مما يقاسي بظهر الغيب مستور

فطرب المامون عليه وشرب فما لبثنا ساعة حتى استوذن
لابراهيم بن المهدي فدخل فدعي له بالطعام وسقي ثم جلس فغنى
هذا الشعر في هذا اللحن فقال المامون يا هذا اراك تسرق

اشعار الناس وتدعيها لنفسك واحمرت عيناه وغضب غضبا
شديدا وكاد يسطو بابراهيم فقام ابراهيم على قدميه وقال
وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعتك في عنقي
ما سبقني اليه احد فقال المامون هذا اسحق يغنيه وقال
يا ابا اسحاق غنه فغنيته فبقي ابراهيم مبهوتا لا يحير جوابا
فلما رأى المامون على تلك الحالة فقلت يا امير المومنين
الشعر واللحن له ولكن سرقته منه اللصوص وحدثته الحديث
فسكن ح وقال يا احمد بن هشام خذ من مال ابراهيم ثلاثين
الف درهم وادفعها الى اسحق لتضييع ابراهيم شعره فغدوت
علي ابراهيم فقلت ايها الامير قبلها مني واعتذرت اليه فقال
لا اقبل منك ما جاد به امير المومنين ولكن كدت والله تسفك دمي
يا ابا اسحاق فلا تعد في المزاح الي مثلها فان الملوك تعفو عن
الكثير وتغتفر في اليسير وكان الرشيد يهوى جارية يقال لها ماردة
فغضب منها ودام الغضب فامر جعفر البرمكي العباس بن الاحنف
ان يعمل في ذلك شيا فعمل هذين البيتين

راجع احبتك الذين هجرتهم ۝ ان المتيم قلما يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما ۝ دب السلو له فعز المطلب

وامر ابراهيم الموصلي يغني به الرشيد فلما سمعه بادر الي ماردة
فترضاها فسالت عن السبب في ذلك فقيل لها فامرت لكل واحد
من العباس وابراهيم بعشرة الاف وسالت الرشيد ان يكافئهما
فامر لهما باربعين الف دينار قال الواثق ما غناني اسحق الموصلي

قط الا خيل لي ان يزيد في ملكي وان استحق لنعمة من نعم الملك التي
لم يحظ احد بمثلها ولو ان العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر
ملكي وجلس اسحاق الموصلي يوماً عند ابراهيم بن مصعب للشراب
فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحاق
فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

اصبح نديمك اقداحاً يسلسلها ، من الشمول وأتبعها باقداح ،
من كف ريم مليح الدل ريقته ، بعد الهجوع كمسك او كتفاح ،
لا اشرب الراح الا من يدي رشاء ، تقبيل راحته اشهى من الراح ،

قال فدعى ابراهيم بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها
اقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكل
ما معها الى داره وقال في كتاب الاغاني حكى ان ابراهيم قال
استاذنت الرشيد ان يهب لي يوماً من الجمعة لا يبعث لي فيه بوجه
لاخلو فيه بجواري واخواني فاذن لي في يوم السبت وقال لي هو يوم
استثقله فاله فيه بما شئت فلما كان من يوم السبت قعدت في
منزلي وتقدمت باصلاح طعامي وشرابي وامرت بغلق ابوابي
وامرت بوابي ان لا ياذن لاحد علي البتة فبينما انا في مجلسي والحرم
قد حفوا بي وجواري يترددون بين يدي اذا انا بشيخ ذي هيبة
وجمال وعليه قميصان ناعمان وعلى راسه قلنسوة لاطية وبيده
عكاز مقمعة بفضة وروايح الطيب تفوح منه حتى ملأ البيت
والدار فداخلني لدخوله علي مع ما تقدمت به من غلق الباب غيظ
ما داخلني قط مثله وهممت بطرد بوابي ومن يحجبني لاجله فسلم

علي

علي احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس ثم مر في احاديث
الناس وايام العرب واشعارهم حتى سلا ما كان بي من الغضب
وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخال مثله علي لادبه وظرفه
فقلت له هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه فقلت فهل لك
في الشراب فقال ذلك اليك فشرب رطلا وسقيته مثله فقال
يا ابا اسحاق هل لك ان تغني لنا شيئاً فنسمع من صنعتك
ما قد تفردت به عند الملوك والخاص والعام فغاظني قوله
ثم سهلت الامر على نفسي فاخذت العود وجسيته ثم ضربت وغنيت
فقال احسنت يا ابراهيم فازداد غيظي وقلت ما رضي بما فعله من
دخوله علي بغير اذني واقتراحه بان اغنيه حتى سماني ولم يكنني
ولم يجمل مخاطبتي ثم قال هل لك ان تزيدنا فتقدمت واخذت
العود فقال اجدت يا ابا اسحق فاتمم هزارك حتى نكافئك
ونغنيك فتحفظت وقمت بما غنيته اياه قياماً تاماً ما تحفظت
مثاله وما قمت بغناء كما قمت به بين يدي خليفة قط ولا غيره لقوله
سا كافيك فطرب وقال احسنت يا سيدي ويا وشيق عدك ثم قال
اتاذن لي في الغنا فقلت شانك واستضعفت عقله في ان
يغني بحضرتي بعد ما سمعه مني فاخذ العود فجسه فوالله لقد
خلت انه ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعته من صوته ثم
غنى ، ولي كبد مقروحة من يبيعني ، بها كبدا ليست بذات قروح
ابا ها علي الناس ما يشترونها ، ومن يشتري ذا علة بصحيح ،
اان من الشوق الذي في جوانحي ، انين غصيص بالشراب جريح ،

ن
تحفظت

قال ابراهيم فوالله لقد خيل لي ان الحيطان والابواب وكل ما في
البيت يجيبه ويغني معه لحسن غنايه حتى خلت ان اعضاي وثيابي
تجاوبه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما
مما خالط قلبي ثم غنى

الا يا حمامات اللوى عدن عودة ، فاني الى اصواتكن حنين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني ، وكدت باسراري لهن ابين
دعون بترداد الهديل كانما ، شربن سلافا او بهن جنون
فلم تر عيني مثلهن حمايما ، بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلي ان يذهب طربا وارتياحا لما سمعته ثم غنى ليزيد بن الطثرية

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد ، فقد زادني مسراك وجدا على وجد
أان هتفت ورقاء في رونق الضحى ، على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد صبابة ، وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا دنا ، يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ، على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع ، اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغنا الماخوري تخذه وانح نحوه في غنايك
وعلمه جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج قد اخذته وفرغت
منه ثم غاب من بين عيني فارتعبت وقلت للجواري اي شي سمعتن عند
قلن سمعن غنا اطيب غنا سمع فجردت السيف وقمت وعدوت الى
ابواب الحرم فوجدتها مغلقة فخرجت الى باب الدار فوجدته مغلقا فسالت
البواب عن الشيخ فقال اي شيخ والله ما دخل اليوم عليك احد فرجعت لاتامل

اصوات القماري والحانها اصوات

امري

امري فاذا هو قد هتف بي من جانب البيت لا باس عليك يا ابراهيم
انا ابليس وانما كنت نديمك اليوم فركبت الى الرشيد وقلت لا اطرفه
بطرفة مثل هذه فدخلت عليه وحدثته الحديث فقال ويحك تامل
هذه الاصوات هل اخذتها فاخذت العود فامتحنتها فاذا هي راسخة في
قلبي كانها لم تزل فطرب الرشيد منها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب
وامر لي بصلة وقال الشيخ كان اعلم بما قال من انك اخذتها وفرغت
منها فليته امتعنا بنفسه يوما واحدا كما امتعك وغنى ابراهيم بن المهدي
يوما محمد الامين صوتا في شعر ابي نواس

يا كثير النوح في الدمن ، لا عليها بل على السكن ، سنة العشاق واحدة
فاذا احببت فاستكن ، ظن بي من قد كلفت به ، فهو يجفوني على الظنن
رشا لولا ملاحته ، خلت الدنيا من الفتن ، فامر له بثلاثماية دينار

فقال له ابراهيم يا امير المومنين قد اجزتني الى هذه الغاية بعشرين الف
الف درهم فقال وهل هي الا خراج بعض الكور وقيل انه لما اراد الانصراف
قال اوقروا زورقه دنانير فاوقروها وابراهيم هذا هو ابو اسحق
ابراهيم بن المهدي اخو هرون الرشيد كان له اليد العليا في المنادمة
والمطارحة ولا سيما في الغنا والضرب في الملاهي وكان اسود اللون لان
امه جارية وكان مع سواده عظيم الجثة وافر العقل غزير الادب رضي النفس
سخي الكف تولى الخلافة وبويع له فيها ببغداد سنة اثنين ومايتين
لما خلع المامون وهو بخراسان وكان سبب خلع المامون وبيعته ان المامون
لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضى فشق ذلك على العباسيين
بعضهم فامن انتقال الامر الى العلويين فبايعوا ابراهيم المذكور ولقبوه

المبارك ومبايعته يوم الثلاث لخمس بقين من ذي الحجة سنة اثنتين ومايتين
ببغداد بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه اهل بغداد في اول يوم
من المحرم الظاهر وذلك وصعد ابراهيم المنبر وكان المامون لما بايع
علي بن موسى بولاية العهد امر الناس بترك لباس السواد الذي هو
شعار بني العباس وامرهم بلباس الخضرة فعز ذلك على بني العباس ايضا
وذلك كان من جملة الاسباب التي تعنتوا بها على المامون ثم لبس السواد
يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومايتين ذكره
الطبري في تاريخه فغلب ابراهيم على بلاد الكوفة والسواد وخطب
له على المنابر ونزل بعساكره على مداين كسرى ثم رجع الى بغداد واقام
بها والحسن بن سهل مقيم في حدود واسط خليفة عن المامون والمامون
اذ ذاك ببلاد خراسان مقيم ولم يزل ابراهيم بن المهدي مقيما على امره
ببغداد يدعى بامير المومنين يخطب له على منابر العراق الى ان وصل
المامون من خراسان متوجها الى العراق وقد توفي علي بن موسى الرضا
فلما اشرف المامون من العراق وقرب من بغداد وضعف ابراهيم
وقصرت يده عن بذل الاموال وتفرق الناس عنه ولم يزل على ذلك الى
ان صلى عيد الاضحى من سنة ثلاث ومايتين ثم عاد من الصلوة الى
قصر الرصافة واطعم الناس طعام العيد ومضى من يومه الى دار له في
اخر النهار ثم خرج منها ليلا فاستتر وانقضى امره واقام في استتاره
ست سنين واربعة اشهر وعشرة ايام وقال ابراهيم قال لي المامون
وقد دخلت عليه بعد العفو عني انت الخليفة الاسود فقلت يا امير
المومنين انا الذي مننت عليه بالعفو ثم قال

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما . او اسود الخلق اني ابيض الخلق
فقال يا عم اخرجك الهزل الى الجد وانشد

ليس يزري السواد بالرجل الشهم . ولا بالفتى الاديب الاريب
ان يكن للسواد فيك نصيب . فبياض الاخلاق منك نصيبي

وكان المامون لما دخل بغداد اختفى عمه المذكور والفضل بن الربيع
فجد المامون في طلبهما فاما ابراهيم فانه اخذ لثلاث عشر ليلة
خلت من ربيع الاخر سنة عشر ومايتين ليلا وهو منتقب بين امراتين
في زي امراة اخذه حارس فرفع اليه ابراهيم من اصبعه خاتما له
قدر عظيم فلما راى الحارس الخاتم وعليه فص ياقوت استراب
بالنسوة وحسر عن وجه ابراهيم فراى لحيته فرفعه الى صاحب الجسر
وحمل الى دار المامون فامر ان يقعد على هيئته الى غد ليراه بنو هاشم
والقواد والجند وستروا المقنعة التي كان متنقبا بها في عنقه
والملحفة في صدره ليراه الناس كيف اخذ ثم حول الى منزل احمد
ابن ابي خالد فحبس عنده وبقي الى ان دخل المامون ببوران فامر
بحمل ابراهيم خلفه فلما كان في الليلة التي دخل المامون على بوران
فيها جلس المامون معها يحادثها وهما على حصير ذهب معمول
نثرت جدتها عليها الف درة كبارا كانت في صينية ذهب فتناثر
الدر على الحصير فلما راه المامون قال قاتل الله ابا نواس كانه
حاضر هذا المجلس في قوله

كان صغرى وكبرى من فواقعها . حصباء در على ارض من الذهب

فامر المامون بجمعه فجمع ووضعه في حجرها وقال لها هذا نحلتك

وسلي حوايجك فامسكت فقالت لها جدتها كلمي سيدك ومولاك
في حوايجك فقد امرك فسالته الرضي عن ابراهيم المذكور فقال قد
فعلت وسالت الاذن لام جعفر زبيدة ام الامين في الحج فاذن لها
فلما كان من الغد دعي ابراهيم فلما دخل عليه فقال هنيه يا ابراهيم
فقال يا امير المومنين ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب
للتقوي وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذنب دونك
فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك فقال بل اعف يا ابراهيم
فكبر وسجد ورفع راسه قايلا

يا خير من زملت اليه مطية … بعد الرسول لآيس ولطامع
ومن جلها … فعفوت عمن لم يكن عن مثله … عفو ولم يشفع اليك بشافع
فرحمت اطفالا كافراخ القطا … وعويل عانسة كقوس النازع
الله يعلم ما اقول فانها … جهد الالية من حنيف راكع
ما ان عصيتك والغواة تمدني … اسبابها الا بنية طائع

وذكر ان المامون قال حين انشد هذه القصيدة اقول كما
قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين وكان المامون ارسل الي شكلة ام ابراهيم يتوعدها فارسلت
اليه اني ام من امهاتك فان كان ابني عصي الله فيك فلا تعصه في
ومن اعظم الندما اسحق النديم بن ابراهيم الموصلي وقد سبق
ذكر ابيه وكان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة
والغنا اللذان تفرد بهما واختلف هو وابراهيم بن المهدي
المتقدم ذكره في صوت فقال اسحاق الي من تتحاكم والناس معك

اسحاق النديم

ماعدانا بهايم وله نظم حسن فمن نظمه البديع قوله في الرشيد

وامرة بالبخل قلت لها اقصري … فذلك شي ما اليه سبيل
اري الناس خلان الجواد ولا اري … بخيلا له في العالمين خليل
واني رايت البخل يزري باهله … فاكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتي لو علمته … اذا نال شيا ان يكون ينيل
عطائي عطا المكثرين تكرما … ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف اخاف الفقر او احرم الغني … وراي امير المومنين جميل

ولما سمعها الرشيد قال لله درك ودر ابيات تجي بها ما احكم
اصولها واحسن فصولها واقل فضولها فقال هذا الكلام
والله احسن يا امير المومنين كما تقدم وكان اسحاق من العلما
باللغة والاشعار واخبار الشعراء وايام الناس وروي عنه مصعب
بن عبد الله الزبيري والزبير بن بكار وغيرهما وكانت له
يد طولي في الفقه والحديث وعلم الكلام قال محمد بن عطية العطوي
الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيي بن اكثم فوافي اسحق ابن
ابراهيم الموصلي واخذ يناظر اهل الكلام حتي انتصف منهم
ثم تكلم في الفقه فاحسن وقاس وتكلم في الشعر واللغة
ففاق من حضر ثم اقبل علي القاضي يحيي بن اكثم فقال اعز الله
القاضي افي اي شي مما ناظرت فيه او حكيته نقص قال لا قال فما
بالي اقوم بساير هذه العلوم قيام اهلها وانسب الي فن واحد
اقتصر الناس عليه يعني الغنا قال العطوي فالتفت الي القاضي
يحيي وقال لي الجواب في هذا عليك وكان العطوي من اهل

الجدل فقال للقاضي يحيى نعم اعزّ الله القاضي الجواب على وثم
اقبل على اسحاق فقال يا ابا اسحاق محمد انت كالفرا والاخفش في النحو
قال لا فقال انت في اللغة والشعر كالاصمعي وابي عبيدة فقال لا
فقال انت في علم الكلام كابي الهذيل العلاف والنظام البلخي فقال
لا قال فانت في الفقه كالقاضي واشار الى القاضي يحيى قال لا
قال فانت في قول الشعر كابي العتاهية وابي نواس قال لا قال
فمن ههنا نسبت الى ما نسبت اليه لانه نظير لك فيه وانت في
غيره دون رؤساء اهله فضحك وقام وانصرف فقال
القاضي يحيى للمعطري لقد وفيت الحجة حقها وفيه ظلم قليل لاسحق
قال ابو عبد الله بن حمدون لقيت اسحق فاخبرته ثم شكوت اليه
غمي بقطع اذني فجعل يسليني ويعزيني ثم قال من المتقدم اليوم
عند امير المؤمنين قلت محمد بن عمر قال ومن هذا الرجل وما مقدار
ادبه وعلمه فقال اما ادبه فلا ادري ولكني اخبرك بما سمعت منه حضرنا
الدار يوم عقد المتوكل لاولاده الثلاثة فدخل مروان بن ابي حفصة
فانشده قصيدته التي يقول فيها.

بيضاء في وجناتها . ورد فكيف لنا بشمسه . فسر بذلك سرورا
وامر فنثر عليه بدرة دنانير وامره بالجلوس وعقد له على اليمامة
والبحرين فقال يا امير المؤمنين ما رايت كاليوم ولا ارى ابقاك الله
ما دامت السموات والارض فقال لي اسحق ويلك جزعت على اذنك حتى
تسمع مثل هذا ومولد اسحق النديم في سنة ١٥٠ وهي السنة التي ولد فيها
الامام الشافعي ولما مات رثاه بعض اصحابه بقوله.

اصبح

اصبح اللهو تحت عفر التراب . ثاويا في محلة الاحباب .
اذ مضى الموصلي وانقرض الا . نس وبحت مشاهد الاطراب .
بكت الملهيات حزنا عليه . وبكاه الهوى وصفو الشراب .
وبكت آلة الشراب وحتى . رحم العود عبرة المضراب .
وعلى ذكر النديم والندماء الاباس بايراد نكتة تتعطش بها الطروس
وترتاح لسماعها النفوس وهي مما حكاه ابن خلكان في تاريخه ان ابا
نصر محمد بن محمد الفارابي دخل على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع
الفضلاء فادخل عليه وهو بزي الاتراك وكان ذلك زيه دائما فقال
فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث انا ام حيث انت فقال حيث
انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه
فيه حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم
لسان خاص يسارهم به قل ان يعرفه احد فقال لهم بذلك اللسان
ان هذا الشيخ قد اساء الادب واني مسائله عن اشياء ان لم يوف بها
فاخرقوا به فقال له ابو نصر بذلك اللسان ايها الامير اصبر فان
الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له اتحسن هذا اللسان
فقال نعم احسن سبعين لسانا فعظم عنده ثم اخذ يتكلم مع العلماء
الحاضرين في ذلك المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم
يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم اخذوا يكتبون
ما يقول فصرفهم سيف الدولة وخلى به فقال له هل لك في ان تاكل
قال لا قال فهل تشرب قال لا قال فهل تسمع قال نعم فامر سيف الدولة
باحضار القيان فحضر جمع من اهل هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم

نوقفه

حرك احد منهم آلاته الا وعابه ابو نصر وقال اخطات فقال له سيف الدولة وهل تحسن من هذه الصناعة شيا قال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر وضرب بها فبكي كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيبا اخر وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج ومن الندماء المشهورين الذي جمع بين حسن المنادمة والغنا جحظة البرمكي وهو احمد بن جعفر بن موسى بن يحيي البرمكي قال ابن خلكان كان فاضلا صاحب فنون واخبار ونجوم ومنادمة ونوادر وكان من ظرفاء عصره وهو من ذرية البرامكة وله الاشعار الرايقة والاخبار الفايقة . فمن ذلك قوله

انا ابن اناس مول الناس جودهم . فاضحوا حديثا للنوال المشهر .
فلم يخل من اخبارهم لفظ مخبر . ولم يخل من تقريظهم بطن دفتر .

وله . وقايلة لي كيف حالك بعدنا . أفي ثوب مثر انت ام ثوب مقتر .
فقلت لها لا تسأليني فانما . اروح واغدو في حرام منفتر .

وله ورق الجو حتى قيل هذا . عتاب بين جحظة والزمان .

وله ديوان شعر اكثره جيد وكان كاتبا شاعرا مغنيا حاذقا وكان مع ذلك قبيح الوجه جاحظ العينين مشوه الخلقة ولابن الرومي في هذا المعنى

وجه لجحظة تستغني بحوطه . من بيت سطرنج ومن نرطا .
وارحمتا لمنادميه تحملوا . الم العيون للذة الاذان

وحدث علي بن سعيد قال قال لي جحظة ان كتمت علي اخبرتك بحديث لم

علي

علي مسامعك قط قلت انا موضع سرك والمجالس بالامانة قال اصبحت يوما مخمورا فبينما انا جالس علي باب داري اذا قبلت جارية متنقبة راكبة علي حمار وبين يديها قومها وصايف كالغزلان يحفون بها ويمسكن عنان حمارها وقد سطعت السكة من رايحة طيبها فبقيت مبهوتا متحيرا من كمال خلقتها ونور ما بدا لي من وجهها فلما جاوزتني وقفت وتاملت ساعة ثم كلمت فرددت عليها وقمت علي قدمي اجلالا لها فقالت يا فتى هل في منزلك محل للقايلة هذا اليوم فقلت بطيبتي علي الرحب والسعة ولك الفضل والمنة فما كذبت ان ثنت رجلها ونزلت وقالت ادخل بين يدي وامرت جواريها فدخلن بالحمار الي الدهليز وما اجمع ما اراه الا نوما لا يقظة وشكا لا يقينا فلما استقر بها المجلس القت قناعها فخلته كما قال الشاعر .

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت . باحسن موصولين كف ومعصم .

تفكرت في امري وانا لا اعقل من السرور فقلت هذه جارية مغنية بلغها عني صوت من صنعتي فارادت ان تاخذه عني فقلت يا سيدتي اتاذني ان اقرب ما حضر من طعام وشراب واغنيك ما لعله بلغك من متخير اصواتي فقالت ما علي ذلك فوت ولكن قم الان وشانك فاقض حاجتك ثم تصير لي ما تريد فقمت اليها وقد اخذني الزمع حتى اني ما املك نفسي مهابة لها فلما فرغت مما لم اكن آمله ولا تسمو همتي اليه قلت هل لك في الطعام والشراب او ادعوا بالعود فاغنيك قالت عسي ان يكون هذا في يوم غير هذا ومدت يدها الي قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة فلم اجر

جوابا وبقيت متحيرا فلما صارت الى الدهليز لتركب قلت سألتك
بنعمة الله عليك ما خبرك قالت لو تركت المسألة كان احب اليك
واعود عليك ما خبرك قالت لو تركت المسألة قلت لا بد لي من علم
حالك فقالت اما اذا ابيت فساصدقك لي ابن عم هو بعلي هم
بجارية لي مشوهة المنظر واقسمت بالايمان المحرجة
ان اطوف بغداد حتى ابذل نفسي لاقبح من ارى وجها واوحش من
اقدر عليه صورة فانا اطوف من الفجر الى هذا الوقت فما رأيت
اقبح منك فبررت قسمي وان عاد الى مثل فعله عدت اليك ان لم اجد
اوحش منك وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها ثم
تولت عني وبقيت احر ممن دخل النار فوالله ما ظننت ان افراط
القبح ينفع حتى كان ذلك اليوم قلت هون عليك فان الترداد انما
يقع السروريه والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة قالت فما كنت
علي قلت نعم وقول الناظم والمدامة في المدامة بمعنى على
يقال نادمه على الشراب فهو نديم والمدامة الخمر وقيل سميت
مدامة لدوامها في الدن وقيل لانهم يديمون شربها وقيل
لانها تغالي عليهم حتى تسكن لانه يقال دام اذا سكن وثبت في
قيل فعل يقال لكل ما سكن مدامة قيل الاصل هذا ثم خص الشيء
باسم وقد خصت الخمر باسماء وصفات فمن اسماء الخمر وصفاتها
بعض ذلك عن البصريين وبعضه عن الكوفيين هي الخمرة
والقهوة والسلاف والمدام والمدامة والعقار والراح والشمول
والقرقف والاسفنط والسلسل والسلسال والخندريس
والسلسبيل والخرطوم والرحيق والزرجون والعانية والصريفي

اسما الخمر

والمشعشعة

والمشعشعة والصهباء والسخاميه والصرخديه والمقدية
والحمصنة والكميت والعاتق والماوية والمرا والمز والكلفا
ثم قيل سميت خمرا لسترها العقل ومخالطتها اياه وكل ما يستر
العقل من الشراب فهو خمر ومنه سمي الخمار ومنه قيل خمر الطريق
وهو ما ستر ومنه اختمر العجين اي غطاه الفطرة والعرب تقول
خامري اي خالطي وسميت قهوة لان شاربها اذا شربها لم يشته الطعام
اذا امتنعت منه والسلافة السائلة من سلف وقد ذكرنا المدام
فيما تقدم باشتقاقه وسميت عقارا لانها تعقر الدن اي تكون فيه
وسميت راحا لان شاربها يشتغل بطيب ريحها وسميت قرقفا
لان شاربها تاخذه الرعدة ولا يسمى قرقفا منها الا ما كان كذلك
والاسفنط الرقيقة والسلسل والسلسال والسلسبيل الذي
تسلسل دخولها والخرطوم اول ما يعصر والخندريس كانما ضرب
الى الحمرة يقال خلطه خندريس اذا احمرت من طول المكث والرحيق
السهلة والزرجون بالفارسية لون يشبه لون الذهب والعانية
منسوبة الى العانه والصريفي منسوب الى صريفين والمشعشعة
الرقيقة والصهباء التي تضرب الى الحمرة والسخامية اللينة يقال
شعر سخامي اذا كان لينا والصرخدية منسوب الى صرخد والحمصنة
التي فيها حموضة والكميت التي تضرب حمرتها الى السواد والعاتق
التي لم يفضض ختامها والماوية منسوبة وكانها التي بها شيء
من الحلاوة والمرا التي فيها مرارة والكلفا التي تضرب حمرتها الى
السواد وقد انزل الله تعالى تحريم الخمر في كتابه العزيز في ثلاث

تحريم الخمر

تحريم الخمر

أيات الاولى قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما فكان في المسلمين من شارب وتارك الى ان شربها رجل ودخل في الصلوة فهجر فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر فاخذ لحي بعير فشج به راس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود ابن يعفر وكاين بالقليب قليب بدر من الفتيان والشرب الكرام

وكاين بالقليب قليب بدر ، من الشيزى تكلل بالسنام
ايوعدنا ابن كبشة ان سنحيى ، وكيف حيوة اصداء وهام
ايعجز ان يرد الموت عني ، وينشرني اذا بليت عظامي
الا من مبلغ الرحمن عني ، باني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي ، وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيا كان في يده يضربه فقال اعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم اول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحات الرجال وممن تركها في الجاهلية ترفعا عنها عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش

وذلك

وذاك انه شرب مع امية بن ابي الصلت الثقفي فضربه على عينه فاصبحت عين امية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فلح عليه فقال الست صاحبها بالامس فقال او بلغ مني الشراب ما ابلغ معه الى هذا لا اشربها ابدا بعد اليوم ثم ولك دية فدفع له عشرة الاف درهم وقال الخمر علي حرام لا اذوقها بعد اليوم وممن حرمها في الجاهلية قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته او اخته فهربت منه فلما اصبح سال عنها فقيل له او ما علمت ما صنعت البارحة واخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها في الجاهلية أيضاً العباس بن مرداس وقيس ابن عاصم وذلك ان قيس شرب ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا ابرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما اصبح وافاق قال ما لي هكذا فاخبروه بما اتفق له فقال والله لا اشربها ابدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك قال اكره ان اصبح سيد قومي وامسي سفيههم وقال رجل لسعيد بن سالم لم لا تشرب النبيذ قال تركت كثيره لله وقليله للناس ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعي بالطعام فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك في ما تنادم عليه قال يا امير المؤمنين جلدي اسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وانما بلغني مجالستك ومواكلتك العقل فعقلي عزيز وانا اكره ان ادخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها

عليه هل لك في الشراب فقال يا امير المومنين اني لاذوق فيما ترى
ولكن انا امنع اهلي منه واكره ان امنعهم من شي ولا امتنع منه وقد
قال الله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب
النبيذ فقال لا اشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم
لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال اما انه يهضم من
دينك ومن عقلك اكثر وقال ابن ابي وفي لقومه حين نهوا عن الخمر

الا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ، فلا تقربوا منها فلست بفاعل ،
فاني رايت الخمر شينا ولم يزل ، اخو الخمر دخالا لاشرار المنازل ،

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب لمن
يشتري بماله ما يفسد عقله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بات سكرانا بات للشيطان عروسا وقال عيسى عليه السلام
حب الدنيا راس كل خطيئة والنساء حبايل الشيطان والخمر
داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت النبيذيين في كل بلدة ، وليس لاخوان النبيذ حفاظ ،
اذا دارت الاوطال ارضاك بالمنى ، وان فقدوها فالوجوه غلاظ ،

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما انت متوج بينهم مخدوم
مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ
قال القائل وقيل اناس يحفظون حريمهم ، وليس لاصحاب النبيذ حريم ،
لئن قلت هذا لم اقل عن جهالة ، ولكنني بالفاسقين عليم ،
وللاعرج الطائي تركت الشر واستبدلت منه ، اذا داعي صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك ، وودعت المدامة والندامى ،

نكتة اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني
خمرا من زق كان معه فشربه وشرب ثم صب فيها وعرضها على
المحدث فتناولها من غير تفكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت
فداك انما هو خمر فقال من اين علمت انها خمر فشربها المحدث على عجل
وقال للنصراني يا احمق نحن اصحاب الحديث نضعف سفيان بن عيينة
ويزيد بن هارون فنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها
الا لضعف الاسناد ومن ذلك ما حكي ان سكرانا استدعى على
طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدموك بنوك ولا عدموك
ثم بال على وجهه فقال وماء حار بارك الله عليك وقيل السكارى
ثلاثة قرد حركه ربه فرقص وكلب هارش ونبح وحية روثت فنامت
ومن عقلاء الناس مرداس بن خذام الاسدي فاستسقاه لبنا
فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه فسكر ولم يتحرك ثلاثة ايام وقال

سقيت عقالا بالعشية شربة ، فمالت بعقل الكاهلي عقال ،
قرعت بام الخل حبة قلبه ، فلم ينتعش منها ثلاث ليال ،

قيل ان آدم عليه السلام لما غرس شجرة الكرم جاء ابليس اللعين
اليها فذبح عليها طاووسا ثم قردا ثم اسدا ثم خنزيرا فشربت
من دماء الاربعة فلذلك شاربها تعتريه هذه الاحوال
فاولا يتبختر كالطاووس ثم يعربد ويرقص كالقرد ثم تلحقه الحرارة
الغضبية فيصير كالاسد ثم ينقطع وينام كالخنزير وقد ذمها
عدة من الشعراء جاهلية واسلاما فمن ذلك قول عنترة ،

ولقد شربت من المدامة بعد ما ۔ ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة ۔ قرنت بازهر في الشمال مقدم
فاذا شربت فانني مستهلك ۔ مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندا ۔ وكما علمت شمايلي وتكرم

وقال عمرو بن كلثوم

الا هبي بصحنك فاصبحينا ۔ ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها ۔ اذا ما الماء خالطها سخينا
يجود بذي اللبانة عن هواه ۔ اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح اذا امرت ۔ عليه لماله فيها مهينا

وقال غيره ۔ وشمولة في الكاس تحسب انها ۔ سماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات في حرم المنى ۔ فحج اليها اللهو من كل جانب

وقد جرى في زمن امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصة يليق ذكرها في هذا الموضع وهي ما حكاه ابو بكر الخرايطي باسناده قال بينما عمر رضي الله عنه قصة يليق ذكرها في هذا الموضع وهي ما حكاه ابو بكر الخرايطي باسناده قال بينما عمر رضي الله عنه يطوف في سكة من سكك المدينة اذ سمع امراة تهتف في صوتها

هل من سبيل الى خمر فاشربها ۔ ام من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل ۔ سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه ۔ اخا حفاظ عن المكروب فراج
سامي المواطي من بني لهمهم ۔ تضي صورته الحالك الداجي

فقال عمر رضي الله عنه اري معي في المصر من تهتف به العواتق في

خدرها

خدرها علي بنصر بن حجاج قلت وهو نصر بن حجاج بن علاط السلمي الهندي وكان والده من الصحابة رضي الله عنهم فاتي بنصر لعمر رضي الله عنه فاذا هو من احسن الناس وجها وعينا وشعرا فامر بشعره فجز فخرجت له جبهة كانها شقة قمر فامره ان يعتم فاعتم فافتتن النساء بعينيه فقال عمر رضي الله عنه والله لا تساكني ببلدة انا بها قال يا امير المومنين ولم قال هو ما اقول لك فسيره الى البصرة وخشيت المراة التي سمع منها عمر رضي الله عنه ان يبدو من عمر اليها شي فدست اليه ابياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره ۔ مالي وللخمر او نصر بن حجاج
اني عنيت ابا حفص بغيرهما ۔ شرب الحليب وطرف فاتر ساج
ان الهوى زمه التقوى فحبسه ۔ حتى اقر بالجام واسراج
ما منية فيها بضايرة ۔ والناس من صادق فيها ومن داج
لا تجعل الحق ظنا او تحققه ۔ ان السبيل سبيل الخائف الراجي

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي حبس التقوى الهوى قال واتى على نصر بن حجاج زمان واشتد على امه غيبته فتعرضت لعمر رضي الله عنه بين الاذان والاقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد صلوة العصر قالت يا امير المومنين لاخاصمنك بين يدي الله تعالى يوم القيمة ابيت عبد الله وعاصم الى جنبك وبيني وبين ابني المفاوز والقفار والجبال فقال يا ام نصر ان عبد الله وعاصما لم تهتف بهما العواتق

فى خدورهن فانصرفت ومضى عمر الى الصلوة قال وسير عمر بريدا
الى البصرة فمكث فى البصرة اياما ثم نادى مناديه من اراد ان
يكتب الى المدينة فليكتب فان بريد المسلمين خارج فكتب
الناس وكتب نصر بن حجاج سلام عليك اما بعد يا امير المومنين

لعمري لين سيرتني وحرمتني ۔ فما نلت من عرضي عليك حرام
وما لي ذنب غير ظن ظننته ۔ وفي بعض تصديق الظنون اثام
فان غنت الدلفا يوما بمنية ۔ فبعض امانى النساء غرام
ظننت بي الامر الذي ليس بعده ۔ بقاء فما لي في الندي كلام
فاصبحت منفيا على غير ريبة ۔ وقد كان لي بالمكتين مقام
ويمنعني مما تظن تكرمي ۔ واباء صدق سابقون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها ۔ وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالات فهل انت راجع ۔ فقد جب منا غارب وسنام

فقال عمر رضي الله عنه اما ولي امارة فلا واقطعه ما لا بالبصرة
ودارا قال ابو بكر الخرايطي رحم الله عمر ما كان انظره بنور الله فوالله سنه
كان والله كما قال الشاعر

بصير باعقاب الامور برايه ۔ كان له في اليوم عينا على غد

وذلك ان نصر بن حجاج لما نفاه عمر رضي الله عنه الى البصرة كان
يدخل على مجاشع بن مسعود السلمي وكان به معجبا وكانت امراته
يقال لها الخضيرا وكانت من اجمل النساء وكان لا يصبر عنها
وهو يومئذ امير على البصرة نيابة عن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه وكان لشغفه بها يجمعها في مجلسه فخانت يوما من مجاشع

التفاتة ونصر بن حجاج يخط في الارض خطوطا فقالت الخضيرا
وانا والله فعلم مجاشع انه جواب كلام فقال لها ما قال لك قالت
قال ما احسن سواد عينيكم قال والله ما هذه جواب هذه وكان
لا يكتب وهي تكتب فدعا باناء فكفاه على الخطوط ودعى كاتبا
فقراه فاذا هو اني لاحبك حبا شديدا لو كان فوقك لاظلك
ولو كان تحتك لاقلك فقال مجاشع هذه لهذه وبلغ نصر ابن
حجاج ما صنع مجاشع فاستحيي ولزم بيته وضني حتى صار
كالفرخ فقال مجاشع لامراته اذهبي اليه واسنديه الى صدرك
واطعميه الطعام بيدك فابت فعزم عليها فذهبت اليه
فاسندته الى صدرها واطعمته بيدها فلما تحامل خرج
من البصرة وقيل ان مجاشعا طلقها وقال لنصر بن حجاج
تزوجها يا ابن اخي ان اردت وكانوا لا يكتمون من امرائهم
شيئا فاتى مجاشع ابا موسى الاشعري فاخبره فقال ابو موسى
لنصر اقسم بالله ما اخرجك امير المومنين من خير اخرج عنا
فاتى فارس وعليها عثمان بن ابي العاص الثقفي فنزل على دهقان
فاعجبها فارسلت اليه فبلغ ذلك عثمان بن ابي العاص فبعث اليه
فقال ما اخرجك امير المؤمنين وابو موسى الاشعري من خير اخرج
عنا فقال والله لين فعلتم هذا لالحقن بالترك فكتب عثمان بن
ابي العاص الى ابي موسى وكتب ابو موسى الى عمر رضي الله عنه
فكتب اليه عمر ان جزوا شعره وشمروا قميصه والزموه المسجد
فقال نصر بن حجاج في حق عمر رضي الله عنه شعر

ظن ابن خطاب على تجنبي . اذا رحلت تهتز هز السلاسل
يصلح راسا لم يصلعه ربه . برق رقيقا بعد اسود حالك

ومما قيل في الخمر قول الشاعر

وشمسة كرم برجها قعر دنها . فمطلعها الساقي ومغربها في
مدام كتبر في اناء كفضة . وساق كبدر مع نداما كانجم

وقال آخر ثم فاسقني بنت العنب . مدامة لها لهب
كانما باذنها . مترشرطا من ذهب

وقال اخر ومدامة حمراء في قارورة . زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب . والكف قطب والاناء سماء

وقول الاخر ولم نر شمسا قبلها في زجاجة . مكللة من نفسها بنجوم
وتنظر من ستر الزجاج كانها . سنا البرق يبدو من خلال غيوم

وقول الاخر صفراء تطرق في الزجاج فان سرت . في الجسم تسري مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكانهم . يجدون ريا في اناء فارغ

وقول الاخر صدح الديك في الدجا فاسقنيها . قهوة تترك الحليم سفيها
لست ادري من رقة وصفاء . هي في الكاس ام الكاس فيها

ولابن حجه صب في الكاس عقيق فجري . وطفي الدر عليه فطفح
نصب الساقي على حافاتها . شبك الفضة فاصطاد الفرح

ولبعضهم وحمراء قبل المزج صفراء بعده . اتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المحبوب صرفا فسلطوا . عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ولبعضهم وكاس تريناية الصبح والدجا . فأولها شمس واخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها . فان زارها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للروم لم تخل مهجة . من الفسق حتى الما يفسق الخمر

وقول

وقول الاخر شربنا بالصغير وبالكبير . ولم نحفل باحداث الدهور
وقد ركضت بنا خيل الملاهي . وقد طرنا باجنحة السرور

ورئيس هذا الفن هو ابو نواس الحكمي فانه وصف فيه حلية الكميت ولزقه اشعارها ومبالغة ما فيها قيل عجبا لمن طالع حلية الكميت ولم يسكر فمن قوله فيها

وعندي من بنات الكرم بكر . ليا ليها وان طالت قصار
تخال الكاس عند المزج عقد . ومن فضل النديم لها سوار

ولابي النواس كاسات تريني وام الليل مجتمع . صبحا تولد بين الماء والعنب
كان صغرى وكبرى من فواقعها . حصباء در على ارض من الذهب

ولابن وكيع كانها في الكؤس اذ جليت . من عسجد رق لونها وصفا
اغضبها الماء حين مازجها . فازبدت في كؤسها اسفا

فائدة هل يجوز التداوي بالخمر المنقول في مذهبنا انه لا يجوز مطلقا الا في اساغة الغاص فقط وهل يجوز التداوي بالمحرم غيرها ظاهر مذهبنا المنع لكن نقل صاحب الحاوي من ائمة مذهبنا انه رخص للتداوي بالمحرم غير الخمر اذا علم ان فيه الشفا اي باخبار طبيب حاذق مسلم ولم يعلم دواء اخر فان قيل هل الخمر حقيقة في النئ من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد مجاز في غيره من الاشربة المسكرة خلاف في ذلك وفي الحديث كل مسكر خمر وكل خمر حرام قال شراح هذا الحديث يتاول هذا الحديث على وجهين احدهما ان الخمر اسم لكل ما يوجد فيه الاسكار من الاشربة كلها ومن ذهب الى هذا قال ان للشريعة ان تحدث الاسماء بعد ان لم تكن كما لها ان تضع الاحكام

بما

بعدان لم تكن والوجه الاخران يكون معناه انه يكون كالخمر في الحرمة ووجوب الحد على شاربه وان لم تكن عين الخمر وانما الحق بالخمر حكما اذ كان في معناها وهي كما جعلوا النباش في حكم السارق والتلوط في حكم الزاني وان كان كل واحد منهما مختصا في اللغة بغير السرقة وغير الزنا وليعلم انه يجب الحد على من شرب الخمر اذا كان مسلما ناطقا مكلفا ولو بقطرة بلا قيد سكر وسكر من غيره طوعا عالما بالحرمة بعد الافاقة ويقع عندنا طلاق السكران زجرا له وقد ورد ذمها في القران العظيم وقد تقدم وفي الحديث ايضا من ذلك الخمر ام الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته اربعين يوما قال الجلال السيوطي حكمة ذلك انها تبقى في عروقه وبها اربعين يوما وادمانها والعياذ بالله دليل على سوء الخاتمة وعرق مدمنها نجس في قول عندنا وقد ارتضاه بعض ائمتنا ولا يخفى ما بين الماسك اللادعي والدساكر والمدامة والندامة في قول الناظم من الجناس التام كما في قولهم ليل دامس ونحو طامس على ما تقدم بيانه انتهى قال الناظم رحمه الله. وسقاتها المتلاعبون بلب من أعطوه جامه السقاة جمع ساق كرماة جمع رام والضمير في سقاتها على المدامة واصل السقاء ان يكون للبن والماء قال في المختار السقا يكون للبن والماء والقربة للماء خاصة وسقاه من باب رمى واسقاه قال له سقيا وسقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم وقيل سقاه لشفته واسقاه لماشيته وارضه والمسقى من الزرع ما يسقى بالسيح انتهى وقوله المتلاعبون قال في القاموس لعب وتلعب وتلاعب ضد جد وهو

لعب

لعب ولعب والعبان ولعبة كهمزة وتلعاب وتلعابة وتلقاب وتلقابه كثير اللعب وبينهم العوبة اي لعب والملعب موضعه وكلعبهم لعب معها والعبها جعلها تلعب وجاء بما تلعب به واللعبة التمثال وما يلعب به كالشطرنج ونحوه والاحمق يسخر به وملاعب الريح مدارجها ورجل لعبة بالضم يلعب به انتهى وقوله بلب اي بعقل ويجمع على الباب والبب قال في القاموس واللب بالضم خالص كل شيء ومن النخل والجوز قلبها والعقل والجمع الباب والب والبب واللبة المنحر كاللبب وموضع القلادة من الصدر واللبة المراة اللطيفة ولبه ضرب لبته واللبلب كسيسب وبلبل البار باهله وجيرانه و رجل لب ولبيب لازم للامر ومليق موصوف بالعقل واللبيب العاقل وجمعه الباء انتهى وقوله اعطوه قال في القاموس العطو التناول والعطا وقد يمد نوك الشيء وما يعطى كالعطية والجمع اعطية والاعطاء م المناولة كالمعاطاة والعطا والانقياد والتعاطي التناول وتناول ما لا يحق والتنازع في الاخذ والقيام على اطراف اصابع الرجلين مع رفع اليدين الى الشيء ومنه تعاطى فعقر وعاطى الصبي اهله عمل لهم وناولهم ما ارادوا وهو يعاطيني ويعطيني ينصفني ويجزيني انتهى والجام كما في القاموس اناء من فضة وجمعه اجؤم بالهمزة واجوام وجامات وجوم وجام من اعمال نيسابور وجام جوما طلب شيئا خيرا او شرا وجويم كزبير بلد بفارس قال ابو الفتح البستي

كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا . ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا
اي عاملنا بالجميل وبيت ابي الفتح مما فيه الجناس المفروق وانما سمي
بالمفروق لافتراق اللفظين في الخط وليس من الجناس المفروق
قول الحريري . والمكر مهما استطعت لا تأته . لتقتني السودد والمكرمه
وقوله . ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه . بدمع يحاكي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه . وروعة ملقاه ومطعم صابه
اذ يجب في المفروق ان لا يكون المركب مركبا من كلمة وبعض كلمة ومتى
كان مركبا من كلمة وبعض كلمة سمي التجنيس مرفوا كما في قول الحريري
ومنه الحديث لسم الاله ويه بدينا . فحبذا ربا وحب دينا . ومما
قيل في السقاة .
فكانها وكان حامل كاسها . اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها . بدر الدجا بكواكب الجوزاء
وقول الآخر كان الندامى والسقاة قد دنا . وكاساتنا في الروض تملى وتشرب
شموس واقمار وفلك وانجم . ونور ونوار وشرق ومغرب
وقال الآخر . ونديمان سقيت الراح صرفا . وافق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها فكانت . كمعنى دق في ذهن لطيف
وقال الآخر . وصافية لها في الكاس لين . ولكن في النفوس لها شماس
كان يد النديم تدير منها . شعاعا لا يحيط عليه كاس
ومن ذلك قول ابن الرومي
وساق صبيح للصبوح دعوته . فقام وفي اجفانه سنة النمعن
يطوف بكاسات العقار كانجم . فمن بين منقض علينا ومنفض

وقد

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا . على الجو دكنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باخضر . على احمر في اصفر اثر مبيض
كاذيال خود اقبلت في غلائل . مصبغة والبعض اقصر من بعض
قلت وقد نقلت في رحلتنا الشامية اني قد سئلت في
حلب الشهباء عن قوله .
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا . على الجو دكنا والحواشي على الارض
فاجبت ان الدكن بالضم لون الى السواد يقال دكن كفرح فهو
ادكن ودكن المتاع كنصر نضد بعضه على بعض كدكنه اي وهذا
البيت من ابيات لابن الرومي حكيا بن درستويه وغيره ان لائما
لامه فقال لم لم تشبه كتشبيهات ابن المعتز وانت اشعر منه فقال
انشدني شيئا من قوله الذي اعجزني عن مثله فانشد قوله في الهلال
وانظر اليه كزورق من فضة . قد اثقلته حمولة من عنبر
فقال له زدني فانشد قوله في الاذريون وهو زهر اصفر في
وسطه خمل اسود وليس بطيب الرائحة والفرس تعظمه بالنظر
اليه وتشده في المنزل وهو قوله .
كان اذريونها . والشمس فيها كالية . مداهن من ذهب . فيها بقايا غالية
فصاح واغوثاه تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما
يصف ماعون بيته لانه ابن خليفة وانا اي شيء اصف ولكن
انظروا اذا انا وصفت ما اعرف اين يقع قولي من الناس هل لاحد
مثل هذا قولي في قوس الغمام وانشد الابيات المتقدمة قلت
المشهور ان هذه الابيات لابن الرومي لكن صاحب اليتيمة ذكر

انهما لسيف الدولة بن حمدون انتهى ويعجبني قول ابن النبيه
انهض الى ذوب ياقوت لها حبب . تنوب عن ثغر من تهوى جواهره .
حمراء في وجنة الساقي لها شبه . فهل جناها من العنقود عاصره .
ساق تكون من صبح ومن غسق . فابيض خداه واسود غدائره .
سود سوالفه لعس مراشفه . نعس نواظره خرس اساوره .
ويعجبني البيت ابن السقاة الصباح المتلاعبون بالعقول عند
مناولة الاقداح والجواب محذوف وفي ما تقدم من نظائره قال
الناظم
من كل اهيف مزري . بالبدر ان هز قامه .
الهيف كما في القاموس ضمر البطن ورقة الخاصرة واهيف في البيت
صفة لموصوف محذوف تقديره مليح والازدراء والازراء الانتقاص
والاحتقار والملائم لقوله ان هز قوامه اي يكون بدل الشمس
الغصن او الرمح لكن الذي رايناه في النسخة الشمس كما ترى والهز التحريك
قال في المختار هز الرمح فاهتز حركه فتحرك وبابه رد والهزة بالكسر
النشاط والارتياح انتهى وعليه قول الشاعر .
واني ليعروني لذكراك هزة . كما انتفض العصفور بلله القطر .
والقوام القامة قال في المختار وقوام الرجل قامته وحسن طوله
وقوام الامر بالكسر نظامه وعماده يقال فلان قوام اهل بيته
الذي يقيم شانهم ومنه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
التي جعل الله لكم قياما وقامة الانسان قده وقائم السيف وقائمته
مقبضه والقيم اسم من اسماء الله تعالى انتهى ومن اللطائف ما
نقله الشهاب الخفاجي ان ابن مكانس قال بيتين واعجب بهما

في

في حضرة سيدي ابي الفضل بن وفا وهما .
وهيفا مثل البدر قالت لصبها . بحضرة انس وهو يخشى ملالها .
اذا لم تدر لي الكاس ملئي وتسقني . اميتك مهجورا اخاف ملالها .
فقال الاستاذ انت سرقتهما من قولي .
واهيف احياني برشف رضابه . ومن ريقه الخمر الحرام حلا لي .
ادار لي الكاسين خمرا وريقه . ونزهني عن جفوة وملال لي .
قلت وقد كنا في يوما قد رق وراق . مع عصابة من
الاخوان والرفاق . فجرى ذكر الجاء ذي الاوانس . وبيتي الفخر
ابن مكانس . فاشار لي صديق انيس ان اضع عليهما تشطير او
تخميس . فقلت مبتدئا ولهما مشطرا .
وهيفا مثل البدر قالت لصبها . مقالة تيه وهي تبدي دلالها .
واومت بغنج ثم نادت لعاشق . بحضرة انس وهو يخشى ملالها .
اذا لم تدر لي الكاس ملئي وتسقني . وترضعني بكرا امص زلالها
وان لم تكن في الحان عبدا لحضرتي . اميتك مهجورا اخاف ملالها .
واما التخميس فهو .
ولم انس اذ جادت سليمى بقربها . ومنت برشف من رضاب لحبها
وغنت بشعر من سويدا قلبها . وهيفاء مثل البدر قالت لصبها
بحضرة انس وهو يخشى ملالها .
وحق الذي بالحسن دونك خصني . واتحف ذاتي بالجمال وحفني
وميل قدي بالنسيم وهزني . اذا لم تدر لي الكاس ملئي وتسقني
اميتك مهجورا اخاف ملالها .
وقد سبح هذين البيتين من هو بمنزلة الانسان من العين

صديقنا الامجد مولانا الشيخ المناوي احمد حيث قال تشبيها
كالسحر الحلال

ومايسة كالغصن ضنت بقربها ۔ على كبد ايدي الجوى لعبت بها
وصادت بسيف اللحظ قلب محبها ۔ واضحت تحاكي بالدلال وعجبها
فتاة سبت كل الانام بحبها ۔ وهيفاء مثل البدر قالت لصبها
بحضرة انس وهو يخشى ملالها

الا فاسقني صرف المدامة تحييني ۔ وانعش فؤادي بالسلاف وحييني
وهات ولا تبخل علي فانني ۔ وحق الذي بالسحر جل اعيني
ومن في سماء الحسن بدر اهلني ۔ اذا لم تدر لي الكاس ملئي وتسقني
امتك مهجور الخاف ملالها

وفايدة تعليق الجواب بالشرط في قول الناظم ان يهتز قوامه كمال الظهور في ذلك لان الغصن اذا مال واهتز يظهر ما فيه من عيب فهو مثل قول القائل

اقبل كالغصن حين يهتز ۔ في حلل دونها الخز
مهفهف القد ذو محيا ۔ بعارض الخد قد تطرز
دارت بخديه واو صدغ ۔ والصاد من لحظه تلوز
الجمر والخمر في لماه ۔ وخده ظاهر وملغز
يشكو له الخصر جور ردف ۔ اعجزه حمله واعجز
طلبت منه شفاء سقمي ۔ فقال لحظي لذاك اعوز
قد غفر الله ذنب دهر ۔ لمثل هذا الجمال ابرز
حز فؤادي بسيف لحظ ۔ اواه لو دام ذلك الحز

افديه من اغيد مليح ۔ في الحسن في غصن تميز
كان نديمي فمذ رأني ۔ اسيره في الهوى تعزز
حرم من وصله حلالا ۔ لما احل القلا وجوز
يا قلب لا تسل عن هواه ۔ واثبت وكن في هواه مركز

قلت والتعبير بمثل هذا الذي سلكه الناظم تبع فيه كثيرا من المولدين فان شعرهم كما قال صاحب يتيمة الدهر ابدع من اشعار المحدثين والصناعة الشعرية موجودة في كلامهم اكثر من كلام غيرهم وكذلك سلكه بعض المحدثين وابدعوا فيه فمن ذلك قول بعضهم

قاسوك بالبدر يا من لا سميه ۔ من اين للبدر بعض انت حاويه
والغصن قدك لولا الله ما صدقوا ۔ بل انت اعدل منه في تثنيه

وما احلى قول ابن الحلاوي

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه ۔ وبدر الدجا عن ذلك القدر ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه ۔ لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا

وقول ابن سنا الملك ملك العرب من جملة قصيدة مطولة مطلعها

اذا اقبلت تختال بين الذوايب ۔ فلا تسألوا كم من نفوس ذوايب
نسبت اليها الغصن والبدر فازدرت ۔ وقالت وقد ابدت تلهب غاضب
اذا كان قد ناسبت بي قمر الدجا ۔ فمالك لا تغنيك عني مناسبي
وتزعم ان الغصن قدي فان يكن ۔ صحيحا فانو كل غصن ولاعب

وقال بعض الشعراء الفضلا في موشحة له

شبهوا المحبوب بالقمر ۔ وبغصن ناعم نضر
وبروض يانع الزهر ۔ وهو عندي فوق ما وصفوا

واحسن ما قيل في هذا الباب قول بعض ذوي الالباب

قاسوا لورد وجه الحبيب بالقمر ٭ بجامع بينهما فهو الخفر ٭
قلت القياس باطل بفرقه ٭ وبعد ذا عندي في الوجه نظر ٭

قال الناظم رحمه الله ذي غرة لألاؤها يمحو عن النادي ظلامه

قوله ذي غرة الغرة بالضم كما في المختار بياض في جبهة الفرس فوق
الدرهم يقال فرس اغر والاغر ايضا الابيض وقوم غران ورجل
اغر ايضا اي شريف وفلان غرة قومه اي سيدهم وغرة كل شيء اوله
والغرة العبد والامة وفي الحديث قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجنين بغرة وكانه عبر عن الجسم كله بالغرة ورجل غر بالكسر
وغرير اي غير مجرب والغار بالتشديد الغافل واغتر بالشيء
خدع به والغرر بفتحتين الخطر ونهى عليه السلام عن بيع الغرر
وهو مثل بيع السمك في الماء والطير في الهوا والغرور بالفتح
الشيطان ومنه قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور والغرور ايضا
ما يتغرغر به من الادوية انتهى وفي القاموس الغرور الدنيا وما
يتغرغر به من الادوية وما غرك مطلقا او يخص بالشيطان وبالضم
الاباطيل جمع غار وانا غريرك منه اي احذركه والاغر الابيض
من كل شيء والغرار بالكسر حد الرمح والسهم والسيف والقليل من النوم
انتهى وقوله لألاؤها اللألاء اللمعان قال في القاموس
تلألأ البرق لمع ولألأت المراة بعينيها برقتها والنار توقدت
والدمع حدره انتهى وقال في القاموس والنادي والندوة
والمنتدى والندوة مجلس القوم نهارا او المجلس ما داموا مجتمعين

فيه

فيه وما ينده وه من نادي ما يسعه وتندى تسخا وافضل
كالندى فهو ندي الكف والندا الثرا والشحم والمطر والبلل ونبت
يتطيب به كالبخور والنداء بالضم والكسر الصوت وهو ندي الصوت
كغني بعيده ونخل نادية بعيدة عن الماء وتنادوا نادى بعضهم
بعضا وتجالسوا في النادي والنوادي الحوادث وناديات الشيء
اوائله وقال تعالى حكاية عن ابي جهل فليدع ناديه سندع الزبانية
قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه
وسلم الم انهك عن الصلوة انتهره النبي صلى الله عليه وسلم واغلظه
وتهدده فقال ابو جهل اتهددني وانا اكبر اهل النادي والله
لأملأن هذا الوادي عليك خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله
تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية اي فليدع قومه وعشائره
ليعاونوه سندع الزبانية لياخذوه والنادي المجلس في اللغة
كما تقدم والمراد بالمجلس هنا اهل المجلس والزبانية هم الملائكة
الموكلون بتعذيب اهل النار واحدهم زبني والزبن الدفع يقال
زبنت الناقة الحالب اذا ركضته برجلها قال صلى الله عليه وسلم
لو دعى ناديه لاخذته الزبانية عيانا وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يصلي بعد هذه السورة فاتاه ابو جهل ليوذيه على
عادته فوجده يقرا هذه السورة فخاف وانصرف فقيل له
اخفته فما الذي منعك ان تفعل به ما هممت به قال وجدت عنده
حارسا يحرسه وسمعته يهددني بالزبانية اما الحارس فهو فحل
اهوى الي اراد ان ياكلني ووالله ما ادري ما زبانيته فهربت

ومعنى البيت ان ذا الغرة وهو الساقي المتقدم اذا ادار كووس
المدام على اهل النادي اذهب ظلامه ببياض وجهه قال الناظم
رحمه الله تعالى والشمس في ازراره والبدر في يده قدامه
الشمس مونث وجمعه شموس وضرب من المشط وضرب من القلايد
وصنم قديم وعين ماء وبو بطن وسمت بعبد شمس ونص ابو علي على منعه
الصرف للتعريف والتانيث واضيف الى شمس السماء لانهم كانوا
يعبدونها والنسب عبشمي واما عبشمس بن زيد بن سعد مناة فاصله
عب شمس اي ضوءها والعين مبدلة من الحاء والمراد به الكوكب النهاري
الذي ينسخ ضوءه وجود الليل وهو النير الاعظم وفيه من المنافع ما قاله
العلماء من نضاج الثمر واصلاح المعادن والكسوف للشمس والخسوف
للقمر وبضد ذلك والافصح في اللغة ان الاول لها والثاني له والكسوف
عند علماء الهيئة عبارة عن احتجاب نور الشمس لتوسط القمر بينها
وبين ابصار الناظرين لان جرم القمر كمد ومظلم فيحجب ما وراءه عن
الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها في درجة
واحدة كان مسامتا احد العقدتين الراس او الذنب او كان قريبا
من احداهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين ابصارنا
وقال علماء الهيئة ان كسوف الشمس لا حقيقة له لعدم تغيرها في
نفسها لاستفادة ضوءها من جرمها وانما القمر يحول بظلمته بيننا
وبينها مع بقاء نورها فيرى نور القمر كمدا في وجه الشمس فيظن ذهاب
ضوئها واما خسوف القمر فحقيقة بذهاب ضوئه لان ضوءه من
ضوء الشمس وخسوفه من حيلولة ظل الارض بينه وبين الشمس فلا

يبقى

يبقى فيه ضوء البتة وقد نقض على علماء الهيئة ابن العربي المحدث
فقال هم اي علماء الهيئة يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف
يحجب الصغير الكبير اذا قابله ام كيف يظلم القليل الكثير لاسيما
وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس وهي في زاوية منها لانهم
يزعمون ان الشمس اكبر من الارض باضعاف كما سياتي وكانوا في الجاهلية
يقولون ان كسوف وخسوف القمر لا يكونان الا لاحدهما الا لحدوث
عظيم او موته فرد عليهم اعتقادهم الفاسد الشارع بقوله صلى
الله عليه وسلم ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته
ولكنهما ايتان من ايات الله يخوف بهما عباده وفي رواية اخرى
زيادة على ما ذكر من التخويف وفي تفسير القرطبي وهي وان الله اذا
تجلى لشيء من خلقه خشع وهذه زيادة نكتة اخرى زايدة على ما ذكر
من التخويف وفي تفسير القرطبي في سورة يس ان الشمس اذا غربت دخلت
بحرا تحت العرش تسبح الله فيه وهي مخلوقة من نور العرش والقمر من نور الكرسي
وهو اسرع سيرا منها وهي في غلاف من نور فكل ليلة يظهر منه شيء من الغلاف
حتى يتكامل بدره ثم يعود في الغلاف شيئا فشيئا حتى يتكامل فيقطع
الفلك في ثمانية وعشرين ليلة وذلك عدد المنازل المنقسمة على
اثني عشر برجا لكل برج منزلتان وثلث والسنة تدور على اربعة فصول
ولكل فصل سبع منازل اول الفصول فصل الربيع وايامه اثنان وتسعون
يوما اولها خمسة عشر من اذار وتقطع الشمس فيه سبع منازل وثلاثة
بروج وهي الجدي والدالي والحوت الحمل والثور والجوزا ثم يدخل
فصل الصيف في خمسة وعشرين يوما من حزيران وعدد ايامه ثلاثون

وتسعون يومًا وتقطع الشمس فيه سبع منازل وثلاثة بروج وهي
وهي السرطان والاسد والسنبلة ثم يدخل فصل الخريف في خمسة
وعشرين يومًا من أيلول وعدد ايامه احد وتسعون يومًا تقطع
الشمس فيه سبع منازل وثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس
ثم يدخل فصل الشتاء في خمسة عشر كانون الاول وعدد ايامه
تسعون وربما يكون احد وتسعين يومًا وتقطع الشمس فيه سبع مناز
وثلاثة بروج وهي الجدي والدالي والحوت وقد ورد في الخبر ان الشمس
والقمر وجههما الى العرش وظهرهما الى الارض يضيء وجههما لاهل السموات
السبع وظهورهما لاهل الارضين السبع كما قال تعالى وجعل القمر فيهن
نورًا وجعل الشمس سراجًا والشمس لفظ كلي يصدق على كثيرين بحسب
الامكان ولم يوجد منه في الخارج الا هذا الفرد الواحد وهو الكوكب
النهاري الذي هو اعظم الكواكب قال الجغميني والشمس جرم كري
مصمت مركوز في ثخن الفلك الخارج المركز مفرق فيه بحيث يساوي قطرها
ثخن الفلك ويماس سطحها سطحيه انتهى فقوله مصمت اي غير مجوف
ليس له الا سطح واحد وقوله مركوز اي عند منتصف ما بين قطبيه
وقوله بحيث يساوي قطرها هو الخط المستقيم المار بمركزها المنتهي
طرفاها الى محيطها وقوله ويماس سطحها سطحيه اي على نقطتين
مشتركتين ومحل بسط الكلام على ذلك علم الهيئة وتقدم ان ام
الشمس تجمع على شموس وذلك اما باعتبار ما تحتها من الافراد الممكنة او
لانهم نزلوا كل ناحية منها منزلة الشمس وتصغيرها شميسة وقالوا
شمس يومنا من باب نصر اذا كان ذا شمس واشمس ايضا انتهى ، الازرار جمع

زر بالكسر وهو الذي يوضع في القميص ويجمع على ازرار ويطلق على
حد السيف وطرف الورك في النقرة وخشبة من اخشاب الخباء
والذراع سفيان بن ملجم وملجح القروي وزر الدين قوامه وبالفتح
شد الازرار والطرد والطعن والنتف والعض وتضييق العينين والجمع
الشديد ونقض المتاع وزر كسمع تعدى على خصمه وعقل بعد حمق
والزرير كامير الذكي الخفيف والزرزور المركب الضيق وطائر
وزوزر صوت وتزوزر تحرك والزرة بالكسر اثر العضة والزرة
بالضم ما رميت به في حائط فلزق وزر بن صهيب بالضم محدث
والبدر القمر الممتلئ نورًا ولا يكون بدرًا الا في رابعة عشر الشهر قيل
وخامسته وانما جمع المصنف بين البدر والشمس في وصف النبي مبالغة
في وصفه بصفة الجمال بقي هل التشبيه بالبدر اولى او التشبيه
بالشمس اولى لكونها اكثر نورًا قلت الذي سلكه علماء الادب
ان التشبيه بالبدر ابلغ من التشبيه بالشمس وذلك لان القمر
يملأ بنوره الارض ويستانس به كل من شاهده ويجمع النور من غير
اذى فيتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشي البصر
وتمنع من تمكن الرؤية وايضًا فالبدر يكون ليلا وقت الظلمة فيزيلها
بنفسه ووقت الخلوة واجتماع الفكر دون الشمس ويدل على ما قلنا
ما في حديث ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمًا مفخمًا
يتلألأ نوره تلألؤ القمر ليلة البدر واما تشبيه صاحب الهمزية
للنبي صلى الله عليه وسلم بالشمس في قوله ،

وحيا كالشمس منك مضيء ، اسفرت عنه ليلة غراء ،

فالمقصود منه الاشراق والاستدارة لا مطلق التشبيه وكان فيه اشارة الى ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة وقد قال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول ويحتمل ان يريد به اللمعان فرده المسؤول ردا بليغا ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد به غالبا الملاحة دون غيرها فقوله وكان مستديرا اشار به الى انه اراد بالصفتين معا الحسن والاستدارة قالوا ولم يكن وجهه صلى الله عليه وسلم في غاية التدوير بل هو الى التدوير اقرب لما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة في الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة قال الحافظ ابن حجر ولعل هذا هو الحامل لمن سال اكان وجهه مثل السيف وفي البخاري سئل البراء اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر اي في التدوير ويحتمل ان يكون اراد اي مثل السيف في اللمعان والصقال قال لا بل هو فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وقال الحافظ النسابة ابو الخطاب بن دحيه في كتابه التنوير في مولد النبي صلى الله عليه وسلم عند ايراد حديث البراء المذكور ما لفظه ففي هذا الحديث من العلم ان التشبيه بمن لا يصلح حسنه لا يصلح الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان اولى فرد عليه البراء قوله وقال لا بل مثل القمر لان القمر يملا

الارض

الارض بنوره ويونس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كليل ينزع والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس التي تغشى البصر وتجلب للناظر الضرر وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون عن تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لا يضيء لك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر
فبحسن وجهك كل ليل مشرق ... وببدر وجهك كل يوم مقمر

وعلى كل حال فالتشبيه بالبدر اجمل من التشبيه بالقمر ايضا كما عليه الادباء لكمال التشبيه بكمال البدر انتهى ولبعضهم في الشمس

اوما ترى شمس الاصيل عليلة ... تزداد ما بين المغارب مغربا
مالت لتحجب شخصها فكانما ... مدت على الدنيا ملاءة مذهبا

ولآخر

الشمس في مشرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب
كانها بوتقة احميت ... يجول فيها ذهب ذائب

ولآخر

تظل الشمس ترمقنا بطرف ... مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يابى ... كعنين يحاول فتق بكر

ولآخر

كان طلوع الشمس في كل غدوة ... على ورق الاشجار اول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها ... اليه فتهوي من فروج الاصابع

ولآخر

ولما احتمت منا الغزالة في السما ... وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة ... عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ولآخر: كأن الشمس اذ غربت غريق ... هوى للبحر وافى مغاصا
فوافاها الهلال على غنيب ... بزورقه يريد لها خلاصا

ومن احسن التضمين قول السيد محمد العريجي

لا يدعي قمر لوجهك نسبة ... فاخاف ان يسود وجه المدعي
والشمس لو علمت بانك دونها ... هبطت اليك من المحل الارفع

والقلامة ما يسقط من الظفر بعد قطعه قال في القاموس قلم الظفر يقلمه وقلمه قطعه والقلامة ما سقط منه ومقالم الرمح كعوبه وكمنبر وعاء قضيب البعير وبهاء وعاء قلم الكتابة والقالم العرب جمعه قلمة محركة انتهى وقد بالغ الناظم في وصف السقاة حيث جعل صدره شمسا فهو تشبيه بليغ بحذف اداته وجعله شمسا حقيقة ادعاء او من باب الاستعارة على حد قوله: قد زر ازراره على القمر، وان كان فيه الجمع بين المشبه والمشبه به لان ذلك انما يضر ان لو كان على وجه ينبي عن التشبيه اما اذا كان على وجه لا ينبي عن التشبيه فانه تجوز فيه الاستعارة على ما عليه المولى سعد الدين وغيره وزاد في المبالغة حيث جعل البدر قلامة ظفره قال الناظم رحمه الله تعالى

يصمي القلوب اذا رمى ... عن قوس حاجبه سهامه

الصمي هو الرمي مع القتل يقال اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفي الحديث كل ما اصميت ودع ما انميت وفي القاموس الصميان محركة التقلب والوثب والسرعة صمى واصمى والشجاع الصادق الحملة واصمى الصيد رماه فقتله مكانه والفرس على لجامه عض وصمى الصيد يصمي مات مكانه والامر فلانا حل به وما صماك عليه ما حملك عليه والقلق

جمع قلب قال في الصحاح في فصل القلب الفؤاد وقد يعبر به عن العقل قال الفراء في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل ثم قال في فأد الفؤاد القلب والجمع الافئدة انتهى وكلامه في الموضعين صريح في ان القلب هو الفؤاد وكذلك قال الشيخ زكي الدين عبد العظيم في نكته على مختصره لصحيح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم افئدتهم مثل افئدة الطير الفؤاد القلب والجمع الافئدة وقوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة كرره لاختلاف اللفظين انتهى وهو صريح ايضا في ترادفهما وفرق بينهما الراغب في كتاب المفردات باعتبار لا يقال الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد اذا اعتبر فيه معنى التفؤد اي التوقد ذكره في فأد وقال في قلب قلب الانسان قيل سمي به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقال في صدر قال بعض الحكماء حيثما ذكر الله تعالى القلب فاشارة الى العقل والعلم نحو ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها وسمي بالقلب لكثرة تقلبه في خواطره وعزمه قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

قال الزمخشري مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه وروى ابو موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا لظهر والى هذا المثل اشار المتنبي بقوله: كريشة في مهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

وقيل الفواد عبارة عن باطن القلب وقيل الفواد عين القلب وقيل
الفواد غشاء القلب والقلب جثته وسويداوه والقلب هو
الشكل الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص
وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح
ومعدنه وعليه الجمهور خلافا لمن انكر ذلك وهذا المعنى يتعلق به
غرض الاطبا واما غرض السادة الصوفية فهو كما قال الغزالي لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة
هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان
وهو المخاطب والمعاتب والمطالب قال بعض الصوفية وليعلم ان
القلب صورة وهي المضغة التي اثبتها النبي صلي الله عليه وسلم
لجميع اولاد ادم بقوله ان في جسد ابن ادم مضغة الحديث وهي موجودة
للبهائم ايضا بل هي موجودة للميت وهي قطعة لحم لا قدر له وهو
من عالم الملك وان له روحا وهو الذي اثبت لبعض دون بعض بقوله
تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقد سمى الله من لم يكن له روح
للقلب ميتا بقوله تعالى انك لا تسمع الموتى واما منشاء صورة
القلب التي هي المضغة فهو الذرة التي استخرجها الله من ظهر آدم
يوم الميثاق واما منشاء روحه الذي هو بذر حي فهو الذي استفادته
الذرة عند استماع خطاب الست بربكم من الفيض الالهي فكما أن تلك
الذرة المستخرجة صارت بذر شجرة القلب وثمرتها وهي القلب كذلك
صار ذلك الفيض المستفاد من الفيض الالهي بذر شجرة روح القلب
وثمرتها وهي روح روحه وهو الذي اخبر الله تعالى بقوله كتب في قلوبهم

الايمان

الايمان وايدهم بروح منه وهو الايمان الفطري عند خطاب
الست بربكم وهو بذر شجرة الايمان الكسبي اذا امنوا وعملوا الصالحات
انتهى وللقلب اخلاق فمنها التوبة والانابة والورع والرقة والتوحيد
والصفا والوفا والصبر والقناعة والذكر والفكر والمراقبة والتزهد
والتواجد والحزن والصدق والاخلاص والحيا والعلم والسخا والحلم
والانابة والديانة والسماحة والشجاعة والزهد والفقر والاستسلام
والانقياد والندامة والشفقة والرحمة وله صفات حميدة عديدة
أخر قد ذكر الامام الغزالي في الاحياء امثلته وخاصته بما فيه
الشفا فليراجع انتهى وقد اختلف العلماء هل العقل مسكنه
في القلب او الراس فذهب الامام الاعظم الى أنه في الراس ونوره
ممتد الى القلب وذهب الامام الشافعي الى انه في القلب ونوره متصل
الى الدماغ وقيل محله هما معا وقال امام الحرمين لا محل له معين ووقع السؤال
عن العقل هل هو من قبيل الاعراض او الجواهر اولا وله وعلى كل هل مخصوص
بالنوع الانساني او هو كلي مشترك بينه وبين كل حي مخلوق وعلى ذلك
هل هو من الكلي المشكك او المتواطي والجواب هو عند علماء السنة عرض
قائم بالقلب متصل بالدماغ او بالراس متصل بالقلب ويزيد وينقص
وعند الحكماء جوهر مجرد عن المادة مقارن لها في الفعل وهو للانسان والملك
والجن لكنه في النوع الانساني اكمل ومن ثم كان من قبيل المشكك لا المتواطي
والمشكك هو اتحاد اللفظ وتعدد الحكم مع النظر الى زيادته ونقصه
ضعفا وقوة والمتواطي هو المساوي في اللفظ والحكم انتهى وقوله اذا
رمى قال في القاموس رمى الشيء وبه القاه كارمى غارمي وعلى الخمسين زاد

رد على هذا البحث

كما رمى الله بصره وفي يده وانفه وغير ذلك دعا عليه والسهم عن القوس
وعليها لا ابعاد رميًا ورماية بالكسر ورامينه مراماة ورماء وترماوا وترامى
الامر تراخى وآل امره الى الظفر والمرماة كمسحاة سهم صغير ضعيف او
سهم يتعلم به الرمي وأرماه القاه من يده وكفني صغار من السحاب
او سحابة عظيمة القطر والوقع جمع ارماء وارمية ورمايا وارتمت به
البلاد وترامت اخرجته والرما كالي صوت المجري يرمي به الصبي قوله
سهامه المراد بالسهم هنا النبل ويطلق على الحظ وعلى القدح يقامر
به وبضمتين غزاعين الشمس والجرادة والغالية والمغلاة والحكماء
الجمال والسهم بالضم القرابة والنصيب وكسحاب حر السموم ووهج
الصيف وابل مستهمة كمعظمة والساهمة الناقة الضامرة والسهوم العبوس
وبالفتح العقاب الطاير وذو السهم معاوية بن عامر لانه كان يعطي سهم
اصحابه ورجل مستهم الجسم ذاهبه في الحب واسهم فهو مسهم كاسهب فهو مسهب
زنة ومعنى وساهم فرس كان لكنده انتهى قاموس ومعنى البيت ان الشاعر
اذا قابل بوجهه من يعشقه يميت قلبه بما يخيل له من السهام البحتري
من قسي الحواجب وتشبيه الحواجب بالقسي امر تداولته اهل الادب
قال الشاعر يا قوم قد شغفني وحديه رجا على قضيب اراك ناعم نضر
في حاجبيه وعينيه ومنطقه ٭ شبه من القسي والاسهام والدرر
وقال آخر فديتك ايها الرامي بقوس ٭ وطرف يا ضنا جسدي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب ٭ وشبه الشي ينجذب اليه
ويعجبني فرام ولما رماني بالسهام تعمدا ٭ وفيها نصال الهجر حتى انثلا صدري
فقلت له لا ترم قلبي فانه ٭ مكانك والمرمى انت ولا تدري

وقال آخر ٭ واهيف القد ذي دلال ٭ طار قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال ٭ يرمي الى البدر بالكواكب
قال الناظم رحمه الله ويروق حسنًا ان رنا ويفوق آرامًا برامه
ويروق اي يخلص حسنا قال في القاموس الروق من الشباب اوله
والسيد والصافي من الماء وغيره والمعجب والاعجاب بالشي وقدر
والجماعة والحب الخالص وروق محمد بن الحسن الرومي ومصدر راق
عليه اوزاد عليه فضلا ورمي بارواقه على الدابة ركبها والقت
السحابة ارواقها اي مطرها ووبلها اي مياهها الصافية وارواق
الليل اثناء ظلمته ومن العين جوانبها واسبلت ارواقها سالت دموعها
والرواق ككتاب وغراب بيت كالفسطاط او سقف في مقدم البيت
وجمعه اروقة وروق بالضم وصاحب العين والراووق المصفاة
والباطية والكاس بعينها وريق الشباب بالفتح وكيس اوله واصله
ريق والريوقة الشا ليسير والجميل جدًا وبالفتح الجمال الرائق
انتهى وحسنا تمييز محول عن الفاعل والاصل يروق حسنه ورنا اليه
ادام النظر فهو ران اي ناظر ويفوق يعلو قال في القاموس وفاق
اصحابه فوقا وفواقا علاهم بالشرف والفايق الخيار من كل شي
والفوقة محركة الادباء الخطباء وفوق ملك للروم نسبت اليه
الدنانير الفوقية وتفوق ترفع ورجل مستفيق كثير النوم هـ
وافتاق افتقر وشاعر مفيق مفلق والآرام جمع ريم وهي الظباء
البيض الخالصة البياض ويطلق الريم على آخر النهار الى اختلاط
الظلمة وعلى انضمام فم الجرح للبرء والساعة الطويلة والدرجة

والزيادة والبراح والمربم كمقعد هي التي تحت حدث الرجال
ولا تنجز واسم وريم عليه زادو ريمان موضعان والجبال الصغا
والقبر او وسطه والرامة كما تقدم مكان في الحجاز يغلب على اهلها
الجمال وكثيرا ما تغزلت الشعرا بارام رامة من ذلك قولهم من نوشح
يا ريم رامة تلفت نحوي وخلي نفارك • عقدا اصطبار وتقلت
وقد تباعد مزارك قال الناظم رحمه الله تعالى •
ابي لها ثغر حلا ذوقا لمن رام التثامه • الثغر الفم
او الاسنان او مقدمها او ما دامت في منابتها ويطلق على ما يلي
دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان وثغر كمنع ثلم والثلمة
سدها ضد والثغرة بالضم نقرة النحر بين الترقوتين •
والناحية من الطريق السهل واثغر الغلام القى ثغره ونبت ثغره
ضد واستوا ثغورا اي متفرقين الواحدة ثغر وكصبور حصن • الارمي
باليمن كجبير وكصيرة ناحية من اعراض المدينة على ساكنها افضل
الصلوة والسلام وانى في اول البيت موضوعة للاستفهام وتارة
تستعمل بمعنى كيف ويجب ان يكون بعدها فعل نحو فاتوا حرثكم انى شئتم
اى على اي حال ومن اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى موضع الحرث
وأخرى بمعنى من اين نحو انى لك هذا اي من اين لك هذا الرزق الاتي كل
يوم ويحتمل انها في المعنيين من باب الاشتراك وان تكون في احدهما
حقيقة وفي الاخر مجاز وقد ذكر بعض النحاة ان انى بمعنى اين الا
انه في الاستعمال يكون مع من ظاهرة كما في قوله من اين عشرون لنا
من انى او مقدرة كقوله تعالى انى لك هذا اي من اين وهي مختصة

بالتصور

بالتصور بخلاف هل فانها تخرج عن معنى الاستفهام الى التعجب
كما ذكر موضعه قوله حلا قال في المختار الحلو ضد المر وقد حلا
الشيء يحلو حلاوة وتحالت المراة اظهرت حلاوة وعجبا والحلي
حلي المراة وجمعه حُلي مثل ثدي وثُدي وقد تكسر الحاء وقرئ من
حليهم بضم الحاء وكسرها وحلية السيف جمعها حلى مثل لحية ولحى
وحلية الرجل صفته وحلى فلان بعيني وفي عيني وفي بصري وبصدري
وفي صدري بالكسر حلاوة اذا اعجبني وقال الاصمعي حلا في عيني
بالكسر وحلا في فمي بالفتح وتحلى به تزين وقوله لم يحل منه بطائل لم
يستفد منه كبير فائدة والحلوا التي تؤكل تمد وتقصر وقوله ذوقا
تمييز محول عن الفاعل والاصل حلا ذوقه قال في القاموس ذاقه ذوقا
وذواقا ومذاقا ومذاقة اختبر طعمه واذقته انا وذاق القوس
جذب وترها اختبارا واذاق زيد بعدك كرما اى صار كريما وتذوقه
ذاق مرة بعد مرة وتذاوقوا الرماح تناولوها قوله لمن رام الروم
الطلب كالمرام ويطلق على شحمة الاذن وعلى حركة مختلسة •
وبالضم رجل من ولد ابصور وابصور رجل رومي والرومة بالضم
الغراء يلصق به ريش السهم وتروم به تمن والرام شجر والله اعلم
قوله التثامه اى تقبيله قال في القاموس لثم فاها كسمع وضرب
قبلها ولثم البعير الحجارة بخفه يلثمها كسرها وانفه لكمه •
وككتاب ما على الفم من النقاب ولثمت والتثمت وتلثمت شدته
وهي حسنة اللثمة بالكسر واللثيمة كسبعة سريعة وبعض البيت
من ابن الظبا رامة ثغر قد حلا ذوقه لمن رام تقبيله فهو تنوع

لما ادعاه الناظم من وصفها لسقاه بانها تفوق ارام رامه ومما
قيل في الثغر • سألته في ثغره قبلة • فقال ثغري لم يجز لثمه
فهاكها في الخد واقنع بها • ما قارب الشيء له حكمه
وقال آخر • انفقت كنز مدايحي في ثغره • وجمعت فيه كل معنى شارد
وسألته في قبلة احظى بها • فأبى وراح تغزلي في البارد
وقال آخر لم لا أهيم من الرياض وحسنها • وأظل منها تحت ظل صافي
فالزهر حياني بثغر باسم • والماء وافاني بقلب صافي
وللعز الموصلي • لقد كنت لي وخد وجهك روضتي • ولي في لماك الرضاب ماء
فهل ضرني في ورد خدك عارض • وزاحمني في ورد ثغرك شارب
ولأبي الصلت • دب العذار بخده ثم انثنى • عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لا غرو ان خشي الردى في لثمه • فالريق سم قاتل للعقرب
وفي المعنى • ايتها النفس ليه اذهبي • فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة • مسكية في خده المذهب
ولابن النحاس عرضت على رقيا محاسن وجهه • بأنوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره • بدأت ببسم الله في النظم اولا
وللصلاح الصفدي • احببته كالغصن كم شاعر • له عليه نوح ورثاء
وثغره الصادي من حسنه • يختار في تشبيهه الطائي
وليوسف بن مسعود الصواف •
رأى ثغر من اهوى عذولي فقال لي • ولم يدر ان اللوم في حبه يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه • واحسن ما كان الرباط على الثغر
ومن قول النواجي •

لله

لله ثغر للحبيب تجمعت • في ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله مسك الختام • وفيه فليتنافس المتنافس
وللصلاح الصفدي اشبه الخال على ثغره • تشبيه من لا عنده شك
بسبحة من جوهر اودعت • حق عقيق ختمه مسك
ولبعضهم • وشاعر سحر في طرفه • ورقة الالفاظ من شعره
انشدني نظما بديعا فما • احسن ذاك النظم من ثغره
ولآخر • وحلو الذوق ذو شعر وثغر • نظامهما حلا للناظرين
فقال نظمت قلت الدر ثغرا • فقال نثرت قلت دموع عيني
وللامير حسين المعروف بابن الاعوج
آه من لي بظبية فتانه • وهي تلهو ومهجتي ولهانه
ذات ثغر كانه اللؤلؤ الرطب • حكى كفها وحاكى بنانه
قال صاحب الخانة قولهم اللؤلؤ الرطب هو كناية عما فيه من ما
الرونق والبها ونعومة البشرة لان الرطوبة فضل تقدم لذاته لما
وهي تنوب عنه في الذكر وليس المراد بالرطوبة فيه المعنى الذي هو
نقيض اليبوسة قاله ابو ريحان في كتابه الجواهر • وقوله حكى
كفها المراد بمحاكاة كفها في تناسب اصابعه وملسها وانها ومحاكاة
لبنانه في حمرتها وهذان البيتان من قصيدة طويلة وله من
قصيدة اخرى • تبدت فاضحى البدر في الافق غائبا • وشامت فاوى الظبي
في البيد هاربا • ربيبة خدر يحسد الحسن وجهها • بسهم لحاظ يكحل
القوس حاجبا • اذا ابتسمت عن صبح ثغر منور • تشاهد منها
في النهار كواكبا • وللسيد محمد العرضي •

تلك الثنايا واشتغاي بها ، باتت تريني عند لثم الطريق
تبددت من غيرة عندها ، سبحة دُرٍّ نظمت في عقيق

أخذه من قول الصلاح الصفدي اشبه الخال الخ كما تقدم آنفا ومن ابدع في ذكر الثنايا والثغر واغرب ، واتي بما فيها العجب العجاب الاعجب عبد الرحمن بن ابراهيم الموصلي وذكر قصيدة عجيبة فاحببت ذكرها برمتها لاجل التملي بفرايد ابكارها ، والجنا من خمايل ازهارها وهي

سلبوا الغصون معاطفا وقدودا ، وتقاسموا ورد الرياض خدودا
طعنوا القلوب بما نلاشي دونه ، طعن الرماح وسددوا تسديدا
فتنوا الورى بلواحظ وتجاوروا ، بالفتك من نهب العقول حدودا
ترك الحلي سآمة واستبدلوا ، حلل المحاسن والبهاء برودا
فغدوا بها مستغنيين ولي النهى ، مما يشتهيك طارفا وتليدا
نظموا الثنايا في المباسم لولؤا ، تحت الزبرجد والعقيق عقودا
تخذوا البنفسج في الشقيق عوارضا ، والياسمين معاطفا ونهودا
بدلوا الحنون من الخناصر فقة ، واستبدلوا حق اللجين نهودا
فهم الملوك الصايلون على الورى ، وهم الظبا الغايدون أسودا
نظروا الى الجوزاء دون محلهم ، فغدوا على هام السماك قعودا
من كل من خجل الدجى فرعا له ، والبدر وجها والصباح الجيدا
ريان من ماء النعيم اذا بدا ، خرت له زهر النجوم سجودا
كالماء جسما غير أن فؤاده ، اضحى على اهل الهوى جلمودا
تزدا دمن فرط الحياء خدوده ، عند استماع تولهي توريدا

لو

لو ابصر النصاح فايق وجهه ، عذلوا العذول وجاذبوا التفنيدا
او لو رآه راهب من بيعة ، القى الصليب ولازموا التوحيدا
كم ذا تذكرني العقيق خدوده ، وانظر محاجر والعذار زرودا
واذا بدا متلفتا من عجبه ، بالجيد اذكر في طلاه العيدا
ما الظبي احسن لفتة من جيده ، عند النفار واذا اقام شهودا
يحمي اللمى والخد عقرب صدغه ، عن وارد من ان يروم ورودا
قد رق منه الخصر حتى خلته ، عند اهتزاز قوامه مفقودا
ما خلته الا النسيم اذا سرى ، بين الرياض وان اطال صدودا

قلت قال الاميني لولا ان قصدت استجلاب الثنا لضمنت هذا الاديب هذه الابيات خوفا من ان لا يراعي حقها عند اهل التاديب ، ولوددت انها علقت في جبهة الاسد الكاسر ، او ضمت للنيرات في الفلك العاشر ، ولجعلهم وشاكلت ملحا في الحسن اربعة ، ما في الرياض وما في الاشجار من ملح
ثغر ونهد وخد واختضاب يد ، كالطلع والورد والرمان والبلح
ولاخر ، وكانما الثغر الشهي رضابه ، ضمن الشفاه مع الوشام الاخضر
در نضيد ضمن حق زبرجد ، وله غطا من عقيق احمر
وقال اخر ، والله لا ادري باي صفاته ، ملك القلوب فاوثقت في اسره
ابوجهه ام شعره ام ثغره ، أم نحره ام ردفه ام خصره

وقال محمد الجابري مضمنا

فديت من الملاح غزال انس ، له قد نثني كالرداح
وخد رايق يزهو كورد ، وثغر زانه حسن الاقاح
وان فخر النهار بضوء صبح ، فاني بالملاحة ذو انشراح

جبين والمقبل والثنايا • صباح في صباح في صباح

• ويعجبني قول عنترة •

ولقد ذكرتك والرماح نواهل • مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل الرماح لأنها • لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقد تلاعبت في هذا المعنى الشعراء قديما وحديثا قال مصعب ابن

زرارة ولقد ذكرتك والمنية بيننا • تحت الخوافق والقلوب خوافق

قال مجنون ليلى ذكرتك والحجيج له ضجيج • بمكة والقلوب لها وجيب

• الوزير بن الحسن بن القبطرنة •

ذكرت سليمى وحر الوغى • بقلبي ساعة فارقتها

وابصرت بين القنا قدها • وقد ملن نحوي فعانقتها

• ابو طالب الرقي •

ولقد ذكرتك والظلام كأنه • يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

عطية السلمي • ولقد ذكرتك والرماح تنوشني • عند الامام وساعدي مغلول

ولقد ذكرتك والذي انا عبده • والسيف بين ذؤابتي مسلول

ابن حيا • ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت • امواجه والكرم منه على حذر

الصفي الحلي • ولقد ذكرتك والجماجم وقع • تحت السنابك والاكف تطير

والهام في افق العجاجة حوم • فكأنها فوق النسور نسور

فظننت اني في مجالس لذتي • والراح تحكي والكؤس تدور

ولد ايضا • ولقد ذكرتك والعجاج كأنه • مطل الغني وسوء عيش المعسر

فظننت اني في صباح مسفر • من ضوء وجهك او سنا مبتسم

• الطغرائي وما ارق قوله •

اني لاذكركم وقد بلغ الظما • مني فاشرق بالزلال البارد

واقول ليت احبتي عاينتهم • قبل الممات ولو بيوم واحد

ابو عطا السندي الحامي •

ذكرتك والخطي يخطر بيننا • وقد نهلت مني المثقفة السمر

وقال محمد الحلي • ولقد ذكرتك والوجوه سواهم • والجو من نقع السلاهب مظلم

والحرب تسعر بالحتوف كماتها • والبيض تنثر والعوالي تنتظم

وكأنما خضر الدروع مجرة • وسنا المغافر في سماها انجم

فغدوت اقتحم المعامع ادخكت • معنى لحسنك ابلجا يتبسم

وكنت قلت في عام خمس وثلاثين بعد المائة ونحن في السفينة

وقد كثرت البروق والرعود وثارت الارياح واشرفت الانفس على

معارقة الاشباح •

ولقد ذكرتك والبروق لوامع • والروح تزهق والنفوس تصاد

ولقد ذكرتك في السفينة اذ غدت • لجج البحار كأنها اطواد

وقال ابن رشيق • ولقد ذكرتك في السفينة والردا • متوقع بتلاطم الامواج

وعلت لاصحاب السفينة ضجة • وانا وذكرك في البحار نناجي

قال الناظم رحمه الله اني لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه

قال في القاموس الوجه مستقبل الكل شي جمعه اوجه ووجوه واجوه

ونفس الشي ومن الدهر اوله ومن النجم ما بدا لك منه ومن الكلام السبيل

المقصود وسيد القوم والوجهة بالضم والكسر الجانب والناحية

ووجهه كوعده ضرب وجهه فهو موجوه ووجهه توجيها ارسله

وشرفه كاوجهه والمطرة الارض صيرتها وجها واحدا ووجهك •

ووجهك مثلثين تلقاء وجهك ولقيته وجاها ومواجهة بوجهه وتواجها تقابلا ووجاه الف بالكسر ذهاوه والوجيه ذو الجاه جمعه وجها ووجهه صادفه وجيها وتوجيه القوايم كالصدف اوهو تدانى الحافرين والتواء في الرسغين وفي الشعر الحرف الذي قبل الروي في القافية المقيدة وان تضمه وتفتحه والجهة بالكسر والضم الناحية كالوجهه والمراد بالوجه وجه الانسان وانما خص الوجه بالذكر دون باقي محاسن الانسان لانه هو الاصل الجامع لمعظم المحاسن فقد ذكروا ان الملاحة في العيون وفي الثنايا وفي الفم وفي الحواجب والخدود والثغر والجبهة والجبين والانف وكل ذلك مجموع في الوجه وانما سمي وجها لانه تقع به المواجهة وحده الفقهاء بانه من مبدا سطح الجبهة الى اسفل الذقن طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن عرضا وله احكام تخصه في الفقه منها انه يفترض غسل الوجه الحد المذكور في الوضوء ومسحه في التيمم وعدم ستره للمراة في الصلوة لانه ليس بعورة ولا يلزم من كونه غير عورة حل النظر لان النظر لا يخلو عن شهوة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه حتى لو فقدت الشهوة فيها بان كانت عجوزا شوها جاز النظر اليها ومن العجائب ان الله تعالى من حين خلق آدم لم تكمل المشابهة في الوجوه من كل جهة بل ان وافق احد احدا في عينيه اختلفا في الانف مثلا او فيه اختلف في الحواجب فالحاصل انه لا يمكن الموافقة من كل جهة وهذه حكمة ربانية وقد ذكرت الحكماء ان احسن ما في الانسان وجهه فان كان حسنا فما بعده من الصفات حسنة وان

كان قبيحا فما بعده من الصفات قبيح وقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه قال بعضهم ثلاثة تذهب عنا الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن وقد يطلق الوجه على الذات كما في قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله اي ذاته وقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام اي تبقى ذاته لانه مما يجب تاويله تنزيها للباري عن صفات الحوادث وعن الحسن رضي الله عنه النظر الى الوجه الحسن عبادة وقيل النظر الى الوجه الحسن والماء والخضرة يزيد في العقل ونور البصر والوجه اسم مفازة في طريق نجد وقد تلاعبت به الشعراء كثيرا قال

ولما رايت الوجه سال من الحيا ... وقد طاب فيه للحجيج مقام
ومدوا الى البيت الطويل اكفهم ... فجاد عليهم بالنوال غمام
فقلت سقيا عندها ورعيا لمسيله ... بوبل سحاب ليس فيه جهام
على ذلك الوجه المليح تحية ... مباركة من ربنا وسلام

وقال اخر ... اتيت الى الحجاز فقلت لما ... تبدا وجهه لي وارتويت
وكم في الارض من وجه مليح ... ولكن مثل وجهك ما رايت

وقال اخر ... تعففت عن زاد الرفيق ومائه ... وسرت لبيت الله اقصد لشكره
ووفرت ماء عندي احترازا وانني ... لصوني ماء الوجه لم ار ما اكره

وقد ذمه الفقير الي حين دخل اليه ولم يجد ماء فيه بقوله

اقول وقد جينا الى الوجه جمعنا ... عطاشا وكل خاب فيه رجاؤه
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

وقد ضمن هذين البيتين يوسف البديعي بقوله

شكى اهل وجه قلة الماء عندهم ... وان الحيا سحت عليهم سماؤه

فقلت لهم لولا لهم فيه اسوة • اذا قل ماء الوجه قل حياؤه •
وبهذا تعلم مذهب العرب واهل الادب في مدح الشي وذمه كما فعل
الحريري في الديناريه وقد الف الثعالبي وابن رشيق في ذلك قال اكثر
ما تجري هذه المحامد والمذام على جهة المسامحة لا من باب المشاححه •
والا فالشي لا يتوافق ضده فيكون الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا في حالة
واحدة لمعنى واحد لكن لكل شي كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن كما فعل
عمرو بن الاهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد
الزبرقان بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه قال عمرو اجل يا رسول
الله انه مانع حوزه مطاع في دينه شديد المعارضة فقال
الزبرقان اما والله لقد علم اكثر مما قال ولكن حسدني على شرفي فقال
عمرو اما اذ قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروة
لئيم الخال حديث الغنا فبانت الكراهة في عين النبي صلى الله عليه
وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت
وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما كذبت في الثانية ولقد صدقت في
الاولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكمة ولقد احسن ابن
الرومي حيث قال • في زخرف القول تزيين لباطله • والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان تعب قلت ذا قي الزنابير •
مدحًا وذمًا وما جاوزت حدهما • سحر البيان يري الظلماء في النور •
ومما تغزل به في الوجه للصلاح الصفدي •
يذوب فؤادي عند رؤية وجهه • ولم ذاب من شمس النهار جليد •
ويحيي به وجدي وخزني خاله • كما ان دمع المقلتين يزيد •

وله

وله • بروحي وجهه الحمر اضحت • عليه شامة شرط المحبه •
كان الحسن يعشقه قديمًا • فنقطه بدينار وحبه • وقال
آخر • وبين الوجه والشفتين خال • كزنجي اتى روضا صباحًا •
تحير في الرياض فليس يدري • ايجني الورد ام يجني الاقاحا •
ابن صابر المنجنيقي اهلا بوجه كالبدر حسنا • صير في حبه هلالا •
قدر قحتى لحظت فيه • سواد عيني فجلت خالا •
وقال آخر • نظرت اليه نظرة فتحيرت • دقائق فكري في بديع صفاته
فاوحي اليه الوهم اني احبه • فاثر ذاك الوهم في وجناته •
لابن تميم • رايت حبة قلبي حين لاح لها • محبوبها نفرت من حر افكاري •
ثم استجارت بوجه منه فهي به • كالمستجير من الرمضا بالنار •
آخر لهيب الوجه حين راه طرفي • هوى قلبي عليه كالفراش •
فاحرقه فصار عليه خالًا • وها اثر الدخان على الحواشي •
آخر بوجه معذبي آيات حسن • فقل ما شئت فيه ولا تحاشي •
ونسخة حسنه قريت فصحت • وها خط الكمال على الحواشي • وقال
آخر • اعد نظر الخافي الوجه نبت • حماه الله من ريب المنون •
ولكن راق ماء الوجه حتى • ترآت فيه اهداب الجفون •
ولابن مخلك واحسن •
لما صفت مرآة وجهك ايقنت • اهواي اني عدت فيه خيالا •
فحسبت اهدابي بوجهك عارضًا • وظننت انساني بوجهك خالا •
محمد بن زين العابدين الجوهري •
بالذي اودع لحظك • حبيب القلب حتفا

وسقاني منهما كاساً . سريع السكر صرفا .
وحبا خدك وردا . وحبا لشكلك ظرفا .
جد على صب كئيب . ذي اوار ليس يطفي .

ولجمال الحرفوش من هذا القبيل

بالذي انشاك فردا . وكسا خديك وردا . والذي اعطاك حسنا
فات اهل العصر حدا . والذي اولى فوادي . منك اعراضاً وصدا
صل معنى فيك يقضي . الليل تسهيدا وصدا . وهذا على اسلوب

عبد المحسن الصوري في ابياته المشهورة وهي

بالذي الهم تعذيبي . ثناياك العذابا . والذي البس خديك
من الورد نقابا . والذي صير حظي . منك هجراً واجتنابا
يا غزالا رشق القلب . بسهم فاصابا . ما الذي قالته عيناك
لقلبي فاجابا . ابو جعفر محمد بن جرير الطبري

اذا اعسرت لم يعلم شقيقي . واستغني فيستغني صديقي .
حيائي حافظ لي ماء وجهي . ورفقي في مطالبتي رفيقي .
ولو اني سمحت ببذل وجهي . لكنت الى الغنى سهل الطريق .
وللشهاب الخفاجي . على خده مذ لاح نبت عذاره . جرادي صبب في الجذوات
اذا ما استدارت دارت البدر حوله . فان وقوع القطر غير عجيب .
لطيفة قيل لما دخل ابو عبد الله احمد بن الخياط الدمشقي الى حلب
وهو رقيق الحال لا يقدر على شيء فكتب الى ابن ابي الفتيان بن حيوس
الشاعر المشهور يستمنحه مبرة بهذين البيتين .
لم يبق عندي ما يباع بحبة . وكفاك مني منظري عن مخبري .

الا بقية ماء وجه صنتها . عن ان تباع فاين اين المشتري .
فلما وقف عليهما وصله وقال ولو قال فانت انت المشتري لكان
حسنا لطيفة اخرى قيل ان الوجيه المعروف بابن الدهان كان
فقيها حنفيا بعد ان كان حنبليا ثم شغر منصب تدريس النحو
بالمدرسة النظامية وشرط الواقف انه لا يفوض الا لشافعي فترك
مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وانتقل الى مذهب الامام الشافعي
وفي ذلك يقول المؤيد ابو البركات بن زيد التكريتي الشاعر المشهور
من مبلغ عني الوجيه رسالة . ان كان قد تجدي اليه الرسايل .
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل . وذلك لما اعوزتك الماكل .
وما اخترت رأي الشافعي تدينا . ولكنما تهوى الذي منه حاصل .
وعما قليل انت لا شك صاير . الى مالك فافطن لما انا قايل .
وقول الناظم يشب بقلب ميمم ضرامه يشب اي يوقد قال في الصحاح
وشب النار والحرب اوقدها وبابه رد وشبوبا ايضا بضم الشين والشبوب
بالفتح ما توقد به النار انتهى وتقدم الكلام على القلب والضرام ومعنى
هذا البيت كالذي قبله تقويا لدعواه من ان السقاة تفوق الامراء
لان للسقاة وجها اذا نظرها الراي او قدرت بقلبه من شدة حسنه
شعلة نار قال الناظم رحمه الله تعالى .

استغفر الله للغو لا يرى الشرع اعتبارا منه لما ذكر الناظم
السقاة ووصفهم بالاوصاف المتقدمة فربما يظن به ان له ميلا لهم
او مقصوده الترغيب فيهم لا التنفير عنهم وليس كذلك لانه كان يقول
وان كانوا بهذه الثانيات كلها وقد اشتملوا على هذه الصفات الحسان

فاياك ان تركن اليهم او تميل بنظرك الى صورهم فان ذلك لعقوق
وضياع فاراد ايضاح هذا المرام فقال استغفر الله الخ فاشار بطلب
المغفرة لهذه النكتة اللطيفة اي اطلب من الله المغفرة وهي ستر الذنب
المقتضي ذلك لعفو عنه والمسامحة فيه وعدم المؤاخذة به وهو
من الافعال المتعدية الى مفعولين احدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ثم
توسعوا فيه فحذفوا الجار منه لكثرة الاستعمال فصار في اللفظ كانه
لاثنين ثم حرف الجر تارة يكون من كما في بيت البردة وهو قوله
استغفر الله من قول بلا عمل وتارة يكون اللام كما في قول الناظم
ومنه قوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم فعند الحذف يجوز ان يكون المحذوف
احدهما فيتعدى وهذه الافعال وردت مسموعة بحرف الجار تارة وتركه
اخرى وهي اختار وامر واستغفر وهذه الثلاثة اشتهرت كثيرا وغيرها
دونها في الرتبة وهي سمى وكنى ودعى وزوج وصدق وخبر وهدى وفرق
وقوع وجا واشتاق وراح وتعرض ونأى وحن وزعم الجرجاني ان
من باب اختار كلت ووزنت وزعم ابن الطراوة وتلميذه السهيلي ان
استغفر ليس اصلها التعدية الى الثاني بحرف الجر بل الاصل ان تعدى
اليه بنفسه وتعديته بمن انما هو تضمن طلب التوبة والخروج من الذنب
ولا يخفى ان الاستغفار وسيلة الى الرحمة وذريعة الى النعمة كيف لا وقد
قال الله تعالى لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون وقال تعالى واستغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الاية قيل في هذه الاية
ان الله تعالى كان حبس عن قوم نوح المطر حتى لم يبق لهم دابة ولا نبات
اخضر واعقم ارحام النساء واصلاب الرجال حتى لم يكن لهم ولد في مدة

سبع سنين وعبارة البيضاوي حبس الله عنهم القطر اربعين سنة
واعقم ارحام نسائهم انتهى فوعدهم نوح عليه السلام برد ذلك كله
عليهم ان امنوا ومن ثم كانت السنة في الاستسقاء تقديم القرب
والطاعات والاستكثار من الاستغفار كما روي عن عمر رضي الله
تعالى عنه انه خرج للاستسقاء فجعل يكثر من الاستغفار فقيل
له ما سمعناك استسقيت وما زدت على الاستغفار فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ
استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية وكان بكر بن عبد الله
يقول ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا
اقلهم ذنوبا وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت طوبى لمن وجد
في صحيفته استغفارا كثيرا وقال عليه الصلاة والسلام من
لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال فيما يرويه عن ربه يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم
وقال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون كيف وللقلوب صدأ كصدأ
الحديد وجلاؤها الاستغفار كما رواه الطبراني في معجمه عن انس مرفوعا
وقيل لبعضهم كيف حالك وما شأن دينك فقال اخرقه بالمعاصي
وارقعه بالاستغفار وليعلم ان اصل الغفر الستر وغفر المتاع
سترته والمغفر وقاية تستر الرأس في الحرب وفضيلة الاستغفار
ظاهرة لذوي الابصار وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
لولا تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم

فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قبل ومن لازم على هذه
الاشياء السبعة عاش سعيدا ومات شهيدا احدها ان تقول
عند ابتداء كل شيء باسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى
ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا راي ما يستعظم قال
لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله واذا اصابته مصيبة قال
انا لله وانا اليه راجعون واذا اذنب ذنبا قال استغفر الله
واذا اراد ان يعمل فعلا قال ان شاء الله تعالى فينبغي للعاقل
ان يعود لسانه عليها وذكر عن وهب بن منبه ان ابليس عليه
لعنة الله لقي يحيي بن زكرياء عليه وعلى نبينا وسائر الانبيا والمرسلين
افضل الصلوة واتم التسليم فقال له يحيي اخبرني عن طبائع
بني ادم عندكم فقال ابليس لعنه الله اما صنف منهم فهم مثلك
معصومون لا نقدر منهم على شيء وصنف ثان هم بايدينا كالكرة
في ايدي الصبيان والصنف الثالث هم اشد الاصناف علينا
نقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار
فيفسد علينا ما ادركناه منه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك حاجتنا
منه انتهى وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان فر من الزحف
فان قلت هل فرق بين الغفران والعفو ولا وهل الاستغفار توبة
او لا قلت الظاهر ان بينهما فرقا لان الغفران لما لم يطلع عليه
والعفو لما اطلع عليه فقد قيل في قوله تعالى واعف عنا اي عما وقع
منا وانكشف واغفر لنا استر علينا ما علمته منا كذا قاله ابن عطية

وقال بعضهم ان بين مفهوميهما بحسب الوضع عموما وخصوصا
من وجه فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم
من الستر المحو ولا عكسه بان يحاسب بذنبه على رؤوس الاشهاد
ثم يعفو عنه او يستره ويجازيه عليه اما بالنظر الى كرم الله تعالى
فهو اذا ستر عفى فبينهما عموم وخصوص مطلق فلذا يقال في مقام
الملاطفة في الاكثر عفى الله عنه انتهى ولا يخفى ان مجرد الاستغفار
ليس بتوبة لان التوبة الندم والاقلاع ورد المظالم وهي ماخوذة
من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون فالندم ماخوذ من قوله فاستغفروا لذنوبهم
وذلك لان العبد اذا اذنب ذنبا وذكر الله ندم على فعل ما يوجب العقوبة
واما الاقلاع وترك العود ورد المظالم فمستفاد من قوله تعالى ولم
يصروا على ما فعلوا لان من لم يقلع عن الذنب مصر عليه ومن اقلع
وعزم على العود اليه ولو بعد مدة فهو مصر ايضا وكذا من عزم على
ترك العود مطلقا لكن امسك ما غصبه مثلا ولم يرده فهو قد اصر
على ما فعل ومجرد الاستغفار بدون ما ذكر ليس بتوبة وفي الحديث
المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه وما ورد من
قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة اي معظم شروطها الندم كما في
الحديث الاخر الحج عرفة اي معظمه وقوله عليه الصلاة والسلام ما اصر
من استغفر فسر الاستغفار بالتوبة اي تاب وانما حملنا الاستغفار
على التوبة لانه هو الذي يحل عقدة الاصرار ويثبت معناه في الجنان

واما مجردا التلفظ بالاستغفار باللسان من غير ان يكون للقلب
فيه شركة فلا ولذا روي عن الحسن البصري رضي الله عنه انه قال
استغفارنا يحتاج الى استغفار لكن قال الغزالي لا تظن انه يذم
حركة اللسان من حيث كونها ذكرا بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج
الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه **لطيفة** ورد في خبر
مسند ان رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت
واذا بلغ نصف الطريق التفت واذا بلغ ثلثي الطريق التفت
فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لم التفت فيقول لما
بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت
لعلك تغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر
الذنوب الا الله فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق
تذكرت قولك يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا فازددت طمعا فيقول الله تعالى اني
قد غفرت لك **و قوله** اللغو اللغو الساقط الذي لا يعتد به من
كلام وغيره او الباطل قال في المختار لغا لغوا قال باطلا وبابه عدا
وصدا ولغى الشيء ابطله والغى من العدد القى منه واللاغية اللغو
قال تعالى لا يسمع فيها لاغية اي كلمة ذات لغو وقال في القاموس
كلمة لاغية فاحشة ولغي في قوله كسعى ودعا ورضي لغا ولاغية اخطأ
ولغي به كرضي لغا لهج وبالماء اكثر منه وهو لا يروى مع ذلك واما
اللغو في اليمين فهي حلفه في ماض او في حال على شيء كاذبا يظنه
صادقا بخلاف الغموس فانها التعمد في الحلف في الماضي وخص

الثاني

الثاني في اللغو ما جرى على اللسان من غير قصد مثل لا والله وبلى والله
ويجيء اسما للعفو وهو غير مؤاخذ في اللغو قال تعالى لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا
قصد معه لكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان اي
تعمدتم الكذب فيها والله غفور رحيم حيث لم يؤاخذ باللغو حليم
حيث لم يعجل بالعقوبة والمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة **قوله**
بركة الشرع هو والشريعة ما شرعه الله تعالى لعباده وجاءت به
الرسل عليهم الصلاة والسلام وتطلق الشريعة على الظاهر المستقيم
من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما وشرع لهم كمنع سن والناس في
هذا شرع ويحرك اي سواء وحيتان شرع كركع رافعات رؤوسها
والشارع في الاصل كما في القاموس العالم الرباني العامل المعلم
ويطلق على الرسول عليه الصلاة والسلام ويطلق على الله كما في قوله
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية ونسبة الرؤية الى
الشرع ان كان المراد بها الشريعة فهي من النسب المجازية وان اريد
به الشارع كانت النسبة اليه حقيقية والرؤية تتعدى الى مفعول
واحد اذا كانت بالعين وان كانت قلبية وهي المسماة بالعلمية
تعدت الى مفعولين وصارت بمعنى علم من حيث الادراك بالحس الباطن
قال الشاعر ابو حنش يؤرقنا وطلق ° وعمار واونة ابالا
اراهم رفقتي حتى اذا ما ° تجافى الليل وانخزل انخزالا
اذا انا كالذي يجري لورد ° الى آل فلم يدرك بلالا
فهم من اراهم مفعول اول ورفقتي مفعول ثان ولا يجوز بلا دليل

سقوط مفعوليها ولا مفعوليها ويسمى اقتصارا اما عدم سقوط
المفعول الواحد فبالاجماع وفي سقوط مفعوليها خلاف فعن س
والاخفش المنع مطلقا وعن الاكثرين الجواز مطلقا تمسكا بنحو قوله
تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى واما حذفهما لدليل ويسمى اختصارا
فجائز اجماعا نحو قوله

بأي كتاب أم بأية سنة * ترى حبهم عارا علي وتحسب

وفي حذف احدهما اختصارا خلاف فمنعه ابن ملكون واجازه الجمهور
وقد تتعدى الى ثلاثة مفاعيل وذلك اذا دخلت عليها همزة النقل
لان هذه الهمزة تدخل على الفعل الثلاثي فيتعدى بها الى مفعول كان فاعلا
قبل فيصير مفعولا متعديا بعد ان كان لازما نحو جلس زيد واجلست
زيدا او يزاد مفعول ان كان متعديا نحو لبس زيد جبة والبست زيدا
جبة ورايت الحق غالبا واراني الله الحق غالبا وعلمت الصدق نافعا
واعلمني الله الصدق نافعا هذا ان كانت راى الحلمية فان كانت راى
البصرية تعدت الى اثنين بالهمزة كما عرفت فتقول أريت زيدا الهلال
والاصل راى زيد الهلال ومثلها في ذلك علم تتمة اجاز الاخفش
ان يعامل غير راى وعلم من اخواتهما القلبية الثنائية معاملتهما في
النقل الى ثلاثة بالهمزة فيقال على مذهبه اظننت زيدا عمرا فاضلا
وكذلك احسبت واخلت وازعمت ومذهبه في ذلك ضعيف لان المتعدي
بالهمزة فرع المتعدي بالتجرد وليس في الافعال متعد بالتجرد الى ثلاثة
فيحمل عليه متعد بالهمزة وكان مقتضى هذا ان لا ينقل علم وراى الى ثلاثة
لكن ورد السماع بنقلهما فقبل ووجب ان لا يقاس عليهما ولا يستعمل

استعمالها

استعمالهما الا ما سمع ولو ساغ القياس على اعلم واري لجاز ان يقال
اكسيت زيدا عمرا ثوبا وهذا لا يجوز اجماعا انتهى والاعتيام الاختيار
يقال اعتام عقيلة ماله اي خياره ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

فقول طرفة يعتام اي يختار والكرام جمع كريم وهو الشريف الفاضل
ويقال للصفوح كريم لتفضله كما قال الله عز وجل ان ربي غني كريم ويقال
للكثير كريم كما في قوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم اي كثير ويقال
للحسن كريم ومنه مقام كريم اي حسن ويصطفي يختار وعقيلة المال اكرمه
وانفسه عند اهله والفاحش القبيح السيئ الخلق والمتشدد البخيل
وكذلك الشديد وبعده قول طرفة

ارى الدهر كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

الطول الحبل وثنياه ما ثني به ويقال طرفاه والمعنى ارى الموت يعتام
وقتا ما اخطا الفتى والمعنى ان الموت في اخطائه الفتى وان تطاول
عمره بمنزلة حبل بين يدي دابة وطرفه في يد رجل والحبل مرخى فمتى شاء
الرجل جذبه فكانه يقول فكذلك الفتى متعلق بالموت والموت متعلق به
فائدة قد يطلق الاستغفار على الصلوة كما في قوله تعالى في آل عمران والمستغفرين
بالاسحار يعني المصلين وكقوله تعالى في سورة الذاريات وبالاسحار
هم يستغفرون اي يصلون وكقوله تعالى في سورة الانفال وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يصلون
وفي بيت الناظم الخزل وهو اجتماع الاخبان والطي والاضمار اسكان ثاني

السبب المتحرك والطي حذف الرابع الساكن فبعد ان كان الجزء مستفعلن
انتقل الى مفتعلن وهو معيب وان وقع في اشعار المتقدمين مثله كما
اشار اليه صاحب الخزرجية بقوله كذا الباب مجتوي انتهى قال
الناظم رحمه الله تعالى بل ان ارباب العلوم اولى التصدر والامامه
تقدم ان بل تكون للانتقال من اسلوب الى اخر وللاضراب والمراد هنا
الاول لانه لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى الملوك واحوالهم وما صاروا
اليه وذكر الفصحاء والشعراء والكرماء والمواسه والندامه والسقاة
وما هم عليه من الجمال عد ذلك من اللغو فاتى بالاستغفار كما تقدم
ثم انتقل الى ذكر العلماء فقال بل ان ارباب العلوم والارباب جمع
رب ورب كل شيء مالكه والرب اسم من اسماء الله تعالى ولا يقال في
غيره الا بالاضافة قال في القاموس الرب بالالف واللام لا يطلق لغير الله
عز وجل ورب كل شيء مالكه ومستحقه او صاحبه ويجمع ايضا على
ارباب والرباني المتاله العارف بالله عز وجل ومنسوب الى الرب
اي الله تعالى ومربوب بين الربوبية ورب جمع وزاد ولزم واقام
كارب والامر اصلحه والدهن طيبه كربّبه والشيء ملكه والربيب الربو
والمعاهد والمالك وزوج الام والربابة بالكسر العهد والربى كحبلى
الشاة اذا ولدت واذا مات ولدها ايضا والاحسان والنعمة والحاجة
والعقدة المحكمة جمع رباب بالضم نادر والارباب بالكسر الدنو
والرباب السحاب الابيض واحدته بالهاء والة لهو يضرب بها والرب
محركة الماء الكثير واخذه بربانه بالضم ويفتح اي اوله او جميعه
ورب ورب وربما وربتما بضمهن مشددات ومخففات وبفتحهن

كذلك وربو بضمتين مخففة ورب كمذ حرف خافض لا يقع الا على نكرة
او اسم وقيل كلمة تقليل او تكثير او لهما او في موضع المباهات للتكثير
او لم توضع للتقليل ولا للتكثير بل يستفادان من سياق الكلام
واسم جمادى الاخرة ربا ورب والاخرة ربي وربة وذي القعدة
ربت بضمهن والرابة امراة الاب والربة بالضم سلافة خثارة كل
ثمرة بعد اعتصارها والربان بالضم رئيس الملاحين كالرباني والمرب
المنعم والربرب القطيع من بقر الوحش انتهى والعلوم جمع علم وقد
اختلف في حقيقة العلم وتقسيمه فقال امام الحرمين والغزالي
العلم نظري لا يعرف بالحقيقة بل بالقسمة كان يقال الاعتقاد اما
جازم او لا والجازم اما مطابق او لا الى اخر ما قاله بالقسمة او بالمثال
كان يقال العلم ادراك البصيرة المشابه لادراك الباصرة او هو كاعتقاد
ان الواحد نصف الاثنين وقال الامام الرازي هو ضروري فيستحيل
ان يكون غيره كاشفا له وانما كان ضروريا عنده لان علم كل احد بانه
عالم بانه موجود مثلا ضروري بجميع اجزائه ومنها تصور العلم بانه
موجود بالحقيقة وهو علم تصديقي خاص فيكون تصور مطلق العلم
التصديقي بالحقيقة ضروريا وهو المدعي واجيب بمنع انه يتعين
ان يكون من اجزاء ذلك تصور العلم المذكور بالحقيقة بل يكفي
تصوره من وجه ثم قال الرازي العلم بانه هو حكم الذهن الجازم
المطابق لموجب اي من حس او عقل فحده مع قوله ضروري وقيل بل يعرف
الضروري كغيره والمختار قول ابي بكر الباقلاني ان العلم معرفة المعلوم
وقد اضطرب كلام ابن سينا في كون العلم عدميا او وجوديا او لا و

انه وجودي كما عليه اهل التحقيق وينقسم العلم الي قديم وحادث
والحادث الي ضروري ونظري فالضروري يقع بقدرة الله غير مقدور
للعباد والنظري مقدور للعباد بالقدرة الحادثة عند الاكثرين
بقدرة الله تعالى والحادث ينقسم باعتبار تعلقه بغيره الي تصور
وهو ادراك الماهية من غير حكم عليها بنفي واثبات والي تصديق وهو
ادراكها مع الحكم عليها بنفي او اثبات والتصديق عند الحكما نفس الحكم
وهو ادراك ان النسبة واقعة او ليست بواقعة والتصورات ثلاثة
فيه اعني المحكوم عليه والمحكوم به والنسبة الحكمية شروط التصديق
عندهم وفي العلوم الحادثة من حيث اتصافها بالضرورة والنظر
مذاهب اربعة احدها ان الجميع ضروري لعدم حصول شيء بقدرتنا اذ
الضروري يمتنع خلو النفس عنه وما من علم الا والنفس خالية عنه
في مبدا الفطرة ثم يحصل لها علوم بالتدريج بحسب ما يتفق من
الشروط كالاحساس والتجربة والتواتر فيكون الجميع نظريا ثانيها
وهو الاصح ان بعضها ضروري وبعضها كسبي اي نظري اذ لو كان جميعها
ضروريا لما جهلنا شيئا او نظريا لدار او تسلسل رابعها التفصيل
بين التصوري فيجعل ضروريا والتصديقي فيجوز فيه الضروري والنظري
والبديهي لا ينقلب كسبيا والا جاز الخلو عن الضروري وهو محال ولا
ينقلب الكسبي بديهيا والا جاز الخلو عن النظري وهو محال وجوز
في المواقف انقلاب النظري ضروريا وحكي في الكسبي ثلاثة مذاهب
فليراجع وفي تفاوت العلوم الحادثة قولان الاول منع التفاوت
فيها بحسب التعلقات كثرة وقلة والثاني انها متفاوتة اذ العلم

بان الواحد نصف الاثنين اقوي في الجزم من العلم بان العالم حادث
واجاب المانعون عن هذا بان التفاوت في ذلك ونحوه ليس من حيث
الجزم بل من حيث غيره كالف النفس باحد المعلومين دون الاخر
ومنع القاضي ابو بكر الباقلاني تعلق العلم بالشيء من وجه والجهل به من آخر
اذ المعلوم غير المجهول ضرورة فمتعلق العلم والجهل شيئان متغايران قطعا
والمشهور جوازه اذ الشيء قد يلاحظ في نفسه باعتبار عارضه كالضحك
للانسان اذا جهل الناطق لملاحظته فيكون الانسان معلوما باعتبار
عارضه ومجهولا باعتبار حقيقته فيتحد المعلوم والمجهول لكنه معلوم
لكنه معلوم من حيثية ومجهول من اخرى ولا استحالة فيه فائدة
اختلف في العلم من اي المقولات فقيل هو من مقولة الفعل وقيل
من مقولة الانفعال وجرى عليه غير واحد والتحقيق انه من مقولة
الكيف كما حققه السيد والكيف عبارة عن الهيئة الحاصلة وقد مثلوا
ذلك بختم الخاتم علي شمعة مثلا فنفس الختم عبارة عن الفعل وقبول الشمعة
للختم عبارة عن الانفعال والهيئة الحاصلة من الختم عبارة عن الكيف
ولما كان هو التحقيق فسروا العلم بانه حصول صورة الشيء في الذهن
ان قالوا هذا من اضافة الصفة الي الموصوف اي الصورة الحاصلة
في الذهن وكذا في قولهم ادراك ان النسبة واقعة او ليست بواقعة
اي النسبة المدركة بناء علي هذا التحقيق واورد علي كونه من مقولة
الكيف انه يلزم ان يكون حقيقة واحدة باعتبار من مقولة الجوهر
الجوهر وباعتبار آخر من مقولة العرض بناء علي ما عليه المحققون من ان
الاشياء بانفسها تحصل في الذات وان العلم عين المعلوم بالذات

مغايرة له بالاعتبار فان الصورة باعتبار انها سبب للانكشاف علم
وباعتبار انها حاصلة في النفس شيء معلوم واجاب بعضهم بانه لا
مانع من كون الشيء جوهرا في الخارج عرضا في الذهن ونوقش بان الم
ماهية اذا وجدت في الخارج كانت لا في موضوع وما هنا ليس كذلك واورد
العلامة الخبيصي رحمه الله بان كونه من مقولة الكيف مشكل مع قولهم
الكيف عرض لا يقبل القسمة لذاته ولا يتوقف على تصور غيره لانه لا
يصدق على العلوم الكسبية لان تصورها يتوقف على تصور غيرها
ولتعلم ان فضل العلم قد ورد في القران والتوراة والانجيل والزبور
والاحاديث الصحيحة اما القران فقوله عز وجل انما يخشى الله من عباده
العلماء وقوله تعالى وقل رب زدني علما والله سبحانه وتعالى لم يأمر
نبيه عليه السلام باستزادة صفة او حالة سوى العلم فعلم ان
العلم افضل الصفات قال قتادة لو كان للعلم غاية لكان ينبغي
ان يحصل لموسى عليه السلام ولو كان موسى عليه السلام بالغا غاية
العلم لما كان يذهب الى الخضر لتعلم العلم منه ولما قال له هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام مع جلالة
قدره الى اخر العمر علم ان ليس للعلم غاية ولا يخفى ان فضل الله تعالى
على سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام كان كثيرا ومع ذلك لم يقل
في شيء منه انه عظيم سوى العلم كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال في موضع اخر وما يستوي الاعمى والبصير وقال
لا يستوي الخبيث والطيب فكما انه ليس بين الاعمى والبصير ولا بين

الخبيث

الخبيث والطيب نسبة فكذلك ليس بين العالم والجاهل نسبة
وقد ذكر الله تعالى العلماء في آيتين في المرتبة الثانية وذكر بعد
ذكر ذاته تعالى من غير واسطة اما الاوليان فقوله تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وقوله تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم على اختيار كثير من العلماء ان المراد
من اولي الامر العلماء لان سيف السلاطين تابع لقلم العلماء وقلم
العلماء ليس بتابع لسيف السلاطين واما الايتان اللتان ذكر
فيهما العلماء بلا واسطة فقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب واما دليل التوراة قال الله تعالى فيها يا موسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل
بها ثم ابذلها كي تنال كرامتي في الدنيا والاخرة وفي الزبور قال الله
تعالى يا داود قل لاحبار بني اسرائيل حابوا من الناس الاتقياء فان لم
تجدوا فيهم تقيا فحابوا العلماء فان لم تجدوا العلماء فحابوا العقلاء
فان التقوى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد
من خلقي وانا اريد هلاكه فان قيل قدم التقوى على العلم فيلزم
ان يكون التقوى افضل من العلم قلنا التقوى لا تكون الا بالعلم
لان من لا علم له لا يعرف العمل الذي ينبغي ان يؤتى به من العمل الذي ينبغي
ان يترك فاذن لا تحصل التقوى من غير علم فالمتقي هو العالم الذي
عمل بعلمه وفي الانجيل ذكر الله فيه ويل لمن لم يسمع بالعلم فلم يطلبه
كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه ولا تقولوا

نخاف ان نعلم ولا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع
لصاحبه وحق على الله تعالى ان يجزيه ويقول الله تعالى يا معشر
العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول
الله تعالى فاني قد فعلت اني استودعتكم العلم لا لشر اردته بكم
بل لخير اردته بكم فادخلوا جنتي برحمتي قال مقاتل بن سليمان قال
الله تعالى في الانجيل لعيسى عليه السلام عظم العلماء واعرف فضلهم
فاني فضلتهم على جميع خلقي الا النبيين والمرسلين كفضل الشمس
على الكواكب وكفضل الاخرة على الدنيا وكفضلي على كل شيء وفي
الحديث عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين
فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب الله
له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة بالجنة ويمشي على
الارض والارض تستغفر له ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة
بانهم عتقاء الله من النار وروى عن عامر الجهني عن النبي صلى الله عقبة بن ع
عليه وسلم انه قال يوتى بمداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيمة
لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية يترجح مداد العلماء وفي الخبر
عشر يستجاب لهم الدعوة عالم ومتعلم وحسن الخلق ومريض
ويتيم وغاز وحاج وناصح الخلق والولد المطيع للابوين والزوجة
المطيعة لزوجها وفي الاثر عن علي رضي الله عنه انه قال لتلميذه العلم
خير من المال لانه يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو بالانفاق وقيل الحكيم نحن نرى ابدا ان صاحب العلم

يتردد الى باب صاحب المال ويندر تردد صاحب المال الى باب
صاحب العلم فلو كان العالم خيرا من المال لكان الامر على العكس فقال
في جوابه العالم يعلم منفعة العلم والمال فيطلبهما جميعا والجاهل
لا يعلم منفعة العلم فلا يطلبه وعنه خير سليمان بين العلم والمال
والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وعنه انه اوصى ابنه
فقال يا بني عليك بالادب فانه دليل المروءة وانيس في الوحشة
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجالس ووسيلة الى
تحصيل المطالب وغنى عن العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال
للملك وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا العلم فان تعلمه
لله تعالى حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلم
صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة
والنار والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة
والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء يرفع الله به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة الحديث وقال صلى الله عليه وسلم نوم على علم
خير من صلوة على جهل وقال عليه السلام ان بابا من العلم يتعلمه
الرجل ولا يعمل به خير له من انه لو كان ابو قبيس ذهبا فانفقه في سبيل
الله وقد جا في الخبر الجهل اقرب الى الكفر من بياض العين الى سوادها
وقال الانطاكي اعظم الذنوب العبادة بالجهل فرب عبد يعمل بالجهل
يتولد منه الكفر فيجره ذلك الى النار كابليس ورب عبد يذنب ذنبا
فيتداركه بالعلم فيندم ويتوب فيجره الى الجنة كادم صلوات الله
عليه وروي عن وهب بن منبه ان لقمان الترمذي وعليه السلام العبادة

ويفارق الناس فاوحى الله تعالى اليه يا داود اخرج الى الناس علمهم
العلم فان ذلك افضل من الدنيا وما فيها وحكي عن الحسن البصري
انه قال ان فتى من بني اسرائيل وجه مولاه امراءه وبنى له دار فخرج
الفتى باذن مولاه لطلب العلم الى عالمهم فعلمه ثلاث كلمات
اتق الله واصبر ولا تعجل فحفظهن الفتى ورجع مكتفيا بهن فلما
وصل الى بلدته ودخل داره فاذا هو برجل نايم في ناحية الدار فاخذ
السيف وهم بقتله ثم تفكر الكلمات المحفوظة فاحجم عنه فعل
ذلك ثلاث مرات فانتبه فاذا هو مولاه فقال له ما اصبت في
سفرك من العلم قال اصبت ما حال بيني وبين قتلك وقص
عليه القصة فعلم ان القليل من العلم ليس بقليل قال الفتح الموصلي
اليس المريض اذا امتنع عنه الطعام والشراب والدواء يموت قيل
نعم قال فكذلك القلب اذا امتنع عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام
قال صاحب روح الاحياء العلوم كلها محمودة الا ما يتعلق به مفسدة
كالسحر والنارنجيات والاشعار التي فيها هجو ونحو ذلك وفضل العلم
يظهر من وجهين احدهما انه لذيذ في ذاته الثاني انه وسيلة الى
السعادة في الاخرة والى العز في الدنيا فان اغبياء الترك وحمقى
الاكراد واجلاف العرب يوقرون مشايخهم لاختصاصهم بمزيد علم
والبهيمة توقر الادمي بشعورها بتميزه بكمال ليس فيها قال الفقيه
ابو الليث اعلم ان العلم على انواع وكل ذلك عند الله حسن وليس كالفقه
فينبغي للرجل ان يكون الفقيه احب اليه من غيره لان من تعلم الفقه
تيسر عليه ساير العلوم والفقه هو قوام الدين وروي ابو هريرة رضي

الله

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد الله بشيء
افضل من فقه في الدين وقال عليه السلام فقيه واحد اشد على
الشيطان من الف عابد وقال ابو هريرة لان اجلس فاتفقه ساعة
احب الي من ان احيي ليلة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين قال الفقيه رحمه
الله تعالى فاذا اخذ الانسان حظا وافرا من الفقه فينبغي له ان
لا يقتصر على الفقه ولكن ينظر في علم الزهد وفي كلام الحكماء الزاهدين
وشمايل الصالحين فان الانسان اذا تعلم الفقه ولم ينظر في علم
الزهد والحكم قسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله تعالى حكي
ان رجلا جاء الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه فقال اني اريد ان اتعلم العلم
واخاف ان اضيعه ولا اعمل به قال انك ان توسدت العلم خير لك من ان
توسد الجهل ثم ذهب هذا الرجل الى ابي الدردا فساله فقال له ابو
الدردا ان الناس يبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه يبعث العالم
عالما والجاهل جاهلا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الناس
رجلان عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وسايرهم همج رعاع اتباع
كل ناعق يميلون مع كل ريح قال ابن سيرين دخلت مسجد البصرة والاسود
ابن سريع يقص على الناس وقد اجتمع اليه اهل المسجد وحلقة من اهل
العلم والفقه جلوس في اخره يتحدثون الفقه ويتذاكرون وكنت
بينهم وبين المذكور فلما فرغت قلت لو اتيت الاسود عسى ان يصيبهم
اجابة ورحمة فيصيبني معهم ثم قلت لو اتيت الحلقة لعلي اسمع
كلمة اسمعها فاعمل بها فلم ازل اخير نفسي في ذلك حتى جاوزتهم

فلم اقعد الي واحد منهم فاتاني آت في المنام فقال اما انك لو
اتيت الحلقة لوجدت جبريل معهم جالسًا وقال سالم بن ابي الجعد
اشتراني مولاي بثلثماية درهم فاعتقني فقلت فاي الحرفين احترف
فاخترت العلم علي كل الحرف فلم تمض مدة حتي اتاني الخليفة زائرًا
فلم آذن له وحكي عن صالح المري قال دخلت علي امير المؤمنين
فاجلسني علي وسادته فقلت رحم الله حسنًا صدق الحسن فقال امير
المؤمنين وما قال الحسن قال ان هذا العلم يزيد الشريف شرفا ويبلغ
المملوك بمجالس الملوك ثم قال لولا ان العلم من صالح المري لم يجلس
علي وسادة امير المؤمنين شعر

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ۞ وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده ۞ صغير اذا التفت اليه المحافل

وحكي ان عطا بن ابي رباح كان اسود اللون مستوحش الخلقة فجا
اليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه فجلسوا يسالونه
عن المناسك فحدثهم وهو معرض عنهم بوجهه فقال سليمان لولديه
قوما ولا تنيا في طلب العلم فهل شيء اعظم من هذا الذي اجلسنا بين
يدي هذا العبد الاسود قيل الملوك حكام علي الناس والعلماء
حكام علي الملوك وقال ابو اسمعيل الكاتب

لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب ۞ علي خمولك ان ترقي الي الفلك
بينا يري الذهب الابريز مطرحًا ۞ في الترب اذ صار اكليلا علي الملك

يقال من غرس العلم اجتني النباهة ومن غرس الزهد اجتني العزة
ومن غرس الاحسان اجتني المحبة ومن غرس الكبر اجتني المقت ومن

غرس الحرص اجتني الذل ومن غرس الفكرة اجتني الحكمة ومن غرس
الوقار اجتني المهابة ومن غرس الطمع اجتني الذل ومن غرس
الحسد اجتني الكمد وقال سفيان ما من عمل افضل من طلب العلم
اذا صحت به النية يعني تريد به وجه الله وعن بعض السلف
العلوم اربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم
للزمان والنحو للسان قيل العلم علمان علم ينفع وعلم يرفع
فالرافع هو الفقه والنافع هو الطب وقال ابو يوسف رحمه الله
تعالي تعلم علم الا ثلاثة النجوم فانه يكثر الشوم والكيميا
فانه يكثر الافلاس والجدال في الدين فانه يكثر الزندقة
اتي ابو حنيفة رضي الله عنه الي حماد لطلب الفقه فقال
تعلم في كل يوم ثلاث مسايل ولا تزد عليها شيًا حتي يتفق لك
العلم فتفقه حتي اشير اليه بالاصابع سال الاعمش ابا حنيفة
عن مسايل فاجاب فقال الاعمش من اين لك هذا قال مما حدثتنا
به فقال يا معشر الفقهاء انتم الاطبا ونحن الصيادلة وكان
ابو حنيفة يوسف اذا سئل عن مسئلة اجاب فيها وقال هذا
قول ابي حنيفة ومن جعل بينه وبين الله فقد استبرا لدينه
الايمة الاجلة الحنفية ازمة الملة الحنيفية الجود والعلم حاتمي
واحنفي والعلم حنيفي وحنفي كما يقال اربعة لم يسبقوا ولن
يلحقوا ابو حنيفة في فقهه والخليل في نحوه والجاحظ في تاليفه
وابو تمام في شعره وقال احمد بن حرب ابو حنيفة في العلما كالخليفة
في الامرا قيل المتعبد بغير علم كحمار الطاحون يدور ولا يقطع

المسافة وقال عيسى عليه السلام من علم وعلم عُدّ في الملكوت
الاعظم عظيما وقال حكيم قوت الاجساد المشارب والمطاعم
وقوت العالم العقل وقال الزهري تعلم سنة خير من عبادة سنتين
وثمرة الادب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح يقال عليك
بالدرس فان الدرس غرس قيل لم يدرك العلم من لم يطل درسه
ولم يكد نفسه قيل لابن عباس رضي الله عنهما بما ادركت هذا العلم
قال بلسان سؤول وقلب عقول وروي غير ملول وقال النخعي
سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاذكيا وقال الحسن من استتر
عن الطلب بالحيا لبس بالجهل سربالا فاقطعوا سرابيل الحياء
فانه من رق وجهه رق علمه وقال مجاهد رضي الله عنه لا يتعلم
العلم مستحي ولا متكبر قيل اذا فاتك الادب فالزم الصمت
فانه من اعظم الآداب وقال ارسطاليس من ترك الادب عدم
عقله من قعد به عقله نهض به ادبه حسن الادب يستر قبيح النسب
الفضل بالعلم والادب لا بالاصل والنسب من ضاع ادبه ضاع نسبه
نسبه كل خير ينال بالطلب يزداد بالادب الادب مال واستعماله
كمال جاليتوس ان ابن الوضيع اذا كان اديبا كان نقص ابيه زايدا
في منزلته وان ابن الشريف اذا كان غير اديب كان شرف ابيه
زايدا في سقوطه وقال لقمان اغد عالما او متعلما او مستمعا
او محبا ولا تكن الخامس كان يقال العلم قايد والعمل سايق والنفس
حرون فاذا كان قايد بلا سايق بلدت واذا كان سايق بلا قايد
عدلت يمينا وشمالا وكتب الحجاج رجل الى اخ له انك قد اوتيت

علما

علما فلا تطفين نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة
وعن ابي حنيفة اني لادعو الله لحماد قبل ابوي فابدا به
دخل علي الواثق معلمه فبالغ في اكرامه واجلاله فقيل له في ذلك
فقال هو اول من فتق لساني بذكر الله تعالى وادناني من رحمته
سيل الاسكندر فقيل له ما بالك تعظم مؤدبك اشد من
تعظيمك لابيك فقال ابي حطني من السماء الى الارض ومؤدبي
رفعني من الارض الى السما . لقي الرشيد الكسائي في بعض الطرق
فوقف عليه وساله عن حاله فقال لو لم اجتن من ثمرة العلم والادب
الا ما وهبني من وقوف امير المومنين علي لكان كافي لما قدم ابن
المبارك الى الرقة اشرفت ام ولد له من قصرها فرات الغبار
قد ارتفع واسرع الناس وقالت ما هذا قالوا قدم من خراسان
عالم يقال له ابن المبارك فقالت والله هذا هو الملك لا هارون
الذي لا يجمع الناس الا بالصوت . قال طاوس ما حمل العلم في
مثل قرب الحلم ذا النون المصري اياك ان تطلب العلم بالجهل
قيل كيف يطلب العلم بالجهل قال اذا قصدت العالم في غير وقته
وتخطيت الرقاب وتركت في طلبه حرمة الشيوخ ولم تستعمل فيه
السكينة والوقار والادب فذلك طلب العلم بالجهل الحسن
لقيت قوما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من
عمل بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه قيل العامل بغير
علم كالسائر على غير الطريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر به وما احسن قول
ابن الوردي . اطلب العلم ولا تكسل فما . ابعد الخير على اهل الكسل .

واحتفل للفقه في الدين ولا ۔ تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن ۔ يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ۔ كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم ارغام العدا ۔ وجمال العلم اصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن ۔ يحرم الاعراب في النطق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي ۔ في اطراح الرفد فالدنيا اقل
فهو عنوان على الفضل وما ۔ احسن الشعر اذا لم يبتذل

وما احسن قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

يذوق الفتى ذل التعلم ساعة ۔ من العلم اذ لا يعلمن بذاته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ۔ تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ۔ فكبر عليه اربعا لوفاته
حيوة الفتى والله بالعلم والتقى ۔ اذا لم يكونا لا اعتبار بذاته

ومما احسن قول بعضهم في مدح النحو خاصة

النحو خير علوم منه يلتمس ۔ لانه من كتاب الله يقتبس
اذا الفتى منح الاعراب كان له ۔ مهابة عند قوم حوله جلسوا
لا ينطقون حذارا أن يلحنهم ۔ كانما بهم من نحو فهم خرس
لا يستوي معرب منا ومنعجم ۔ هل تستوي البغلة الحمقاء والفرس

وكفى بالعلم فخرا ان يمدحه الابيات تترا وقوله واولوا التصدر اي اصحاب التصدر والوا اما الحق بجمع المذكر السالم في الاعراب بالحرفين وهو اسم جمع لا جمع والتصدر قال في القاموس تصدر الرجل جلس في صدر المجلس ونصب صدره في الجلوس والمصدر

لمعظم

لمعظم القوية ومن بلغ العرق صدره والسابق من الخيل والغليظ الصدر من السهام واول القداح العقل والاسد والذئب وصدر كل شي اوله قال بعضهم

صدر المجالس حيث حل لبيبها ۔ فكن اللبيب وانت صدر المجلس

والامامة التقدم قال في القاموس امهم وبهم تقدمهم وهي الامامة والامام ما ائتم به من رئيس وغيره والامة بالكسر الحالة والشرعة والدين وتضم والنعمة والهيئة والشباب والنضارة والعيش والسنة والطريقة والامام نقيض الوراء كقدام يكون اسما وظرفا وقد يذكر وامامك كلمة تحذير والامة جماعة ارسل اليهم رسول والرجل الجامع للخير ومنه قوله تعالى ان ابراهيم كان امة نزل لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد تحصى وتوجد الا مفرقة في اشخاص كثيرة منزلة الامة قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر ۔ ان يجمع العالم في واحد

وقد ورد ذكر الامام في القران بمواطن منها قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها وقيل بالقوى الحاصلة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف والحكمة في ذلك اي على هذا اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفتضح اولاد الزنا كذا قاله البيضاوي ومنها قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما اي يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وانما لم يجمع هنا لعدم اللبس وقيل جمع ام كصائم

وصيام ومعنى هذا قاصدين لهم مقتدين بهم وليعلم ان الامامة
انقسم على اقسام كبرى وهي خلافة الرسول في اقامة الدين بحيث يجب
اتباعه على كافة الامة وفي المقاصد انها رياسة عامة في الدنيا
والدين خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصب الامام واجب على
الامة عندنا مطلقا سمعا لا عقلا خلافا للمعتزلة حيث قال بعضهم
واجب على الامة عقلا وبعضهم كالكعبي وابي الحسين عقلا وسمعا
ان يكون ظاهرا لا مختفيا ولا منتظرا خلافا للروافض وان يكون حرا
ذكرا بالغا عاقلا شجاعا قرشيا ولا يشترط كون الامام هاشميا اي
من ولد هاشم بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كونه
معصوما خلافا للروافض ولا كونه افضل اهل زمانه فتنعقد امامة
المفضول في قيام الفاضل خلافا للروافض وزاد كثير من العلماء الاجتهاد
في الاصول اي اصول الدين واصول الفقه وفي الفروع ليتمكن بذلك
من اقامة الدين ونصب الحجج وحل الشبه في العقائد الدينية ويستقل
بالفتوى في النوازل واحكام الوقايع نصا واستنباطا لان اهم مقاصد
الامامة حفظ العقائد وفصل الحكومات وقيل لا يشترط الاجتهاد
ولا الشجاعة لندرة اجتماع هذه الامور في واحد والعدالة ليست بشرط
عندنا للصحة فاذا قلد الامام عدلا ثم جار في الحكم وفسق بذلك او غيره
لا ينعزل ولكن يستحق العزل ان لم يستلزم عزله فتنة واذا وجدت الشروط
في جماعة فالاولى بالولاية افضلهم فان ولي المفضول مع وجوده صحت
امامته ولا يولى الامامة اكثر من واحد ولو تعذر وجود العلم فيمن نصب
للامامة بان تغلب عليها جاهل او فاسق وكان في صرفه عنها اثارة

فتنة

فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته كيلا يكون كمن بنى قصرا وهدم
مصرا وفي العمدة النسفية ما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على
امامة احد بعده اذ لو نص لاشتهر ذلك لكن الصحابة رضي الله عنهم
اجمعوا على الصديق رضي الله عنه استدلالا بامر الصلوة ثم على عمر رضي
الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي فلو انكر
احد خلافتهما لكفر ثم على عثمان ذي النورين ثم على علي المرتضى كرم
الله وجهه وعلى هذا ترتيبهم في الفضيلة وقد قال عليه الصلاة
والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي رضي الله عنه
وصغرى وهي ربط صلاة المؤتم بالامام بشروط عشرة نية المؤتم
الاقتداء واتحاد مكانهما وصلاتهما وصحة صلاة امامه وعدم محاذاة
امرأة وعدم تقدمه عليه بعقبه وعلمه بانتقالاته وبحاله من اقامة
وسفر ومشاركته في الاركان وكونه مثله او دونه فيها وفي الشرائط
وثبوت هذه بقوله تعالى واركعوا مع الراكعين ومن حكمتها نظام الالفة
وتعلم الجاهل من العالم وهي واجبة على الرجال البالغين العقلاء الاحرار
القادرين على الصلوة بالجماعة من غير حرج ويسقط الوجوب عنهم بمرض
وعمى وكبر ومطر ووحل وبرد شديد وظلمة ومن واظب على تركها تكاسلا
عزر ولا تقبل شهادته الا بتاويل بدعة الامام او عدم مراعاته مذهبه
والاحق بالامامة الاعلم باحكام الصلوة صحة وفسادا ثم الاحسن تلاوة
او تجويدا للقرآن ثم الاورع اي الاكثر اتقاء للشبهات ثم الاسن اي
الاقدم اسلاما ثم الاحسن خلقا بالضم الفة بالناس ثم الاحسن
وجها ثم الاشرف نسبا ثم الاحسن صوتا ثم الانظف ثوبا ثم المقيم على

المسافر ثم الحر الاصلي علي المعتق فان استووا يقرع بينهم و السلطان
او القاضي أولى بالامامة من غيره مطلقا ومن ام قوما وهم له كارهون
ان الكراهة لفساد فيه او لانهم احق بالامامة منه كره له ذلك تحريما
لحديث ابي داود لا يقبل الله صلوة من تقدم قوما وهم كارهون
وان هو احق لا والكراهة عليهم وكره تنزيها امامة عبد اي ولو معتقا
واعرابي والمراد به العامي سوا كان تركمانيا او كرديا او غير ذلك
وفاسق واعمى الا اذا كان الاعمى اعلم القوم فهو أولى ومبتدع لا يكفر
بها وان كفر بها فلا يصح الاقتدا به أصلا وكذلك تكره امامة
ولد الزنا وهذا ان وجد غيرهم والا فلا كراهة ويصح ارادة كلا
المعنيين في قول الناظم والانسب ارادة الامامة الكبرى المناسب
لسياق الكلام سابقا ولاحقا لان المقام مقام ذكر من مضى من
العظما خلفا وملوكا ووزراء وغيرهم من الروسا قال الناظم
رحمه الله تعالى وذووا الوزارة والحجابة والكتابة والعلا م
تقدم الكلام علي الوزارة مبسوطا وهي مطلوبة بنص القران لان
الوزير من الملك بمنزلة الروح من الجسد قال تعالى حكاية عن موسى
واجعل لي وزيرا من اهلي الاية وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي وزير
ووزيراي ابو بكر وعمر وثبت أن آصف بن برخيا كان وزيرا لسيدنا
سليمان عليه السلام والوزراء علي مراتب منهم من جمع بين الكرم
والعقل كالبرامكة المتقدم ذكرهم ومنهم من جمع بين الكرم و العقل
والمروة والادب وهم علي مراتب منهم بنو وهب قال الحصري وبنو
وهب من مشاهير الوزراء وادبايهم ولهم الرسايل الفايقة و الشعر

الجيد

الجيد وفيهم يقول ابو تمام

كل شعب كنتم به آل وهب ۔ فهو شعبي وشعب كل اديب
ان قلبي لكم كالكبد الحرا ۔ وقلبي لغيركم كالقلوب

القاضي الفاضل

ومن الوزراء المشهورين القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني
وزير للملك صلاح الدين ايوب وتمكن منه غاية التمكن وبرز في
صناعة الانشا وفاق المتقدمين والمتاخرين قال العماد الاصفهاني
في كتابه الخريدة في حقه وصاحب القران عديم الاقران رب القلم
والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة والبصيرة النقادة
والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة فهو كالشريعة المحمدية
التي نسخت الشرايع ورسخت بها الصنايع وذكر الصلاح
الصفدي في تذكرته قال حكى القاضي ابو المكارم قال دخلت علي
الوزير الفاضل فوجدت بين يديه اترجة كبيرة مفرطة الفخامة
فلما جلست حدقت اليها وفكرت فيها فذهلت عن نفسي فاخذ
يتنادر معي ثم قال يا مولاي ما هذه الفكرة وما اظنها الا في هذه
الاترجة وقد تعجبت من المناسبة بيننا قال فوهو شنخوفا ثم
نجم الي خاطري فقلت لا والله بل افكر في معنى وقع لي فيهما ثم نظمت
بيتين فقلت ۔ لله بل للحسن اترجة ۔ تذكر الناس بعهد النعيم
كانما قد جمعت نفسها ۔ من هيبة الفاضل عبد الرحيم
فذكرت البيتين فقال اما خشيت ان يصحف عليك هيبة بهيبته
فتسقط في يدي فقلت والله ما فهمتها الا منك اي لان للفاضل
الوزير حدبة يسترها الطيلسان وكان ينكت علي نفسه ويشبه

هنيئه فمن ذلك وقد كان بني له قبة يجلس فيها في الديوان

ماكان يكمل ذا ... الديوان حتى ازداد قبه

فكانني فيهما خروف ... شوي ومن فوقي مكبه

وكان السلطان صلاح الدين قد اقطعه قريتي زيفه ودرنكه
بالاسيوطية خاصة فسئل عنهما يوما فقال واما زيفه ودرنكه
فلو راها معطيهما لاستحيي مما أعطى ولو مر الطاير الجايع بهما
لا فتاها القطا. وعرضت عليه رقعة باسماء موذنين يستخدمان
اسم احدهما مرتضي والاخر زيادة. فكتب علي الرقعة موقعا اما
مرتضي فزيادة واما زيادة فمرتضي. ومن لطايفه انه حضر من
العجم واعظ جميل مبدع في الحسن فاجتمع الناس عليه فوعظهم واظهر
ما ينافي الخشوع فقال الوزير الفاضل يا لها من عظة متعظة
وذكر الشهاب يوسف الكتبي الدمشقي أنه تزوج امراة وطلقها
قال فمضيت إلي دار العماد الاصفهاني الكاتب فبلغ زوجها أن
رجلا كان عدوا له قد خطبها من دار العماد وكانت في العدة قال
فطاش لبي فجئت الي الوزير الكاتب الفاضل اشكو اليه فوجدته يملي
علي كتابه ويتحدث مع رسول ملك الافرنج فشكوت اليه فقال لي
ما تطلب فقلت توصي بي العماد فكتب في الحال من غير روية سيدنا
عماد الدين ادام الله علاه قد علم حال يوسف الكتبي وما ابتلي
به من امراته وما ابتليت به انا منه وما ابتليت به الحضرة مني
وقد بلغه الأن ان رجلا طرايفيا شرع في التعرض للخطبة
وقدما لنفقة والاول مباح شرعا والثاني محظور قطعا

وبلغه

وبلغه ان الزوجة اشتطت في سومها وطلبت ما لا طاقة له به
وقد حضر شيطانه وصار اقرب اليه من حبل الوريد ما رسانه
وسيدنا يمنع الزوجة ان تطمح الي سواه وبشت عندها ان لا تتعدا
فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا ويصيره الي وقت انقضا عدتها
علي ما لم يستطع عليه صبرا. وقد احيي لنا هذا المجنون مجنون ليلي
وقيس لبني وعمرو بن عجلان الذي قتلته هند وجلا زمانا بما كان
منه عاطلا. واملي معاني الغزل وفهمها من كان لها جاهلا وله
حرفة يرعاها الادباء. ووسيلة يشفعها الكرما ورايه الموفق
والسلام. ومن وزراء المشرق الصاحب بن عباد قال العباسي في
شرح شواهد التلخيص في ترجمته هو اسمعيل بن عباد اول من سمي
الصاحب من الوزراء قال الثعالبي في اليتيمة واحتف بابن عباد
جماعة من نجوم الارض وأفراد العصر باصبهان مثل السلامي
والخوارزمي والمامون والبديهي والرستمي والبديع الهمداني
وغيرهم ومدحه كاتبه الشريف الرضي وابن حجاج والصابي وابي
سكره الهاشمي وقال الخوارزمي ان مولانا الصاحب نشا من الوزارة
في حجرها ودرج من وكرها ورضع افاويق درها كما قال الرستمي
فيه ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزا ... رته واسمعيل عن عباد
قال وحدثني ابو الحسن محمد بن الحسن بن النحوي قال سمعت الصاحب
ابن عباد يقول انفذ لي ابو العباس ياسر الحاجب رقعة في السر
بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر يحثني فيها

الصاحب

علي الاخبار الى حضرته ليلقي الي مقاليد ملكه ويفتتح بي وزارته
قال وكان فيما اعتذرت به اليه من ترك امتثال الامر ذكر طول ذيلي
بكثرة الحاشية وحاجتي لنقل كتبي خاصة الى اربعماية جمل فما ظنك
بما يليق بها من تجملاتي . وحدث ابو الفضل بديع الزمان قال لما
ادخلني الى الصاحب بن عباد ووصلت الى مجلسه ووصلت الخدمة
فقال يا بني كم تسجد كانني هدهد ووقع في رقعة رجل يطلب العمل
والتصرف التصرف لا يلتمس بالتكلف ان احتجنا اليك صرفناك
والا صرفناك وقال الثعالبي ان الصاحب بن عباد وقع في رقعة
بنقطة وفي الاخرى بالف وذلك ان بعض الفضلاء العفاة التمس
منه شيا ثم كتب في اخر الرقعة فان راي مولاي ذلك فعل فوقع
قبل فعل الفا فصار افعل فخرج التوقيع ولم يشعر به ثم عاد الى
الصاحب فقال له قد وقعت ففطن لذلك واما النقطة فانه
وضعها في رقعة على لفظة يفعله فنقط التاء من فوقها فصار
نونا ورفع اليه بعضهم ان رجلا غريب الوجه يدخل داره ويتلطف
لاستراق السمع فوقع فيها دارنا هذه خان يدخلها من وفي ومن خان
وحكى ابو منصور الربيع قال دخلت يوما على الصاحب بن عباد
وطاولته الحديث فلما اردت القيام قلت لعلي طولت فقال بل
تطولت وحكى الهمداني قال واحد من الفقهاء يعرف بابن الحصيري
يحضر مجلس الصاحب بالليالي فغلبته عينه مرة وخرجت منه
ريح لها صوت فخجل وانقطع عن المجلس فارسل له الصاحب البيتين
يا ابن الحصيري لا تذهب على خجل . لحادث كان مثل الناي والعود .

قف على هذه

فانها الريح لا تستطيع تحبسها . اذ انت لست سليمان بن داود
وحكى ابو الفتح ان الصاحب بن عباد راى احد ندمائه متغير الوجه
فقال له ما الذي بك فقال حمى فقال الصاحب قه فقال النديم
وه فاستحسن الصاحب منه ذلك وخلع عليه ولقد احسن الصاحب
في تعقيب لفظة حمى فيما صارت اليه بحماقة وتلطف النديم بما
جعله قه وهكذا فلتكن مداعبة الاذكياء الندماء . وله رسايل
بديعة وديوان شعر احسن فيه منه قوله يرثي كثير بن احمد الوزير
يقولون اودى كثير بن احمد . وذلك رزء في الانام جليل .
فقلت دعوني والعلا نبكه معا . فمثل كثير في الانام قليل .
حكى القاضي ابو جعفر عن الحاكم بن سعيد قال سمعت الشاعر الحبشي
يقول مدحت الصاحب بن عباد بقصيدة وكنت انشدها بين يديه
منها لما ركبت اليك مهري نعلته . بدر السما وسمرته بالكواكب .
قال لي الصاحب لم انثت المهر وهو مذكر ولم شبهت النعل بالبدر وهو
لا يشبهه ولو شبهته بالهلال لكان احسن لانه على هيئته وصورته
قال اما تانيث المهر فاني عنيت المهرة واما تشبيه النعل فاني اردت
النعل المطبقة ونوادر الصاحب كثيرة ولطايفه مستفيضة
غزيرة . وممن اشتهر من الوزراء بالادب وحاز الفصاحة ففاق
بها بلغاء العرب الوزير فخر الدين بن مكانس من رقة كلامه تربو
على السحر وغمزات الالحاظ النواعس . فمما اخترعه من بنات الافكار
وداعب به الادباء فكانت له نشوة تفوق العقار . ما كتبه بدر
الدين البشتكي . وقد كان بمجلس انس في الروضة ايام وفا النيل

فكتب اليه يداعبه بهذه الرسالة وهي هذه بلغني رفع الله قدرك
علي السماك. واعلي محلك واسماك. واجري سعد امرك في تمن السماء
وجو الارض الافلاك. ولا زالت همم نظمك البديهة ونثرك تعلو
علي النثرة. وفتكات عزايمك الملكوتية تسمو الي الصيد نسر السما من
وكره وحوتها من المجرة. ولابرحت تصرف حروف المحاسن فتتخذ منك من
كل محجر عين ومن كل حاجب نون. ولا فتيت تجمع شمل المعالي الي ان
يفترق الفرقدان وتجتمع الضب والنون. ويغدو سهيل في السما
مصادف الثريا. ويصبو الحوت للسرطان ان مولانا مع جماله خلافًا
للمعرى اقلق السابح في لجة وراع كل حوت حتي حوت الارض في تخومه
وحوت السماء في برجه وجاور دواب البحر فكان لهم بئس الجار بطعمه
الذي اقامه في الحيلة تقام بنجه. وانه شد وسطه الي الصيد
وكان من الحزم. وارسل اله صيده الي الاحمر والاسود من ام البحر
فعادت عودًا الي العزم. ثم قعد بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد
واطاعته حروف النص فكل ما تلا لسان البحر صاد نون تلي لسان
العزم صاد. وهي السعادة في السماك. فلو تشا لطمعت منها ر امحا
بالاعزل فمن ذلك صيد الحوت الذي قدم من اقصي النيل فناله من
سفر بعيد. وورد مع التيار السريع في البحر المديد. فاوي الي الشط
طالبا عدوه اذ لقي من سفره هذا نصبا. وركن الي البر قليته لو عقد
واتخذ سبيله في البحر سربا. ولم يعلم ان سيدنا وضع الحبل
وجعله لصيده يعني وصوره سببًا. فاخترمته يد المنية
باعوجاج السنارة التي نصبها لدواب البحر. فحنا للعقاب و الضغينة

التي

التي تقامل اقويا السمك في اعظم البحور السايلة بالنهر وكان هذا
المسكين من صالحي الاسماك الذي افني الايام سنجا طويلا فساح
واتي يقتبل جدار احل فيه قدم مولانا وبركته فجازاه مجازاة
التمساح. اوكانه لجا الي البر هربا من عوارض الامواج وامن
بمجاورته فاخذ من مامنه وخاب امله من لاج. فصيح بعد بحار الا
الي بحار المنون في لجج. وقالت له الحيتان اذا اعماك القضاء عن
رشدك حدث عن البحر ولا حرج. وكان ظنه ان عومه في البحر ينجيه
فكان حتفه في ذلك العوم. وعلي الجملة فقدان اجله ولو اوي الي
جبل لقيل له لا عاصم اليوم فاتت به حوتا يلوح بياضه بين هضا
الموج كالبدر من سجف الغمام. وتبدو عليه مهابة تشعر انه
من نسل حوت يونس عليه السلام. فاعيذ هذا الحوت بالنون
وصايده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون. فلقد ظفر بما
لم يظفر به الحواريون في شباكهم المشتبكة. ووقع له ما لو وقع
لابن صياد لتطاول عجبًا واستخف ملاء الشبكة. وحصل الجما
به من السرور ما لا يحصل بوفاء النيل. وشاهدوا من جزله العظيمة
كل خير جزيل. وهموا من سمنه وعظمه بالجوهر النقي وانياب الفيل
وارخصوه للقري بعد ان امسي في القدور يغلي وقلوه فطاب
ما كلا وان كان مما لا يقلي. وتنوعوا مغلاه. وحامضًا فالمحلي جعلوه
نقالا صالحا الكؤس حين تجلي. وفازوا علي راي ابن حزم وان لم يكن من
اصحاب الراي بالمحلا والمحلي. والحامض قد قطعوا عند اكله
بالذوق ان ذلك من الحوت لا محالة. وقال الخروت بل هو هالة

لتناسب البدر والهالة. وجلوا به الموايد. وحكموا الصايد
بالتقدم علي الضفدع الاديب في مصايده الشوارد. وقدموه
علي ما عندهم من طري وبايت. واكلوه من ساعته كي لا يندموا
علي فايت. قايلين لا توخروه فقلما تخير افات. ولا تبيتوه
فكل ما بات فات. وبادروا طرا وته لعلمهم ان اطيب ما يوكل
من السمك الطري. واستطابوه ضرورة ولا خلاف ان صايد
الحوت اكثر تلذذا بالكل من المشتري. هذا واما الاسماك فقد
نادي مناديهم في ذلك الشط بالرحيل. وقال اديبهم للبشنين
مصحفا بالثنية. ليس المقام هنا جميل. فكم فرخ حول وكره
هناك وشال. وكم سمكة صرخت قافا. وقطعت الحبال. وكم
طايفة من رشادها فرت الي البرور الخالية من الصياد.
وكم طايفة تخلفت فوقعت في الشباك فقيل ضلت عن سبيل
الرشاد. وكم طايفة اسرعت الي روس الجبال الحركة.
وكذبت العروضيين في قولهم لم ار علي راس جبل سمكة.
وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماكم وما واكم كما هجروا
ماي. وادخلوا هذه الديار وان اعشبت وابتغوا صايب
الراي. ومن عمل الي عق البحر جاه. وسارت به سفينة عزمه
في موج كالجبال. وكان سبب النجاة وتواصوا المار واطغيان
الماء ان لا ياوي الي البرور. وتحققوا ان الطوفان لما قام
علي اخيهم المصاب التنور. وكم قايل الحمد لله الذي قطع عنا
اثار هذا النوت العظيم وازال عينيه. وقايلة سبحان من

اراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكروا
اذ غدا مولانا شيخ البر والبحر واضحي في شكله ابي السماك وفي
صدق حديثه ابا ذر وامسي ضرع البلاغة مسخرا له فان حلب
لغيره او ابي در احباه الله بدرا اشرق في سماء المعالي. وحلي
اجياد الفصاحة من نظمه ونثره بالجواهر واللالي. وجل به السما
كما جل به الارض. ولا جعله كادباء هذا الزمان الذي ياكل
بعضهم بالغيبة لحم بعض. ومن لطيف مبتدعاته. وعجيب
مخترعاته. هذه الرسالة التي كتبها في شخص يلقب بسقيط
وهي بسم الله الرحمن الرحيم. اما بعد حمد الله المتطول علمه.
المستبد بحكمه. الذي لا تسقط ذرة الا يعلمه. الامر بالسعي
في مناكب الارض ليغتني من رزق شيئا وهيا. القايل وهزي اليك
بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. والصلوة والسلام علي
سيدنا محمد الذي سقطت الاصنام يوم ميلاده. وبعثه الله رحمة
لعباده وبلاده. الذي اسقط شطط التكاليف عن المومنين ورد
الصلوة الي خمس بعد خمسين صلي الله عليه وسلم ما سقط ورق
من علي شجر. وعلي اله وصحبه جمال الدهر وغرر. وبعد فان
كلام الرجل دليل عقله. ولسانه ترجمان علمه وجهله. واني ما
زلت منذ الهمت رشدي. وبلغت اشدي. مولعا بفنون الادب
مشمرا عن ساعد الاجتهاد والطلب. اهاجر الي ابواب الادباء.
والعلماء. واغشي منازلهم كما يغشي الطير منازل الكرما. وانا
مشغوف بمحبتهم كالدنف الصب. واهوع الي البهم كما يسقط

الطير حيث يلتقط الحب ، اجوب على الاجتماع بهم البلاد ، وابذل
واذهب في لقايهم الطارف والتلاد ، حرصا على مسئلة اضبطها
وفايدة تسقط منهم فالقطها ، بحسب فهمي ، وما يصل اليه
مبلغ علمي ، فان لكل ساقطة لاقطة ، ولكل جامحة ضابطة ،
الى ان حمت حول حماهم الخصيب ، ومنحتني ملاحظتهم بعض
نصيب ، فحللت الحلة ، ولم تدعني عنايتهم ساقطا من الجلة ،
وانا مصر على الحرص والاجتهاد ، باق على حسن الظن والاعتقاد
فاتفق اجتماعي في يوم سقطت انواوه ، وحجبت باجنحة
الغوافي الخضر سماوه ، بشخص عليه جلابيب النبلا ، ودعواه
دعوى الفضلا ، فقلت هذا يوم اكتساب الفضايل والتقاط
ما يسقط من هذا الحبر من فرايد المسايل ، ورايتها طلعة
تشعر بالفايدة ، ولحية تدل على انتهاز الفرص من الغنيمة
البارده ، وكان في النفس حزازات ، من تفسير ايات في القران
الكريم ، وكلمات من حديث النبي عليه افضل الصلاة والتسليم
ومعاني امثال عربية ، ومشكلات من مسايل حكميه ، ونكت
في ابيات ادبيه ، فقلت اساله عنها ، لعله يزيل ما عندي منها
ولكن السوال قبل ان ابدي له قولا عن ترجمة الرجل وعلومه اولى
فسالت بعض الجماعة عن شهرته واسمه ، وعن نسبته وعلمه ،
ولم ادر ان اصحابه به يهزون ، وعليه يضحكون ، فقالت الجماعة
هذا الذي تشد اليه الرحال ، وترتدع عن مصادمته في الدروس
الابطال ، هذا النقمة على المبتدع والحلولي ، هذا المولى

شهاب الدين احمد بن المستولي ، هذا الذي يغني عن تحديده الشهرة
وان كان مشهورا بسقيط ، فما هو مما يدل على سقوط القدر
والقدرة وانما اشتقاقه من سقيط الندى الذي وهي به الافراط ،
وكانه المعني بقولهم يوجد في الاسقاط ، ما لا يوجد في الاسفاط
فرايت ان السوال عن اشتقاق لقبه ، ادل في جوابه على غزارة
علمه ومواد ادبه ، فاستاذنته في السوال فقال قل ما شيت
وسل عما بدا لك ولو عن رموز صحف شيت ، فقلت ما حجة الفلاسفة
الاسلاميين القايلين بالعلم الكلي والجزئي في قوله تعالى في
الانعام وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض
الاية وفي من نزل قوله تعالى في الاعراف ولما سقط في ايديهم
وراوا انهم قد ضلوا الاية وقوله تعالى في التوبة ومنهم من
يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا الاية وما سبب
نزول قوله تعالى في الاسرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
او تاتي بالله والملايكة قبيلا ومن قيلت له ومن قالها وقوله تعالى
فاسقط علينا كسفا من السما ان كنت من الصادقين وهذه الاية
الكريمة في سورة الشعراء حكاية عمن ولمن وفي من نزلت هذه الاية
الكريمة في سورة سبا ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السما وهذه الاية الكريمة في سورة الطور وان يروا كسفا من
السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم حكاية عن من ولم اذكر كل اية
من اي سورة الا ليسهل عليك الكشف لتعلم سياق الاية ومناسبتها
لما قبلها وما بعدها ليعينك ذلك على التفسير وانا اسالك

في هذه الآيات الكريمة عن اسباب النزول والاعراب وذكر مذاهب
الناس واقوال النحاة والمفسرين واللغة والمعاني والبديع وما
في مشكل الالفاظ من التصريف وما وازن اللفظ من الافعال
والمصادر وما تصريفها وما فاؤها وما عينها وما لامها فقال
علي الخبير بها سقطت ثم الخطاب وخذ الجواب . فقلت ما
مذهبك في مسئلة سقوط يد السارق وكذلك ما يسقط الدية
عن القاتل وما يسقط الزكاة وما في ذلك من الاقوال والطرق
والوجوه وما هو مستخرج من الكتاب والسنة وما هو مستنبط
بالاجتهاد والقياس وما في ذلك من الحكم وما تعليل الحكم
واخبرني اسقط الله تكاليفك وهمومك ما قال النحاة في سقوط
التنوين بماذا وما آلة التعريف هل هي ال او اللام خاصة او ال
فان الحريري يقول في الملحة .

وقال قوم انها اللام فقط . اذا الف الوصل متى يدرج سقط .

فمن قال ذلك ومن خالفه وما معنى قولهم هو مسقط راسي وما معنى
تسمية ابي العلاء المعري ديوانه بسقط الزند وما بين هذا الاسم
والشعر من النسبة وما معنى قولهم فلان سقط نجمه هل ذلك حقيقة
ام استعارة لمن اصيب بمحنة فان الحديث يرجح الثاني واخبرني عما
يسقط من النجوم الكلما سقط رجم او رجما وغيره وهل كان نجم
يسقط قبل البعثة فان سقط فلاي شيء اذ لم يكن لاستراق وعرج
على قولهم لمن مات سقط اي عربية صحيحة ام اصطلاحية وافدنا
ما جمل الراسخون ما يكتب بالصبا دخاصة فانه اذا صحت المودة

سقطت شروط التكليف واخبرني من القايل حين بويع علي
وددت ان هذه سقطت على هذه يعني السماء على الارض فان
ابا الهذيل شيخ المعتزلة ذكر ذلك في رسالة طويلة لايجوز روايتها
وما عندك من حكاية الشهود الثلاثة الذين اسقطوا عند
شهادتهم بالزنا على المغيرة بن شعبة واخبرني متى سقط هاروت
وماروت وما قصتهما وقصة الطايرين الاخضرين اللذين
سقطا بسرنديب ايام الفطحل حين كانت الحجارة رطبة واذ كل شيء
ينطق وما كان من امرهما واكشف عنا ما نحن فيه من الحيرة بسبب
سقوط النساء وما عندك من كلام حذاق الاطباء فيه وما
تعلم من اسباب سقوط الخورنق وقصة سنمار وسقوط سدير
وقصر شداد والابلق وقد اقتصرت منها على هذا القدر وما
ذكرته الا ليعلم الناظر فيه اطلاع هذا البليغ وطول باعه وفضله
انتهى ومن مشاهير الوزراء البلغاء ذو الوزارتين الكاتب المجيد الكاتب
البليغ المفيد . الناثر الناظم . ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد
ابن غالب ابن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي . وكان من ابناء
وجوه الفقهاء بقرطبة برع ادبه وجاد شعره وعلا شانه وانطلق
لسانه ثم انه انتقل من قرطبة الى المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية
في ٤٤١ فجعله من خواصه وصار يجالسه في خلوته ويعمل باشارته
وكان معه في صورة وزير وكان اولا قد انقطع لابن جهور احد
ملوك الطوايف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن منه واعتمد
عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فاعجب القوم به وتمنوا

بيله البهم لبراعته وحسن سيرته فاتفق ان نقم ابن جهور
على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه ابن زيدون بالرسالة م
المشهورة فما اجدى شيا ففر من محبسه لما اعياه الخطب فاتصل
بابن عباد فلم يزل عنده وعند ابنه المعتمد قايم الجاه وافر الحرمة
إلى ان توفي باشبيلية سنة ٤٦٣ وكانت وفاته بالبيرة وحمل الى
قرطبة ودفن بها ومولده سنة ٣٩٤ وكان يخضب بالسواد وكان له
ولد يقال له ابو بكر تولى وزارة المعتمد وقتل يوم اخذ يوسف بن
تاشفين قرطبة من بني عباد رحمهم الله تعالى وكانت غالب
اشعاره في معشوقته ولادة فانه كان يحبها حبا شديدا وولادة
كانت من بنات الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف
بالداخل من بني أمية ابوها المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله
عبد الرحمن ولما زالت دولتهم بعد قتل ابيها وتغلب ملوك الطوائف
على ملكهم ابتذل حجابها فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتشاعرهم
وتحاضرهم ويتعشقها الكبراء منهم وكانت في نساء بني امية كعلية
بنت المهدي في نساء بني العباس ولكن هذه تزيد بالجمال الفايق م
والنوادر العجيبة فمما كتبته من نظمها لابن زيدون في وقت رضاها
عنه وعدم امتناعها منه هذا الشعر

ترقب اذا جن الظلام زيارتي • فاني رايت الليل اكتم للسر
فبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر • وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي غضبى عليه

ان ابن زيدون على فضله • يلهج بي شتما ولا ذنب لي

يلحظني شزرا اذا جئته • كانما جئت لاخصي علي

تعني غلاما له يسمى عليا. وهذا الشعر فيه قالته حين اتهمها
بمواصلة الوزير ابي عامر بن عبدوس ومما ينسب اليها ايضا

الحاظكم تجرحنا في الحشا • ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا • فما الذي اوجب هذا الصدود

ولما سمع بها ابن عبدوس هام بحبها وارسل اليها امراة تستميلها
اليه وتعدد لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التزود بمواصلته
فلما بلغ خبرها ابن زيدون كتب هذه الرسالة على لسانها جوابا
لابن عبدوس فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الافاق وامسك
ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية
كما تقدم وهذه الرسالة التي ارسلتها اليه • اما بعد ايها المصاب بعقله
المورط بجهله • البين سقطه الفاحش غلطه • العاثر في ذيل
اغتراره الاعمى عن شمس نهاره • الساقط سقوط الذباب على الشراب
المتهافت تهافت الفراش في الشهاب • فان العجب اجدب • ومعرفة
المرء نفسه اصوب • فانك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت
به يد امثالك • متصديا من خلتي لما قرعت منه انوف امثالك •
مرسلا خليلتك مرتادة • مستعملا عشيقتك قوادة • كاذبا على
نفسك انك ستنزل عنها الي • وتخلف بعدها علي • ولست باول
ذي همة دعته لما ليس بالنائل ولا شك انها قلتك اذ لم تضن
بك وملتك اذ لم تغر عليك فانها اعذرت في السفارة لك وما
قصرت في النيابة عنك زاعمة ان المروة لفظ انت معناه والانسا

جسمانيت جسده وهيولاه . قاطعة انك انفردت بالجمال واستاثرت
بالكمال واستعليت في مراتب الجلال . واستوليت على محاسن الخلال
حتى خلت ان يوسف عليه السلام حاسنك ففضضت منه . وان
امراة العزيز راتك فسالت عنك . وان قارون اصاب بعض ما ملكت
والنطف عثر على ما كنزت . وكسرى حمل غاشيتك . وقيصر رعى
ماشيتك . والاسكندر قتل دارا في طاعتك . وازدشير جاهد
ملوك الطوايف بخروجهم عن جماعتك . والضحاك استدعى مسالمتك
وجذيمة بن الابرش تمنى منادمتك . وبلقيس غايرت الزبا عليك
وشيرين نافست بوران فيك . وان مالك بن نويرة انما اردفك
وعروة بن جعفر انما رحل لك . وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك
وجساسا انما قتله بانفتك . وحاتما انما جاد بوفرك . ولقى الضيفان
بشرك . والسموال انما وفى عن عهدك . والاحنف انما احتبى في بردك
وزيد بن مهلهل انما ركب بتجنيبك . والسليك بن سلكة انما عدا على
رجليك . وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك . وقيس بن زهير
انما استعان بدهائك . واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح
ذكائك . وسحبان انما تكلم بلسانك . وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك
والصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك . والحمالات بين عبس وذبيان
اسندت الى كفالتك . وان احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا
كان عن اشارتك . وجوابه لعمر وقد ساله ايهما كان ينفر وقع عن
اشارتك . وان الحجاج تقلد العراق بجدك . وقتيبة فتح ما وراء النهر
بسعدك . والمهلب انما اوهن شوكة الازارقة بجدك . وان هرمس

اعطى

اعطى بليبوس ما اخذ منك وافلاطون اورد على ارسطاطاليس
ما نقل عنك وبطليموس سوى الاسطرلاب بتدبيرك ووضع
الكرة على تقديرك وابقراط علم العلل والاعراض بلطف حسك
وجالينوس عرف الطبايع الحشايش بدقة حدسك وكلاهما قلدك
العلاج . وسالك عن المزاج . واستوصفك تركيب الاعضا واستشارك
في الدواء والداء . وانك نهجت لابي معشر طريق القضا واعطيت
النظام اصلا ادرك به الحقايق وجعلت للكندي رسما استخرج
به الدقايق . وان صناعة الالحان اختراعك . وتاليف الاوتار
والانقار توليدك وابتداعك . وان عبد الحميد بن يحيى باري
اقلامك . وسهل بن هارون مدون كلامك . وعمرو بن بحر مستمليك
ومالك بن انس مستفتيك . وانك الذي اقام البراهين ووضع
القوانين وحد الماهية وبين الكيفية والكمية وناظر في الجوهر
والعرض . وميز الصحة من المرض وفك المعمى وفصل بين الاسم والمسمى
وضرب وقسم وعدل وقوم . وصنف الاسماء والافعال . وبوب
الظرف والحال وبنى واعرب . ونفى وتعجب . ووصل وقطع وثنى
وجمع واظهر واضمر واستفهم واخبر . واهمل وقيد وارسل
واسند وبحث ونظر وتصفح الاديان ورجح بين مذهبي مانى وغيلان
واشار بذبح الجعد . وقتل بشار بن برد وانك لو شئت خرقت العادات
وخالفت المعهودات فاحلت البحار عذبة واعدت السلام رطبة
ونقلت غدا فصار امسا . وزدت في العناصر فكانت خمسا وانك
المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا . وليس لله بمستنكر

ان يجمع العالم في واحد. فلو حرت نفسك لم تزدها على ما قبلك
من شرف الطباع. وانك المراد بقول ابي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة . كنت البديع الفرد من ابياتها

فكدمت غير مكدم. واستسمنت ذا ورم. ونفخت في غير ضرم
ولم تجد لرمح مهزا. ولا لشفرة محزا. بل رضيت من الغنيمة بالاياب
وتمنيت الرجوع بخفي حنين. ونخرت وكفرت. وعبست وبسرت
وابدأت واعدت. وابرقت وارعدت. وهممت ولم افعل وكدت
وليتني. ولولا ان للجوار ذمة. وللضيافة حرمة لكان الجواب
في قذال الدمستق والنعل حاضرة ان عادت العقرب والعقوبة
ممكنة ان اصر المذنب. وهبك لم تلاحظك بعين كليلة عن
عيوبك ملاها حبيبها. حسن ما فيها من قود. وكانت اغاليطك
بجلادك وسمتك بسماك ولم تعرك شهاده ولا تكلفت لك زيادة
بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك. ووضعت الهناء مواضع النقب
فيما نسبته اليك. ولم تكن كاذبة فيما اثنته عليك. فالمعيدي تسمع
به خير من ان تراه. هجين القذال ارعن السبال. طويل العنق والعلاوة
مفرط الحمق والغباوة. جافي الطبع سيء الاجابة والسمع. بغيض الهيئة
سخيف الذهاب والجيئة. ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير
المعايب. مشهور المثالب. كلامك تمتمة. وحديثك غمغمة. وبيانك
فهفهة. وضحكك قهقهة. ومشيك هرولة. وغناوك. ودينك
زندقة. وعلمك مخرقة.

مساوي لو قسمن على الغواني . لما امهرن الا بالطلاق

حتى

حتى ان باقلا الموصوف بالبلاغة اذا قرن بك. وهبنقة مستو
اسم العقل اذا اضيف اليك. وطويسا ماثور عنه يمن الطائر اذا
قيس عليك. فوجودك عدم. والاغتباط بك ندم. والخيبة منك
ظفر. والجنة معك سقر. كيف رايت لومك للكرم كفوا. وضعتك
لشرفي وفاء. واني جهلت ان الاشيا تنجذب الى اشكالها. والطير انما
تقع على الافها. وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان. وشعرت
ان المؤمن والكافر لا يتقاربان. وقلت الخبيث والطيب لا يستويان.
وتمثلت. ايها المنكح الثريا سهيلا. عمرك الله كيف يجتمعان
وذكرت ان علق لا يباع فيمن زاد. وطائر لا يصيده من اراد. وغرض
لا يصيبه الا من اجاد. ما احسبك الا كنت قد تهيات للترقية
وترشحت للتهنية. لولا ان جرح العجماء جبار. للقيت من الكواعب
ما لاقى يسار. فما هممت الا ببعض ما هممت. ولا تعرضت الا لبعض ما تعرضت
ان ادعاوك رواية الاشعار. وتعاطيك حفظ السير والاخبار
اما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع . وتنكح في اكفائها الحبطات

وهلا عشيت ولم تغتر وما امنت ان تكون وافد البراجم او ترجع
بصحيفة المتلمس او افعل بك ما فعله عقيل بن علفة بالجهني حين
اتاه خاطبا فدهن استه بزيت وادناه من قرية النمل. ومتى كثر
تلاقينا. واتصل ترائينا. فيدعوني اليك ما دعا ابنة الخس الى عبدها
من طول السواد وقرب الوساد. وهل فقدت الارامل فانكح في جنب
الاقارب. او عضلني همام بن مرة. فاقول زوج من عود خير من قعود

ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لما ترفعت عن هذه الخطة ولا رضيت
بهذه الخطة فالنار ولا العار والمنية ولا الدنيه . والحرة تجوع
ولا تاكل بثديها . فكيف وفي ابناء قومي منكح . وفتيان نهى الطوال الغرا
ما كنت لاتخطى المسك الى الزباد . ولا اتخطى الثور بعد الجواد . فانما
يتيمم من لم يجد ماء . ويرعى الهشيم من عدم الجميم . ويركب الصعب
من لا ذلول له . ولعلك انما غرك من علمت صبوتي اليه . وشهدت
مساعفتي له من ابناء العصر وريحان المصر الذين هم الكواكب
علو همم . والرياض طيب شيم . مرذ .

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم . مثل النجوم التي يسري بها الساري .

قدح ليس منهم . ما انت وهم واين تقع منهم . وهل انت الا واو
عمرو فيهم . وكالوشيظة في العظم بينهم . واذ كنت انما بلغت
وتجافيت عن بعض قوتك . وعطرت اردانك . وجردت هميانك
واختلت في مشيتك . وخذفت فضول لحيتك . واصلحت شاربك
ومططت حاجبك . ورققت خط عذارك . واستانفت عقد ازارك
رجاء الاكتنان فيهم . وطمعا في الاعتداد منهم فظننت عجزا
واخطات استك الحفرة . والله لو كساك محرق البردين . وحلتك
مارية بالقرطين . وقلدك عمرو الصمصامه . وحملك الحارث على
النعامه . ما شككت فيك . ولا سترت اباك . ولا كنت الا ذاك وهبك
ساويتهم في ذروة المجد والحسب . وجاريتهم في غاية الظرف
والادب . الست تاوي الى بيت قعيدته لكاع . اذ كلهم عزب
خالي الذراع . واين من تنفرد به ممن لا اغلب الا على الاقل الاخس

منه

منه وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة . والشهوة الوافرة .
والنفس المصروفة الي . واللذة المقصورة علي . وبين آخر
قد نضب غديره . ونزحت بيره . وذهب نشاطه . ولم يبق الا ضراطه
وهل يجتمع لي فيك الا الحشف وسوء الكيل . وتجتمع الا الغدة
والموت في بيت سلولية تعالى الله يا سلم بن عمرو . اذل الحرص اعناق
الرجال . ما كان اخلقك بان تقدر على ذرعك . وتربع على ظلعك
ولا تكون براقش الدالة على اهلها . وعنز السوء المستثيرة لحتفها
فما اراك الا سقط بك العشاء على سرحان . وبك لا بظبي اعفرت اعذرت
ان اغنيت شيا . واسمعت لو ناديت حيا . ان العصا قرعت لذي
الحلم . والشيء تحقره وقد ينمي . وان بادرت بالندامه . ورجعت
على نفسك بالملامه . وكنت قد اشتريت العافية لك بالعافية
منك وان قلت جمجمة ولا طمن ورب صلف تحت الراعدة وانشدت

لا يونسنك من مخدرة . قول تغلطه وان جرحا .

فعدت
لما نهيت عنه . وراجعت ما استعفيت منه . بعثت من يزعجك الى
الحضرة دفعا . ويستحثك نحوها وكزا وصفعا . فاذا وصلت
عبثت اكارها بك . وتسلط نواطيرها عليك . فمن قرعة بمجوجة
في قفاك . ومن فجلة منتنة ترمي بها تحت خصاك . ذلك بما قدمت
يداك . لتذوق وبال امرك . وترى ميزان قدرك . ومن جهلت
نفسه قدره راى غيره منه ما لا يرى . ومن الوزراء المشهورين
ابو الطاهر محمد بن بقية بن علي الملقب نصير الدولة وزير عز
الدولة بن معز الدولة بن بويه كان من جملة الرؤساء واكابر

الوزراء واعيان الكرماء وسيل الشماع عن راتب عز الدولة من الشمع كم كان فقال كان راتب وزيره محمد بن تقية الفا من في كل شهر فاذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة اليه فكم يكون غيره مما يحتاج اليه وكان في اول امره توصل الي ان صار صاحب مطبخ معز الدولة ثم تنقل الي غيرها من الخدم ولما مات معز الدولة وافضي الامر الي عز الدولة حسنت حاله عنده ورعي له خدمته وتقدم الي ان استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة ٣٦٢ ثم انه قبض عليه لسبب اقتضي ذلك يطول شرحه وحاصله انه حمله علي محاربة ابن عمه عضد الدولة ثم فالتقيا علي الاهواز وكسر عز الدولة ونسب ذلك الي رايه ومشورته وفي ذلك يقول ابو غسان الطبيب بالبصرة

اقام علي الاهواز خمسين ليلة … يدبر امر الملك حتي تدبرا

فدبر امرا كان اوله عمي … واوسطه بلوي واخره خرا

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة سنة ٣٦٦ بمدينة واسط وسمل عينيه ولزم بيته وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة عنه امور تسوءه منها انه كان يسميه ابا بكر العدس تشبيها برجل اسمه ازرق يسمي ابا بكر كان يبيع العدس ببغداد وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان الوزير يفعل ذلك تقربا الي مخدومه عز الدولة فلما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد ودخلها طلب ابن تقيه والقاه تحت ارجل الفيلة فلما قتله صلبه ببغداد وذلك يوم الجمعة

لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ قال ابن الهمداني في كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة ابن تقية المذكور بعد ان كان يتولي امر المطبخ قال الناس من الغضارة الي الوزارة وستر كرمه عيوبه فقد خلع في عشرين يوما عشرين الف خلعة قال ابو اسحاق الصابي رايته وهو يشرب في بعض الليالي وكلما لبس خلعة خلعها علي احد الحاضرين فزادت علي مايتي خلعة فقالت له مغنية يا سيدنا الوزير في هذه الثياب زنابير ما تدعها تثبت علي جسمك فضحك وامر لها بجميع ما عليه وهو اول وزير لقب بلقبين فان الامام المطيع لقبه بالناصح ولقبه ولده الطايع بنصير الدولة ولما صلب رثاه ابو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الانباري احد العدول ببغداد بقوله

علو في الحياة وفي الممات … بحق انت احدي المعجزات

كان الناس حولك حين قاموا … وفود نداك ايام الصلات

كانك قايم فيهم خطيبا … وكلهم قيام للصلوة

مددت يديك نحوهم احتفاء … كمدهما اليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الارض عن ان … يضم علاك من بعد الممات

اصاروا الجو قبرك واستنابوا … عن الاكفان ثوب السافيات

وتشعل عندك النيران ليلا … كذلك كنت ايام الحيوة

ولواني قدرت علي قيام … لفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الارض من نظم القوافي … ونحت بها خلاف النايحات

ولكني اصبر عنك نفسي … مخافة ان اعد من الجناة

وما لك تربة فاقول تسقي … لانك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترا . برحمات غوادٍ رايحات
ولم يزل ابن بقية مصلوبا إلى ان توفي عضد الدولة فانزل عن
الخشبة فدفن في موضعه فقال فيه ابو الحسن الانباري صاحب المرثية
لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت وقد . باؤا باثمك ثم استرجعوا ندما
وايقنوا انهم في فعلهم غلطوا . وانهم نصبوا في سودد علما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما . ما زال مالك بين الناس منقسما
قال ابن عساكر في تاريخ دمشق لما صنع ابو الحسن المرثية الثانية
كتبها ورماها في شوارع بغداد فتداولها الادباء الى ان وصل الخبر
إلى عضد الدولة فلما انشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب
دونه وقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب
ابن عباد فكتب له الامان فقصده فقال له انت القايل هذه الابيات
قال نعم قال انشدنيها فلما انشدها وقال
فلم ار قبل جذعك قط جذعا . تمكن من عناق المكرمات
قام اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وانفذه الى عضد الدولة
فلما مثل بين يديه قال له ما الذى حملك على مرثية عدوي فقال
حقوق سلفت واياد مضت فجاش الحزن في قلبي فرثيته فقال
هل يحضرك شيء في الشموع والشموع تزهر بين يديه فانشأ يقول
كأن الشموع وقد اظهرت . من النار في كل راس سنانا
اصابع اعدايك الخايفين . تضرع تطلب منك الامانا
فلما سمعها خلع عليه خلعة واعطاه فرسا وبدرة انتهى كلامه
ومن الابيات ركبت مطية من قبل زيد . علاها في السنين الماضيات

وزيد

وزيد هذا هو ابو الحسن بن زين العابدين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكان قد ظهر في ايام هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٢
ودعى الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين يومئذ
جيشا مقدمه العباس المري فرماه رجل منهم بسهم فاصابه فمات
وصلب بكناسة الكوفة ونقل راسه الى البلاد في صفر سنة ١٢١
ولزيد اثنان واربعون سنة يومئذ وهو صاحب المسجد الذي بين
مصر وبين بركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون يقال ان را
مدفون به والله اعلم ومن شعر ابي الحسن الانباري المذكور في الباقلا
الاخضر . فصوص زمرد في غلف در . باقماع حكت تقليم ظفر
وقد خلع الربيع لها ثيابا . بها لونان من بيض وخضر
ومن الوزراء الادباء الوزير ابن السقاط فمن ملاطفته ما كتبه
الى بعض اصحابه يستدعيه بقوله

الوزير ابن السقاط

يومنا اعزك الله نقبت شمسه بقناع الغمام . وذهبت طاسه
بشعاع المدام . ونحن من نضير النوار على نضائر النضار ومن
مفاكهة الندمان . بين زهر البستان . ومن سقاة الكووس وتعاطي
المدام . بين مشرقات الشموس وعواطي الارام . فرايك في مصالحة
الاقمار ومنافحة الانوار ان شاء الله تعالى تفضل بحق الكاس
تفضل بحق الكاس والراح والحق . وزجيل اصداغ غدون على خد
وكن غير مامور جواب سؤالنا . ولا تحوجنا بالتعلل والوعد
وانشد ابو الفتح البستي في الوزير
يا من اعاد رميم الملك منشورا . وضم بالراي امرا كان منشورا

انت الوزير وان لم توت منشورا • والامر بعدك ان لم توتمن شوري
ولابن الوزير • قالوا فلان قد وزر • فقلت كلا لا وزر •
والدهر كالدولاب لا يدور الا بالبقر • وقدم بعضهم وزيرا
فقال • من آلة الدست ما عند الوزير سوى • تحريك لحيته في حال ايماء
فهو الوزير ولا ازر يشد به • مثل العروض له بحر بلا ماء •

الوزير بن حزم الزيات

ومن مشاهير الوزراء اهل الادب والفصاحة ابو جعفر بن عبد الملك
بن ابان بن حزم المعروف بابن الزيات وزير المعتصم كما ذكره ابن خلكان
قال كان من اهل الادب الظاهر والفضل الباهر • فاضلا بليغا عالما
بالنحو واللغة ذكر ميمون بن هرون الكاتب بن ابي عثمان المازني
لما قدم بغداد في ايام المعتصم كان اصحابه وجلساوه يحضرون
بين يديه في علم النحو فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم
ابو عثمان ابعثوا الى هذا الفتى يعني ابن الزيات فاسئلوه فيفعلون
وقد ذكره ابو عبد الله هارون المنجم في كتاب البارع واورد له
من شعره عدة مقاطيع وكان في اول امره من جملة الكتاب وكان احمد
ابن عمار شادي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب
من بعض العمال فقراه الوزير عليه فكان في الكتاب ذكر الكلاء
فقال له المعتصم ما الكلاء فقال ما اعلم وكان قليل المعرفة بالادب
فقال المعتصم خليفة امي ووزير عامي وكان المعتصم ضعيف
الكتابة ثم قال ابصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد
ابن الزيات فادخلوه اليه فقال له ما الكلاء قال الكلاء العشب
على الاطلاق فان كان رطبا فهو الخلا واذا يبس فهو الحشيش

وشرع

وشرع في انواع تقسيم النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره
وحكمه وبسطه يده وحكى ابو عبد الله البيمارستاني ان ابا حفص الكرماني
كاتب عمرو بن سعد كتب الى محمد بن عبد الملك الزيات المذكور اما بعد
فانك ممن اذا غرس سقى غرسه • واذا اسس بنا اسه • ويجتني ثمر غرسه
وبناوك في ودي قد وهي وشارف الدروس وغرسك عندي قد
عطش واشفى على اليبوس • فتدارك بنا ما اسست وسقي ما غرست
فقال البيمارستاني فحدثت بذلك عبد الرحمن العطري فقال في هذا
المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ثم وجدت
الابيات في ديوان ابي نواس صنعة الاصبهاني •

انا لبرامكة الكرام تعلموا • فعل الجميل وعلموه الناسا •
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا • لا يهدمون لما بنوه اساسا •
واذا هم صنعوا الصنايع في الورا • جعلوا لها طيب البقا لباسا •
فعلى م تسقيني وانت سقيتني • كاس المودة من جفابك كاسا •
آنستني متفضلا افلا ترى • ان القطيعة توحش الايناسا •

وقد تقدم ترجمة عبد المحسن الصوري في هذا المعنى ولابن الزيات المذكور
اشعار رايقة فمن ذلك قوله •

سماعا يا عباد الله مني • وكفوا عن ملاحظة الملاح •
فان الحب آخره المنايا • واوله يهيج بالمزاح •
وقالوا دع مراقبة الثريا • ونم فالليل مسود الجناح •
فقلت وهل افاق القلب حتى • افرق بين ليلي والصباح •

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان ابن الزيات المذكور كان يعشق

جارية من جوار القيان فبيعت من رجل من اهل خراسان فاخرجها
فذهل عقله حتى غشي عليه • ثم انشا يقول ويترنم بقوله

يا طول ساعات ليل العاشق الدنف • وطول رعيته للنجم في السدف
ما قال يا اسفي يعقوب من كمد • الا لطول الذي لاقى من الاسف
من سره ان يرى بيت الهوى دنفا • فليستدل على الزيات وليقف

ومن شعره ما ذكره في كتاب البارع يرثي جاريته وقد خلفت له ابن
ثمان سنين وكان يبكي عليها فيتألم بسببه

الا من راى الطفل المفارق امه • بعيد الكرى عيناه ينسكبان
راى كل ام وابنها غير امه • يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيدا في الفراش تحثه • بلابل قلب دائم الخفقان
فهبني عزمت الصبر عنها لانني • جليد فمن للصبر بابن ثمان
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جنة • ولا يأتسي بالناس في الحدثان

ومدحه البحتري بقصيدته الدالية واحسن في وصف خطه وبلاغته
وقال في اخرها • وارى الخلق مجمعين على فضلك من بين سيد ومسود
عرف العالمون فضلك بالعلم • وقال الجهال بالتقليد

ولابي العباس الصولي المتقدم ذكره فيه مقاطيع يعيب فيها منها قوله

اخ كنت آوي منه عند ادكاره • الى ظل آباء من العز شامخ
سعت نوب الايام بيني وبينه • فاقلعن منه عن ظلوم وصارخ
واني واعدادي لدهري محمدا • كملتمس اطفاء نار بنافخ

وقوله • قلت لها حين اكثرت عذلي • ويحك اودت بنا المروات
قالت فاين السرات قلت لها • لا تسألي عنهم فقد ماتوا

قالت فاين السرات قلت لها • هذا وزير الامام زيات

وله غير ذلك وما زالت الاشراف تهجى وتمدح وكان الزيات قد
هجا القاضي احمد بن ابي دواد الايادي المتقدم ذكره بتسعين بيتا
فعمل القاضي احمد فيه بيتين وهما قوله

احسن من تسعين بيتا انت • جمعك معناهن في بيت
ما احوج الملك الى مطرة • تغسل عنه وضر الزيت

ولما مات المعتصم وقام بالامر ولده الواثق فانشد ابن الزيات
المذكور • قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا • في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله امة فقدت • مثلك الا بمثل هرون

واقره الواثق على ما كان عليه في ايام المعتصم بعد ما كان متسخطا
عليه في ايام ابيه • وحلف يمينا مغلظة انه ينكبه اذا صار الامر
فلما ولي امر الكتاب ان يكتبوا ما يتعلق بالبيعة فكتبوا فلم يرض
ما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وامر بتحرير المكاتبات عليها
فكفر عن يمينه • وقال المال والفدية عن اليمين عوض وليس عن الملك
وعن الزيات عوض فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شي فسخط
عليه بعد ولايته باربعين يوما وقبض واستصفى امواله وكان سبب
قبضه عليه انه لما مات اخو المتوكل الواثق بالله اشار محمد المذكور
بتولية ولد الواثق واشار القاضي احمد بن ابي دواد المتقدم ذكره
بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده والبسه البردة
وقبل بين عينيه وكان المتوكل في ايام الواثق يدخل الى الوزير المذكور
فيتجهمه ويغلظ عليه في الكلام وكان يتقرب في ذلك الى قلب الواثق

فحقد المتوكل عليه ذلك فلما ولي الخلافة خشي ان يكلمه عاجلا فيستر
امواله فتفوته فاستوزره ليطمين وجعل القاضي احمد يغويه ويجد
عنده لذلك موقعا فلما قبض عليه ومات في التنور كما سياتي ذكره
لم يجد من جميع املاكه وضياعه وذخاير الا ما كانت قيمته مايه الف
دينار فندم علي ذلك ولم يجد عنه عوضا وكان ابن الزيات المذكور
قد اتخذ تنورا من حديد واطراف مسامير المحدودة الى داخل وهي
قايمة مثل روس المسال في ايام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين
وارباب الدواوين المطلوبين بالاموال فكيف ما انقلب واحد منهم
او تحرك من حرارته تدخل المسامير في جسمه فيجدون لذلك الالم ولم
يسبقه احد الي هذه العقوبة وكان اذا قال واحد منهم ايها الوزير
ارحمني فيقول له الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله المتوكل امر بادخاله
التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا امير المومنين
ارحمني فقال له الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب
دواة وبطاقة فكتب

هي السبيل فمن يوم الي يوم • كانه ما تريك العين في النوم •
لا تجزعن رويدا انها دول • دنيا تنقل من قوم الي قوم •

وسيرها الي المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا في الغد فلما قراها
امر باخراجه فوجدوه ميتا وذلك في سنة ٢٣٣ وكانت مدة اقامته
في ذلك التنور اربعين يوما وكان القبض عليه لثمان بقين من صفر
من السنة المذكورة ووجده قد كتب بالفحم في جانب التنور

من له عهد بنوم • يرشد الصب اليه • رحم الله رحيما • دل عيني عليه •

سهرت

سهرت عيني ونامت • عين من هنت عليه • وقال احمد
لما قبض علي بن الزيات تلطفت الي ان وصلت اليه فرايته في حديد
ثقيل فقلت له يعز علي ما اري فقال

سل ديار الحي ما غيرها • وعفاها ومحي منظرها • هذه الدنيا اذا ما انقلبت
صيرت معروفها منكرها • انما الدنيا كظل زائل • نحمد الله كذا قدرها •

ولما حصل في التنور قال له خادمه يا سيدي قد صرت الي ما صرت
اليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنيعهم فقلت
ذكرك لهم في هذه الساعة قال صدقت وقد اختلف في اشتقاق
الوزارة علي قولين فقال ابن قتيبة انها من الوزر بسكون الزاي
وهو الحمل كان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل وقال ابو اسحق
الزجاجي انها من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الجبل الذي يعتصم
به لينجي من الهلاك وكذلك الوزير الذي يعتمد عليه الخليفة او
السلطان ويلتجي اليه في رايه • وما ذكرنا من اخبار الوزراء العظام
فيه بلغة لذوي الافهام • ومن تامل هذه اللطائف • علم انه ليس
الفخر بالوزارة بل بالعلوم والمعارف • فان شرف الوزير بما هو منطوي
عليه كما ان فضيلة الانسان باصغريه • فشرف المنصب بالامير • ومما
يستدل به علي حسن نظام الملك كمال عقل الوزير والحجابة بالكسر
مصدر حجبه اذا منعه كذا قال العلامة السندوبي والذي في
القاموس ان مصدر حجبه انما هو حجبا وحجابا قال فيه حجبا وحجابا
ستره وقد احتجب وتحجب والحاجب البواب جمع حجبة وحجاب
وخطته الحجابة والحجاب ما احتجب به جمع حجب والحجب محركة مجري

النفس وكلتف الاكمة والحاجب الشعر النابت علي العظم جمع حواجب ومن كل شي حرفه ومن الشمس ناحية منها واستحجبه ولاه الحجابة انتهي ويطلق علي الحاجب لفظ وعلي السادن فهو مرادف له لان كلا منهما خدمتها البوابة انتهي فايدة لما فتح الله مكة علي يد نبيه عليه الصلاة والسلام اتي البيت ليدخله فسال عن المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة فارسل اليه فقال هات المفتاح فابي فالوي علي رضي الله عنه يده واخذ منه وفتح الباب ودخل رسول الله صلي الله عليه وسلم البيت وصلي فيه ركعتين فلما خرج قال له عمه العباس بابي انت وامي يا رسول الله اجعل لي السدانة مع السقاية يعني اجعل لي مفتاح البيت فانزل الله تعالي ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها فامر رسول الله صلي الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يرد المفتاح الي عثمان ابن طلحة فرده عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم فقال جبريل للنبي صلي الله عليه وسلم ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته قايمة فان المفتاح في اولاد عثمان ابن ابي طلحة وفي رواية انه لما طلب المفتاح من عثمان ابي فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فقال هاك انت يا رسول الله خذه بامانة الله فقال فاخذ النبي صلي الله عليه وسلم المفتاح ففتح الباب ومكث في البيت ما شاء الله فلما خرج نزل جبريل عليه السلام بالاية انتهي ومما قيل في مدح الحاجب ، وافيت منزله فلم ار حاجبا ، الا تلقاني بسن ضاحك

والبشر في وجه الغلام امارة ، لمقدمات ضيا وجه المالك ،
ولبعضهم ، اذا كان الكريم له حجاب ، فما فضل الكريم علي اللئيم ،
وقال ابن ابي السمط ، له حاجب عن كل امر يشينه ، وليس له عن طالب العرف حاجب
ولبعضهم في ذم حاجب ، ساترك بابا انت تملك اذنه ، ولو كنت اعمي عن جميع المسالك
ولو كنت بواب الجنان تركتها ، وحولت وجهي مسرعا نحو مالك ،
ولاخر ماذا علي بواب بابكم الذي ، لا الاذن يعطينا ولا يستاذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم ، او كان يدفع بالتي هي احسن ،
الكتابة بكسر الكاف هي الخط بالقلم وقد مدحت قديما وحديثا فقد قيل ان فيها تسع خصال حميدة بها قد جمع القرات ، بها حفظت الاثار ، اكدت العهود ، سيقت التواريخ ، نقشت السكك ، بها عرفت الاخبار ، ثبتت الحقوق ، واول من خط بالعربية اسمعيل والصحيح عند اهل العلم انه مرامر بن مرة من اهل الانبار وقيل انه من بني مرة ومن الانبار انتشرت الكتابة في الناس قال الاصمعي ان قريشا سئلوا من اين لكم الكتابة فقالوا من الانبار وروي ابن الكلبي والهيثم بن عدي ان الناقل لهذه الكتابة من الحيرة الي الحجاز هو حرب ابن اميه بن عبد شمس القرشي وكان قد قدم الحيرة وعاد الي مكة بهذه الكتابة وقيل لابي سفيان بن حرب من اين اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقال سالت اسلم من اين اخذت الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة فحدوث هذه الكتابة قبل الاسلام بقليل وكان لحمير كتابة تسمي المسند وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها احد الا باذنهم

فخالف ملة الاسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب وجميع
كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنا عشر كتابة وهي العربية
والحميرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية
والقبطية والبربرية والاندلسية والهندية والصينية والله
اعلم والعرب تقول القلم احد اللسانين واليأس احد الراحتين
والرد الجميل احد الصدقتين والبشر احد القراين وحسن الادب
احد النسبتين والمرق احد اللحمين وقلة العيال احد اليسارين
والحاجة احدى المنيتين ولم تزل الكتاب ارباب المعارف
لهم الفخر في التليد والطارف فمنهم ابو علي محمد بن الحسين بن مقلة
الكاتب كان في اول امره متولي بعض اعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت
احواله الى ان استوزره الامام المقتدر بالله وخلع عليه لاربعة عشر
ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ست عشرة وثلثمائة
ثم نفاه الى بلاد فارس رسولا يجيء به ورتب له نايبا عنه فوصل
ابن مقلة من فارس بكرة يوم الاضحى من سنة ٣٢٠ وخلع عليه ولم يزل
وزيرا حتى اتهمه فامر علي بن بليق بالفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر
فاستتر في اول شعبان سنة ٣٢١ ثم استوزره ايضا لسبع خلون من
جمادى الاولى سنة ٣٢٢ واتفق رايهم على تفويض الوزارة الى عبد الرحمن
ابن عيسى بن داود الجراح فقلده الراضي الوزارة وسلم عليه ابو علي
ابن مقلة فضربه بالمقارع وجرى من المكاره بالتعليق وغيره من
العقوبة شيء كثير واخذ خطه بالفي الف دينار ثم خلص وجلس
في داره ثم ان ابا بكر بن رائق استولى على الخلافة وخرج عن طاعة

فانفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله
امير الامراء ورد اليه تدبير اعمال الخراج والضياع من جميع النواحي
وامر ان يخطب له على جميع المنابر فقوي امره وعظمت نخوته وتصرف
على حسب اختياره واحتاط على املاك ابن مقلة وضياعه
واملاك ولده ابي الحسين فخضع اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل
لهما في معنى الافراج عن املاكه فلم يحصل منهما الا على المواعيد
فلما راى ابن مقلة ذلك اخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة
وكتب الى الراضي يشير اليه بامساكه والقبض عليه وضمن له
انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة الف الف
دينار وكانت مكاتبته على يد هارون المنجم النديم المقدم ذكره
فاطمعه الراضي بالاجابة الى ما سال وترددت الرسل بينهما
في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على ان ينحدر
اليه سرا ويقيم عنده الى ان يتم التدبير فركب من داره وقد بقي
من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر يكون
تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فلما وصل الى دار الخليفة
لم يمكنه من الوصول واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غد الى ابن
رائق واخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصل في اسره وترددت
بينهما المراسلات في ذلك فلما كان رابع عشر شوال سنة ٣٢٤ اظهر الراضي
امر ابن مقلة واخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة
من القواد وتقاتلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده التي كتب
المطالعة فلما انتهى كلامهما في المقاتلة قطعت يده اليمنى ورد الى

محبسه ثم ندم الراضي علي ذلك وامر الاطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتي بري وكان ذلك نتيجة دعاء ابي الحسن محمد بن شنبوذ المقري عليه بقطع يده وملخص ذلك ان ابن شنبوذ المقري كان فيه ديانة وصلاح لكن كان فيه حمق كثير اللحن قد تفرد بقراءة من الشواذ وكان يقرا بها في المحراب فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فامر باحضاره ورسم عليه اياما في داره ثم احضره واحضر القاضي ابا الحسين وابا بكر احمد موسى بن المقري وجماعة من اهل القرآن واحضر ابن شنبوذ المذكور ونوظر بحضرة الوزير فاحش غلظا في الخطاب علي الوزير والقاضي ونسبهم الي قلة المعرفة فامر الوزير بضربه فضرب سبعا فدعي وهو يضرب بقطع يده فكان الامر كما ذكر ثم بعد ذلك استتابوه فتاب وقيل انه رجع عما كان يقرا به وان لا يقرا الا بمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وبالقراءة المتعارفة واستغفر الوزير فاقر بما كان يقرا به اولا من الشواذ وكتب بذلك محضرا وامر ان يكتب خطه في اخر المحضر ونسخة المحضر سئل محمد ابن احمد المعروف بابن شنبوذ عن ما حكي عنه انه يقراه وهو اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فامضوا الي ذكر الله فاعترف به وعن وتجعلون شكركم انكم تكذبون فاعترف به وعن تبت يدا ابي لهب وقد تب فاعترف به وعن ايات شاذة غير ذلك فاعترف بها وعن وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وعن كالصوف المنفوش فاعترف بها وعن ايات شاذات غير ذلك فاعترف بها فكتب الشهود الحاضرون شهادتهم في المحضر حسبما سمعوا من لفظه وكتب

ابن شنبوذ خطه وصورة ما كتب يقول احمد بن محمد بن ايوب المعروف بابن شنبوذ ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي وذلك يوم الاحد لسبع خلون من شهر ربيع الاخر سنة ٣٢٣ في مجلس الوزير ابي علي محمد بن مقلة ادام الله توفيقه ثم كلم ابو ايوب السمسار الوزير ابن مقلة في امره وسأله اطلاقه وان يعفو عنه وسأله ان ينفذه الي منزله بالليل لئلا تقتله العامة فاجابه الوزير الي ذلك وانفذه الي داره سرا انتهى من ابن خلكان قال الحسن بن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب وكان يدخل الي ابن مقلة لمعالجته قال كنت اذا دخلت اليه في تلك الحالة يسألني عن احوال ابي الحسن فاعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح علي يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين وتقطع كما تقطع ايدي اللصوص فاسليه واقول له هذا انتهاء المكروه فينشدني ويقول:

اذا ما مات بعض ناب بعض ۞ فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وارسل الي الراضي من الحبس واطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد مما يمنع الوزارة وكان يشد القلم علي ساعده ويكتب به ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الي ابن رائق امر بقطع لسانه ايضا فقطع واقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء لنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه اخرى وله اشعار في شرح حاله ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن

ذلك قوله • ما سئمت الحياة لكن توثقت • بايمانهم فبانت يميني
• بعت ديني لهم بدنياي حتى • حرموني دنياهم بعد ديني
• ولقد حطت ما استطعت بجهدي • حفظ ارواحهم فما حفظوني
• ليس بعد اليمين لذة عيش • يا حياتي بانت يميني فبيني
ومن المنسوب الى ابن مقلة •
• لست ذا ذلة اذا عضني الدهر • ولا شامخا اذا واتاني
• انا نار في مرتقى نفس الحاسد • وماء جار مع الاخوان •

ومن شعره ايضا ما ذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر
• فاذا رأيت فتى باعلى رتبة • في شامخ من عزه المترفع
• قالت لي النفس العروف بقدرها • ما كان اولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى ان توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال ٣٢٨ سنة ودفن بمكانه ثم نبش بعد زمان وسلم الى اهله وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة ٢٧٢ ببغداد ويقال انه اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين في هذه الصورة ولابن مقلة الفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله اني اذا احببت تهالكت • واذا ابغضت اهلكت واذا رضيت آثرت واذا غضبت اثرت ومن كلامه يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا • ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا ولكل معنى مليح في النظم والنثر وكان ابن الرومي الشاعر يمدحه فمن معانيه الجيدة ما قال فيه •
• ان يخدم القلم السيف الذي خضعت • له الرقاب ولانت دونه الامم

فالموت

فالموت والموت لا شيء يعادله • ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت • ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

وكان اخوه ابو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة كاتبا اديبا بارعا والصحيح انه صاحب الخط المليح ومن مشاهير الكتاب الموصوفين بالبلاغة والآداب ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور لم يوجد من كتاب المتقدمين ولا المتأخرين من ساواه ولا من قاربه وان كان ابو علي بن مقلة اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه ايضا في غاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة وقيل ان صاحب الخط المنسوب ليس هو ابا علي المذكور وانما هو اخوه عبد الله الحسن ولما شاهد ابو عبيد البكري الاندلسي صاحب التصانيف خط ابن مقلة المذكور انشد

• خط ابن مقلة من ارعاه مقلته • ودت جوارحه لو اصبحت مقلا
• فالدر يصفر لاستحسانه حسدا • والنور يحمر من نواره خجلا

والكل معترفون لابي الحسن بالتفرد وعلى منواله ينسجون وليس وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعي ذلك مع ان في الخلق من يدعي ما ليس فيه ويقال له ابن الستري ايضا لان اباه كان بوابا والبواب لازم ستر الباب فلهذا نسب اليه وكان شيخه في الكتابة ابن اسد بن علي بن سعيد القاري الكاتب البزاز البغدادي وتوفي ابن البواب المذكور يوم الخميس ثاني جمادي الاولى سنة ٤٢٣

ودفن جوار الامام احمد بن حنبل وقد رثاه بعض الفضلاء بقوله

استشعر الكتاب فقدك سالفا ... وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سودت الدواة كآبة ... اسفا عليك وشقت الاقلام

وهذا معنى حسن جدا ومما وصف به كتاب حسن الخط وهي

كتاب كوشي الروض خط سطوره ... يد ان هلال عن فم ابن هلال

ولما ان تمسك الكتاب اكحوي ... فلا يد سحر للبيان حلال

وقفت على ربع منا لفضل آهل ... وقوفي بربع للاحبة خالي

ارقرق من دمعي وادمن لثمه ... وارسال اطلال لا تجيب سوالي

ومن الكتاب المشهورين ابو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب الملقب امين الدين المعروف بالملكي نسبة الى السلطان ابي الفتح ملك شاه بن سلجوق بن محمد بن ملك شاه الاكبر نزل الموصل واخذ النحو عن ابي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي وقرا عليه من تصانيفه جملة ولم يكن في اخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونبا هة تامة وكان مغرى بنسخ كتاب الصحاح للجوهري فكتب منه نسخا كثيرة كل نسخة مجلد واحد وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة في زمانه وقصده الناس من البلاد وسيروا اليه من بغداد النجيب بن عبد الله الحسن بن علي بن ابي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به وهي قصيدة جيدة في بابها ووصف حسن خطه فابلغ فمنها قوله يصف حسن خطه

ذا يراع يخاف سطوته الاسد ... وتعنو له الكتائب ذلا

واذا افتر ثغره عن سواد ... في بياض فالبيض والسمر مجلا

يقظ في حراسة الملك لا يهمل ... سهما ولا يجرد نصلا

ومنهم ابو الفضل محمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد نعت والده لقبوه بذلك على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم وكان فيه فضل وآداب وله ترسل واما والده ابو الفضل فانه كان وزير ركن الدولة ابي علي الحسن بن بويه الديلمي تولى وزارته عقب موت وزيره علي بن القمي وذلك في سنة ٣٢٨ وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم واما الادب والترسل فما يقاربه فيه احد في زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل المقدار ومن بعض اتباعه الصاحب بن عباد المتقدم ذكره ولاجل صحبته قيل له الصاحب وكانت له في الرسائل اليد العليا وقال الثعالبي في كتابه اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وكان الصاحب بن عباد قد سافر الى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها قال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وكان يقال له الاستاذ وكان سائسا مدبرا للمملكة قائما بحقوق الملك وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد ومدحوه فمنهم ابو الطيب المتنبي ومدحه بقصائد منها احداها التي اولها

باد هواك صبرت ام لم تصبرا ... وبكاك ان لم يجر دمعك اوجرى

ارجان ايتها الجياد فانه ... عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا

لو كنت افعل ما اشتهيت فعاله ... ما شق كوكبك العجاج الاكدرا

اني ابا الفضل المبراء ليثني . لا يمن اجل بحر جوهرا
من يبلغ الاعراب اني بعدها . شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وملكت مهر عشارها ولخافني . من ينحر البدن المشار لمن قرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه . متكلما متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كانما . رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما . وانا فداك او اتيت مؤخرا
وهي من القصايد المختارة قال ابن الهمداني في كتاب عيون السير
اعطاه ثلاثة الاف دينار وقد كان ابو نصر عبد العزيز بن نباتة
السعدي قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بهذه القصيدة
برح اشتياق وادكار . ولهيب انفاس حرار . ومدامع عبراتها
ترفض عن نوم مطار . لله قلبي ما يجن من الهموم وما يواري
فعدي انقضي سكر الشراب وما انقضي سكر الخمار ومواطن اللذات وطا
ودار للهو داري . واذا استهل ابن العميد . تضاءلت ديم القطار
حر صفت اخلاقه . صفو السبيك من النضار . فكانما رقت مواهبه
بانواع البحار . كلف بحفظ السر يحسب من ليال السرار
انا الكبار من الامور . تنال بالهمم الكبار . والجالي الفضل انعشت
هو اجنل السواري . فتاخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة
باخري وابتعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة
حاله التي ورد عليها فتوصل الى ان دخل عليه يوم المهرجان في مجلس
حفل باعيان الدولة ومقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه
واشار بيده اليه وقال ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل

وذللت لك ذل النعل واكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك
والله ما بي الحرمان ولكن شماتة الاعداء قوم نصحوني فاغششتهم
وصدقوني فاتهمتهم فباي وجه القاهم وباي حجة اقاومهم
ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مولم
وياس مسقم فان كان للنجاح علامة فاين هي وما هي الا ان الذين
تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا
مثلك في الاستزادة تراهم بمنكبك اعظمهم شانا وانورهم شعاعا
واشرفهم بقاعا فخار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق
ساعة ثم قال هذا وقت يضيق على الاطالة منك في الاستزادة
وعن الاطالة في المعذرة وان تواهبنا ما دفعنا اليه استانفنا
ما نتحامد عليه فقال ابن نباته ايها الرئيس هذه نفثة صدر
وقد منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغني اذا
مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجبت
هذا العتب من احد من خلق الله ولقد نافرت العميد من دون
راحتي رفعنا قري حاتم ولحاح قابوس ولست ولي نعمتي فاحتملك
ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما اوقرت في مسامعي ينقض
من الحليم ويبدد شمل الصبر هذا وما استدعيتك بكتاب
ولا استدعيتك برسول ولا سالتك مدحي ولا كلفتك تقريضي
فقال ابن نباته صدقت ايها الرئيس انك ما استدعيتني بكتاب
ولا استدعيتني برسول ولا سالتني مدحك ولا كلفتني تقريضك
ولكن جلست في صدر ايوانك بابهتك وقلت لا يخاطبني احد الا

الا بالرياسه ولاينازعني خلوني في احكام السياسة فاني كاتب
ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة
فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال فثار
ابن العميد مغضبا واسرع الى صحن داره الى ان دخل حجرته وانفض
المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول
والله ان سف التراب والمشي على الجمر اهون من هذا فلعن الله الادب
اذا كان بايعه مهينا ومشتريه مماكسا فلما سكن غيظ ابن العميد
وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل ما علق كان
منه فكانما غاص في سبع ارضين فكانت حسرة في قلب ابن العميد
الى ان مات
انتهى وكان ابو الفرج احمد بن محمد الكاتب متكنا عند مخدومه ركن
ابن بويه وله الرتبة العالية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه
من الاكرام فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب اليه

مالك مافور اقما ذا الذي ۰ اكسبك التيه على المعدم
ان كنت ذا علم فمن ذا الذي ۰ مثل الذي يعلم لم تعلم
وانت في الغارب من دولة ۰ ونحن من دونك في الميسم
وقد ولينا وعزمنا لها ۰ انت فلم تصغر ولم نعظم
تكافات احوالنا كلها ۰ فصل على الانصاف وفاصرم

وللصاحب بن عباد فيه مدايح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم مرة
الى اصبهان والصاحب فيها فكتب اليه يقول

قالوا ربيعك اذ قدم ۰ قلت البشارة اذ سلم
اهو الربيع اخو الشتا ۰ ام الربيع اخو الكرم

قالوا

قالوا الذين بنوا له ۰ امل المقل من العدم
تلك الرييس ابن العميد ۰ اذا افتقا لوالي نعم

ومن محاسن الفاظه ما كتبه لبعض الاخوان نحن يا سيدي في مجلس
غني الا عنك شاكر الا منك قد تفتحت فيه عيون النرجس
وتوردت فيه خدود الورد وفاحت مجامر الاترج وانطلقت
السن العيدان وقامت خطباء الاطيار وهبت رياح الاقداح
ونادى منادي الطرق وطلعت كواكب الندمان فبحياتي الا
ما حضرت لتحصل بك في جنة الخلد وتتصل الواسطة بالعقد
وكتب الى بعض اخوان مجلسنا يا سيدي مفتقر اليك ومعول عليك
قد ابت راحة ان تصفوا او تتنا ولها يمناك واقسمت غناؤه
ان يطيب او تعيه اذناك فاما خدود نارنجه فقد احمرت خجلا
لابطائك وعيون نرجسه فقد احدقت تاميلا للقائك فبحياتي
عليك الا ما تعجلت الحضور لئلا يخبث من يومنا ما طاب ويعود
من همي ما طار وغاب ومن ظريف كلامه اطيب ما يكون الحمل
اذا حلت الشمس برج الحمل ومن خير الكلام ما افنانك جده والهاك
هزله وكان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم

وجاءت على ستر على الباب بيننا ۰ بخال وقد قامت عليه الولايد
لتستمع شعري ويقرع قلبها ۰ بوحي يوديه اليه القصايد
اذا سمعت مني لطيفا تنفست ۰ له نفسا تنقد منه القلايد

وتوفي ابن العميد المذكور في المحرم سنة ٣٦٠ بالري رحمه الله وكان ابو
الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس اخرى وقال

لسائله حين ساله ايهما اصعب عليك واشق فقال اذا عارضني
النقرس فكاني بين فكي سبع يمضغني مضغا واذا اعتراني القولنج
وددت لو استبدلت النقرس عنه ويقال انه راي في بستان رجلا
ياكل خبزا ببصل ولبن وقد امعن منه فقال وددت لو كنت كهذا
الاكار اشبع مما اشتهي قلت وهذه بيتمة الدنيا. قل ان تصفو من
الشوائب وحكي ان الصاحب بن عباد مر على داره بعد وفاته فلم ير
هناك احدا بعد ان كانت الدهليز لا يغض من زحام الناس فانشد

ايها الربع لم علاك اكتئاب . اين ذاك الحجاب والحجاب
اين من كان يفزع الدهر منه . فهو اليوم في التراب تراب

ولما مات رتب ركن الدولة مخدومه عليا ولقبه ذا الكفايتين
مكانه في دست الوزارة وكان جليلا نبيلا ومثل هذه الحكاية ما
حكاه علي بن سليمان قال رايت بالري دارا لم يبق الا رسم بابها وعليه
مكتوب. اعجب لصرف الدهر معتبرا . فهذه الدار من عجايبها
غهدي بها بالملوك زاهية . قد سطع النور في جوانبها
تبدلت وحشة بساكنها . ما اوحش الدار بعد صاحبها

وكتب الى صديق له يستهديه خمرا مستورا عن والله قد اغتنمت
الليلة اطال الله بقاك يا سيدي رقدة من عين دهري وانتهزت فرصة
من فرص عمري وانتظمت مع اصحابي في سمط الثريا فان لم يحفظ
علينا هذا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام
ومن المنسوب الى ابي الفتح بن العميد

يقول لي الواشون كيف تحبها . فقلت لهم بين المقصر والغالي

ولو

ولولا حذاري منهم لصدقتهم . فقلت هوى لم يهو قط امثالي
وكم من شفيق قال مالك واجما . فقلت ترى ما بي وتسال عن حالي

ومن بلاغة الكتاب ما اورده ابن زنبل في تاريخه ان السلطان سليم
رحمه الله لما اخذ مصر من الغوري قال لخير بك قصدي اعلم ما يتحصل
من مال مصر في السنة فقال له يا مولانا القاضي ابو بكر ابن
الجيعان يعلم كم به فامر به فلما احضر امره السلطان بان
يعمل له دفترا بمحصول مصر مختصرا فقال له في غد بسعادتكم
يتم ذلك ثم انصرف وحضر في اليوم الثاني وقال يا مولانا السلطان
محصولها كذا وكذا ومصاريفها كذا والباقي لمولانا السلطان
كذا بعد المصاريف قال وجعل في اثناء كلامه ينظر الى ظفر
ابهامه فتعجب منه السلطان سليم رحمه الله ثم قال له مالك
تنظر الى ظفرك فقال له كتبت فيه رؤوس الابواب حتى اذا شرد
عني باب راجعته فتعجب السلطان سليم رحمه الله من حافظته
وشرفه بخلعة وقرره في الرزنامة ومن لطايف الكتاب
ما حكي ان احمد بن سليمان بن وهب كان يكتب في كتاب فدخل
ابوه فقال يا بني سالت علي ابن يحيى امس ان يونسني اليوم
فاكتب اليه رقعة بانجاز وعده بالامس فاخذ القرطاس

وكتب . يا من فديت انفسنا نفسه . موعدنا بالامس لا تنسه

ومن مشاهير البلغاء الكتاب الامام الفاضل الكاتب القاضي
محيي الدين بن عبد الظاهر احد اشياخ الانشاء لا بل امام من
ترسل وتوصل فمن ذلك رسالته التي كتب بها الى الامير ناصر الدين

ابن النقيب في معنى شخص ينقصه وهي بلغني اعزك الله ولابرحت
فنا الفخر قشيب ملبس العمر يانع ثمر التشكر ممتع حياض البر ان
فلانا غض مني كل غض الجني. وانه عبث بي عبث الايام بالمني
وانه ردني الى ارذل العمر في الاطراح. واغلق في وجه تنجحي ابواب
النجاح. وزعم ان انا غير مفعم. وبناء مجدي غير محكم. وجواد
اجادتي غير ملجم. وان ميلاد مجدي حديث وسبب سعدي
رثيث. وان جوارح اجادتي جريحه. وقرائح ارتجالي قريحه.
وان صدور المجالس تنكر اقدام اقلامي. وبطون الطروس
لا تلقح بوطء اقلامي. واني لا اعد في جملة الكتاب. واذا دخلوا
من ابواب متفرقة لا ادخل معهم من باب مسدود.

واذا اتتك مذمتي من ناقص. فهي الشهادة لي باني كامل.

وقد بنيت مقالته هذا القايل على امور. وحملتها على احتمالات
غره في جميعها الجهل كما غره بالله الغرور. والذي اقول لمخاطبا
واوجهه اليه مجاوبا. ان كان استرسالك ايها العايب عبثا
فما كل الافاعي تعبث بها الانامل. ولا كل المراعي تنصب بها الحبا
ولا كل سهم واقع ولا كل نبل راجع. ولا كل السموم تدخل في درياق
ولا كل مطوق يجذب بالاطواق. فان كان ما قلته حلما فان من
الاحلام ما يروع. او وهما فان من الاوهام ما يخام الضلوع
او جهلا فان المندل الرطب لا يضره كونه حطبا في موطنه والتبر
لا يضره كونه ترابا في معدنه. ولا يضر الزناد الواري قدح
القادح كما انه لا يضر النجم الساري نبح النابح. ولا علي اذا

قلت

قلت ملاما وقلت انا سلاما. والفخر لي ان احلم اذا قلت اهتضاما
لا في ان تقول في كلما حلمت مناما. كما انك في ما بدك ان تحدث
لي ضرا وفي يدي ان اوسعك صبرا. وفي قدرتي ان تستغضبني
فلا اغضب وفي قدرتك ان استرضيك فلا ترضى وعندك
انك تاكل لحمي ميتا وعندي اني لا استحل ان اكل لك لقمة ولا ابعد
ثلاث ويعجبني انك تحفر لي بيرا وتقع فيها ولا يعجبني أن اقع
فيك بعد. اتراه قدر على مجاراة مثله متى كانت الاساد مثل النعا
واعود الى معاقبته لنفسي. فيابي الا اظهار اللبس. فاقول هل
انت يا فلان الا متخرص بزور. وايس من الخير كما يئس الكفار من
اصحاب القبور. وآمن من العواقب ولله عاقبة الامور. وما
مبالاتي بك الا مبالاة الديك بالبط. والشمعة بالقط. ورماح
الخط باقلام الخط. ومتى خافت الرعود من الرعود. او متى احجمت
الاسود عن القرود. ام متى جزعت البحار من التيار. ام متى صارت
النار كالانوار. ام متى خافت هرما مصر من الايام وهي التي يخاف
منها على الايام. وهل تبالي الدرة المضيئة اذا قيل لها اليتيمة
او هل تعاب الاعين النجل اذا قيل لها سقيمه. وما مبالاتي بما
يقول الا مبالاة آدم بعدم السجود من ابليس. ولا ضرر منك
الا ضرر الصرح الممرد من قوارير بوطئة بلقيس.

ولو اني بليت بهاشمي. خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما القى ولكن. تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ولعمري لقد استنطقت من تلبي صفوها. واثرت من ذنبي مرفها

وهزت من قلبي مشفقا ۔ واصلت من كلمي مرهفا ۔ مفرد ۔
متى سالت بغداد عني واهلها ۔ فاني عن اهل العواصم سايل ۔
واما ما توهمت من جلوسي في اخريات المجالس وكوني في ذلك
غير منا قش ولا منا فس ۔ فلا عيب على السنان اذا اختم
الانابيب ۔ ولا حطوط القافية اخر البيت من الاعاجيب ۔
والبدر احسن ما تراه العين في ذيل الافق ۔ ولا حط منزلة
الحمد لله اذا اتى بها في اخر الكتابة من كتب ۔ ولا تشان سورة
الاخلاص اذا انقدمتها في المصاحف سورة ابي لهب مفرد
ولو لم يعل الا ذو محل ۔ تعالى الجيش وانحط القتام ۔
ولا تعاب الشمس اذا كان لها دون فلك زحل مقام ۔ ولا
يوم عروبة اذا جاء سادسا للايام ۔ مفرد ۔
من كان فوق محل الشمس موضعه ۔ فليس يرفعه شي ولا يضع ۔
والبيت باهله والغمد بنصله ۔ والثوب بلابسه ۔ والجواد
بفارسه ۔ والقوس برامها والصهوة براقيها ۔ ومن اسافل
البحور ۔ تترقى الدرر الى النحور ۔ ولئن تاخرت الواو في عمرو
في الهجا ۔ فلطالما كانت صدر الكلام في الابتدا ۔ وقد ورد
التصغير للتعظيم ۔ ونطق القران العظيم ۔ بالتهكم
بلفظ التكريم ۔ على ان السعد بحمد الله لا يتوقف على
الجلوس في ذيل المجالس ولا الحلول منها في الاواخر ۔
ولا يخفض المرتفع ۔ ويخفض المتضع ۔ فقد عطلت السبابة
والوسطى ۔ وحليت دونهما الخناصر ۔ ولا حسن الثوب

الا

الا بسجافه ۔ ولا رقما العالم في برد الا في اطرافه شعر ۔
اذا انت اعطيت السعادة لم تبل ۔ و لو نظرت شزرا اليك القبايل
تقتك على اكتاف ابطالها القنا ۔ وهابتك في اغمادهن المناصل
ولقد لامست منه يشهما ۔ ومارست ضيغما وجالست ارقما ۔
وزاحمت جندلا وهاويت اجدلا مفرد ۔
يا سالكا بين الاسنة والقنا ۔ اني اشم عليك رايحة الدم ۔
وها انا وجدت مكان القول ذا سعة ۔ والسيف اقطع ما يكون
اذا اهتز والجواد اسرع ما يكون اذا لز ۔ وان مع اليوم غدا ولو
ترك القطا لهدا ۔ وعداوة الشعراء بئس المقتنى ۔
ومن تعلق به حمة الافاعي ۔ يعش ان فاته اجل عليلا ۔
وان قلت انك لا يضرك هذا الازعاج ۔ ولا يثيرك هذا الارهاج
ولا تبال به لا مبالاة الزجاج بالزجاج ۔ ولا تانف به الانفة
الحجاج بالحجاج مفرد ۔
فان بني الثورة ادركتهم ۔ مذ منهم بعبد ابي سراج ۔
وان الذبابة تغثي النفس ۔ وان بعقدة الجوزا يخسف القمر
وتكسف الشمس ۔ واعود فاقول ما اظنك وقعت مني على الخبير
ولا انت في الفحص عن حالي في قبيل ولا دبير ۔ ولا علمت ان جدي
سعيد وسعدي جديد ۔ ولا اني بحمد الله المامون وكيف لا ووالدي
الرشيد ۔ ولا ان لي ابا يضع لي فوق البدر مهادا ۔ وشيما تجعل
الجوزاء تحت يدي وسادا ۔
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ۔ باخفاء شمس نورها متكامل ۔

واني وان كنت الاخير زمانه • لآت بما لم تستطعه الاوائل •
وتا لله ان يومي بنا فس في الامس • وقومي يفخرون بي كما يفخر
عصام بالنفس •

انا ذو الحسب القصير وطولنا • اعيي على الكبراء والاشراف
والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت • بأب عن الاسماء والاوصاف
ولا اعلم ايها المتنقص لي ذنبا يستدعي هذا الاسهاب • ولا
بيني وبينك خطوبا تهمت به من الخطاب • اللهم اني لا اعتقد
اعتقادك المضلل • ولا اري رايك المؤول • ولا اقلد عبد الله
ابن سبا في اعتقاده • ولا ابا الخطاب الاسدي في اجتهاده
ولا اوافق هشام بن مسلم الجواليقي على مراده ولا انشدك •
الا ان الايمة من قريش • ولاة الحق اربعة سواء •
علي والايمة من بنيه • هم الاسباط ليس لهم خفاء •
فسبط سبط ايمان وبر • وسبط غيبته كربلاء •
وسبط لا يذوق الموت حتى • يقود الخيل يقدمها اللواء •
ولا انشدك قول السيد الحميري عفى الله عنه •
الا قل للوصي فدتك نفسي • اطلت بذلك الجبل المقاما •
اضر بمعشر والوك منا • وسموك الخليفة والاماما •
اوانك تعتقد اني من شيعة ابي كامل • اواني اتفقت انا وابن ملجم
على تلك الغوايل • اواني من الطالبين بثار الدار اذا جد الوهل
اوانني كنت من بني ضبة في يوم الجمل • اوانني تاولت في قتل
عمار بن ياسر ذلك التاويل السقيم • اوانني كنت من جملة

من

من رفع المصاحف لطلب الحكيم • اواستبربت عقل ابي موسى
الاشعري بالمشاورة • اوخدعته بخلع الرجلين في المسارع
اوانني ابتعت عبد الله الراسبي في جهه • اوناظرت عبد الله
ابن عباس لما حضر لمناظرته على صنعه • اوساعدت معاوية
ابن خديج على فعاله • اواشرت على معاوية بارسال بشير بن ارطاة
الى المدينة حين لا عهد لنا بمثله • ام تراني انشدت يوم قتل
الحسين رضي الله تعالى عنه •

• تعلق هاماً في رجال اعزة • علينا وهم كانوا اعق واظلما •
ام تراني التجأ لله بجمل بن سنان بن انس • ام قد اقدمت اقدامه
حين ضربه حتى القاه عن الفرس حاش لله ما انا من هذا القبيل
ولا سالك هذا السبيل وعلى تقدير اني أتيت باكثر من هذه
الذنوب • وان قافل توبتي لا يؤوب • اليس لي نفس لا تصبر على
ضيم • وشمس اباء لا يسترها غيم • وبياض خلق ولا بياض خلق
سجيم • اامنت كاتب الدرجات باتفاق الاسمين لما ظهر الفرق
في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين العبدين • او باختلاف
المنزلتين لما غلبت بنية الشمس على القمر وبينهما للزهرة
وعطارد بعد فلكين •

• واذا خفيت على الغبي فعاذر • أن لا تراني مقلة عمياء •
• انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت • واذا نطقت فانني الجوزاء •
انتهي واذ ذكرنا جملة من اخبار الكتاب • معدن الفصاحة
والصواب • فلنذكر بالمناسبة ما يحتاج اليه صاحب الكتابة

والانشا لبعلم المتامل علو مقامهم وذلك فضل الله يوتيه
من يشا قال صاحب عين النبع يحتاج المترسل الي حفظ الكتاب
العزيز وادمان تلاوته والي معرفة جانب جيد من اللغة
كالمعلقات والدريدية ومختار الحماسة وكفاية المتحفظ
والفاظ عبد الرحمن وبعض المفضليات والي جانب جيد من
النحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع وشيء من التفسير
والحديث مثل كتاب الشهادات والاحكام السلطانية والاثار المنقولة
عن الصحابة وما دار بين الخلفاء وعمالهم وما دار بين علي ومعاوية
رضي الله عنهما من الاجوبة وتوافيع الخلفاء والوزرا والكتاب
وامثال العرب وايامهم ووقايعهم وما امكن من المقامات الحريرية
والخطب النباتية وترسل القاضي الفاضل والاكثار منه ومنتقى
شعر ابي الطيب والطائيين وسقط الزند ومراجعة كتب الادب
من الامهات مثل الاغاني والعقد والبيان والتبيين للجاحظ
ورسائله والذخيرة لابن بسام وقلائد العقيان والتذكرة
الحمدونية والكامل للمبرد وامالي القالي والوقوف على رسائل الكتاب
المتاخرين ومراعاة ما قصدوه في كل فن والتهاني
والتعازي والفتوحات ووصايا تقاليدهم وتواقيعهم واوامرهم
ونواهيهم وافتتاحات ادعيتهم في كل فن وكتبهم الاخوانية
في الشوق والعتاب الي غير ذلك انتهي ولابي الفتح البستي في الكتاب

ان سل اقلامه يوما ليعملها ... انساك كل كمي هز عامله
وان اقر على رق انامله ... اقر بالرق كتاب الانام له

ومدآن

وقد آن للقلم ان يبلغ دافق ريقه اكتفاء بما ابرزه من محاسن
الادبا على احسن طراز وابداع تنميقه فان بما ذكر بلغة للناظر
وجلا لمرآة الفكر والخاطر والعلامة بفتح العين السمة كالعلم
بالضم جمع علام والفصل بين الارضين ومنصوب في الطريق
يهتدي به كالعالم فيهما وان كان بضم العين فهو المخفف الذكي
كما قاله في القاموس انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى

كايمة سكنوا باندلس فلم يشكوا سامه

لما ذكر الناظم رحمه الله من مضى من ارباب العلوم الموصوفين
بالتصدر والامامة والوزرا والحجاب والكتاب لاجل ان يعتبر
الناظر ويعلم ان الدنيا دار زوال جديرة بان توصف بانها
كطيف خيال اكد ذلك بذكر الاندلس مقدما ذكر ايمتها الذين هم
في الفصاحة نتيجة الليالي والايام لم تزل لهم في البلاغة
اليد الطولي وفي غرايب الفنون السابقة الاولي فهم في الادب
بين الناس بمنزلة القمر بين الكواكب وفي التقدم والسبق بمنزلة
البسملة بين الذكر في المراتب وحين ذكري تراجم من افاضلهم
الاعيان ترى من حسن كلمهم ما يجري في الجسد مجرى الروح
في الابدان فمنهم ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت
الاندلسي كان فاضلا في علوم الادب صنف كتابه الذي سماه
الحديقة على اسلوب يتيمة الدهر للثعالبي وكان عارفا بفن الحكمة
وكان يقال له الاديب الحكيم وكان ماهرا في علم الاوايل وانتقل
بالاندلس وسكن الاسكندرية وذكره العماد الكاتب في الخريدة

واثني عليه وذكر شيئا من نظمه ومن جملة ما ذكر له قوله وقد جاد
عليه مدحه بقوله

لا غرو ان سبقت يداك مدايحي • فتدفقت جدواك ملء اناتها
يكسي القضيب ولم يحن اثماره • وتطوق الورقاء قبل غنايها

ومن شعره ايضا قوله

اذا كان اصلي من تراب فكلها • بلادي وكل العالمين اقاربي
ولا بد لي ان اسال العيس حاجة • تشق علي شم الذرى والغوارب

وله ايضا

ومهفهف شركت محاسن وجهه • ما مجه في الكاس من ابريقه
ففعالها من مقلتيه ولونها • من وجنتيه وطعمها من ريقه

واورد له ايضا في كتاب الخريدة في ترجمة الحسن بن ابي الشخنا

عجبت من طرفك في ضعفه • كيف يصيد البطل الاصيدا
يفعل فينا وهو في غمده • ما يفعل السيف اذا جردا

وشعره كثير وجيد وقد كان انتقل في اخر عمره الى المهدية ودفن
بالمنستير ونظم ابياتا واوصى ان تكتب على قبره وهي اخر شي قاله
وتوفي بها في سلخ محرم سنة ٥٢٩ وكان ذلك يوم الاثنين وهي هذه

سكنتك يا دار الفنا مصدقا • باني الى دار البقاء اصير
واعظم ما في الامر اني صاير • الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف القاه عندها • وزادي قليل والذنوب كثير
فان اك مجزيا بذنبي فانني • بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عني ورحمة • فثم نعيم دايم وسرور

ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز عند الموت

انا قد عهدت اليك ما • تدريه فاحفظ فيه عهدي
فلين عملت به فانك لا • تزال حليف رشد
ولين نكثت لقد ضللت • وقد نصحتك حسب جهدي

وولد له ولد سماه عبد العزيز وكان شاعرا ماهرا له في
الشطرنج يد بيضا وتوفي هذا الولد ببجاية في سنة ٥٢٤ وصنف ابنه
عبد العزيز وهو في اعتقال الافضل بمصر رسالة العمل بالاسطرلاب
وكتاب الوجيز في علم الهندسة وكتاب الادوية المفردة وكتابا
سماه بالانتصار في الرد علي ابن رضوان في رده علي حنين بن اسحق
في مسايله ولما صنف الوجيز للافضل عرضه علي منجمه ابي عبد الله
الحلبي فلما وقف عليه قال له هذا الكتاب لا ينتفع به المبتدي
ويستغني عنه المنتهي وله من ابيات من نظمه الغاز حيث قال

كيف لا تبلي غلايله • وهو بدر وهي كتان

وانما قال
هذا لان الكتان اذا ترك في ضوء القمر يبلي وكان مرضه الاستسقا
ومن ايمة الاندلس ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله ابن
خفاجه الاندلسي الشاعر ذكره ابن بسام في الذخيرة واثنى عليه وقال
وكان مقيما بشرق الاندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوكهم مع تهافتهم
على اهل الادب وله ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان من ذلك قوله
في عشية انس وقد ابدع فيه

وعشي انس اضجعتني نشوة • فيه تمهد مضجعي وتدمث
خلعت علي بها الاراك ظلها • والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة • والرعد يرقي والغمامة تنفث

ابن خفاجه

ولهُ ايضا معنى حسن وهو *
ما للعذار وكان وجهك قبله * قد خط فيه من الدجى محرابا
واري الشباب وكان ليس بخاشع * قد خر فيه راكعا واناباً
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرضي للعذار سحابا

ولد ابو اسحاق بجزيرة شقر من اعمال بلنسية من بلاد الاندلس في سنة ٤٥٠ وتوفي بها سنة ٥٣٣ لاربع بقين من شوال يوم الاحد وشقر بضم الشين المثلثة وسكون القاف والراء المهملة وهي بليدة بين شاطبة وبلنسيه وانما قيل لها جزيرة لان الماء محيط بها وبلنسية بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء التحتية واخرها هاء وهي جزيرة متصلة بالبر الطويل والبر الطويل متصل بالقسطنطينية انتهى * منهم ابو علي جعفر بن علي الاندلسي صاحب المسيلة وامير الزاب من اعمال افريقية كان شجاعا كثير العطاء موثرا اهل العلم ولابي القاسم محمد بن هانئ الاندلسي من المدايح الفايقة ما يجاوز حد الواصف وهو القائل فيه حيث يقول *
المدنفان من البرية كلها * جسمي وطرف بابلي احور
والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر *

وكان ابوه علي قد بنى المسيلة وهي معروفة بهم الى الان فكان بينه وبين زيري بن مناد جد المعز بن باديس مشاجرات افضت الى القتال فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة زيري فيها ثم قام ولده بلكين واستظهر على جعفر المذكور

فعلم انه ليس له به طاقة فترك بلاده ومملكته وهرب الى الاندلس فقتل بها سنة ٣٦٤ والمسيلة مدينة من اعمال الزاب والزاب كورة بافريقية والله اعلم * من ائمة الاندلس عبد الملك ابن ابي العلاء زهر بن مروان عبد الملك بن ابي بكر محمد بن مروان ابن زهر الايادي الاندلسي الاشبيلي كان من اهل بيت كلهم علماء روساء حكماء ووزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت اوامرهم * قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى المطرب من اشعار اهل المغرب وكان شيخنا ابو بكر يعني ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب والمنزلة العليا عند اصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة المال صحبته زمانا طويلا * واستفدت منه ادبا جزيلا ومن شعره *
وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصبوح وغالني *
ما زلت اسقيهم واشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني *
والخمر تعرف كيف تاخذ ثارها * اني أملت اناءها فأمالني *

قال ابن دحية وسالته عن مولده فقال ولدت سنة ٥٠٧ وبلغتني وفاته اخر سنة ٥٩٥ انتهى كلام ابن دحية قال ابن خلكان وقد الم ابن زهر المذكور في هذه الابيات بقول الرئيس ابي غالب عبيد الله بن هبة الله بن الاصباغي وهو عم حمهم *
عقرتهم مشمولة لو سلمت * لشاربها ما سميت بعقار *

ذكرت حبائبها لنوعمرا ذغدت . صرعى تداس بارجل العصا
لانت لهم حتى اذا ما مكنت . منهم فضاحتنا منهم بالثار
ومن المنسوب اليه ايضا في كتاب جالينوس الحكيم المسمى حيلة
البرو هو من اجل كتبهم واكبر .
حيلة البر صنفت لعليل . يترجى الحياة او احليله
فاذا جاءت المنية قالت . حيلة البر ليس في البر حيلة
ومن شعر ابن زهر يتشوق الى ولده صغير بقوله .
ولي واحد مثل فرخ القطا . صغير تخلف قلبي لديه
نات عنه داري فيا وحشتا . لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته . فيبكي علي وابكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا . فمنه الي ومني اليه
وله وقد شاخ وغلب عليه الشوق .
اني نظرت الى المراة اذ جليت . فانكرت مقلتاي كلما راتا
رايت فيها شويخا لست اعرفه . وكنت اعهده من قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي بالامس كان هنا . متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة . ان الذي انكرته مقلتاك اتى
كانت سليمى تنادي يا اخي وقد . صارت سليمى تنادي اليوم يا ابتا
والبيت الاخير من هذه الابيات ينظر الى قول الاخطل الشاعر
المشهور واذا دعونك عمهن فانه . نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا اخي فانه . ادنى واقرب خلة ووصالا
واوصى انه اذا مات يكتب على قبره هذه الابيات وفيها اشارة

يلي

حنتي على
الي طبه ومعالجة الناس .
تامل بحقك يا واقفا . ولاحظ مكانا دفعنا اليه . تراب الضريح على وجنتي و
اداوي الانام حذار الحمام . وها انا قد صرت رهنا لديه . وقال ابن دحية
في حقه ايضا والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيل طباعه
وصارت البنها فيه خوله واتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر
ونخبته . وخلاصة جوهره وصفوته . وهو من الفنون التي
اغربت بها اهل المجون والمغرب على اهل المشرق فظهروا فيه
كالشمس الطالعة والضياء المشرق . واورد له موشحا حسنا
وقال في حق جده ابو العلاء زهر انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه
وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه . ثم قال في حق جده محمد
ابن مروان انه كان عالما بالراي حافظا للادب فقيها حاذقا
بالفتوي مقدما في الشورى متفننا في الفنون فاضلا جمع
الرواية والدراية وزهر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها
راء انتهى . منهم ابو عبد الله محمد بن غالب الرفا الاندلسي
الرصافي الشاعر المشهور له اشعار ظريفة . ومقاصد في النظم
لطيفة وشعره سائر في الافاق . ومن اشهر اشعاره ابياته
التي صنعها في غلام صنعته النسج واجاد فيها وهي .
قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي . لو لم تهم فذاك القدر مبتذل
فقلت لو كان امري في الصبابة لي . لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
غزيلا لم يزل في الغزل جامله . بان جود لان الفكر في الغزل
جدلان يلعب بالحواك انمله . على السدا لعب الايام بالدول

جزبا بكفيه او فحصا باخمصه • تخبط الظبي في اشراك محتبل
وله • ومهفهف كالغصن الا انه • تحيّر الالباب عند لقايه
اضحى ينام وقد تكلل خده • عرقا فقلت الورد رش بمايه
وله غير هذا المقطوع اشياء رايقة فمن ذلك قوله في غلام يبل
عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس بباك •
عذيري من جذلان يبكي كابة • واضلعه مما يحاوله صفر
يبل اماقي زهرتيه بريقه • ويحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
ويوهم ان الدمع بل جفونه • وهل عصرت يوما من النرجس الخمر
وتوفي في شهر رمضان ٥٧٢ بمدينة مالقة والرصافي بضم
الراء وفتح الصاد المهملة نسبة الى الرصافة وهي بلدة صغيرة
بالاندلس عند بلنسية انتهى ومنهم القاضي النباهي كان
رحمه الله من المشهورين بذلك الاقليم في زمنه ممن له الفصاحة
والبلاغة والجلالة من الاتصاف بالعلم والمعرفة والتبحر في
العلوم معقولها ومنقولها ذكره صاحب الاحاطة واثنى
عليه وذكر صاحب ان ولادته عام ٧١٣ وتاخرت وفاته
عن ابن الخطيب قال صاحب الاحاطة في ترجمة السلطان
ابن الاحمر ثم قدم للفصل الفقيه فسدد وقارب وحل الكل
واحسن مصاحبة الخطبة والخطة واكرم المشيخة مع النزاهة
ولم يقف في النصح عند غاية اعانه الله ورحمه رحمة واسعة
ومنهم ابو زكريا يحيى السراج قال صاحب الاحاطة هو
الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بالاندلس وخطيبها اخذ عن ابي

محمد عبد الله بن احمد التجيبي الموطا والشفاء واكثر الصحيحين
وله رحمه الله تعالى بحث في مسيلة الدعاء بعد الصلوة رام فيه
الرد على الشيخ الامام ابي اسحق الشاطبي رحمه الله تعالى وله
مولفات منها كتاب المرتبة العليا في مسايل القضا والفتيا
في جزئين وهو كتاب عظيم للغاية ومنهم ابن زمرك محمد بن يوسف
الصريحي ابو عبد الله قال صاحب الاحاطة ولد هذا الفاضل
بغرناطة ونشا بها وهو من مفاخرها وكان صدرا من صدور طلبة
الاندلس مختصا مقبولا مهذب الفكاهة حلو المجالسة حسن التوقيع
خفيف الروح عظيم الانطباع فطنا بالمعاريض حاضر الجواب
شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه كثير الرقة فكها
غزلا مع جنا وحشمة جوادا بما في يده مشاركا لاخوانه نشا طاهرا
كلفا بالقراءة اشتهر فضله وذاع ارجه ونشا خبره واضطلع
بكثير من الاغراض وشارك في جملة من الفنون فاصبح متلقا كثرة
البحث وصاوح الحلقة وسابق الحلبة ومظنة الكمال ثم حاني
الادب فحصل ما لم يحصله غيره فترقى الى الكتابة عن ولده
السلطان امير المسلمين بالمغرب وامتد في ميدان النظم والنثر
باعه فصدر عنه من المنظوم قصايد بعيدة عن الشاو في
مدا الاجادة مفاجى لنزعة كلف بالمعاني البديعية والالفاظ
الصقيلة مولده في رابع عشر شوال عام ٧٣٣ ومن كلامه
ايا ليلة في الجود والجود شيمتي • حلبت على ايثارها يوم مولدي •
ذروني فلو اني اخلد بالبقا • لكنت ضنينا بالذي ملكت يدي •

ولهُ لقد علم الله اني امرؤ • اجدد ثوب العفاف لمشيب •
فكم غمض الدهر اجفانه • وفازت قدوري بوصل الحبيب •
وقيل رقيبك في غفلة • فقلت اخلى الاله لها الرقيب •
وله رحمة الله عليه •

مالي بحمل الهوى يدان • من بعد ما اعوزا لتداني •
اصبحت اشكو من زماني • مات منه على اماني •
ما بال عيناك تسجان • والدمع يرفض كالجمان •
ناداك والالف منك واني • والبعد منه لقد كواني •
يا شقة النفس من هواني • من لج في ابحر الهوان •
ما شئه عن هواك ثاني • يا بغية القلب قد كفاني •

وبالجملة فايمة الاندلس لا ينغفل امرهم • ولا ينكر فخرهم • حتى قال الرئيس بن الحباب مفتخرا ابى الله الا ان تكون اليد العليا باندلس من غير شرط ولا ثنيا • فما عدمت اهل البلاغة والحجا • يقيمون فيها الرسم بالدين والدنيا •

اذا خطبوا قاموا بكل بليغة • تجلي القلوب الغلف والاعين العميا •
وان شعروا جاءوا بكل غريبة • تخال النجوم النيرات لها حليا •
فابسط في الدنيا من الله ستره • علينا وفي الاخرى اذا حانت اللقيا •

ولعمري لقد صدق قائل هذه الابيات • فان البلاغة لم تزل شيمة في الاندلس ظاهرة الايات • الى ان استولى عليها العدو وعطل من اهل الاسلام الرواح اليها والغدو • وفي اهلها الى الان بقية لسان • وبراعة وتصرف في فنون الاجادة والبراعة •

ولله

ولله در الاديب العلامة خاتمة الادبا بالاندلس ابي الطيب صالح بن الشريف الرندي يندب بلاد الاندلس بقوله •

لكل شيء اذا ما تم نقصان • فلا يغر بطيب العيش انسان •
هي الامور كما شاهدتها دول • من سره زمن ساءته ازمان •
وهذه الدار لا تبقي على احد • ولا يدوم على قوم بها شان •
يمزق الدهر حتما كل سابغة • اذا نبت مشرفيات وخرصان •
اين الملوك ذوو التيجان من يمن • واين منهم اكاليل وتيجان •
واين ما حازه قارون من ذهب • واين ما ساسه في الفرس ساسان •
اتى على الكل امر لا مرد له • حتى قضوا فكان القوم ما كانوا •
الى ان قال منها •

فجائع الدهر انواع منوعة • وللزمان مسرات واحزان •
وللمصائب سلوان يهونها • وما لما حل بالاسلام سلوان •
وهي الجزيرة امر لا مرد له • هوى له احد وانهد ثهلان •
اصابها العين في الاسلام فامتحنت • حتى خلت منه اقطار وبلدان •
فاين قرطبة دار العلوم فكم • من عالم قد سما فيها له شان •
واين حمص وما تحويه من نزه • ونهرها العذب فياض وملآن •
تبكي الحنيفية البيضاء من اسف • كما بكى لفراق الالف هيمان •
على ديار من الاسلام خالية • قد اقفرت ولها بالكفر عمران •
حيث المساجد قد صارت كنائس ما • فيهن الا نواقيس وصلبان •
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة • حتى المنابر ترثي وهي عيدان •
يا غافلا وله في الدهر موعظة • ان كنت في سنة فالدهر يقظان •

وما شيام رحا يلهيه موطنه ✱ ابعد حمص يغر المرء اوطان
تلك المصيبة انست ما تقدمها ✱ وما لها مع طول الدهر نسيان

وهي طويلة اقتصرت منها على ما ذكرنا. منهم ابو محمد عبد الله ابن مكرم مارم البكري الاندلسي الشاعر المشهور كان شاعرا ناظما ناثرا ذكره صاحب قلائد العقيان واثنى عليه ابن بسام في الذخيرة وقال انه تبع الحضرات وبعد جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة فلما كان من خلع ملوك الاندلس ما كان اتى الى اشبيلية اوحش خلا من الليل واكثر انفرادا من سهيل وتبلغ من الوراقة وله منها جانب وبها بصر ثاقب فانتحلها في كساد سوقها وخلو طريقها وفيها يقول

اما الوراقة فهي ايكة حرفة ✱ اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب ابرة ✱ تكسو العراة وجسمها عريان

وله ايضا

ومهفهف رقت حواشي حسنه ✱ فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما ✱ نفضت عليه سوادها الاحداق

وله في غلام ازرق العينين

ومهفهف ابصرت في اطواقه ✱ قمرا بآفاق المحاسن يشرق
يقضي على المهجات منه صعدة ✱ متألق فيها سنان ازرق

وله في الزهد رحمه الله

يا من يصيخ الى داعي السفاه وقد ✱ نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لم تسمع الذكرى ففيم ثوى ✱ في راسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل ✱ لم يهده الهاديان العين والاثر

لا الدهر

لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الـ ✱ ـاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها ✱ فراقها الثاويان البدو والحضر

وله ايضا رحمه الله تعالى

وصاحب لي كداء البطن صحبته ✱ يودني ود الذئب للراعي
يثني علي جزاه الله صالحة ✱ ثناء هند على روح بن زنباع

وهند هذه بنت النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه وكان روح بن زنباع الجذامي صاحب عبد الملك بن مروان قد تزوجها وكانت تكرهه وفيه تقول

وهل هند الا مهرة عربية ✱ سليلة افراس تحللها بغل
فان انجبت مهرا كريما فبالحرى ✱ وان يك اقراف فما انجب الفحل

والاقراف ان تكون الام عربية والاب ليس كذلك والهجنة عكس ذلك وهو ان يكون الاب عربيا والام خلاف ذلك ولهذا الاديب ديوان شعر اكثره جيد ولنقتصر على هذا النزر اليسير ومنهم ابو بكر محمد بن عمار المهري وكان شاعرا اديبا فطنا لوذعيا لبيبا وكان استخلصه لنفسه المعتمد بن عباد صاحب الاندلس دون ابناء جنسه وصيره نديما وسميرا واتخذه خليلا ووزيرا وبعدها قتله بيده وصيره الى قبره وملحده وكان السبب في قتله انه بلغه انه هجاه وهجا اباه بهذين البيتين

مما يقبح عندي ذكر اندلس ✱ سماع معتضد فيها ومعتمد
اسماء مملكة في غير موضعها ✱ كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

وذكر عماد الدين الكاتب في ترجمة ابن عمار ان المعتمد كان من اكبر

الدواعي الي قتله هجوه بثينة المعروفة بالرميكية وهي ابيات منها
تخيرتها من بنات الهجان • رميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع • لئيما لئيم النجار عما وخالا

وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسب اليه وكان اشتراها في ايام ابيه المعتضد وافرط في الميل اليها غلبت عليه ومن مشاهير قصايد ابن عمار

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى • والنجم قد صرف العنان الي السرى
والصبح قد اهدى لنا كافوره • لما استرد الليل منها العنبرا

ومن قصايدها في المعتضد بن عباد

ملك اذا ازدحم الملوك بمورد • ونحاه لا يرد ونحتى يصدرا
ازرى على لا كما دمن قطر الندا • والذي في الاجفان من سنة الكرا
قداح زند المجد لا ينفك من • نار الوغا الا الي نار القرا

وهي طويلة وفايقة ومن جيد شعره قوله

علي وإلا ما بكاء الغمايم • وفي وإلا فيم نوح الحمايم
كساها الحيا برد الشباب فانها • بلاد بها خط الشباب تمايمي
ذكرت بها عهد الصبا فكانما • قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالي انال سهادهمن غصون نواعس • واجني عذاري من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف • من النهر ينساب انسياب الاراقم
وبتنا ولا شيء غير كانما • حللنا مكان السر من صدر كاتم
ملوك مناخ العز في عرصاتهم • ومثوى المعالي بين تلك المعالم

ومنها

اذا قصر الروع الخطا نهضت بهم • طوال العوالي في طوال

هناك الغنايم وزن من جهابذ • وثما الظبا من وزنه من غرايم
اذا ركبوا فانظر اول طاعن • وان ترصدوا فارصده اخر طاعم

وهي طويلة ايضا طنانة اقتصرنا منها على ماذكرنا

ومنهم ابو بكر يحيى بن بقي الاندلسي الشاعر المشهور قال ابن خلكان في تاريخه قال الفتح محمد بن عبد الله العبسي في كتاب مطمح الانفس في حق ابي بكر المذكور كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط من سلكه والنظام احرز خصالا وطرزت محاسنه بكورا واصالا وجرى في ميدان الاحسان الي ابعد امد وبني من المعارف اثبت عمد الا ان الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته ولم يتم له وطرا ولم تسح عليه الحظوة مطرا ولا سوغته من الحرمة نصيبا ولا ارتادت له مرعا خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهمه لا يظفره بامان وتقلب وهن كتقلب واهي الجمان الي ان اتى يحيى ابن عيسى بن القاسم نزعه من ذلك الطيش واقطعه جانبا من العيش ورقاه الي سمايه وسقاه صوب نعمايه وفياه ظلاله وبواه اثر النعمة بحرس جلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه افعاله وافرده منها بانفس در وقيده منها بقصايد غر ووصفه ايضا بقوله هو رافع راية القريض يعني صاحب الترصيف فيه والتفريض اقام شرايعه وصار عاصيه طايعه اذا نظم ازرى بنظم العقود واتى باحسن من رقم

البرود وطفا عليه حرمانه • ولم يصف له زمانه انتهى
ومن غرر كلامه •

بأبي غزال الغاز لنه مقلتي • بين العذيب وبين شطي بارق
وسالت منه زيارة تشفي الجوا • فاجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا في لجة • ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله • صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه • وذوابتاه حمائلي في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرا • زحزحته عني وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه • كي لا ينام على فؤاد خافق
لما رايت الليل آخر عمره • قد شاب في لمم له ومفارق
ودعت من اهوى وقلت تاسفا • اعزز علي بان اراك مفارقي

وقد ذكر بعض هذه الابيات الحافظ ابو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه المطرب من اشعار اهل المغرب ومن شعره ايضا قصيدة له يمدح بها يحيى بن علي بن القاسم ومن مدائحها

نوران ليس يحجبان عن الورا • كرم الطباع ولا جمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى فليدع • كلمات نور علائه المتشهر
في كل افق من جميل ثنائه • عرف يند على دخان العنبر
اربى على المزن الملث لانه • اعطى كما اعطى ولم يستعبر
اقبلت مرتادا لجودك انه • صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورايت وجه النجح عندك ابيضا • فركبت نحوك كل لج اخضر

ومن شعره يا انبل الناس الحاظا واطيبهم • ريقا متى كان فيك الصا

في صحن خدك وهو الشمس طالعة • ورد يزينك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي مجردة • من خدك الكتب او من لحظك النبل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة • مرني بما شئت آتيه وامتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به • من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وذكر له العماد الكاتب في الخريدة عدة مقاطيع ومحاسنه كثيرة ونقل المص في كتابه نفحة الطيب في الباب الذي عقده في ذكر نبهاء الاندلس واشعارهم ولطائفهم قال ناظر بعض شعراء الاندلس بعض شعراء اهل المشرق فقال لكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله •

وليل بسد النهر انسا قطعته • بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم • فيا حسن ما انكشف الكمام عن الزهر

ومثل قوله ابنه الرضي •

مروا بنا اصلا من غير ميعاد • فاوقدوا نار قلبي اي ايقاد
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم • فرؤية الماء تزكي غلة الصادي

وهل لكم ملك الف في فنون الادب كتابا في نحو مائة مجلد مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولا تشغله الحرب ولا الممالك عن همة الادب وهل لكم مثل عمار في قصيدته التي سارت اشرد من مثل • واحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل التي منها

اثمرت رمحك من رؤوس ملوكهم • لما رايت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم • لما رايت الحسن يلبس احمرا

وهل لكم مثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في

التشبيب ارق منها وهي التي يقول فيها

كانا لم نبت والوصل ثالثنا • والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلما يكتمنا • حتي يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل كلم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهيته بين يدي المعتمد ابن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة • اثاب بها معيي المطي ورازمه

فقال

لئن جاد شعر ابن الحسين • بجود العطايا واللهي تفتح اللها

وهل من شعرائكم من تعرض لتذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الدهر وهو ابو عمرو بن فرج في قوله

وطائعة الوصال عففت عنها • وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت • دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها • الي فتن القلوب لها دواعي
فملكت النهي جماح قلبي • لاجري في العفاف علي طباع
كذاك الروض ما فيه لمثلي • سوي نظر وشم من متاع

وهل منكم علي وصف ما تحدثه الخمرة من الحمرة علي الوجه مثل الشريف الطليق حيث يقول

اصبحت شمسا وفوه مغربا • وبدا الساقي المحيي مشرقا
واذا ما غربت في فمه • تركت في الخد منه شفقا

وهل فيكم من عمد الي قول امرئ القيس حيث قال

سموت اليها بعد ما نام اهلها • سمو حباب الماء حالا علي حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار واستلبه بلطف استلاب

ثغر

ثغر الشمس لرضاب طل الاشجار • فلطفه تلطيفا بالارواح ويغني في الارتياح عن شرب الراح وهو ابن شهيد في قوله

ولما تملي من سكره • ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه علي قربه • دنو رفيق دري ما التمس
ادب اليه دبيب الكري • واسمو اليه سمو النفس
اقبل منه بياض الطلي • وارشف منه سواد اللعس
وبت بها ليلتي ناعسا • الي ان تبسم ثغر الغلس

ولله در محمد بن سفر احد شعرائها المتاخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث كمل السعي الي محبوبته فقال

وواعدتها والشمس تجنح للنوي • بزورتها شمسا وبدر الدجي يسري
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجا • وطورا كما مر النسيم علي النهر
فعطرت الافاق حولي واشرقت • بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل اثار سعيها • كما يتقصي قاري احرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوي • تنبه بين الغصن والحقف والبدر
اعانقها طورا والثم تارة • الي ان دعتنا للنوي راية الفجر
ففضت معقودا لتعانق بيننا • فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل فيكم شاعر راي الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاحي وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك ان ياتي به في صريح بصير خلعة في الاسماع جديدا وكلاله في الافكار جديدا فاغرب احسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله ابناء اعراب وهو ابن الزقاق رحمه الله حيث يقول

واغيد طاف بالكؤوس ضحي • وحثها والصباح قد وضحا
والروض ابدي لنا شقائقه • وآسه العنبري قد نفحا

قلنا وابن الاقاح قال لنا   اودعته شغرمن سقي لقرحا
وظلّ ساقي المدام يجحده   عنا فلما تبسم افتضحا
وقوله   اديراها على الروض المندي   وحكم الصبح في الظلمات ماضي
وكاس الراح تنظر عن حباب   ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن   تقلّبن من السما الى الرياض
وقوله   ورياض من الشقايق اضحت   يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها   زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا   سرقت حمرة الخدود الملاح
وهل منكم من برح في اوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك
فانتهى الى الراية السباق وفضح كل من طمح بعلة في اللحاق وهو
الريس ابو اسحق بن خفاجه بقوله
حث المدامة فالنسيم عليل   والظل خفاق الرواق ظليل
والروض يهتز المعاطف نعمة   نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان تصتصد الندائم انجلى   عنه فمذهب صفحتيه اصيل
وقوله   اذن الغمام بديمة وعقار   فامزج لجينا منهم بنضار
واربع على حكم الربيع بجرعة   هزج الندامى مفصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن   من ردف رابية وخصر قرار
وهفت بغربيه هنا اكيته   خفاقة بمهب ريح عرار
هزت له اعطافها ولربما   خلعت عليه ملاءة النوار
وقوله   وساق كحيل الطرف في شاو حسنه   جماح وبالصبر الجميل حران
تري للصبا نارا بخديه اوقدت   لها من سوادي عارضيه دخان

سقاها

سقاها وقد لاح الهلال عشية   كما اعوج في درع الكمي سنان
عقار بناها الكرم فهي كريمة   ولم تزن بابن المزن فهي حصان
وقد جال من جون الغمامة ادهم   له البرق سوط والشمال عنان
وضح دراً لشمس بحر حديقة   عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة   لها النور ثغر والنسيم لسان
وهل منكم من يقول مناديا لنديمه وقد باكر روضا محجوبا وكاس
فالفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف ان يكسل نديمه عن الوصول
اذا راي ذلك وهو ابو الحسن بن بسام
الا بادر فما ثان سوى ما   عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا   تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى ان   توافيه فينحط اللثام
وهل منكم من وصف غلاما جميلا في الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف
ومنوع الحركات يلعب بالنهى   لبس المحاسن عند خلع لباسه
متاود كالغصن وسط رياضه   متلاعب كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا ومدبرا   كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه   كالسيف ضم ذبابه لرياسه
وهل منكم من وصف خالا باحسن من قول الشاعر النشار
اللوامي على كلفي بحبي   متى من حبه ارجو براحا
وبين الخد والشفتين خال   كزنجي اتي روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدري   ايجني الورد ام يجني الاقاحا
وهل منكم الذي اهتدى الى معنى لثم وردة الخدود رشف رضا الثغر
ما لم يهتد اليه احد غيره وهو ابو الحسن سلام المالقي بقوله

لما ظفرت بليلة من وصله • والصب غير الوصل لا يشفيه
انضجت وردة خده بتنفسي • وطفقت ارشف ما ها من فيه

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو ابو جعفر الذهبي حيث قال • ايها الفاضل الذي قد هداني • نحو من قد حمدته باختبار

شكر الله ما اتيت وجازا • ك ولا زلت نجم هدي لسار
اي برق أفاد اي غمام • وصباح ادى لضوء نهار
واذا ما غدا النسيم دليلي • لم يحلني الاحلي الازهار

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول ابي وهب العباس القرطبي •

انا في حالتي التي قد تراني • ان تاملت احسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر ا • لارض اسقي من المياه زلالا
ليس لي كسوة اخاف عليها • من مغير ولا ترى لي مالا
اجعل الساعد اليمين وسادي • ثم انثني اذا انقلبت الشمالا
ليس لي والد ولا لي مولود • ولا حزت مذ عقلت عقالا
قد تلذذت حقبة بامور • فتاملتها فكانت خيالا

ومثل زينب بنت زياد المؤدب •

ولما ابى الواشون الا فراقنا • وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة • وقلت حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من ناظريك وادمعي • ومن نفسي بالسيف والماء والنار

وانا اختم هذه القطعة بقول القاضي ابي جعفر عمر القرطبي •

هم نظروا لواحظها فهاموا • وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها • ايحذر قلب حامله الحسام

سماطر في الهوا وهو باك • وتحت الشمس ينسك الغمام
واذكر قدها فانوح وجدا • على الاغصان تندب الحمام
واعقب بينها في الصدر غما • اذا غربت ذكاء اتى الظلام

ومنهم محمد بن يوسف من اعيان المغرب علما ونفاسة اذا ذكر ثناؤه عطر نسيم الرياض بعرفه انفاسه • مراسيه لا تخفة للقلوب مصمية لاغراضها • وعيون اشعاره مادة الفنون في صحاح الاجفان ومراضها • اوتي بصنايع المقترح وطلاوة اللسن فوقفنا لكلام جابر على كلامه لما رآه جامع القول الحسن • وقد ذكرت اليه ما تهفوا اليه القلوب والضلوع وتسابق اليه الخواطر وبواعثها التوله والولوع فمن ذلك كتاب كتبه الى ابي العباس المقري الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق • وطلعت شموس معارفه في غاية الاشراق • وصار له في ميدان الكمال احسن الاستباق امام العصر بجميع ادوات الحصر • سلام من النسيم ارق والطف من الزهر اذا عبق • وبعد فاخباركم ترد علينا • وتصل دايما الينا بما يسر الخاطر ويقر الناظر مع كل وارد وصادر • كتبت اليكم من الحضرة المراكشية مع كثرة الاشواق • التي لا تسعها الاوراق • كتبكم الله فيمن عنده كما جعلكم ممن اخلص من موالاة لحق قصده • وود الكلم غض الحدايق • مسجل في مطلع الوفا بمنطق رايق • لا يحيله عن مركز الثبوت عايق • وحقيق بمودة انبطت في الحق ولحق معاقدها • واسست على المحبة في الله قواعدها • ان يزيد عقدها على مر الايام شده • وعهدها وان شط المزار جدته • وان تدخر للاخرى عده

واني لمن يعتقدوا لانكم عملا صالحا يتقرب من الله ويزلف اليه
ويعتمدها ازرا يعول في الاخرة يوم لاظل الا ظله عليه • فانكم
واليتم فاخلصتم في الولا • وعرفتم الله فقمتم بحقوق الصحبة على
الولا معرضين عن غرض الدنيا وعرضها • معرفين بشروط نفلها
وفرضها • الى ان قضى الله بافتراقكم • وحقوقكم المتاكده دين
علينا والايام تمطل بقضائها عنا وتوجيه الملام الينا فاونة
اقف فاقرع السن على التقصير ندما • واونة استنيم الى فضلكم
فاتقدم قدما • وفي اثناء هذه لا يخطر بالبال حق لكم سابق •
الا وتذكر عليه فيكم امر لاحق • حتى وقفت موقف العجز وضاقت
على العبارة في النفس • فكدت لا اتكلم الا بالرمز احلالا لحقكم
الرفيع واشفاقا من التقصير المطيع • الى ان قال وبالجملة •
فقوا ذي لمجدكم صحيح لا سقيم • واعتدادي بودادكم منتج غير
عقيم • والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمه • وينفي من الا
ديان المحبة فيو في كل غريم غريمه • وصحبة هذا الكتاب ارجوزة
وهي هذه • لله در العالم الحبابي • كانما ينظر بالعيناب •
للمقري العالم المفضال • ذي نظر باحسن المثال • وعالم باني من نفعه
اشير في نظامه لقصده • وها انا بالله استعين • مضمنا ومنبئا عن
بالشطر من الفيه ابن مالك • ايدنا الله بنسج ذلك • قال محمد عبد المالك
وسالك لاحسن المسالك • نشر بالتضمين للنحرير • المقري الفاضل الشهير
ذاك الامام والعلي في الهمم • كعلم الاشخاص لفظا وهو عم • فلن ترى في علمه مثيلا
مستوجبا ثنائي الجميلا • ومدحه عندي لازم ابدا • في النظم والنثر هذا ثنا

اوصاف سيدي بهذا الرجز • تقرب الاقصى بلفظ موجز • فهو الذي له المعاني تعتزي
وتبسط البذل بوعد منجز • رتبته فوق العلا يا من فهم • كلامنا لفظ مفيد كاستقم
وكم افاد دهرهم من تحف • مبدي تاول بلا تكلف • لقدره في المقام الظاهر
كطاهر القلب جميل الظاهر • وفضله للطالبين وجدا • على الذي في رفعه قد عهدا
قد حصل العلم واحرز السير • وما باء لا او باسما انحصر • في كل فن ما هو صفه ولا
يكون لا غاية الذي تلا • سيرته جرت على نهج الهدى • ولا يلي الا اختيارا ابدا
وفضله وعلمه لا ينكر • مما به عنه مبينا يخبر • يقول مرحبا للقاصدين من
يصل الينا يستعن بنا يعن • صدق مقالاتي وكن متبعا • ولم تكن تصريفها ممتنعا
وانهض اليه فهو بالمشاهده • الخبر الجزء المتم الفائده • والزم جنابه واياك الملل
ان يستطل وصل وان لم يستطل • واقصد جنابه ترى ماثره • والله يقضي بهبات وافره
واسئله فانه ابن معطي • ويقتضي رضى بغير سخط • واجعله نصب العين والقلب ولا
تعدل به فهو يضاهي المثلا • قد طال لما افاد علم مالك • احمد ربي الله خير مالك
وحاسد ومبغض له زمن • وهالك وميت به فتن • وليس يشفي مبغض له اعل
يعني ونفي هراوة له جعل • يقول عبد ربه محمد • في نحو خير القول اني احمد
وهو بدهرهم عظيم الامل • مروع القلب قليل الحيل • فادع له وساده في حضروا
وانعل او افق تغتبط اذ تشكر • واخبره بالدعاء تغتنم • بجره وفتح عينه الترنم
انشدت فيكم ذا واني قائل • في نحو نعم ما يقول الفاضل • ادعوكم بالستر في كل زمن
لكونه عنصر الرفع اقترن • ما ترككم كيثرة سوى • ما مر فاقبل منه ما عدي
قد انتفى تعريف ذا المعرف • وذو تمام ما برفع يكتفي • وانتم تاج السادة الاولى
وما بجمعه عنيت قد كمل • فالله يبقيكم لدينا وكفى • مصليا على الرسول المصطفى
تترا عليه دايما منعطفا • واله المستكملين الشرفا • اذ ذكرنا ايمة

الاندلس فلنذكر جملة من اشعارهم التي هي اعذب من الماء الزلال وارق من نعت السحر الحلال فمن ذلك قول احمد بن محمد الخولاني الاندلسي الاشبيلي المعروف بابن الابار رحمه الله تعالى

لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي * من الغرام ولا ما كابدت كبدي
افديك من زائر رام الدنو فلم * يسطعه من لهب في القلب متقد
خاف العيون فوافاني على عجل * معطلا جيده الا من الجيد
عاطيته الكاس فاستحيت مدامته * من خمر ذاك اللما المعسول والبرد
حتى اذا غازلت اجفانه سنة * وصيرته لدا الصهبا طوع يدي
اردت توسيده خدي وقل له * فقال كفك عندي افضل الوسد
فبات في حرم لا غدر يذعره * وبت ظمآن لم اصدر ولم ارد
بدر الم وبدر التم ممتحق * والافق محلولك الارجاء من جسد
تحير الليل فيه اين مطلعه * وما درا الليل ان البدر في عضدي

ولابي طلحة الاندلسي رحمه الله تعالى

ارسل الجوماء ورد رذاذا * اوسع الحزن والدماث رشا
فانثنى حول اسوق الدوح خجلا * وجرى فوق بردة الروض رقشا
وسمى في الغصون حلي بنان * اصبحت من سلافة الطل رعشا
فترى الزهر يرقم الارض رقما * وترى الريح ينقش الماء نقشا
وكأن المياه سيف صقيل * وكأن البطاح غمد موشى
منظر يملأ النواظر نورا * قد غدا عبرة لمن كان يخشى

ابن السيد الاندلسي رحمه الله تعالى ولجاد

مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به ممرض * اعان الشهاد على مقلتي

بغيض

بغيض الدموع فما تغمض * وما زاد شوقا ولكنني * يعرض في انه معرض

ومن كلام ابن السيد الاندلسي المذكور انفا

بروحي من ثغر اشفه مدام * ومن لحظات مقلته سهام
ومن هواني بداوالبدر تتم * حيا من وجهه البدر التمام
اقول له وقد ابدى صدودا * فلا لفظ لدي ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يمحو محاسنك السلام * وله
ايضا سلبت الروح من بدني * وصمت القلب بالحزن * فلي بدن بلا روح
ولي روح بلا بدن * قرنت مع الردا نفسي * فنفسي وهو في قرن
فليت السحر من عينيك * لم اره ولم يرني * ولابي عامر الاندلسي
بيني وبينك ما لو شئت لم يضع * سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بايعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم ابع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما * لا تستطيع قلوب الناس يستطع
ته احتمل واستطل اصبر وعز اهن * وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

ولابي بكر يوسف الاندلسي رحمه الله تعالى

انا ان مت سلوا لك يا قرة عيني * كنت في الاثم كمن شارك في قتل الحسين
لك صولات على قلبي دليلات حنيني * مثل صولات علي يوم بدر وحنين

ولبعض اهل الاندلس ايضا

شدوا المآزر فوق كثبان النقا * بانامل حلوا بها عقدا لتقي
وتجردوا عن لين بان معاطفا * الفوا ذوائبهم عليه فاورقا
فتضوع الحمام نشرا عندما * فرطوا من الاصداغ مسكا معبقا

ومن كلام احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المذكور

أصغي اليه بكاسه مصغيا ٭ صلت الجبين معقرب الصدغ
كاس تولّه بالحمية بيننا ٭ طورا وتنزع ايما نزع
في روضة درجت الصبا بزهرتها ٭ والشمس في درج من الفرغ
واشرب بكف اغن بعقربه ٭ للقلب منك حية اللدغ
ولبعضهم ٭ بدي فكانما قمر ٭ على ازراره طلعا ٭ بغت المدع عن تفقد
الجبين بنانه ولها ٭ وقد خلعت عليه الكاس من اثوابه خلعا
فرغب في تذييلهم بعض الادباء من الاندلس لما استحسنهم فقال
فاهدى من محاسنه ٭ الى أبصارنا بدعا ٭ فلما فتنت أكبدنا
وحار قلوبنا حبا ٭ ففاضت اعيننا اسفا ٭ وفاضت انفس جزعا
وللعلامة يحيى بن هذيل المغربي رحمه الله تعالى
نام طفل النبت في حجر النعاما ٭ لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي اغصان النقا ٭ فهوت تلثم افواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى ٭ وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب الشمس محيا ثمل ٭ قد سقته راحة الصبح مداما
حولها الزهر كؤوس قد غدت ٭ مسكة الليل عليهن ختاما
وللصنوبري الاندلسي رحمه الله تعالى
غصن يهتز في دعص نقا ٭ يجتني منه فؤادي حرقا
سال لام الصدغ في وجنته ٭ سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما ٭ يحسن الغصن اذا ما اورقا
وكان الكاس في أنمله ٭ شفق الصبح يعلو فلقا
أصبحت شمسا وفوه مغربا ٭ وبدا الساقي المحيي مشرقا

فاذا

فاذا ما عزبت في فمه ٭ اثرت في الخد منه شفقا
وكان الورد يعلوه الندى ٭ وجنة المحبوب تبدي عرقا
ولابن زيدون رحمه الله تعالى
اليك من الانام غدا ارتياحي ٭ وانت من الزمان مدى اقتراحي
فدتك ان صبري عنك صبر ٭ لدا عطش عن الماء القراح
ولي امل لو الواشون كفوا ٭ لاطلع غرسه ثمر النجاح
واعجب كيف يغلبني عدو ٭ رضاك عليه من امضى سلاح
ولما ان جليتك لي اختلاسا ٭ اكف الدهر للحين المتاح
رايت الشمس تطلع في نقاب ٭ وغصن البان يرفل في وشاح
فلو استطيع طرت اليك شوقا ٭ وكيف يطير مقصوص الجناح
فؤادي من اسى بك غير خال ٭ وقلبي من هوى لك غير صاح
وان تهدى السلام الي شوقا ٭ ولو في بعض انفاس الرياح
وله ٭ كيف السلو عن الذي ٭ مثواه من قلبي السواد ٭ يقضي علي دلاله
في كل حين او يكاد ٭ ملك القلوب بحسنه ٭ فلها اذا امر انقياد
يا هاجري كم استفيد ٭ الصبر عنك فلا افاد ٭ افلا رثيت لمن يبيت
وحشو مقلته السهاد ٭ ان اجن ذنبا في الهوى ٭ خطا فقد يكبو الجواد
وله ايضا ٭ متى ابثك ما بي ٭ يا راحتي وعذابي ٭ متى ينوب لساني
في شرحه عن كتابي ٭ الله يعلم اني ٭ أصبحت فيك لما بي
فما يلذ منامي ٭ ولا يسوغ شرابي ٭ يا فتنة المتغري
وحجة المتصابي ٭ الشمس منك توارت ٭ عن ناظري بالحجاب
ما النور شف سناه ٭ على رقيق السحاب ٭ الا كوجهك لما

اضاء تحت النقاب • هل لداعيك مجيب • ام لشاكيك طبيب
يا قريبًا حين ناي • حاضرًا حين يغيب • كيف يسلوك محب
زانه منك حبيب • انما انت نسيم • تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن • هو لا شك مصيب • ان سر الحسن مما
اضمرت تلك القلوب • اني تضيع عهدك • ام كيف تخلف وعدك
يا ليت شعري وعندي • من الهوى ليس عندك • وقد رايتك الايام
رضي فلم تتغيرك • هل طال ليلك بعدي • كطول ليلي بعدك
سلني حياتي اهبها • فلست املك ردك • الدهر عبدي لما
اصبحت في الحب عبدك وله ايضا رحمه الله لم يكن هجر حبيبي عن قلى
لا ولا ذاك التجني مللا • سره دعوى ادعائه ولم
يده ما غاية صبري فابتلا • انا راض بالذي يرضى به
لي من لو قال مت ما قلت لا • شرف في كل حسن شرما • صار حالي في هواه مثلا
يا فتيت المسك يا شمس الضحى • يا قضيب البان يا ظبي الفلا
ان لم يكن لي امل غير الرضى • منك لا بلغت ذاك الاملا
انت معنى الهوى وسر الدموع • وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن • لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يا موسى يكلفك العتب • د لا لا من الرضى الممنوع
انما انت والحسود المعنى • كوكب يستقيم بعد الرجوع
وله ايضا رحمه الله يا ليل طل لا اشتهي • الا لعمري قصرك
لو بات عندي قمري • ما بت ارعى قمرك • يا ليل خبرا انني
والله اهوى خبرك • بالله قل لي هل وفا • فقال لا بل غدرك

وله

ابوحشني الزمان وانت انسي • ويظلم لي النهار وانت شمسي
واغرس في محبتك الاماني • واجني الموت من ثمرات غرسي
لقد جازيت غدرا عن وفائي • وبعت مودتي ظلما ببخس
ولو ان الزمان اطاع حكمي • فديتك من مكارهه بنفسي
ومن كلام الوزير الكاتب ابو عامر السالمي في غلام يرش الماء
على خديه فتزداد حمرتها •
لقد نعمت بحمام تطلع في • ارجائه قمر والحسن يكمله
ابصرته كلما رافت محاسنه • ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له • صف لي لما احمر الياقوت تصقله
فقال طرفي سفاك بصارمه • دماء قوم على خدي فاغسله
وكان الاديب الفاضل ابو الحسن علي بن رشيق عشق من
يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين
داره فبات عنده وقال •
يا ليلة جادت الليالي • بها على رغم انف دهري • للسيل فيها علي نعما
يقصر عنها لسان شكري • اباتني في منزل حبيبي • وقام في اهله بعذري
فبت لا حالة كحالي • ضجيع بدر صريع سكري • يا ليلة القدر في الليالي
لانت خير من الف شهر • ومن كلامه
يا ويح من بالمغرب الاقصى ثوى • خلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملأت ما • بيني وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعي ثم قلت لسكبه • من لم يذب من زفرة فليحرق
لكن خشيت عقاب ربي ان انا • احرقت او اغرقت من لم اخلق

ولد كلمته فاحمر من خجل ۔ حتى اكتسى بالعسجد الورق ۔ وسالته تقبيلا
فابى وقال الخاف احترق ۔ حتى نرى عاقاً عن املي ۔ ان الشقي بريقه شرق

ومن كلام الوزير بن زهير

رمت كبدي بدر السما فاقصدت ۔ الا بابي رام يصيب ولا يخطي
قريبة ما بين الخلاخل ان مشت ۔ بعيدة ما بين القلادة والقرط

ومن كلام ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا ۔ الى كاشحينا ما القلوب كواتم
امرنا بامساك الدموع جفوننا ۔ ليشجي بما يطوي عذول ولائم
ابى دمعنا يجري مخافة شامت ۔ تنظمه بين المحاجر ناظم

ولابي جعفر بن خاتمة

هل جسوم يوم النوى ودعوها ۔ باقيات لسوؤها او دعوها
ياحداة القلوب ما العدل هذا ۔ اتبعوها اجسامها اودعوها

وكان لابن عبد ربه فتى يهواه فاعلمه انه يسافر غدا فلما اصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين انت مبتكر ۔ هيهات يابى عليك الله والقدر
مازلت ابكي حذار البين ملتهبا ۔ حتى رثا لي فيك الريح والمطر
يا بردة من حيا مزن على كبد ۔ نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ان لا ارى شمساً ولا قمراً ۔ حتى اراك فانت الشمس والقمر

وله ايضا صل من هويت وان ابدى معاتبة ۔ فاطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه ۔ فقلما تسع الدنيا بغيضين

ومن كلام حاتم بن سعيد

جنبوني عن المدامة الا ۔ عند وقت الصباح او في الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح ۔ ودعوني من كل قال وقيل
واذا ما اردتم طيب عيش ۔ فاجنبوني عن كل وجه ثقيل

ومن كلام ابي جعفر

الا حبذا روض بكرنا له الضحى ۔ وفي جنبات الروض للطل ادمع
وقد خلعت بين الغصون نسيمة ۔ تمزق ثوب الطل منها وترقع
ونحن اذا ما اطلعتنا لقضبه ركعا ۔ نظل لها من هزة السكر نركع

ومن كلام ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشبيلي

وكان يهوديا وسيل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل اليهودية وذل العشق وهو القايل

والمى بقلبي منه جمر مؤجج ۔ تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلني من اي دين مدامعي ۔ وشمل اعتقادي في هواه مبدد
فؤادي حنيفي ولكن مقلتي ۔ مجوسية من خده النار تعبد

واجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسالوه لما اخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن ام لا فاجابهم للناس ما ظهر ولله ما استتر وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والتوشيح ومن نظمه قوله

لقد كنت ارجو ان تكون مواصلي ۔ فاسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله برد ما بقلبي من الجوى ۔ بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وله في غلام شاعر كيف خلاص القلب من شاعر ۔ رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره ۔ ونظمه جل عن العقد

وكان الاديب الاريب المحدث ابو الربيع سليمان بن علي الاشبيلي
الشهير بكثير يهوي من يتجنى عليه بقوله انت ابرد من الثلج
فخاطبه كثير بقوله

يا حبيبا له الكلام خلوب . قلبت في لظى هواه القلوب كيف تعزو الى محبك بردا
ومن الحب في حشاه لهيب . انت شمس وقلت اني ثلج . فلهذا اذا طلعت اذوب

ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين .

بالله ان لم تزدجر . يا مشبه البدر المنير . لأسرحن نواظري
في ذلك الورد النضير . ولاكلنك بالمنى . ولاشربنك بالضمير

ولابن عبد ربه .

اشرب على المنظر الانيق . وامزج برتق الحبيب ريقي . واحلل وشاح الكعاب رفقا
خوفا على خصرها الرقيق . وقل لمن لام في التصابي . خذ بي قليلا عن الطريق

وقول الناظم كاعمة سكنوا الخ اي اقاموا بالمسكن بكسر الكاف اي
المنزل والبيت قال في المختار والمسكن بكسر الكاف المنزل والبيت
واهل الحجاز تفتح الكاف والسكن اهل الدار وبالتحريك النار وما
يسكن اليه كما في القاموس والمراد به هنا مطلق الاقامة في الاندلس
والاندلس بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضم اللام
وسين مهملة وهي جزيرة متصلة بالبر الطويل والبر الطويل
متصل بالقسطنطينية وانما قيل للاندلس جزيرة لان البحر
يحيط بها من جهاتها الا الجهة الشمالية وهي مثلثة الشكل
والركن الشرقي منها متصل بجبل يسلك منها الى افريقيه ولولاه
لاختلط البحران وحكى ان اول من عمرها بعد الطوفان

اندلس بن يافث بن نوح فسميت به والاندلس هي كما قال ابن
الوردي الغرب الاوسط وهي شرقي بلاد البربر وكان اهل سوس
وهو الغرب الاقصى قديما يصدون اهل الاندلس في كل وقتهم
ويلقون منهم الجهد الجهيد الى ان اجتاز اسكندر بهم فشكوا
حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق وكان الارض
جافة فامر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي
فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير فامر برفع البلاد
التي على ساحل بحر الشام ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم امر
ان يحفر الارض بين طنجة وبلاد الاندلس فحفرت حتى ظهرت
الجبال السفلية وبني عليها رصيفا بالحجر والجير محكما وجعل
طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبنى رصيفا
أخر من ناحية طنجه يقابله وجعل بين الرصيفين ستة اميال
فلما كمل الرصيفين ودخل في البحر الشامي حفر لها من البحر الاعظم
ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة واهلك امما عظيمة كانت
بين البحرين على الشطين وطفى الماء على الرصيفين احد عشر
قامة فاما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض
الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد
واهل الجزيرتين يسمونه القنطرة واما الرصيف الذي من جهة
طنجة فان الماء حمله في صدره واحتفر ما في خلفه من الارض
اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المشرق الجزيرة الخضراء وعلى
طرفه من جهة المغرب جزيرة طريف وكلاهما عامر ويقال ان الجزيرة

الخضرا في برا لعدوة وبين سبتة والجزيرة الخضرا عرض
البحر وللاندلس جزاير عظيمة كالخضرا وجزيرة قادس وجزيرة
طريق وكلها عامرة اهلة مسكونة ومن مدنها اشبيلية وهي
مدينة عامرة على صفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه
جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قايمة وتجارات رابحة
واهلها ذو اموال عظيمة واكثر مساجدهم في الزبيب وهو
يشتمل على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا في مثلها
يمشي فيها السائر في ظل شجر الزيتون والتين ولها على ما
ذكر التجار ثمانية الاف قرية عامرة بالاسواق العامرة والديار
المحسنة والفنادق والحمامات ومن اقليم الاندلس اقليم
الكنانية ومن مدنه المشهورة قرطبة وهي قاعدة بلاد الاند لس
ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة واهلها اعيان
البلاد وسراة الناس في المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمم
وبها من اعلام العلماء وسادات الفضلاء واجلاد الغزاة
وامجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا
وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز وبها مدينة فيها
من الاسواق والفنادق والحمامات والصناعات ما لا يوصف
وطولها ثلاثة اميال في عرض ميل واحد وهي في سطح جبل
مطل عليها ويسمى جبل العروس ومدينتها الثالثة وهي الوسطى
فيها باب القنطرة وبها الجامع الذي ليس في معمور الارض مثله
طوله مائة ذراع في عرض ثمانين ذراعا وفيه من السواري

الكبار الف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقيد اكبرها
يحمل الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر احد على
وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب
سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير
الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب اربعة
اعمدة اثنان اخضران واثنان احمران وقيل لازورديان
ليس لهم قيمة وبه منبر ليس على معمور الارض مثله وحسن صنعته
وخشبه ساج وابنوس وعود قاقلي ومذكور في تاريخ بني امية
انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمان صنا ع
لكل صانع من الاجرة في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة
ما صرف على المنبر من الاجرة عشرة الاف مثقال وخمسون مثقالا
وفي الجامع حاصل كبير ملآن من انية الذهب والفضة لاجل
وقوده وبهذا الجامع مصحف فيه اربع ورقات من مصحف عثمان
ابن عفان رضي الله عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وله عشرون
بابا مصفحات بالذهب بالنحاس الاندلسي مخرمات تخريما يعجز
عنه البشر في كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وله الصومعة
العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي
وفيها من انواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه
ونعته وبهذا الجامع ثلاثة اعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد
وعلى الآخر صورة عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة
غراب نوح والجميع خلقة ربانية وبمدينة قرطبة المذكورة القنطرة

العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدد قسيها سبعة
عشر قوسا سعة كل قوس منها خمسون شبرا بين كل قوسين خمسون
ومحاسن هذا اعظم من ان يحيط بها واصف ومن اقاليم جزيرة
الاندلس اشبونة وهي مدينة حسنة شمالي النهر المسمى باجه الذي
هو نهر طليطلة والمدينة ممتدة مع هذا النهر وهي على بحر مظلم
وبها اسواق قايمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة وبها صور
منيع ويقابلها على صفة النهر حصن المعدن وسمي بذلك لان
البحر يمد عند سجانة فيقذف بالذهب التبر الى نحو ذلك الحصن
وما حوله فاذا رجع يقصد اهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون
به الذهب الى اوان سجانة ايضا ومن اشبونة هذه كان خروج
المغرورين في ركوب البحر المظلم الذي في اقصى بلاد المغرب وهو
بحر عظيم هايل غليظ المياه كثير كدر اللون شامخ الموج صعب
الظهر لا يمكن ركوبه لاحد من صعوبته وظلمة مسه وتعاظم امواجه
وكثرة اهواله وهيجان ريحه وتسلط دوابه وهذا البحر لا يعلم
احد قعره ولا يعلم خلفه الا الله تعالى وهو غور المحيط ولم يقف
احد من خبره على الصحة ولا ركبه احد ملججا ابدا انما يمر مع ذيل
الساحل لان به امواجا كالجبال الشوامخ ودوي اعظم من دوي
الرعد لكن امواجه لا تنكسر ولو تنكسر لم يركبه احد ملججا ولا
مسوحلا حكاية اتفق ان جماعة من اهل اشبونة وهم
ثمانية انفس اولاد عم فانشاوا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد
ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهاية

بره وبحره شرقا وغربا ويروا ما فيه من العجايب ونحا لعلوا انهم
لا يرجعوا ابدا حتى ينتهوا الى البر الغربي او يموتون فساروا فيه
ملججين احد عشر يوما فدخلوا الى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح
مظلم منتن النفر كثير القروش فايقنوا بالهلاك والعطب ثم
رجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوما فدخلوا الى جزيرة الغنم
وراوا فيها من الاغنام ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وليس بها
ادمي ولا بشر وليس لها احد فنهضوا الى الجزيرة فذبحوا من تلك
الاغنام واصلحوا شانه وارادوا الاكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل
فاخذوا من جلودها ما امكن ووجدوا عين ماء عذب فملاؤا
منها وسافروا مع الجنوب فراوا جزيرة عامرة فقصدوها فلم يشعروا
الا وقد احاطت بهم زوارق وبها قوم موكلون بها فقبضوا عليهم
وحملوهم الى الجزيرة فدخلوا الى مدينة على صفة النهر هم
وانزلوهم بدار عندهم ورا وبتلك الجزيرة رجالا شقر الالوان
طوال القدود ونساوهم ذات جمال مفرط يخرج عن الوصف
فتركوهم في دار الضيافة ثلاثة ايام ثم دخل عليهم في اليوم
الرابع رجل ترجمان وكلمهم بالعربي وسالهم عن حالهم فاخبروه
بخبرهم فاحضروهم قدام الملك الذي لهم ولخبره الترجمان
بما اخبروه به من حالهم فضحك الملك منهم وقال للترجمان قل
لهم اني وجهت من عندي جماعة في هذا البحر ليأتوني بخبر
ما فيه من العجايب فسافروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم
الضوء فصاروا في مثل الليل المظلم فرجعوا من غير خبر وعدهم

الملك خيرا واقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من
أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا اعينهم وساروا بهم مدة لا
يعلمون قدرها ثم نزلوهم على الساحل وانصرفوا فلما سمعوا كلام الناس
صاحوا فاقبلوا اليهم وحلوا اكتافهم واعينهم وسالوهم عن حالهم
ومن اي البلاد هم فاخبرهم الجماعة بخبرهم وبلدهم فقال لهم الناس
هل تدرون ما بينكم وبين ارضكم قالوا لا قالوا فوق شهرين فرجعوا الى بلدهم
ولهم في اشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين الى الان ومالقة
وهي مدينة كبيرة واسعة الاقطار عامرة الديار وقد استدار بها من
جميع جهاتها ونواحيها شجر التين المنسوب الى ربيه وهو احسن التين لونا
واكبره جرما وانعمه لحما وحلاوة طعما حتى يقال انه ليس في الدنيا مدينة
يحيط بها سور من حلاوة غيرها وعرض السور يوم للمسافر ويحمل منها
التين الى سائر الاقطار والاقاليم حتى الى الهند والصين وهو مسافة
سنة لحسنه وحلاوته وعدم تشويشه وصحة بقائه ولها ربضان
عامران ربض للناس عامر وربض للبساتين وشرب اهلها من الابار
وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة ومن اقاليم جزيرة الاندلس
اقليم السيارات ومن مداينه المشهورة ومنها المرية وكانت مدينة
الاسلام في ايام الملثمين وكان بها من جميع الصناعات كل غريبة
وكان بها نسج الحرير المطرز ثمانماية نول وللحلل الحرير النفيسة
والديباج الفاخر الف نول وللسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية
كذلك وللاصفهاني مثل ذلك وللعتابي والمعاجر المذهبة والستور
المكللة بالسروج مثل ذلك وكان يصنع بها صنوف الحديد والنحاس

والزجاج

والزجاج ما لا يوصف وكان بها من انواع الفواكه العجيبة تاتيها
من كل جانب من وادي بجاية ما يقصر عنه الوصف حسنا ووصفا
وطيبا وكثرة وتباع رخيصة بارخص ثمن وهذا الوادي طوله
اربعون ميلا مثلها كلها بساتين معلقة وجنات نضرة وانهار
مطردة وطيور مغردة ولم يكن في بلاد الاندلس اكثر مالا من اهلها
ولا متاجر ولا اكثر ذخاير وكان بها من الفنادق والحمامات الف
مغلق الا ثلاثين وهي بين جبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد
قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الاخر ربضها والسور يحيط بالمدينة
والربض وغربيها ربض اخر يسمى ربض الحوض وثمت اسواق وحمامات
وفنادق ومصانعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة
واحجار ازلية وكانها قد غربلت ارضها من التراب ولها مدن وضياع
عامرة متصلة الانهار ومن مداينه قرطاجنة مدينة ازلية كثيرة
الخصب وبها اقليم يسمى الفندود قليل مثله في طيب الارض
ونمو الزرع ويقال ان الزرع فيه يكتفي بمطرة واحدة وكانت هذه
المدينة في قديم الزمان من عجايب الدنيا لارتفاع بنائها واظهار
القدرة فيه وبها اقواس من الحجارة المرصوصة وفيها من التصاوير
والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة
ومن عجيب بنائها الدواميس وهي اربعة وعشرون داموسا على
صف واحد من حجارة مرصوصة طول كل داموس ماية ذراع وثلاثون
خطوة في عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد طول من مايتي
ذراع بين كل داموس وداموس انقاب محكمة تتصل فيها المياه

من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام
بليغ وكان الماء يجري اليها من شوشان وهي عين بقرب القيروان
تخرج من جانب جبل والى الان يحفر في هدمها من ثلاثمائة سنة
فيخرج منها انواع الرخام والمرمر والجزع الملون ما يبهر الناظر
قال الحوطي ولقد اخبرني بعض التجار انه استخرج منها الواحا من الرخام
طول كل لوح اربعون شبرا في عشرة اشبار عرضها والحفر بها دائما
على مر الليالي والايام لم يبطل ابدا ولا يسافر مركب في البحر في تلك المملكة
الا وفيه من رخامها ويستخرج منه اعمدة كل عمود طوله يزيد على اربعين
شبرا وغالب الدواميس قائمة على حالها ومن مداينه شاطبة وهي
مدينة حسنة يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له
في الاقاليم حسنا وقنطرة السيف وهي مدينة عجيبة من عجايب الدنيا
وعلى القنطرة حصن كبير منيع الذرى وطليطلة وهي مدينة عجيبة
واسعة الاقطار عامرة الديار ازلية وهي من بناء العمالقة الاول
العادية ولها اسوار حصينة لم ير مثلها اتقانا وامتناعا ولها
قصبة حصينة على صفة النهر الكبير يشقها نهر يسمى باجه
وبها قنطرة عجيبة وهي قوس واحد والماء يدخل من تحتها بشدة
جريه وفي اخر النهر ناعورة طولها ستون ذراعا بالرشا ينصعد
الماء الى اعلا القنطرة فيجري على ظهرها ويدخل الى المدينة وكانت
طليطلة دار مملكة الروم وكان فيها قصر مقفول دائما ابدا
وكلما تملك فيها ملك من الروم قفل عليه قفلا محكما فاجتمع على
باب القصر اربعة وعشرون قفلا ثم ولي الملك رجلا ليس من بيت

الملك

الملك فقصد فتح الاقفال ليرى ما داخل القصر فنهاه من ذلك
الاكابر الدولة وانكروا ذلك عليه وزجروه وجهدوا به فابى الا
فتحها فبذلوا له جميع ما بايديهم من الاموال على عدم فتحها فلم يرجع
وازال الاقفال وفتح الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها
وجمالها وعليهم العمايم المسبلة متقلدين السيوف ومعهم الرماح
الطويلة والعصي ووجدوا كتابا فيه اذا فتح هذا الباب تغلب
على هذه الناحية قوم من الاعراب على صفة هذه الصورة فالحذر ثم
الحذر من فتحه قال الراوي ففتح في تلك السنة الاندلس طارق
ابن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني امية وقتل ذلك الملك
اشر قتلة ونهب بلاده وسبى من بها وغنم اموالها ووجدوا
بها ذخاير كثيرة عظيمة من جملة ما وجد من بعضها مائة وسبعون
تاجا من الدر والياقوت ووجد من الاحجار النفيسة ووجدوا
ايوانا تلعب فيه الرماح برماحهم قد ملئ من اواني الذهب والفضة
ما لا يحصى ولا يحيط به وصف واصف ووجد بها المايدة التي
كانت لسليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرد
خضر وهذه المايدة الى الان في مدينة رومية المداين باقية
واوانيها من الذهب وصحافها من اليشم والجزع ووجدوا مصحفا
يذكر فيه منافع الاحجار والنبات والمعادن والمستعانات
ووجدوا قاعة كبيرة مملوءة من الاكسير زنة الدرهم منه الف درهم
من الفضة يخرج ذهبا ابريزا ووجدوا مرآة مدبرة عجيبة من
اخلاط قد صنعت لسليمان بن داود عليه السلام اذا نظر فيها

نظرة نظرا لاقاليم السبعة فيها عيانا ورأى مجلسا فيه من
الياقوت والمرجان حمل بعيره فحمل ذلك كله الى الوليد بن عبد الملك
وتعرف الترب في مدينة بطليطلة بساتين محدقة ورياض
وجنات وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع
جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع وسيعة
وقلاع منيعة وشمالها جبل عظيم يعرف بجبل الاشارات له من جميع
البقر والغنم ما يعم جميع البلاد كثرة ونموا انتهى

عجيبة

نقل القزويني عن ابي حامد الاندلسي ان على البحر الاسود من
ناحية الاندلس كنيسة من الصخر منقوشة في الجبل عليها قبة
عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح وفي مقابل القبة مسجد يزوره
الناس يقولون ان الدعاء فيه مستجاب وقد شرط على القسيسين
ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين فاذا قدم زائر ادخل الغراب
رأسه في روزنة على تلك القبة وصاح صيحة فان قدم اثنان
صاح صيحتين وهكذا كلما قدم زوار صاح على عددهم فيخرج
الرهبان بطعام يكفي الزائرين وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة
الغراب وزعم القسيسون انهم ما زالوا يرون غرابا على تلك
القبة ولا يدرون من اين يأكل والشيء بالشيء يذكر على ذكر الغراب
عجيبة اخرى قال يعقوب السكيت كان امية ابن الصلت في
بعض الايام يشرب اذ جاءه غراب فنعب نعبة فقال له امية
بفيك التراب ثم نعب اخرى فقال له امية بفيك التراب ثم اقبل
على اصحابه فقال أتدرون ما يقول هذا الغراب زعم انى اشرب

هذا

هذا الكاس فاموت وامارة ذلك ان يذهب الى هذا الكرم
فيبتلع عظما فيموت قال فذهب الغراب الى الكرم فابتلع عظما
فمات ثم شرب امية الكاس فمات من حينه انتهى

ونقل صاحب حياة الحيوان ان امية بن ابي الصلت مات كافرا
وهو مذكور في مختصر المزني والمهذب وغيرهما في كتاب الشهادات
وسمع النبي صلى الله عليه وسلم شعره الذي فيه حكمة واقراره
بالوحدانية والبعث واسم الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف
وكان امية يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث وينشد في ذلك
الشعر الحسن وادرك الاسلام ولم يسلم وروى الترمذي والنسائي
وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال اردفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت
شيء قلت نعم فانشدته بيتا فقال صلى الله عليه وسلم هيه فانشدته
بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته
مائة بيت فقال صلى الله عليه وسلم ان كاد ليسلم وفي رواية
لقد كاد ان يسلم بشعره وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما
سمع من قوله لك الحمد والنعماء والجود ربنا فلا شيء اعلى منك مجدا واولا
وفي حديث الدارمي من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في ابيات من
شعره في قوله

زحل وثور تحت رجل يمينه . والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم صدق فقال

والشمس تطلع كل اخر ليلة • حمراء يصبح لونها متورد
فقال صلى الله عليه وسلم صدق فقال •
تابى فما تطلع لنا في رسلها • الا معذبة والا تجلد • فقال
النبي صلى الله عليه وسلم صدق قال السهيلي في التعريف
والاعلام في قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها الاية نزلت في بلعام بن باعوراء قاله ابن عباس
وقيل نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ التوراة والانجيل
في الجاهلية وكان يعلم انه سيبعث نبي من العرب فطمع ان يكون
هو فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصرفت النبوة عن امية
حسده وكفر وهو اول من كتب باسمك اللهم ومنه تعلمت
قريش فكانت تكتب به في الجاهلية ولتعلم امية هذه الكلمة
نبأ عظيم عجيب ذكره المسعودي وذلك ان امية كان مصحوبا
بعداوة الجن تخرج في عير لقريش فمرت بهم حية فقتلوها
فاعترضت لهم حية اخرى تطلب بثارها وقالت قتلتم فلانا
ثم ضربت الارض بقضيب فنفرت الابل فلم يقدروا على جمعها
الا بعد عناء شديد فلما جمعوها جاءت فضربت ثانية فنفرتها
فلم يقدروا عليها حتى كادوا ان يهلكوا عطشا وعناء وهم
في مفازة لا ماء فيها فقالوا لامية هل عندك من حيلة قال لعل
لها ثم ذهب حتى تجاوز كثيبا فراى ضوء نار على بعد فاتبعه
حتى اتى على شيخ في خباء فشكى اليه ما نزل به وبصحبه وكان الشيخ
جنيا فقال اذهب فان جاءتكم فقل باسمك اللهم سبعا فرجع

اليهم

اليهم وهم قد اشرفوا على الهلكة فاخبرهم بذلك فلما
جاءتهم الحية قالوا ذلك فقالت تبا لكم من علمكم هذا ثم ذهبت
واخذوا ابلهم وكان فيهم حرب بن امية بن عبد شمس جد
معاوية بن ابي سفيان فقتله الجن بعد ذلك بثار تلك الحية
وقالوا فيه • وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر
وقد اسلمت عاتكة اخت امية بن ابي الصلت هذا واخبرت عنه
بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره انتهى وقول الناظم فلم
يشكوا اي فلم يخبروا قال في المختار شكى من باب عدا يقال
شكا شكاة وشكاية وشكية وشكاة بالفتح اخبر عنه بسوء
فعله فهو مشكو ومشكي والاسم الشكوى واشكاه فعل به فعلا
احوجه الى ان يشكوه واشكاه ايضا اعتبه من شكوه ونزع
شكايته وازال له عما يشكوه وهو من الاضداد انتهى والسامة
الملل قال في القاموس سام الشيء ومنه كفرح ساما وساءمة ملل
فهو سؤم انتهى والمعنى ان الائمة القاطنين باندلس لحسن رونقها
وهواها ولطافة اهلها ومايها لم يشكوا سامة من اقامتهم بها

قال الناظم رحمه الله هي جنة الدنيا التي قد ذكرت دار المقامة

الضمير في هي عايد الى الاندلس والجنة الحديقة ذات النخل والشجر
شبهت بالجنة لكثرة فواكهها ومياهها وخصبها والدنيا بضم
الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة اذ هي غير منصرفة
للوصفية ولزوم الف التانيث المقصورة وحكى ابن قتيبة وغيره
كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الاخرة اولدنوها الى الزوال

قال الشاعر • اعاف دنيا تنيمي من دناتها • دنيا والافق مكروهها الدا
وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الاخرة وقيل الارض مع
الهوي والجو قال النووي والاول اظهر وقد تستعمل منكرة واستشكل
ذلك لانها في الاصل مونث ادني افعل تفضيل فحقها ان تستعمل
باللام كما هنا نحو الكبري والحسني واجيب بان دنيا قلعت عن
الوصفية واجرت مجري ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلي اسما كرجعي
ومن ورودها منكرة منونة قول الفرزدق •
لا تعجبنك دنيا انت تاركها • كم نالها من اناس ثم قد ذهبوا
انتهى وقوله قد ذكرت لها التذكر والذكر والذكري ضد النسيان
تقول ذكرته ذكري ولجعله منكر علي ذكر وذكر بضم الذال وكسرها
بمعني والذكر الصيت والثنا والمراد بدار المقامة في البيت الجنة
وانما سميت الجنة دار المقامة لان من دخلها يخلد ولا يموت ويقيم
فيها لا يحول قال الناظم رحمه الله تعالي •

لا سيما غرناطة الغراء رائقة الوسامه •

قد جرت عادة النحويين ان يذكروا لا سيما مع ادوات الاستثنا
مع ان الذي بعدها منبه علي اوليته بما نسب الي ما قبلها ويجوز في
الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا والنصب ايضا اذا كان نكرة
وقد روي بالاوجه الثلاثة قوله • ولا سيما يوم بدارة جلجل والجر
ارجحها وهو علي الاضافة وما زايدة بينهما مثلها في ايما الاجلين قضيت
والرفع علي انه خبر لمضمر محذوف وما موصولة او نكرة موصوفة بالجملة
والتقدير ولا مثل الذي هو يوم او ولا مثل شي هو يوم ويضعفه في نحو

ولا سيما زيد لحذف العايد المرفوع مع عدم الطول واطلاق ما علي
من يعقل وعلي الوجهين فتحة سي اعراب لانه مضاف والنصب علي
التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في نحو ولو جئنا بمثله مددا وما كافة
عن الاضافة والفتحة بناء مثلها في لا رجل واما انتصاب المعرفة
نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور وتشديد يائها ودخول لا عليها
ودخول الواو علي لا واجب قال ثعلب من استعمله علي خلاف ما جاء
في قوله ولا سيما يوم فهو مخطي وذكر غيره انها قد تخفف وقد تحذف
الواو علي خلاف ما جا في قوله •

فه بالعقود وبالايمان لا سيما • عقد وفاء به من اعظم القرب •

وهو عند الفارسي نصب علي الحال وعند غيره اسم للا التبرية
وهو المختار والله اعلم وغرناطة هنا مجرورة بالفتحة لعدم
انصرافها ويجوز رفعها علي انها خبر لمبتدا محذوف ويمتنع
نصبها علي راي الجمهور وغرناطة من اكبر كور الاندلس بعد قرطبة
سعة واحكاما وهي مدينة محدثة وما كان هناك مقصوده الا
البيرة فخربت وانتقل اهلها الي غرناطة وحسن الصنهاجي هو الذي
مدنها وبني قصبتها واسوارها واسواقها ثم زاد في عمارتها
ابنه باديس بعده وهي مدينة يشقها نهر الثلج الذي يسمي سنيل
ومبدوه من جبل شلير والثلج بهذا الجبل لا يبرح وكانت غرناطة
هذه منتهي الآمال ومطمح انظار الكمل من الرجال • وواسطة قلادة
الامصار ولم تزل محاسنها مجلوة علي مر الدهور والاعصار وقد
مدحها بعض الفصحاء بقوله •

غرناطة ما لها نظير ما مصر ما الشام ما العراق ، ما هي الا العروس تجلى
وجملة الارض هي الصداق . وقال بعضهم ولقد اجاد

يا من يحن الى نجد وناديها ، غرناطة قد ثوت نجد بواديها
قف بالسبيكة وانظر بساحتها ، عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت بوشاح النهر وابتسمت ، ازهارها وهي حلي في مراقيها
واعين النرجس المطلول يانعة ، ترقرق الطل دمعا في اماقيها
وافتر ثغر اقاح من ازاهرها ، مقبلا خد ورد من نواحيها
كانما الزهر في حافاتها سحرا ، دراهم والنسيم الرطب يجنيها
وانظر الى الدوح والانهار تكنفها ، مثل اللجين تمشي في سواقيها
كم حولها من زهور تجتني زهرا ، فتحسب الزهر قد قبلن ايديها
حصباؤها لؤلؤ قد شف جوهرها ، والنهر قد سال ذوبا من لآليها
يزيد حسنا على نهر المجرة قد ، اغناه در حباب عن دراريها
ان المجاز مغانيه باندلس ، الفاظها طابقت منها معانيها
فتلك نجد سقاها كل منسجم ، من الغمام يحييها فيحييها
وان اردت ترى وادي العقيق فرد ، دموع عشاقها حمر اجاريها
وللسبيكة تاج فوق مفرقها ، يود در الدراري لو يحليها
كان حمراءها والله يكلؤها ، ياقوتة فوق ذاك التاج يعلوها
بروجها كبروج الافق مخالة ، فشبهها في جمال لا تضاهيها
تلك القصور التي راقت مظاهرها ، تهوي النجوم قصورا عن معاليها
لله عينا من راى سحرا ، تلك المنازه قد رقت حواشيها
والصبح في الشرق قد لاحت بشائره ، والشهب تستر سيفا في مجاريها

تهوي الى الغرب لما عالها سحرا ، وغمض الفجر من اجفان واشيها
وساجع العود في كف النسيم اذا ، ما استوقفت ساجعات الطير يطربها
فما كرا الروض والاغصان مائلة ، يثني النفوس لها شوقا تثنيها
لم يرقص الدوح بالانغام من طرب ، حتى شدا من قيان الطير شاديها
واسمعتها فنون السحر مبدعة ، ورق الحمام وغناها مغنيها
غرناطة امن الرحمن ساكنها ، ماجت بسر معانيها مغانيها
اعدى نسيمهم لطفا نفوسهم ، فرقة الطبع طبع منه يعديها
فخلد الله ايام السرور بها ، صفرا عشياتها بيضا لياليها

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذا المقدار لسرح في رياض محاسنها الانظار . ومن اجل ائمتها المشهورين بالبلاغة والآداب الجيدة المصاغة العلامة اثير الدين ابو حيان ، فريد العصر والاوان وشيخ الزمان ، وله الموشحات البديعة ، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها واما النحو والتصريف فهو امام الدنيا فيهما فهو امام الدنيا فيهما لم يذكر معه في اقطار الارض غيره في العربية ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم خصوصا المغاربة فمن كلامه الرائق البديع قوله ،

سبق الدمع بالمسير المطايا ، اذ نوى من احب عني نقله
واجاد السطور في صفحة الخد ، ولم لا يجيد وهو ابن مقلة

ومن كلامه ايضا ، يقول لي العذول ولم اطعه ، تسل فقد بدا للحب لحيه
تخيل انها شانت حبيبي ، وعندي انها زين وحليه ، ومن كلامه

شوقي لذاك المحيا الزاهر الزاهي • شوقي شديد وجسمي الواهن الواهي
اسهرت طرفي وولهت الفؤاد هوى • فالطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهيت قلبي وتنهى ان يبوح بما • يلقي واشواقه للناهب الناهي
بهرت كل مليح بالبهاء فما • في الناس من شبيه الباهر الباهي
لهجت بالحب لما ان لهوت به • عن كل شيء فوجه اللاهج اللاهي

ومن كلامه ايضا

اسحر لتلك العين في القلب ام وخز • ولين لذا الجسم في اللمس ام خز
واملود ذاك القوام اسمر عندما • له ابدا في قلب عاشقه هز
فتاة كساها الحسن افخر ملبس • فصار عليه من ملابسه طرز
واهدى اليها الغصن لين قوامه • فما ان كان الغصن خلفها العز
يضوع اديم الارض من نشر طيبها • ويخضر في آثارها تربة الجرز
وتختال في برد الشباب اذا مشت • فينهضها قد ويقعدها عجز
اصابت فؤاد الصب منها بنظرة • فلا رقية تجدي لمصاب ولا حرز

وانشد ايضا في مليح ابرص

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله • ونفسك لا تنفك في هواه نزاعها
به وضح تاباه نفس اخي الحجا • وافظع داء ما بنا في طباعها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه • ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت • محاسنه القت عليه شعاعها

وله في غلام فحام

وعلقته مسود عين ووفرة • وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كان خطوط الفحم في وجناته • لطاخة مسك في جني من الورد

وله

وله في مليح اعمى

ما ضر حسن الذي اهواه ان سا تا • كريمتيه بلا شين قد احتجبا
قد كانتا زهرتي روض وقد ذوتا • لكن حسنهما الفتاك ما ذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فغدا • انكى والم في قلب الذي ضربا
له سال البدر هل تبتغي لخوه • قلت يا بدر لن يطيق طلوعا
كيف يبدو وانت يا بدر باد • او بدران يطلعان جميعا

ومن كلامه • عداتي لهم فضل علي ومنة • فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا
فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها • وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ومن كلامه • اذا ما الهوى الحاظا بقلبي عوابثا • اظن بها هاروت واصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا منعته • وكن على دين التصابي بواعثا
وقيدن من اضحى عن الحب مطلقا • واسرعن للبلوى بمن كان رائثا
بروحي رشا من اهلها قاتن احل • وان كان في بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا • وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وله في غلام مليح اسود

علقته سبجي اللون حالكه • ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه • وكل عين اليه تقصد النظرا

ومن كلامه ايضا رحمه الله

شرف الحرير بان غدا لك ملبسا • يا شادنا يحكي الرياض المونسا
يا سيدا ما ازداد منه وحشة • الا وزاد القلب فيه تانسا
طلست عقول الناس لما ان غدا • يمشي هوينا في قباء اطلسا
متنسم عن نفحة مسكية • متبسم عن اشنب فيه لعسا

هو ثالث القمرين وهو اتمها ۔ نورا وابعدها مدا ان يلمسا
انا التفاوت في العلو لموضح ۔ من كان اعلى في المنازل مجلسا
فالبدر في اولى السما والشمس في ۔ الوسطى ومن اهواه حل الاطلسا ۔ له
قد سباني من بني الترك رشا ۔ جوهري الثغر مسكي اللعس
قد حكى شمسا وغصنا ونقى ۔ في ابتلاج وارتجاج وميس
ضيقا العينين تركيهما ۔ واسع الوجنة خوزي المجتس
ناظري للورد منه غارس ۔ ما له لا يجتني مما غرس
أصبحت عقرب صدغيه معًا ۔ لجني الورد في الخد حرس
وغدى ثعبان دبوقته ۔ حايلا في عطفه مما ارتجس
لست اخشى سيفه او رمحه ۔ انما ارهب لحظا قد نعس
اختلسنا بعد هجر وصله ۔ انما اهنى الوصل ما كان خلس
لست انساه وقد اطلع من ۔ راحة شمسا اضاءت في الغلس
لمس الكاس لكي يشربها ۔ فاعترته هزة لما لمس
ثم ادنى جوهرا من جوهر ۔ وتحسى الكاس في فرد نفس
وغدا يمسح بالمنديل ما ۔ ابقت الخمرة في ذاك اللعس
عجبا منها ومنه قهقهت ۔ اذ حساها وهو منها في عبس

وله رحمه الله تعالى

لا ولو فر الرقيب وقت التلاقي ۔ واتحاد الاثنين بالاعتناق
وارتضاع الفمين من برد ريق ۔ طيب طعمه لذيذ المذاق
وعتاب خلاله ضحكات ۔ لا عتاب القطوب والاطراق
وحبيب اتى على غير وعد ۔ يقرع الباب بعد طول فراق

لا

لا اطعت العذول في لذة الكاس ۔ ولا لمت عاشقا في اشتياق
بان عنه حبيبه فهو حيي ۔ كابن ميت ما ان لبلواه راق
فهو في ماء دمعه في ابتلال ۔ وهو من حر وجده في احتراق

وقولـ الناظم الغراء اصل الغرة بياض في جبهة الفرس ثم استعير لكل ابيض وضاح كما تقدم والرائق كما في القاموس الخالص والوسامة اثر الحسن كما في القاموس ايضا انتهى قال الناظم رحمه الله

وهي التي دعيت دمشق وحسبها هذا الفخامة

والضمير في هي عايد لغرناطة ودعيت اي سميت يتعدى للمفعول الثاني تارة بالباء وتارة بنفسه قال في القاموس دعوته زيدا وبزيد سميته به ودمشق كحضجر اي بكسر الدال وفتح الميم وقد تكسر ميمه ايضا قاعدة الشام سميت ببانيها دمشاق بن كنعان كما قاله في القاموس ايضا وهي جنة الارض كما اجمعت عليه ارباب الكمال من السواح وريحانة الدنيا التي على مثلها يبكي وينا ح لا برحت طيبة العرار والبشام سالمة من طوارق الليالي والايام وهي عروسة الدنيا من عهد ان دخلتها العرب وموطن كل اديب لك فيه ارب قد انجبت في كل عصر واوان نقادة كل كلمة منهم بديوان فهم ايمة الفضل المتوجون بتاج الكمال واللطافه وسادات الادب منبع المعارف والظرافه ان راي ادناهم البحتري او ابو تمام قال تالله ان مثلي لا يصلح ان يكون له غلام بهم تفضل اهل البلاد فتصعد الى فوق الثريا وبهم يصبح بستان الفكر بعد ظمايه ريان ماذا اقول في بلدة سارت الركبان

ولم يختلف على حسنها اثنان فيما قاله الاديب في نفحة الحانة
وطلا الريحانة هي خطة السرور والفرح . وحلة القدح والقدح
ومنى الاماني . ومغنى الاغاني . وقبلة القبول . وشمالة الشمول .
البلدة الفيحاء . دمشق . طيبة العرف والنشق . لا زال خفاق
النسيم يلعب بعذبات واديها . وهطال السحاب يراوح
دمنتها ويغاديها . اديبها بمنزلة الادب هيف معاطفه واريبها
يهديه الندا بساط معارفه . يرمون عندهم هدرا لشقاشق في
حدق البيان . ويصيبون بالكلم الرواشق عرض البيان .
ويتنافسون من السحر في المناظر . وما يتصرفون فيه الا على
فائقة الاعاظم . وما منهم الا من بطش فيما انتحى بباع بسيط
ولم يزغ عن موقف الصواب مقدار قسيط . وكثيرا ما مدحها الادبا
اولوا الفصاحة بقصايد فمن ذلك قول شرف الدين بن عنين
يمدح العز بن سيف الاسلام صاحب اليمن من قصيدة مطولة

دمشق بي شوق اليها مبرح . وان لام واش او الح عذول .
بلاد بها الحصباء در وتربها . عبير وانفاس الشمول شمول .
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق . وصح نسيم الروض وهو عليل .
فيا حبذا الروض الذي دون عزتا . سحيرا اذا هبت عليه قبول .
ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت . جداول بانياس اليه تسيل .
وفي كبدي من قاسيون حرارة . تزول رواسيه وليس تزول .

ولابن الخياط الدمشقي .

الا حبذا وادي دمشق اذا سرى . نسيم الصبا في روضة [illegible]

فما

فما بان فضل البان حتى رايته . مطلا عليها من جبال بنفسج .

وله ايضا

لربوتنا وادحوى كل بهجة . وعيش لوى يحلو لديه ويعذب
تروق لنا الانهار من تحت جنكه . فلا عجب انا نخوض ونلعب .

ولبعضهم

وما الشام الا في البلاد كشامة . عروسة ارض الله في الشرق والغرب
بها مرجة تزهو وقد فاح نشرها . وشحرورها غنا سحيرا على القضب
بها الورد سلطان ينادي بروحها . هلموا قبيل الموت للاكل والشرب
ولا تتركوا يوم السرور الى غد . فرب غد يمضي الحيل الى الترب

لبعضهم .

تحن الى وادي دمشق جوانحي . وان كان مني قد قضى نصيبي
واني لاهوى قاسيون لانني . رايت اسمه يحكي فؤاد حبيبي .

لاخر .

دمشق بواديها رياض نواضر . بها يتجلى عن قلب ناظرها الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره . وليس له منها نصيب ولا سهم .

لاخر .

دمشق في محاسنها جنان . ولذات النعيم لساكنيها .
وما فيها حماها الله عيب . سوى الاكرام للاغراب فيها .

ولبعضهم واجاد .

دمشق قل ما شئت في حسنها . واحك عن الربوة ما تحكي .
فالطير تغني على عوده . وزهرها بالعود والجنك .

ولآخر

لله يوم في دمشق قطعته . حلف الزمان بمثله لا يغلط .
الطير يقرا والغدير صحيفة . والريح يكتب والسحاب ينقط .

وما احسن قول القايل .

اشتاق في وادي دمشق معهدا . كل الجمال الى حماه ينسب .
ما فيه الا روضة او جوسق . او جدول او بلبل او ربرب .

وكان ذاك النهر فيه معصم ، بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته ، في الحال بين رياضه تتشعب
والورق تشدو والنسيم مشبب ، والنهر يسقي والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها وكم ، اضحى له من بيننا متطلب
وكم طربت على السماع بعودها ، وغدا ربوتها اللسان يشبب
فمتى ازور معالمًا ابوابها ، بسماحها كتب الغرام تبوب

وقد ابدع ابن الصايغ حيث قال

ادمشق لا بعدت ديارك عن فتى ، ابدا اليك بكله يتشوق
اشتاق منك منازلًا لم انسها ، انى وقلبي في ربوعك موثق
مهما اتجهت رايت دوحًا ماؤه ، متسلسل يعلو عليه ويخفق
فالريح يكتب والجداول اسطر ، خط له نسج الغمام محقق
والطير يقرا والنسيم مردد ، والغصن يرقص والغدير يصفق
ومعاطف الاغصان هزتها الصبا ، طربا فذا عار وهذا مورق
والورد بالالوان يجلو منظرا ، ونسيمه عطر كمسكه يعبق
وهزاره يصبو الى شحروره ، ولذاك أثواب الشقيق تشقق
وكانما في كل عود صادح ، عود حلا من موزن والمطلق
والورق في الاوراق تشجو شجوها ، شجوي وانى من الخلي الموثق
تتلو على الاغصان اخبار الهوى ، فيكاد ساكت كل شيء ينطق
ياسايرا والريح تعبث دونه ، والريح تنسم ذيبه تتالق
اذ جيت من وادي دمشق منزلا ، لي نحوه حتى الممات تشوق
بالجبهة الغرا والنهر الذي ، يزهو بها القصر المنيف الابلق

لعله التحية

ورايت ذلك الجامع الفرد الذي ، في الارض مثل جماله لا يخلق
ابلغ منازلها السنية انني ، ابدا الحسن بهائها أتشوق

وما افصح من قال

رعى الله وادي النيربين فانني ، قطعت به يوما لذيذا من العمر
دري انني قد جيته متنزهًا ، فمد لتلقاي بساطا من الزهر
غيره دمشق فيها نزهة ، وسفحها زاه خضر
في كل روض يلتقي ، ماء الحياة والخضر
غيره سقى دمشق وايامًا مضت فيها ، من السحايب ساريها وغاديها
ولا يزال الجنين النبت يرضعها ، حوامل المزن في احشاء اراضيها

قال ابن الوردي دمشق من اجل اقليم الشام مكانًا واحسنه بنيانًا واعدله هواءً واغزره ماءً وبها الغوطة التي لم يكن على وجه الارض مثلها بها انهار جارية مخترقه وعيون سارحه متدفقه واشجار باسقه وقصور شاهقه ولها ضياع كالمدن وبها الجامع الاموي الذي لم يكن على وجه الارض من مثله بناه الوليد بن عبد الملك وانفق عليه اربعماية صندوق في كل صندوق اربعة عشر الف دينار واجتمع على ترخيمه اثنا عشر الف مرخم شعر

لله ترخيم بجامع جلق ، متناسب التجنيس والتقسيم
قد زاد تحسينا يكذب قول من ، قد قال ان النقص في الترخيم

وقد بني بانواع التقصيص بالفصوص المحكمة من المرمر المصقول والجزع المحكوك بها ان العمودين اللذين تحت قبة النسر اشتراهما

اشتراهما الوليد بالف وخمسمائة دينار وهما عمودان مجزعان
لم ير مثلهما ويقال ان رخام الجامع كان معجونا ولذلك اذا وضع
علي النار ذاب وفي المحراب عمودان صغيران ويقال انهما من الحجر
الذي ضربه موسي عليه السلام بعصاه فانبجست منه اثنتا
عشرة عينا قال القزويني ومن عجايب دمشق الجامع الاموي
وقد وصفه بعضهم هو احد العجايب وجامع الغرايب فرشه
بالرخام والفه علي حسن ترتيب وانتظام فصوصه مثقفه
وصنعته موتلقه. عمره الوليد وكان ذا همة في امر العمارة
وبناء المساجد انفق علي عمارته خراج المملكة سبع سنين
قيل من عجايب الجامع انه لو عاش احد مائة سنة وكان يتامله
في كل يوم لراي في كل يوم ما لم يكن راه من حسن الصنعة ومبالغة
التنميق وهذا المعني في كل ذرة من العالم للمبصر درر. وفي
انفسكم أفلا تبصرون. وهو مسقف بالرصاص الي الآن ومن
محاسنه الفوار الذي هو من باب جيرون فان ماءه يرتفع علي
نحو قامة ونصف في غلظ الساق دايما واتفق وقوفه مرة فقال
في ذلك ابن نباتة المصري بيتين.

لست انسي الفوار وهو ينادي. غيض ماي وعطل الدهر حالي.
فتمنيت من الهوي ان ∴ اشتري فيضه بروحي ومالي.

وقيل ان دخل الجامع كل يوم من اوقافه الف وماتا دينار
وتصرف الماتان الي المصالح والباقي ينقل الي خزانة السلطان
وبالجملة فانه الجامع الذي هو لاشتات المحاسن جامع. والمسجد

الذى

الذي من سجد في محرابه شاهد من محاسنه النور الساطع شعر

اري الحسن مجموعا بجامع جلق. وفي صدره معني الملاحة مشروح.
فان يتغالي في الملاحة معشر. فقل لهم باب الزيادة مفتوح.

وقد قدمنا في الكلام علي خلافة الوليد بن عبد الملك نبذة
من محاسنه قال القزويني في الاثار الغوطة الكورة التي هي
دمشق وهي كثيرة المياه نضرة الاشجار مونقة الازهار متجاوبة
الاطيار مخضرة الجنان استدارتها ثمانية عشر ميلا وكلها
بساتين وقصور تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ومياهها
خارجة من تلك الجبال فتمتد في الغوطة عدة انهر وينصب
فاضلها في اجمة هناك. ومن محاسنها المرج التي هي جنتها وانهارها
التي هي بهجتها شعر

ذكرت احبتي بالمرج يوما. فقوت ادمعي نيران وهجي.
فصرت اكابد الاشجان وحدي. وكل الناس في هرج ومرج.

ولبعضهم

يا يومنا بالمرج هل من عودة. والله يبدي ما يشا ويعيد.

ومن محاسنها قاسيون بكسر السين وضم الياء وهو جبل مطل علي
من جهة شمالها فيه المنازل المليحة والمدارس الحسنة والبساتين
ونهر يزيد ونهر ثورا والربوة علي فرسخ من دمشق قال اهل التفسير
هي المراد من قوله تعالي واويناهما الي ربوة ذات قرار ومعين وفي
سفحه الكورة المعروفة بالصالحية وهي معدن الانبيا والصحابة
والاولياء وفيها قيل الصالحية جنة. والصالحون بها اقاموا
فعلي الديار واهلها مني التحية والسلام. وفيها مقام الشيخ

الاكبر سلطان المحققين الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله
سره الاطهر وقد قال في تاريخ وفاته بعضهم

شيخنا الحاتمي في الكون فرد ۔ وهو غوث وسيد وامام
كم علوم اتى بها من غيوب ۔ من بحار التوحيد يا مستهام
ان سالتم متى توفي شهيدا ۔ منذ ارخت مات قطب همام

وكتبه ومصنفاته كالبحور الزواخر وجواهرها لكثرتها لا يعلم
لها اول من آخر وما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله بمعرفة
قدرها اهلها ومن خواصها ان ما واظب عليها احد على مطالعتها
والنظر فيها الا وانشرح صدره وتيسر امره وقوي على حل المشكلات
وفك المعضلات انتهى وللشيخ احمد المقري في دمشق الشام

محاسن الشام جلت ۔ عن ان تحد بحد ۔ كانها معجزات
مقرونة بالتحدي ۔

وقول الناظم وحسبها هذا فخاما اي كفاها
قال في القاموس وحسبك درهم اي كفاك وشيء حساب كاف
ومنه عطاء حسابا وهذا رجل حسبك من رجل اي كاف لك من غيره
للواحد والتثنية والجمع وكفى بالله حسيبا اي محاسبا او كافيا
انتهى والفخامة العظم كما في المختار يقال رجل فخم اي عظيم القدر
والتفخيم التعظيم وتفخيم الحروف ضد امالتها والمعنى انه يكفي غرناطة
فخرا على ما سواها انما سميت بدمشق لتشابهها لها بالحسن
والغياض ولطافة الهوى والبساتين والرياض قال الناظم
رحمه الله تعالى لنزول أهليها بها
الضمير في باهليها عائد على الشام وفي بها على غرناطة والمعنى ان

تشبيه

تشبيه غرناطة بالشام وتسميتها بذلك انما كان من اهل الشام
مهم حين نزلوا بها وراوا محاسنها فقالوا هي دمشق وذلك حين انهزم
الكفر اي جيش الكفر على حذف مضاف او على سبيل المبالغة على
حد قولهم رجل عدل في واقعة وقعت لاهل دمشق فتوجهوا الى
الاندلس ونزلوا بغرناطة والنزول كما في القاموس الحلول قال
فيه نزلهم وبهم وعليهم ينزل نزولا ومنزلا حل ونزله تنزيلا
وانزله انزالا واستنزله بمعنى وتنزل نزل بمهلة والنزل بضمتين
المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل جمع انزال والطعام
ذو البركة كالنزيل والفضل والعطاء والبركة والقوم
النازلون والمنزلة موضع النزول ومانزلت انزل اي اسافر
والنازلة الشديدة وارض نزلة اي زاكية الزرع والنزيل
الضيف واهليها اي اهلها اشبعت الكسرة فتولدت يا للوزن
والاهل للاطلاقات فاهل الامر ولاته والبيت سكانه والمذهب من
يدين به والرجل زوجته والنبي صلى الله عليه وسلم ازواجه وبناته
وصهره علي ونساؤه والرجال الذين هم آله ولكل نبي امته كذا في القاموس
وآل الله ورسوله اولياؤه واصله اهل واذ هنا ظرف لما مضى اي وقت
اظهار الخ واعلم ان اذ على اربعة اوجه احدها ان تكون اسما للزمان
الماضي ولها ح اربع استعمالات احدها ان تكون ظرفا كما هنا وهو
الغالب نحو قوله تعالى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا والثاني
من ذلك ان تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
والثالث من ذلك ان تكون بدلا من المفعول نحو واذكر في الكتاب

مريم اذ انتبذت فاذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في يسلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه والرابع من ذلك ان يكون مضافا اليها
اسم زمان صالح للاستغنا عنه كان تقول اكرمتني فاثنيت
عليك يومئذ او حينئذ فاليوم والحين صالحان للاستغنا عنهما
اذ يجوز ان تقول فاثنيت عليك اذ اكرمتني او غير صالح له نحو
قوله تعالى بعد اذ هديتنا والثاني من وجوهها ان تكون اسما
للزمن المستقبل نحو يومئذ تحدث اخبارها والجمهور لا يثبتون
هذا القسم ويجعلون الاية من باب ونفخ في الصور اعني من تنزيل
المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع وقد يحتج لغيرهم
بقوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم فان يعلمون
مستقبل لفظا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه وقد عمل في اذ
فيلزم ان يكون بمنزلة اذا الثالث من وجوهها ان تكون للتعليل
نحو ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اي
ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لاجل ظلمكم في الدنيا
اي كما ينفع المواقعين في امر صعب اشتراكهم في تحمل اثقاله وفي هذه
الاية كلام ذكره صاحب المغني فليراجع وهل اذ هذه حرف بمنزلة
لام العلة او ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام قولان
ومن ذلك قول الشاعر
فاصبحوا قد اعاد الله نعمتهم اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر
وقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا
اي ان لنا حلولا في الدنيا وان لنا ارتحالا عنها الى الاخرة وان في

الجماعة الذين ماتوا قبلنا امهالا لا لنا لانهم مضوا قبلنا وبقينا
بعدهم والرابع من وجوهها ان تكون للمفاجاة نص على ذلك س
وهي الواقعة بعد بينا وبينما كقوله
استقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحيا مغتبط اذ صار في القبر تعفوه الاعاصير
وهل هي في ذلك ظرف مكان او زمان او حرف بمعنى المفاجاة او
حرف موكد اي زايد اقوال وذكر بعضهم لاذ معنيين آخرين
احدهما التوكيد وذلك بان تحمل على الزيادة قاله ابو عبيدة
وتبعه ابن قتيبة وحملا عليه قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم إذ
ظلمتم قال صاحب المغني وهذان القولان ليسا بشي انتهى ويلزم
اذ الاضافة اما لجملة اسمية او فعلية ماضوية لفظا ومعنى او معنى
فقط نحو واذكروا اذ انتم قليل واذ قال ربك للملايكة واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت وقد يحذف احد شطري الجملة فيظن
من لا خبرة له انها أضيفت الى المفرد كقوله
هل ترجعن ليال قد مضين لنا والعيش منقلب اذ ذاك افنانا
والتقدير اذ ذاك كذلك وقد تحذف الجملة كلها للعلم بها ويعوض
عنها التنوين وتكسر الذال لالتقاء الساكنين نحو ويومئذ يفرح المومنون
بنصر الله انتهى وقد اضيفت الى الجملة الاسمية فاحتملت الظرفية
والتعليلية في قول المتنبي
امن ازديارك في الدجى الرقباء اذ حيث كنت من الظلام ضياء
قال في المغني وشرحه ان امن فعل ماض فهو مفتوح الاخر لا مكسوره

علي انه حرف جر كما توهمه شخص دعي الادب في زماننا واصر علي ذلك
والازديار ابلغ من الزيارة كما ان الاكتساب ابلغ من الكسب لان الافتعال
للتصرف والدال بدل عن التاء وفي متعلقة به لا بامن لان المعني
انهم آمنون دائمًا ان تزوري في الدجي واذ اما تعليل او ظرف مبدل
من في الدجا وضيا مبتدا خبره حيث وابتدي بالنكرة لتقدم
خبرها عليها ظرفًا ولانها موصوفة في المعني لان من الظلام صفة
لها في الاصل فلما قدمت عليها صارت حالًا منها ومن للبدل وهي
متعلقة بمحذوف وكان تامة وهي وفاعلها خفض باضافة حيث
والمعني اذ الضيا حاصل في كل موضع حصلت فيه بدلًا من الظلام

وانت جيوش الشام من باب نفي العين ابنهامه

الجيوش جمع جيش وهو كما في القاموس الجند او السايرون لحرب او
غيرها وقال في المختار الجيش واحد الجيوش وجيش فلان تجييشا
جمع الجيوش واستجاشه طلب منه جيشا ويطلق علي البعث كما في القاموس
قال والبعث ويحرك جمع جيوش وعلي الخميس كما فيه ايضا قال والخميس
الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة قال ابن
الانباري يقال للعشرة طليعة وللعشرين طلايع وللثلاثين جريدة
وللاربعين كتيبة وللماية مقنب واربعماية كتايب واربعة الاف
جيش واثنا عشر الفا عرمرم وخمسة عشر الفا ارعن وعشرون الفا
فيلق وقد نظمهم بقوله

مراتب الجيش باعدادها ۔ اسماء ما عنها ذكي قدلها
عشرة طليعة يقينا ۔ طلايع يقال للعشرينا

وبالجريدة الثلاثين فصف ۔ كتيبة للاربعين قد عرف
ومقنب قد وسموا به الماية ۔ وبعدها كتايب اربعماية
اربعة الاف جيش بعلمه ۔ واثنا عشر الفا فقل عرمرم
وخمسة عشر الفا ارعن دعي ۔ عشرون الفا فيلق افهم وعي

والشام كما في القاموس بلاد عن مشامة القبلة وسميت بذلك
لان بني كنعان تشاموا اليها اي تياسروا او سمي بسام بن نوح لانه
بالشين بالسريانية او لان ارضها شامات بيض وحمر وسود
وعلي هذا الاهمز وقد تذكر وهو شامي وشامي بالياء وشام واشام
اتاها ونشاء مر انتسب اليها واخذ نحوشما له وشامهم تشييما سيرهم
اليها والشوم ضد اليمن والمشامة ضد الميمنة والشيمة بالكسر
الطبيعة وشايم باصحابك خذبهم ذات الشمال وفي المختار الشام
جمع شامة وهي الخال وشام البرق نظر الي سحابته اي تمطر والشيمة
الخلق وقد وصل الناظم الي الشام ومدح اهلها بقوله

بروحي افدي جيرة ما استغنتهم ۔ علي الدهر الا وابجحت معانا
اراشوا جناحي ثم بلوه بالندا ۔ فمن اجل ذا لم استطع طيرانا

والباب فرجة يتوصل بها من داخل الي خارج وبالعكس وقال في القاموس
والباب معروف وجمعه ابواب وبيبان وابوبة نادر والبواب لازمه
وبابه له يبوب صار بوابا له وتبوب بوابا اتخذ والباب والبابة
في الحساب والحدود الغاية وبابات الكتاب سطوره لا واحد لها
وهذا بابته اي يصلح له والباب بلد بحلب وجبل قريب هاجر وباب
دبوب وبوبيه اسماء وباب حز كوه والبابية الاعجوبة وبابان

بحلة بمرو ونفي نحا قال في القاموس نفاه ينفيه وينفوه
نحاه فنفاه فانتفى تنحى والشيء جحده والريح التراب اطارته
والدراهم اثارها للانتقاد والسحابة ماءها مجته انتهى والفتح
النصر قال في القاموس فتح كمنع ضد اغلق كفتح وافتتح والفتح الماء
الجاري والنصر انتهى وجاء الفتح لغة في فتح المقفل والاكرام
والرزق المنيل للهم وبذلك فسر الحدادي قوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا انتهى والابهام الاشتباه يقال ابهم الامر اشتبه
كاستبهم والمبهم كمكرم المغلق من الابواب كما في القاموس والمعنى
ان جيوشنا دخلوا من باب من ابواب غرناطة كما النصر عن ان
يكون مشتبها بل هو واضح لمن قصد الدخول منه كما لا يخفى انتهى

قال الناظم فسلوا بها عن جلق اذ شبهتها في الضخامة

فسلوا بها عن جلق السلوان النسيان يقال سلاه وعنه كدعاه
ورضيه سلوا وسلوا وسلوانا وسليا نسيه واسلاه عنه فسلى
والاسم السلوة ويضم والسلوانة بالضم العسل كالسلوى وخرزة
للتأخيذ ويفتح كالسلوان وخرزة تدفن في الرمل فتسود فيبحث
عنها ويسقاها الانسان فتسليه او السلوان ما يشرب ليسلي
او هو ان يؤخذ تراب قبر ميت فيجعل في ماء فيسقى العاشق فيموت
حبه وهو دواء يسقاه الحزين فيفرحه وواد تسلم وعين
بالقدس عجيبة لها جرية او جريتان في اليوم فقط والسلوى
طائر واحده سلواة والسلي كسمي وتكسر لامه واد كذا في القاموس
والضمير في سلوا لاهل الشام وفي بها لغرناطة وجلق كما في

القاموس

القاموس جلق بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطة
وجلق حب باليمن كالقمح وناحية بالاندلس وزجر للجمل وجلق رأسه
يجلقه حلقه والمرأة عن متاعها وثناياها كشفت والجلقة
كحمصة وقد يخفف اللام ويشدد القاف العجوز والناقة الهرمة
ورجل جليق كسكين يجلق فمه عند الضحك اي يكشفه والتجلق
صحاع بفتح الفم حتى تبدو اقصى الاضراس انتهى ولبعضهم انه
لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة الا معربة او صوتا والمشابهة المشا
وفي ذلك يقول الشاعر

تشابه دمعي في الهوى ومدامتي ۰ فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب
فوالله ما ادري ابالخمر اسكبت ۰ جفوني ام من عبرتي كنت اشرب

ورئيس اهل الادب في التشبيه ابن المعتز ولذلك ضرب المثل في
تشبيهاته فقال تشبيهات ابن المعتز فيقال اذا رايت كاف
التشبيه في شعره فقد جاءك الحسن والاحسان لانه لما كان
غذي النعمة ورئيس الخلافة ومنقطع القرين في البراعة لم
يتهيأ لغيرها ما تهيأ له من النفائس وظرائف اللطائف ولا
وبذلك اعتذر ابن الرومي عن ان يماثله في لطائف التشبيه
فمن انموذج تشبيهاته الملوكية قوله في وصف الهلال انظر

انظر اليه كزورق من فضة ۰ قد اثقلته حمولة من عنبر

وقد ذكرت نبذة من نفائس تشابيهه الحسان التي كل قطعة
منها كقطعة الجوهر والمرجان في رحلتنا الشامية فمن رام
الوقوف على ذلك فعليه بها يري نفائس سنية وما احسن قول القا

ئل

شبهت بالتفاح خد معذبي ، وعدلت عن تشبيهه بالراح ،
فاحمرت الشامات في وجناته ، لتصح نسبتها الى التفاح ،
وقوله شبهت حمرة خده وبياضه ، والخال فيه سواد خالص ،
بحر يشق من احمرار جواهر ، والخال زنجي عليه غائص ،
وقوله وشادن حلت منه الخال في شفة ، بدا يضوع له في جمرها ارج ،
شبهت فاه لتقبيلي بوجنته ، بخاتم من عقيق فصه سبج ،
وقوله شبهت وجه معذبي بدر ابدا ، وكان كاس عذاره كالسوسن ،
وكان ذاك الخال عبد اسود ، سكن السباج ليجتني الورد الجني ،
وقوله رايت الورد يشبه وجه حبيبي ، وذاك الآس ملتف عليه ،
فقلت تعجبوا من صنع ربي ، شبيه الشي منجذب اليه ،
والضخم العظيم من كل شي قال في القاموس الضخم بالفتح والتحريك
وكاحمد ويشدد آخره وكغراب العظيم من كل شي والعظيم الجرم
الكثير اللحم ضخم ككرم ضخما وضخامة والضخم من الطرق والاوع
من المياه الثقيل والاضخومة بالضم عظامه المراة وكمنبر
الشديد الصدم والغرب والسيد الشريف الضخم والضخمة كحدبة
المريضة الارضة الناعمة انتهى والحضي اغا سلوا عن دمشق وحلق
لشابهة غرناطة لهما في الضخامة اي العظم وشتان بين المشبه
والمشبه فان الشام جنة الله في البلاد ، والتي تحاكي في البلاد
ارم ذات العماد كيف لا وقد اختارتها الابدال وجعلتها
دون غيرها محط الرجال وفي حديث الطبراني الابدال في اهل
الشام بهم ينصرون وبهم يرزقون وفي حديث احد الابدال

اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقي بهم
الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم البلا
والعذاب ومسكن الابدال الجبل لبنان وهو متصل بحمص ودمشق
قال الشاعر وجاور جبال الشام لبنان انها ، معاد ابدال الى منتهى العرج
والجبال الشامية لم تزل متعبدات الانبياء والاولياء ومحل مناخها تهم
ومواطن الابدال وبها فواكه كثيرة لا سيما التفاح والابدال هم
يتقوتون به وبالسمك وبتفاح الشام ضرب المثل يقال
تفاح الشام يضرب فيه المثل يقال تفاح الشام يضرب فيه المثل
في الحسن والطيب قال الصنوبري ،
ارى الشام جادت بتفاحة ، لنا والعراق باترجة ، قال المامون
اجتمع في التفاح الحمرة الخمرية والصفرة الذهبية مع شعاع الذهب
وبياض الفضة تلتذ بها من الحواس ثلاثة العين للون والانف
للشم والفم للطعم وكان يحمل الى الخلفاء من خراج دمشق كل عام
اربع وثلاثون الف الف تفاحة ومن خواص دمشق الشام
انه لا يخرج منها احد الا ندم ولا يدخل اليها مكسور الا جبر حماها
الله عامرة على مر الزمان محروسة من طوارق الحدثان موطنا
لارباب الكمالات تجبى اليها من كل ناحية نفائس الخيرات ،
ما طلع شمس الادب بناديها ، وغردت سواجع الاطيار بواديها ،
قال الناظم رحمه الله وبدا لهم وجد المنى وأراهم الثغر ابتسامه
بدا ظهر قال في القاموس بدا بدوا وبداء وبدوا ظهر وبداوة
الشي اول ما يبدو منه وبادي الراي ظاهره وبدا له في الامر

بدوا وبداءة وبداء نشأ فيه ورأى والبدو والبادية والباداة
والبداوة خلاف الحضر وتبدى اقام بها وتبادى تشبه باهلها
والنسبة بداوي وبدوي نادر وبداء القوم بداء خرجوا الى
البادية وقوم بدا وبدا بادون وبادي بالعداوة جاهر
كتبادى والبداءة الكماءة وتراب انتهى والضمير في لهم
عايد على اهل الشام والوجه ما تقع به المواجهة وقد تقدم
الكلام عليه والمنى ما يتمناه الانسان اى يريده قال
في القاموس تمناه اى اراده وتمناه تمنية وبه وهي المنية
بالضم والكسر ومنى كالى قرية بمكة وتصرف ومنيت بالضم
منيا بليت وماناه جازاه او لزمه وماطله وداراه وعاقبه
في الركوب انتهى وهذا استعارة حيث شبه المنى بالانسان
واثبات الوجه الذي هو من ملايمات المشبه به قرينة المكنية
على ما لا يخفى والثغر كما تقدم يطلق على محل المخافة من فروج
البلدان والمراد به هنا ثغر ناطقة والابتسام هو اقل الضحك
قال في القاموس بسم يبسم بسما وابتسم وتبسم وهو اقل
الضحك واحسنه فهو باسم ومبسام وبسام والمبسم كمنزل
الثغر وكمقعد التبسم وما بسمت في الشيء ما ذقته والتبسم
هو المحمود واما الضحك القهقهي فهو مذموم لانه مميت
للقلب وكان عليه الصلوة والسلام ضحكه التبسم كما قال صاحب
الهمزية سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء
ولا يخفى ما في اسناد التبسم الى الثغر من الايهام اللطيف وقد

كنى

كنى الناظم رحمه الله تعالى عن قبول الثغر لاهل الشام بالتبسم
لانه من لازمه ذلك كما لا يخفى قال الناظم رحمه الله تعالى
وتبوؤها خضرة تبري عن المضنى سقامه   قوله
وتبوؤها اي نزلوها قال في المختار تبوأ له منزلا نزله وبوأه له
منزلا وبوأه منزلا هياه ومكن له فيه والبواء بالفتح والمد
السواء يقال دم فلان بواء لدم فلان اذا كان كفوا له وفي
الحديث امرهم ان يتباوءوا والصحيح يتباءوا بوزن يتقاولوا
وباءوا بغضب من الله رجعوا به وكذا باء باثمه من باب قال
والخضرة قال في القاموس لون معروف وجمعه خضر وخضر وخضر
الزرع كفرح واخضر واخضوضر فهو اخضر وخضر وخضير
والخضر ككتف الغصن والزرع والبقلة الخضراء كالخضرة
والخضير والمكان الكثير الخضرة واخضر بالضم اخذ طريا
غضا والشاب مات فتيا والاخضر الاسود ضد والخضراء السماء
انتهى وقد جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه سماء الدنيا
من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة ياقوتة حمراء
والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهب والسادسة من
ياقوتة خضراء والسابعة من النور والمنقول عن الاستاذ
القشيري ان الاولى من موج مكفوف والثانية من نحاس
والثالثة من فضة والرابعة من ذهب والخامسة من ياقوته
والسادسة من زمرد والسابعة من نور وعليه فخضرة سماء
الدنيا قيل انها من جبل قاف لانه من زمرد اخضر وقيل خضر

من الصخرة التي تحت الارض السفلى تحت الثور المشار اليها بقوله
تعالى فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله
فائدة قال الغزالي رحمه الله تعالى وفي النظر الى السماء
عشر فوائد منها انه يصرف ويذهب السودا ويقوي البصر
وزينة للناظرين وعندك من الانشراح بقدر ما في بيتك من
السماء ولم تزل الاطباء تامر بادمان النظر الى الخضرة لان فيه
قوة للبصر وخضراء الدمن الواردة في النهي هي المراة الحسناء
في منبت سوء وهذا من جوامع الكلم التي لم يسبق لها غير المصطفى صلى
الله عليه وسلم وفي مقامات البديع الهمداني علقت خضراء
دمنه وسقيت منها بابنه وما احسن قول ابن المعتز
ومزنة جاد من اجفانها المطر فالروض منتظم والقطر منتثر
مازال يلطم وجه الارض نائلها حتى وفتخدها الخضران والخضر
والناظم رحمه الله تعالى يلمح الى قوله ثلاثة يذهبن الهم والحزن
الماء والخضراء والشكل الحسن ويصح ان تكون الخضرة على
حقيقتها من باب التغليب او على حذف مضاف اي ذات
خضرة او هي كناية عن طيب العيش والرفاهية قوله تبري
قال في المختار يقال برئ من المرض بالكسر برءًا بالضم وعند اهل
الحجاز برئ من المرض من باب قطع وابراه من الدين وبرأه
تبرئة وبرئ من كذا فهو براء منه بالفتح والمد لا يثنى ولا يجمع
لانه مصدر كالسماع ورجل بريء وبراء بالضم والمد وباراه
شريكه فارقه والمضني المريض والسقام المرض قال في القاموس

السقام كسحاب وجبل وقفل المرض وسقم ككرم وكرم فهو سقيم
والمعنى انهم نزلوها فوجدوها الحسن ونقهها تبرئ المريض من السقام
لما احتوت عليه من عذوبة الماء ولطافة الهوى كما اشار اليه بقوله
روابها ومائها وهوائها الذ لنا في الوخامه الرواء
المنظر الحسن والماء جوهر لطيف سيال يتلون بلون انائه العذب
منه به حياة كل نام واصل المياه كلها ماء السما لقوله تعالى الم تر ان
الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض واصله موه تحركت
الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا على القياس ثم ابدلت الها همزة
على غير القياس وحصل بذلك توالي اعلالين وجمعه في القلة امواه
بالها على الاصل وربما ابدلوها همزة في الجمع وفيه قال الشاعر
وبلدة قالصة امواوها ماصحة رادا الضحى افياوها
القالصة المرتفعة والماصحة الذاهبة ورادا الضحى ارتفاعها
وجمعه على الاصل في الكثرة امياه بالها لا غير وانما قلبت عينه يا
لكسرة قبلها والالف بعدها كدار وديار وانما صحت في طوال
لصحتها في طويل وشذ قوله فان اعزاء الرجال طيالها وانما
اعلت في سياط مع سلامتها في سوط لان السكون عندهم كالاعلال
والنسبة الى الماء ماءي بالهمزة وماوي بالواو ككسائي وكساوي
وافضل المياه نبعا الذي نبع وخرج من كفه صلى الله عليه وسلم
ماء زمزم ثم النيل ثم الفرات ثم سيحون ثم جيحون واحسنها ما بعد
جريه ولم يكن تحت ظل واعذب المياه قيل ما صعدا وهو ماء بئر
يضرب بعذوبته المثل قال السعدي

واني وتقيابي بزينب كالذي • يحاول من احواض صداء المشربا •
وقيل ماء الغاربة وفي المثل اعذب من ماء الغاربة وقيل ماء
البارق والسحابة التي تغدو والبارق السحاب الذي فيه برق
ولشدة صفاء الماء وكمال حسنه صارت العرب تستعير الماء
لكل ما يحسن منظره ويعظم قدره فتقول ماء الوجه وماء الشباب
وماء السيف وماء الحياة وماء النعيم ومن دعائهم المشكور
سقاه الله فاذا تذكروا ايام ما طابت قالوا سقى الله تلك الايام
قال طرفة • وسقى ديارك غير مفسدها • صوب الربيع وديمة تهمي
قال • وما ارقت بحرص قطرة نجرت • من ماء وجهي لاخلت ذاك ذ
فماء الوجه عبارة عن الجاه الذي هو افضل من المال وقد يراد به
رونق الحسن قال ابو تمام •
• ذكرتني اودي بنفرة وجهه • وبما به تلك الخطوب ولومها •
وقال المتنبي • ولقد بكيت على الشباب ولمتي • مسودة ولماء وجهي رونق
ولابي تمام استعارات حسنة للماء كقوله في وصف نساء تكالى
فاضت محاسنها مخاوف غادرت • ماء الصبا والحسن غير زلال •
وقوله • قد كان بواه الخليفة منزلا • من قلبه حرما على الاقدار •
• فسقاه ماء الخفض غير مصرد • وانامه في الامن عين غرار
وقوله يرثي من قصيدة يرثي •
• الا ايها الموت فجعتنا • بماء الحياة وماء الحياء • وقد
اعار السري الموصلي عليه في هذين البيتين المائين ونقلهما الى
المدح فقال • وكيف يرقرق ماء الحياة • ووجه يرقرق ماء الحياء

وقال ابو تمام • وكيف ولم يزل للشعر ماء يرق عليه ريحان القلوب
وقال ابن جبيب • اخلفت ذمه • هريق ماء المعالي منذ هريق دمه
فقد احسن استعارة ماء الصبا والحسن والخفض والحياة والحياء
والشعر والمعالي لكنه اساء استعارة ماء الملام حيث قال •
• لا تسقني ماء الملام فانني • صب قد استعذبت ماء بكائي •
وانما تحسن الاستعارة بما يحسن فيها التشبيه والتمثيل ولم يحسن ولم
يسئ في قوله • تمنت ان يعود لها حبيب • فعي شططا وأين لها حبيب
• ولو بصرت به لرات حريصا • بما الدهر حلته الشحوب •
واستظرف قول الصنوبري في مرثية غلام •
• ان يرق ماء الوجه في التر • ب فاني لماء العين فيه مريق
وماء الشباب قد اكثر فيه الشعراء فاحسنوا قال الغياض •
• وما بقيت من اللذات الا • مجاورة الكرام على الشراب •
• ولا شكل ولا قمر منير • يجول بخده ماء الشباب •
وجمع ابن الرومي في مرثية قينة ثلاث مياه مستعارة
باحر صبري على ثلاثة اموا • ه اريقت في الترب والمدر •
ماء شباب ونغمة مرجا • بماء ذاك الحياء والخفر •
ثم قال وجاء بماء رابع •
• تبكي العود بعد فقدكموا • وازدجر اللهو اي مزدجر •
• وفاض ماء النعيم بعدكموا • وانهمر الدمع اي منهمر •
وماء الحسن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز •
لي مولي لا اسميه • كل شيء حسن فيه • تصف الاغصان قامته

لتتن لتثنيه ويكاد البدر يشبهه وتكاد الشمس تحكيه
كيف لا يخضر عارضه ومياه الحسن تسقيه وماء الندا قال العتابي
واجاد اترك جذب المحلة ضنكها وكفاك من ماء الندا تكفاني
وقال البحتري واحسن

وما انا الا غرس نعمتك التي   افضت لها ماء النوافل فارق
وقفت باملي عليك جميعها   ورايك في امساكهن موافق

وقال وزاد في الاحسان

ووجه سال ماء الجود فيه   على لمرتين والخد الاسيل
بريك تالق المعروف فيه   شعاع الشمس في السيف الصقيل

وماء النعيم واحسن ما فيه قول البستي

ويح عين لم تر ومن ماء وجه   قد سقاه الشباب ماء النعيم
ما التقينا واحمد الله الا   مثل ما تلتقي جفون السقيم

وقال الكسرى ومن اذ ملع البرق في كفه فاض على الراس ماء النعيم
وماء الظرف قد تظرف الصاحب في استعارة الماء في الظرف
حيث قال وشادن احسن في اسعافه يقطر ماء الظرف من اطرافه
والهوى تقدم الكلام عليه مبسوطا والمراد به الذي بين السماء
والارض وقولها لنا في اي الطارد كما في المختار يقال نفاه طرده
نفاه فانتفى كما تقدمت الاشارة اليه والوخامة قال في المختار شيء
وخيم اي ثقيل بين الوخامة والوخومة وشيء وخيم اي وبي وبلدة
وخيمة ووخمة اذا لم توافق من سكنها وقد وصف الناظم رحمه الله
تعالى غرناطة بهذه الاوصاف تلميحا لقول الحكماء خير الاماكن ما

عظم

عظم رواؤه وعذب ماؤه وطاب هواؤه وقد بالغ الناظم رحمه الله
في وصف اقليمه ومدحه بما رايت لان اللبيب يحن الى وطنه حنين
النجيب الى عطنه وفي المثل لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وفيه
ايضا الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه وفيه ايضا ميلك
الى مولدك من كرم محتدك وما ارق قول جرير بن هشام الطائي

سقى الله اطلالا باجبلة الحمى   وان كن قد ابدين للناس ما بيا
منازل لو مرت بهن جنازتي   لقال صداي حاملا انزلا بيا

وقول الاخر وما احسن ذلك

ذكرت بلادي فاستهلت مدامعي   لشوقي الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ارض بها اخضر شاربي   وقطع عني قبل عقد التمائم

وقال ابن ميادة   الا ليت شعري هل ابيتن ليلة   بحرة ليلى حيث كان بها اهلي
بلاد بها نيطت علي تمائمي   وقطعن عني حين ادركني عقلي

وقال محمد بن غالب الرصافي

بلادي التي ريشت قويدمتي بها   فريخا واوتني قرارتها وكرا
مبادي لين العيش في ريق الصبا   ابى الله ان انسى اغترارا بها غرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها   ولكن عرينا من حلاه ولم نعرا

ومن الامثال لا تجف ارضا بها قوابلك ولا تنس بلدا فيها قبائلك
وقال ابن عنين رحمه الله تعالى

لو تخلى القطا لنام ولو خليت   ما بمت عن خليلي وجاري
ولو اني خيرت في هذه الدنيا   لما اخترت غير قومي وداري

وبالجملة فحنين الرجال الى الوطن والاهل من كمال المروءة والعقل

قالت الحكماء حنين الرجل الى وطنه من علامة الرشد وقال بزرجمهر
من علامات العاقل بره لاخوانه وحنينه لاوطانه ومداراته
لاهل زمانه، وقال ابو هلال،

اذا انا لا اشتاق ارض عشيرتي، فليس مكاني في النهى بمكين،
من العقل ان اشتاق اول منزل، غنيت بخفض في ذراه ولين،
وروض رعاه بالاصايل ناظري، وغصن ثناه بالغداة يميني،
واني لا انسى العهود اذا اتت، بنات النوى دون الخليط ودوني،
اذا انا لم ارع العهود على النوى، فلست بمامون ولا بامين،

قال رحمه الله ورياضه المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه

الروضة والريضة بالكسر العشب ومستنقع الماء فيها قال في المختار
الروض من البقل والعشب وجمعها روض ورياض وراض المكان
واروض كثرت رياضه ولم تزل الادباء الاعيان يتلاعبون بمدح
الرياض في كل آن فمن ذلك ما ابدعه الشريف السيد حسين الدمشقي
ابن حمزة في مقامته الربيعية التي فذا احتوت على معظم الزهور
الاريجيه، وارسلها الى بعض اصدقائه المخلصين بصدق وفائه
فمنها قوله، الى روضة الاداب ريحانة الندى، تحيا باحفاظ كرمها
يد الود، تحيات كانفاس الورود سحبت على شحات الطراس وجنا
الورد، هذا وقد عن للخاطر يا سيدي ان يزف اليك بواكره،
ويجلي عليك نوادره، اذ لابد للنفوس وان تمرح، وللنوادر ان
تستباح وتستملح، وقد شعرت باني قد دفعت الى مناجاة الفكر
الفاتر عند قلة المحادث والمناظر، فخاطبني على ابتكار معنى عجب

واغراني

واغراني على اختراع ابكار الادب وقال ما تقول في دعاة تملص
ذيل الوقار وتزري بكؤوس العقار فقلت ايه يا نبيه، فلزمت
الاصاخة لتلقيه، فسلك بي طريقا من لواهمه، كان ما اعدت لهذه
المنادمه، افضى الى روض مندي، كانما تجلل بالغيم وتردى، وقد
وقد فرشت ملاءة النور على ميادينه، وطرحت ايدي النسيم على
رياحينه، وسماطيه وشيء من الازاهر مرقوم، وعليه در من الغمام
منظوم، فمن ياسمين كانه اثل الافكار، او صلبان من الفضة
صغار، وازريون كانه مداهن عسجد على سواعد زبرجد قد ضمخت
اوساطها بغاليه، وسواتها من ذلك خاليه، وارجوانه كانه
زنود او بساط سندس ممدود، وقرنفل كانما توقد بالجمر او انعقد
من الجمر على مكاحل خضر ممشوقه، وسواعد صعق ممشوقة والورد
كانه هالة البدر في القياس، او شمسه تفككت من الادياس،
وقد اكثر فيهما من الاطاله التي لا يليق بسطها في هذه الرساله،
وله في بعض الرياض،

توسنه لما تكامل حسنه، وقد رقرقت فيه الشبيبة ماءها،
فخلت بان الحول حال ربيعها، وان الرياض الخضر ابدت رواءها،
وله، بادر بعيشك فالنعيم مخيم، وملاءة البستان في تفويف،
والطير مغترد عليه بشوقه، جيدا باعناق الغصون الهيف،
تصغي له اذن الطروف فينثني، والشوق ملء فؤاده المشغوف،
وللشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله اسراره
وروض بدا فيه الشقيق مقهقها، يشاكل خد الحبيب مورد،

فقال له المعشوق يوما وقد سرت عليه الصباحة غدا تبتغدد
سرقنخه ودي ثم زورت شامتي وماذاك الا ان فليك اسود

ومما اورده صاحب النفحة لشيخنا علامة الافاق من وقع على
فضله وولايته الاتفاق شيخنا وعمدتنا الشيخ عبد الغني
النابلسي سقانا الله تعالى من رايق شرابه القدسي مقامة التي
حاكى بها بعض الاندلسيين فجاء بها على اسلوب يفوق الدر الثمين
ومطلعها وانا الذي اهدي اقل بهاره حسنا لاحسن روضة مسا
في ان احلى ما تمتزج به كووس المودة واعطر ما تستنشقه مسام
الخواطر المستعده خبر له الطرب مبتدا وحديث ترويه عن الاحبة
مسندا وذلك حين استفزت هوامد السرور وتغنى في دوحة
الانس من كل بلبل شحرور

وتنبهت ذات الجناح بسحرة في الواديين فنبهت اشواقي
وانا الذي املي الهوى من خاطري وهي التي تملي من الاوراق

حتى خرجت اسوق مطايا الامسا لابيع كافور الصبح واشتري
عنبر المسا والصبح قد اهدى لنا كافورا حين استرد الليل منا
العنبرا قاصدا لنزع حلل اللهو الى حومة الطرب والزهو
ومتحرشا باذيال البكور والاصايل ومتعبرا بقول القايل

باكر الى اللذات واركب لها سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغوادي من ثغور الاقاح

فبينما انا كذلك واذا بشفيق شفيق ورفيق هو بي في ساير الاوق
رفيق فاقبل علي اقبال الكرام وقد لمعت بالبشر صفحات وجهه

بعد ان حيا بالسلام نشر به الكاس حين يشربها يطرب من
حسن وجه الطرب فسالته في المسايرة والمنادمه وحثثته
على المسامرة والمكالمه فاسفر وجهه عن شموس الفرح ونال م
ابتهاجا بشمات المسرة والمرح وقال مرحبا بقولك المسموع
ورايك الذي اتفقت عليه الجموع لدواعي الهوى وفرط الخلاعه
القسم له الوقار وطاعه فسرنا حتى اتينا منتزها رحب الاكناف
تتناسق النعوت والاوصاف نسيمه يعثر في ذيله وزهره
يضحك في كمه فوجدناه ذا ظل ظليل وما اعذب من السلسبيل
اشجاره ثابته واغصانه نابته

نهر واسع جري وتمشت في رباه الصبا قليلا قليلا

تصدح حمايمه وتسرح نسايمه وتنفح كمايمه

ولي من الورق في اوراقها طرب كانهن على العيدان قينات

فصعدنا منه الى قصر مشيد متزخرف الجوانب بالوان الاطلية
وانواع الشيد فيه الغرف الرفيعة ذات التزيين والمقاصير
المصنوعة لقاصرات الطرف عين

وايوان يقول لمن راه برونق ما لكي قد راق مترف
الم تر ان طير السعد اضحى يحوم بساحتي وعلى رفرف

وقد طلت شبابيكه على تلك الارجا المونقه والجداول المتدفقه
وارضه مفروشة بافخر الوشي والديباج وقد اطلعت فيه مباخر الطيب
تزاد في الابتهاج منفرد

حوى عجبا لم يحوه قط مجلس على انه في الحسن اعجوبة الدهر

فجلست انا وصاحبي على تلك الاريكة المنوعة، والفرش المرفوعة
نتناشد الاشعار، ونتشبث باذيال الافكار،

وحديثها السحر الحلال لو انه ، لم يجن قتل المسلم المتحرز ،
ان طال لم يملل وان هي اوجزت ، ود المحدث انها لم توجز ،

ولم نزل رافلين في غلايل المسرة، ونستعين بلطايف الانس على
ابرح هاتيك الاسرة حتى عدنا وقد شمرت الشمس بغيمها الذيل
واصفر وجهها خوفا من هجمة عساكر الليل، مزد،

الشمس غاربة للغرب دارعة ، بالنيل مصفرة من هجمة الغسق ،

وقد ظهر الهلال في حمرة الشفق ، كحاجب الشايب او زورق الورق

لا تظن الهلال قد اخذ الشمس ، واعطى لنهار هذا الهلالا ،
انما الشرق اقرض الغرب دينارا ، فاعطاه رهنه خلخالا ،

وبينا انا ارجع صاحبي في اخريات الطريق، واذا برفيق لي وهو في
الحقيقة رفيق، فاعترضني وقال اين كنت، ومن اين توجهت
فقلت له كنت مع صاحبي الذي هو اليوم مصاحبي، في منتزه هو فضا
الارض ذات الطول والعرض، وصدقته في كل ما طولته مما تقدم من
الكلام الاول، وغيم ذلك الفضا هو الظل الظليل، وغديره المنهمر
اعذب من السلسبيل، واشجاره هي حبال الامطار، وحمايمه الصادحة
اصوات الرعد في جوانب الاقطار، وكمايمه سحب البرد، وسنايمه
المعلومة في ماء ورد وما ذلك القصر الموصوف، سوى جبتي هذه
وثوبي هذا الصوف، والسنابك جيوبه واطواقه، ولا عجب ان
نفحت فيه منابر الطيب فانها قراطيسه واوراقه، وبالقياس

علي

على هذا تاويل ما بقي من العبارات السابقة، والاشارات
المتلاحقة وبذلك انتهى الكلام، وتم ما قصدناه من الدعابة
والسلام، لابد للنفس احيانا اذا سئمت ان تستريح الى الاداب والملح
فخص بها من احاديث الكرام اذا يممت مذهبها في كل مقترح ،

انتهى وقول الناظم المهتزة الاعطاف من شدو الحمام الاهتزاز
التحريك يقال هزه الفرح فاهتز اي حركه وبابه رد والهزة
بالكسر النشاط والارتياح كذا في المختار والاعطاف الجوانب وعطفا
كل شي جانباه وعطف مال وعطف العود فانعطف وعطف الوسادة
ثناها وعطف عليه اشفق كما في المختار ايضا والشدو بالشين
المعجمة والدال المهملة الغنا قال في المختار الشدو الغنا وقد شدا
شعرا وغنى اذا غنى به او ترنم وبابه عدا والحمامة المراد الواحدة
من الحمام والهاء فيها للدلالة انه واحد من الجنس لا للتانيث لان
لفظ الحمام يتناول الذكر والانثى قال الجوهري الحمام عند العرب ذوات
الاطواق من الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوراشين واشباه
ذلك وعند العامة انها الدواجن فقط ولم تزل الشعراء يترنموا بشدو
الحمام لانه كثير الحنين الى الفه ووطنه حتى قيل انه يطلب وكره
ولو ارسل من الف فرسخ وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فاكثر
وهو على ثبات عقله وقوة حفظه وحب رجوعه الى وطنه حتى يجد فرصة
فيصير اليه قال المثنى بن زهير لم ار شيا قط من رجل وامراة الا
ورايته في الحمام وليس في الحيوان من يستعمل التقبيل عند السفاد
الا الحمام والانسان وروى الحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان

يحب النظر الى الحمام الاحمر حدث ابو الحكم عوف بن المحلم قال كانت
لي وفادة على عبد الله بن طاهر الى خراسان فصادفته يريد
السفر الى الحج فعادلته في العمارية من مرو الى الري فلما قاربنا الري
سمع عبد الله بن طاهر ورشانا في بعض الاغصان يصيح فانشا يقول
متمثلا الا يا حمام الايك الفك حاضر • وغصنك مياد ففيم تنوح

اقف لا تنح من غير شيء فانني • بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب • فها انا ابكي والفؤاد جريح

ثم قال يا عوف اجز هذا فقلت في الحال

أفي كل يوم غربة ونزوح • اما للنوى من ونية فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي • فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالري نوح حمامة • فنحت وذو البث الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة • ونحت واسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما • ومن دون افراخي مهامه فيح
عسى جود عبد الله ان يعكس النوى • فتلقي عصا التطواف وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه • وعدم الغنى بالمعدمين نزوح

قال فاخرج راسه من العمارية وقال يا سايق الق الزمام فالقاه ووقف
الحاج ثم دعا صاحب بيت ماله فقال كم يضم ملكنا قال ستين الف
دينار قال ادفعها الى عوف لعلها تثبت عصى تطوافك فارجع من حيث
جئت قال فاقبل خاصة عبد الله يلومونه ويقولون اتجيز ايها
الامير شاعرا في مثل هذا الموضع بستين الف دينار ولا تملك سواها
قال اليكم عني فاستحييت من الكرم ان يسير في جملي وعوف يقول

عيسى

عيسى جود عبد الله وفي ملكي شيء لا ينفرد به ورجع الى وطنه فسئل
عن حاله فقال رجعت من عند عبد الله بالغنى والراحة من النوى
انتهى من ابن نباتة على رسالة ابن زيدون ورويناه هذه القصة على خلاف
هذا الاسلوب في رحلتنا فلتراجع ثمة فانها مما ترتاح لسماعه
القلوب قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى في كتاب مناقب الامام
الشافعي رضي الله عنه روى محمد بن جرير الطبري رحمه الله عن الربيعي
قال كان الامام الشافعي جالسا يوما بين يدي مالك رضي الله عنه
فجاء اليه رجل فقال يا ابا عبد الله اني رجل ابيع القمري واني بعت
قبل يومي هذا قمريا فبعد زمان اتاني صاحب القمري فقال ان
قمريك لا يصيح فتشاجرنا الى ان حلفت بالطلاق ان قمريي
لا يهدا من الصياح فقال مالك طلقت امراتك فقام الرجل حزينا
فقام الشافعي اليه وهو يومئذ ابن اربع عشرة سنة وقال للسائل
اصياح قمريك اكثر ام سكوته قال السائل بل صياحه قال الشافعي
امض فان زوجتك لم تطلق ثم رجع الشافعي الى الحلقة فعاد السائل
الى مالك فقال يا ابا عبد الله تفكر في واقعتي لتستحق الثواب
فقال مالك الجواب ما تقدم قال فان عندك من قال الطلاق غير
واقع فقال مالك من هو فقال السائل هو هذا الغلام واوما الى الشافعي
فغضب عليه مالك وقال من اين لك هذا الجواب فقال الشافعي
رضي الله عنه اني سالته اصياحه اكثر ام سكوته فقال ان صياحه
اكثر فقال مالك وهذا الدليل اقبح واي تاثير لكثرة صياحه
وقلة سكوته في هذا الباب فقال الشافعي انك حدثتني عن ابي سلمة

عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس انها اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا جهم ومعاوية خطباني
فبايهما اتزوج فقال صلى الله عليه وسلم اما معاوية فصعلوك
واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقد علم رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان ياكل وينام ويستريح فعلمنا انه صلى الله عليه وسلم
اراد بقوله لا يضع العصا عن عاتقه ان الاغلب من احواله ذلك
فلما سمع مالك ذلك تعجب من الشافعي ولم يقدح في قوله البتة
ومن ذلك ما ذكره صاحب الاغاني قال كان المهلب بن ابي
صفرة بخراسان فخرج اليه زياد الاعجم فمدحه فامر له بجائزة فاقام
عنده اياما فانا لعشية نشرب مع حبيب بن المهلب في دار
لهم فيها دالية وفيها حمامة اذ سجعت الحمامة فقال زياد

تغني انت في ذممي وعهدي ، وذمة والدي ان لا تضاري
وبيتك اصلحيه ولا تخافي ، على صغر مزغبة صغار
فانك كلما غنيت صوتا ، ذكرت احبتي وذكرت داري
واما يقتلوك طلبت ثارا ، له نبأ لانك في جواري

فقال حبيب يا غلام هات القوس فقال له زياد وما تصنع
قال ارمي جارتك هذه قال والله لئن رميتها لاستعدين
عليك الامير فاتي بالقوس فنزع لها سهما فقتلها فوثب
زياد ودخل على المهلب وحدثه الحديث وانشده الشعر فقال
له المهلب علي بابي بسطام فاتي بحبيب فقال اعط ابا امامة
دية جارته الف دينار فقال اطال الله بقاء الامير انما كنت

العب

العب فقال اعطه كما امرتك فاعطاه فقال زياد

فلله عينا من راى كقضية ، قضى لي بها قرم العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رمية ، فاثبتها بالسهم والسهم يغرب
فالزمه عقل القتيل ابن حرة ، وقال حبيب انما كنت العب
فقال زياد لا يروع جاره ، وجارة جاري مثل جاري واقرب

قال فحمل حبيب اليه الف دينار على كره منه فانه ليشرب يوما مع
حبيب اذ عربد عليه حبيب وكان قد اضغن عليه ما جرى فامر
بشق قباء ديباج كان عليه فقام وقال لعمركما الديباج خرقتما
وحده ، ولكنما خرقتما جلد المهلب فبعث المهلب الى حبيب
وقال صدق زياد ما خرقت الا جلدي تدعه يهجوني ثم طلب زيادا
وسل سخيمته وامر له بمال وصرفه لطيفة ذكر ابن خلكان
ان شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازي بخوارزم فسقطت
بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع
عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما
قام الامام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها واخذها بيده
فانشد ابن عنين بين يديه ابياتا تامنها

من نبأ الورقاء ان محلكم ، حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت اليك وقد تدانى حتفها ، فحبوتها ببقائها المستانف
لو انها تحبى بمال لانثنت ، من راحتيك بنائل متضاعف

وذكر اهل التاريخ واتفقوا ان امير المؤمنين المسترشد بالله
ابن المستظهر بالله لما حبس راى في منامه كان على يده حمامة

مطوقة فاتاه ات وقال له خلاصك في هذا الحمام فلما اصبح حكى
ذلك لابن سكينة الامام فقال له ما اولته يا امير المومنين قال
اولته ببيت ابي تمام .

هن الحمام فان كسرت عيافة . من حائهن فانهن حمام

وخلاصي في حمامي فقتل بعد ايام بسيرة ٢٧ سنة وفي المثل حمامة
نوح يضرب بها المثل للامن كما يضرب بظباء مكة وفي المثل اغر من
حمام الحرم قال عبدان . واحسن على اساءته رغيفك ياسيدي
يحل محل حمام الحرم . فلله درك من سيد حرام الرغيف حلال الحرم
وكما يقال في المثل حمامة نوح يقال حمامة السفينة وهي ايضا لان سيدنا
نوحا ارسلها بدل الغراب حين ارسله ينظر هل غاض الماء فلم يعد له
بالجواب لاشتغاله بالاكل من جيفة وقع عليها فارسلها فاتت له
بالبشارة فطوقها بهذا الطوق ودعا لها قال حميد بن ثور الهلالي

وما هاج هذا الشوق الا حمامة . دعت ساق حر ترحة وترنما
مطوقة غراء تسجع كلما . دنى الصيف وانجال الربيع فانجما
محلاة طوق لم تكن من تميمة . ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع . لنائحة من نوحها متلوما
اذا حركته الريح او مال ميلة . تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها اني يكون غناؤها . فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم ار مثلي شاقه صوت مثلها . ولا عربيا هاجه صوت اعجما

قال الناظم رحمه الله ومرجها النضر الذي قد زانه اتسامه
المرج كما في القاموس الموضع الذي ترعى فيه الدواب وارسالها

للرعي

للرعي والخلط ومرج البحرين وامرجهما خلاهما لا يلتبس احدهما بالآخر
والمرج محركة الابل ترعى بلا راع للواحد والجميع والفساد والقلق
والاختلاط والاضطراب وامر مريج مختلط ومارج من نار اي نار
بلا دخان ورجل مراج يخرج امورا وخوط مريج اي متداخل في الاغصان
والنضر محركة الحسن قال في القاموس النضرة النعمة والعيش
والغنى والحسن كالنضارة والنضور والنضر محركة ونضر الشجر
والوجه واللون كنصر وكرم وفرح فهو ناضر ونضير ونضره
الله ونضره وانضره والناضر شديد الخضرة ويبالغ به في كل
لون كاخضر ناضر واحمر ناضر واصفر ناضر واصفر ناضر والنضر
والناضر والنضار والانضر الذهب او الفضة جمع نضار بالكسر
والنضار بالضم الجوهر الخالص من التبر والخشب والاثل او ما كان
عذيا على غير ماء او الطويل منه المستقيم الغصون او ما نبت منه
في الجبل او خشب للاواني والتزيين ما يتزين به كالزيان ويوم
الزينة العيد والزين ضد الشين وازانه وزينه فتزين هو وقد زين
الله اتسامه اي وسمه والوسم الاثر انتهى . قال الناظم

وقصورها الزهر التي يابى بها الحسن انتسامه

القصور
جمع قصر وهو المنزل او كل بيت من حجر وعلم لسبعة وخمسين موضعا
ما بين مدينة وقرية وحصن ودار واعجبها قصر بهرام جور كان
من حجر واحد كذا في القاموس والذي ضرب فيه المثل غمدان المتقدم ذكره
يقال قصر غمدان يمن يتمثل به في الوثاقة والحصانة سمي باسم
بانيه وهو اول بناء بعد الطوفان وتقدم الكلام عليه مبسوطا

والزهور جمع زهرة ويجمع على ازهار ايضا وهي من النبات نوره او
الاصفر منه ومن الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها وقد زهر
كفرح وكرم وزهر السراج والقمر والوجه كمنع زهورا تلألأ كازدهر
والنار اضاءت والازهر القمر ويوم الجمعة والنير والمشرق الوجه
والازهران القمران واحمر زاهر شديد الحمرة والازدهار بالشيء الاحتفا
به والفرح به والزاهرية التبختر والزهراء المراة المشرقة الوجه
والبقرة الوحشية والزهراوان البقرة وال عمران والزهر بالكسر
الوطر وزهرة كهمزة وزهران وزهير اسمان وازهر النبات نور
كازهار والمزهر كمنبر العود يضرب به والذي يزهر النار ويقلبها
للضيفان كذا في القاموس وقول الناظم التي يابي بها الحسن
انقسامه يقال ابا الشيء يأباه ويأبيه إباء وإباءة بكسرهما
كرهه وابيته اباءة وابيت الطعام كرضيت اباء انتهيت عنه
عن غير شبع ورجل ابيان محركة يابى الطعام او الدنية والابية
بالضم الكبر والعظمة والابية بالكسر ارتداد اللبن في الثدي
كذا في القاموس والحسن بالضم الجمال وحسن ككرم ونصر فهو حاسن
وحسن ولا تقل رجل احسن في مقابلة امراة حسناء عكسه غلام امرد
ولا يقال جارية مرداء وانما هو الاحسن على ارادة افعل التفضيل
والمحاسن القوم حسانهم والحسنى بالضم ضد السوأى والعاقبة الحسنة
والنظر الى الله تعالى والظفر والشهادة والمحاسن المواضع الحسنة
من البدن والاحسان ضد الاساءة وهو يحسن الشيء احسانا
يعلمه واستحسنه عده حسنا والحسن محركة ما حسن من كل شيء كذا

في

في القاموس وقوله انقسامه اي قسمته يقال قسمه يقسمه وقسمه
جزاه وهي القسمة بالكسر وكمنبر ومقعد النصيب وقاسمه الشيء
اخذ كل قسمه والقسيم المقاسم جمعه اقسماء وقسماء وشطر الشيء كذا في
القاموس وقال بعضهم الحسن ضد القبح وهو معنى لا تناله العبارة ولا
يحيط به الوصف وجمع على محاسن على غير قياس كان محاسن جمع محسن
قال المعري هو جمع لم يستعملوا واحده ولو استعملوه لوجب ان يكون على
محسنة كمطعمة انتهى والمعنى ان قصور عن ناطقة كمال رونقها وحسن
تانقها مزدهية في نظائرها قد اختص بها الحسن وابى ان يكون في غيرها

قال رحمه الله يا ليت شعري أين من أمضي بها من الملك الختامه

قوله يا ليت شعري يا هنا ليست للنداء بل لمجرد التنبيه لان الدعاء
بيا او باحد اخواتها وهنا قد تخلفت يا عن الدعا وقيل للنداء
والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء وهو مقيس في الامر كما في قوله تعالى
يا ليت قومي يعلمون وفي الدعا قوله

• الا يا اسلمي يا دارمي على البلا • ولا زال منهلا بجرعائك القطر •

وليت حرف تمن تنصب الاسم وترفع الخبر واذا علم خبرها جاز حذفه
مطلقا خلافا لمن اشترط تنكير الاسم وقد يلتزم حذفه وذلك في
ليت شعري مردفا باستفهام كما هنا ونحو ليت شعري هل قام زيد
والشعر بمعنى الفطنة مصدر من شعرت به اشعر كنصرته انصر والمعنى
ليتني عالم بجواب هذا الاستفهام حاصل وقال ابن ام قاسم وانما التزم
الحذف لان الاستفهام يسد مسد الخبر وجملة الاستفهام في موضع
نصب لعالم واستشكل الرضي بان محل خبر شعري الذي هو مصدر

النداء هو

بعد جميع ذيوله من فاعله ومفعوله ومحله بعد الاستفهام
فكيف يكون الاستفهام في مقام الخبر وتمامه بعده بل هو خبر
وجب حذفه بلا ساد مسده لكثرة الاستعمال انتهى وذهب المبرد
والزجاج الى ان جملة الاستفهام هي الخبر وموضعها رفع ونسبه
في الايضاح الى س وقال تحقيقه بان شعري بمعنى مشعوري
والجملة نفس المبتدا فلا تحتاج الى الضمير قال الدماميني والذي
ينبغي على تقدير ان يكون شعري بمعنى مشعوري ان يكون الاصل
ليت شعري جواب هل قام زيد والجملة يراد بها لفظها اي جواب
هذا اللفظ ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فالمعنى ليت معلومي قيام زيد او عدم قيامه لان احد هذين
الامرين هو جواب الاستفهام والا فلو لم يعتبر هذا الحذف
لم يستقم ظاهرا وقال العيني في شرح الشواهد ان اصل ليت
شعري ليتني اشعر فاشعر خبر ليت وناب شعر الذي هو المصدر
عن الخبر ونابت اليا في شعري عن اسم ليت واين اسم استفهام وامضى
انفذه والمضو كعلو التقدم ومضيت على بيعتي وامضيته
اجزته والماضي الاسد والسيف مضا قطع كذا في القاموس والضمير
في بها عايد الى قصور غرناطة وملك ككتف ذو الملك وجمعه
ملوك واملاك وملاك والملك بالضم معروف ويؤنث كالملكان
والعظمة وملكوه تملكا والملكوم صيره وملكا والملكوت
كرهبوت العز والسلطان والمملكة وبضم عز الملك وسلطانه
وعبيده وتمالك عنه ملك نفسه وشهدنا املاكه وملاكه

بكسرهما

بكسرهما وفتحا الثاني تزوجه او عقده وملكه اياها حتى يملكها
ملكا مثلثا ان زوجه اياها وملك الطريق مثلثا وسطه او جهه
والمليك كجهينة الصحيفة وملك الدابة بالضم وبضمتين قوائمه
الواحد ككتاب والملك محركة واحد الملائكة والملايك وكصاحب
امام المدينة ومحدثون وتسعون صحابيا كذا في القاموس
والاحتكام بواديه الحكم وهو بالضم القضا جمعه احكام وقد
حكم عليه بالامر حكما وحكومة وبينهم كذلك وحاكمه الى الحاكم
دعاه وخاصمه وحكمه في الامر تحكيما امره ان يحكم فاحتكم وتحكم
جار في حكمه والاسم الاحكومة والحكومة والحكمة بالكسر العدل
والحلم والعلم والنبوة والقرآن والانجيل واحكمه اتقنه ومنعه
عن الفساد وعن الامر رجعه والآيات المحكمات قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الى اخر السورة او التي احكمت فلا يحتاج سامعها
الى والحكم محركة الرجل المسن كذا في القاموس والمعنى يا ليت شعري
اين من كان ذا ملك وسلطان ينفذ احكامه في مملكته ولا يصده
صاد عن مرامه والجواب محذوف تقديره ذهبوا كامس اذا مضى
لا عود له اذا انقضى وما احسن قول القايل

تحكموا واستطالوا في تحكمهم ۝ وعن قليل كان الحكم لم يكن

قال رحمه الله ابن الوزير بن الخطيب بها فما أحلى كلامه

الضمير في بها عايد الى غرناطة وابن الخطيب هو وزير ابن الاحمر
ملك غرناطة وقوله فما احلى كلامه صيغة تعجب من حلاوة الفاظه
ورقة شعره لانه كان من الشعراء الادباء ارباب الكمالات واول

شيء على فضل الانسان لفظه وهذا قيل المرء مخبوء تحت لسانه
لا تحت طيلسانه وقيل الدليل على فضل الانسان ثلاثة رسوله
وكتابه ونطقه وابن الخطيب هذا قد امتحن وسجن وحرق بعد قتله
رحمه الله رحمة واسعة وخلاصة قصته ما ذكره الناظم
في ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض نقلا عن تاريخ
ابن خلدون بما نصه كان محمد بن الاحمر المخلوع عن غرناطة قد رجع
من رنده الى ملكه بغرناطة في جمادي سنة ٦٣ وقتل لم
الطاعنة اعدائه الرئيس المشتري على ملكهم حين هرب من غرناطة
اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه بغرناطة واستقل
بملكه ولحق به كاتبه وكاتب ابيه الوزير محمد بن الخطيب المذكور
فاستخلصه لنفسه وعقد له على وزارته وفوض اليه القيام
بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عين الوزير ممتدة الى
المغرب وسكناه اذ نزلت به افات في رياسته فكان لذلك يقدم
السوابق والوسائل عند ملوكه ولما لحق الامير عبد الرحمن ابن ابي
يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع
في الدولة رتبته واعلى منزلته وحمل السلطان على ان عقد له على
الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه فكانت له اثار في
الاطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بامره واستقل
بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا بمرضاته عند سلطانه رشا اليه
باعتقال عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي
واراد ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى ان سطا بهما

ابن

ابن الاحمر واعتقلهما سائر ايام السلطان عبد العزيز ونغص
الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب واظلم وتنكر فنزع عنه
الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ٧٢ لما قدم من الوسائل
ومهد السوابق فتقبله السلطان واحله من مجلسه محل الاصطفاء
والقرب وخاطب ابن الاحمر في اهل ابن الخطيب وولده فبعثهم
اليه واستقر السلطان ثم تاكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر في جملة
ورغب السلطان في ملك الاندلس وحمل عليه وتواعدوا لذلك عند
رجوعه من تلمسان الى المغرب وسمع بذلك ابن الاحمر فبعث الى السلطان
بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها ثم
وبغالها الفارهة وغلمانها وجواريها واوفد بها ارسله يطلب ان
يسلم وزيره ابن الخطيب اليه فابى السلطان من ذلك ونكره
ولما هلك السلطان واستبد بالامر الوزير بن غازي تحيز اليه
ابن الخطيب وداخله فخاطبه ابن الاحمر بمثل ما خاطب السلطان
فلج واستنكف عن ذلك واقبح الرد وانصرف رسوله اليه وقد
رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن ابي يفلوسن واركبه
الاسطول وقذفه الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي
ونهض الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية
ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركته لطوله وملخصه ان الوزير
الذي كان عنده ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة
خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض الوزير الى منازلة عبد الرحمن ابن
ابي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله اياما

ثم رجع الى تازا ثم الى فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما
الوزير ابو بكر بفاس يدبر الامر اذ وصله الخبر بان ابن عمه محمد ابن
عثمان بايع السلطان احمد بن سالم وهو المعروف بذي الدولتين
وهذه هي دولته الاولى وذلك ان ابن عم الوزير لما تولى سبتة كان
ابن الاحمر قد تطاول لحصار جبل الفتح واخذ بمخنقه وترادفت
المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب فاستعتب له وقبح
ما جاء به ابن عم الوزير ابو بكر بن غازي من الاستغلاظ له في شان
ابن الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر في ذلك فرصة الى غرضه وداخله
في البيعة لابن السلطان بن سالم وان يقيمه للمسلمين سلطانا
ولا يتركهم تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ولم تصح ولايته شرعا
وهو السعيد بن ابي فلوس الذي بايعه الوزير ابو بكر بن غازي
بتلمسان حين مات والده واستبد عليه الامر واختص ابن الاحمر
احمد بن ابي سالم من بين اولئك الابناء لما سبق بينه وبين ابيه ابي سالم
من المودة وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا
منها ان ينزلوا له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له وان يبعثوا له
جميع ابناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته وان يبعثوا
اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد امرهم على ذلك
وقبل محمد بن عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى ابا
العباس احمد من مكان اعتقاله فبايعه وحمل الناس على طاعته
واستقدم اهل سبتة للبيعة وكتابتها فقدموا وبايعوا وخاطب
اهل جبل الفتح فبايعوا وخرج ابن الاحمر منهم ولما وصل الخبر بهذا

كله

كله الى الوزير ابي بكر غازي قامت عليه القيمة وكان ابن عمه
عثمان كتب اليه يموه بان هذا عن امره فتبرا من ذلك ولاطف
ابن عمه ان ينزل عن البيعة وينقضها فاعتل له بانعقاد البيعة
لابي العباس وبينما الوزير ابو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه
اذ بلغه الخبر انه اشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا
تحت كفالة ابن الاحمر فوجم واعرض عن ابن عمه ونهض الى تازا لحاصرة
عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فتاهل في غيبته ابن عمه محمد بن عثمان ملك
الغرب ووصله مدد السلطان بن الاحمر من رجال الاندلس الغاشية
وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن بالاتصال اليه مع ابن عمه
السلطان احمد ومظاهرته له واجتماعهما على ملك فاس وعقد
بينهما الاتفاق على انه يختص عبد الرحمن بملك سلفه فنزاضياء
ونهض محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير ابي بكر
بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس
وانتهى السلطان ابو العباس احمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعسكره
فاختل مصافه ورجع على عقبه مكسورا وانتهب عسكره ودخل الى البلد
الجديد البيضاء وجاء بالعرب اولاد الحسين فعسكروا بالزيتون
ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن بن قانون بمن كان معه من العرب
الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان ابو العباس
احمد بمجموعه من العرب وزناته وبعثوا الى ولي دولتهم ونمار بن عريف
بمكانه من قصره الذي اختطه بملوية فخاطبهم واطلعوه على كامن
اسرارهم فاشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجا

ونحا لغوائهم ارتحلوا الى كدية العرايس في ذي القعدة سنة ٧٥ وبرز اليهم
الوزير بعساكره فانهزمت جموعه واحيطت وخلص الى البلد الجديد
بعد غص الريق وضرب معسكر السلطان ابي العباس بكدية العرايس
ونزل الامير عبد الرحمن بازايه وضربوا على البلد الجديد سياجا
بالبناء للحصار وانزلوا بها انواع القتال والارهاب واوصلهم السلطان
ابن الاحمر بالعسكر والمدد وتحكموا في ضياع ابن الخطيب بفاس وهدموها
ولما كان افتتاح سنة ٧٦ داخل محمد بن عثمان بن عمه الوزير ابا بكر في
النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد
به ويئس واعجزه المال فاجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافي
له عن اعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا له على
المكر وخرج الوزير ابو بكر الى السلطان ابي العباس فبايعوه واقتضى
عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان ابو العباس
الى البلد الجديد سابع محرم وارتحل الامير عبد الرحمن بومنيا الى مراكش
واستولى عليها ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال
ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه استقل بسلطانه
والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب بني
عسكر وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما
بايعه بطنجة على نكبة ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمي اليه عنه انه
كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان
ابو العباس من طنجة ولقيه ابو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه
السلطان ولاذ بالحصار اوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد

خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد اقام اياما ثم اغرى
سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه واودعوه السجن
وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان بن داود شديد
العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر
على مشيخة الغزاة بالاندلس متى اعاده الله الى ملكه فلما استقر
له سلطانه ارسل اليه سليمان سفيرا عن عبد الله مقتضيا عهده
من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بان تلك الرياسة انما
هي لاعياص الملك من بني عبد الحق فرجع سليمان واثار حقد ذلك
لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكان
تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات يشير كل واحد الى صاحبه بما
يحفظه مما كمن في صدورهما وحين بلغ القبض على ابن الخطيب الى
السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو عبد الله
ابن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب بالمشور
في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة
فعظم النكير عليه فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد
ذلك الملا ثم اعيد الى محبسه وتشاوروا في قتله بمقتضى تلك
المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن
داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم
رعاع جاؤوا بصفة الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر فقتلوه
خنقا في محبسه واخرجوا جسده من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق
ثم اصبحوا من الغد وجدوه على حافة قبره طريحا وقد جمعت له

اعواد واضرمت عليه نار فاحترق شعره واسودت بشرته ثم اعيد
حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذا التشنيع
الذي جاء به سليمان وعدوها من هفواته وعظم النكير فيها عليه
وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله عنه
ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت وكان يسلي نفسه بالشعر
ومما قاله في السجن هذا الشعر

بعدنا وان جاورتنا البيوت ۰ وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة ۰ كجهر الصلوة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما ۰ وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا ۰ غربن فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا ۰ وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة ۰ فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب ۰ وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم به ۰ فقل يفرح اليوم من لا يموت
سيبلي الجديد اذا ما المدا ۰ تتابع احاده السبوت
ولا تغترر بسراب الحياة ۰ فانك عما قليل تموت

انتهى وقد تذكرت بقوله سيبلي الجديد البيت قول الآخر

نطوي سبوتا واحادا وننشرها ۰ ونحن في الطي بين السبت والاحد
فعد ما شئت من سبت ومن احد ۰ لا بد ان يدخل المطوي في العدد

وكان لابن الخطيب القدم الراسخ في الشعر حتى قال بعض الاعلام
شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ولا معرج على شاعر بعده

للاذن والمسامع فمن غرر كلامه في التورية

بنفسي حبيب في ثناياه بارق ۰ وكلته للواردين عذاب
اذا كان لي منه عن الوصل حاجز ۰ فدمعي عقيق في الجفون مذاب

وله: عذبت قلبي بالجفا فقيامه ۰ في نار هجرك دائما وقعوده
ولقد عهدت القلب وهو موحد ۰ فعلام يقضي في العذاب خلوده

وله ايضا: ناديت دمعي وجد الرحيل بهم ۰ والقلب من فرط التوديع قد وجبا
سقطت يا دمع من عيني غداة نأى ۰ عني الحبيب ولم تقض الذي وجبا

وقال مورياً: كتبت بدمع عيني صفح خدي ۰ وقد منع الكرى هجر الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا ۰ كتاب العين ينسب للخليل

وتذكرت بهذا قول الشيخ ابي حيان رحمه الله تعالى

سبق الدمع بالمسير المطايا ۰ اذ نوى من احب عني نقله
واجاد السطور في صفحة الخد ۰ ولم لا يجيد وهو ابن مقله

لكن ابن الخطيب قصد تورية اخرى لم يقصدها ابو حيان
وكلاهما احسن في توريته وقال ابن الخطيب

ولما رات عزمي حثيثا على السرى ۰ وقد رابها صبري على موقف البين
اتت بصحاح الجوهري دموعها ۰ فعارضت من دمعي بمختصر العين

وقال: مضجعي فيك عن قتادة يروي ۰ وروى عن ابي الزناد فؤادي
وكذا النوم شاعر فيك اضحى ۰ من دموعي يهيم في كل واد

وله ايضا: قال لي والدمع ينهل سحابا ۰ في عراص من الخد ودحول
بك ما بي فقلت مولاي عافاك ۰ المعافى من عبرتي ونحولي
ان جفني القريح يروي عن الاعمش ۰ والجفن منك عن مكحول

وقال وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام

جلس المولى لتسليم الورى . ولفصل البرد في الجو احتكام

فاذا اماسا لواعي بومنا . قلت هذا اليوم برد وسلام

وله ايضا . بابي ظبي غرابي . مستبيحا شرح صدري

فانا اليوم شهيد الحب من غزوة بدري . وله ايضا

اشكو بمبسمه الحريق وقد حمى . عني لماه المشتهى وحريقه

يا ريقه خيرتني وسطلتني . ما انت الا بارد يا ريقه

وله في اللغز . ماضي ان لم اكن متقدما . فالسبق يعرف اخر المضمار

ولين غدا ربع البلاغة بلقعا . فلرب كنز في اساس جداره

وقال في مدح السلطان ابي الحجاج

في مصر قلبي من خزاين يوسف . حب وعين مدايحي تمتاره

حليت شعري باسمه فكانه . في كل قطر حلة دينارُه

وله ايضا . رموا بالسلو حليف الغرام . ودمعه كالحيا الهاطل

اعوذ بعزك يا سيدي . لذلي من دعوة الباطل

وله ايضا . يا ليل طلت ولم تجد بتبسم . وارتني خلق العبوس القادم

هلا رحمت تغزلي وتفرقي . لله ما اقساك يا ابن الخادم

وقال في سكينة الاضاحي للسلطان ابي الحجاج رحمه الله تعالى

لي الفضل ان شاهدتني واختبرتني . على كل معقول الغرار مهفهف

كفاني فخرا ان تراني قايما . بسنة ابراهيم في كف يوسف

وقال في مروحه سلطانيه

كاني قوس الشمس عند طلوعها . وقد قدمت من قبلها نسمة الفجر

والا كما هبت بمحتدم الوغا . بنصر ولكن من بنود بني نصر

له . ان اللحاظ هي السيوف حقيقة . ومن استراب فحجتي تكفيه

لم يودع غمد السيف جفنا باطلا . الا لتشبيها للفظ يغمد فيه

قيل واحسن منه قول غيره واجاد

اذا العيون النجل امضى موقعا . من كل هندي وكل يماني

فضل العيون على السيوف لانها . قتلت ولم تخرج من الاجفان

واظن ان ابن الخطيب اخذ من قول الاخر

بين اللحاظ وبينه مناسبة . من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال في خالد البلوي صاحب الرحلة وقد استكثر من سرقة

كتاب مناسبة البرق الشامي للعماد الاصبهاني

خليلي ان يلف اجتماع بخالد . فقولا له قولا ولا تعدوا الحقا

سرقت العماد الاصبهاني برقه . وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وقال ايضا اقول لعاذلي لما نهاني . وقد وجد المقالة اذ جفاني

علمت بانه مر التجاني . وفاتك انه حلو اللسان . وله مما

يكتب على طاق لقبة . يا صانع الله ما احكمته . فلانت بين العالمين

رئيسي . احكمت تاجي يوم صغت رسومه . فضببت فيه بفارق وورق

واقمت في محرابه فكانه . يحكي اناء الماء فيه عروس ٢

وكتب اليه شيخه ابن الجياب بقوله

ايا كتابي اذا ما جيت مالقة . دار المكارم من مثنى ووحدان

فلا تسلم على ربع بذي سلم . بها وسلم على ربع لسلمان

فاجابه ابن الخطيب بقوله

يا ليت شعري هل يقضي تلاقينا . ونشتفي الشوق من غاياته الكا
أو هل يحن على نفسي معذبها . أو هل يرق لقلبي قلبه القاسي

وكتب ببعض الحيطان لما جانسبته .

أقمنا برهة ثم ارتحلنا . كذاك الدهر حال بعد حال .
وكل بداية فإلى انتهاء . وكل إقامة فإلى ارتحال .
ومن سام الزمان دوام أمر . فقد وقف الرجا على المحال .

وقال رحمه الله تعالى ومما قلته من الموشحات التي انفرد بها الأندلسيون واخترعوها وطمس الآن رسمها .

رب ليل ظفرت بالبدر . ونجوم السما لم تدر . حفظ الله ليلها ورعى
أي شمل من الهوى جمعا . غفل الدهر والرقيب معا . ليت نهر النهار لم يجر
حكم الله على الفجر . علل النفس بالخالفي . بحديث أحلى من الضرب
في هوى من وصاله أدب . كلما مر ذكر من يدري . قلت يا برده على صدري
صاح لا تهتم بأمر غد . واخص فيها بأبيض . بين نهر وبلبل غرد
وغصون تميد من سكر . أعلنت بالغمام بالشكر . يا تراه ومنتهى أملي
هاتها عسجدية الحلل . حلت الشمس منزل الحمل . وبنود الربيع في نشر
والصبا عنبرية النشر . غرة الصبح نور وضحت . وقيان الغصون قد صدحت
فكأن الصبا إذ نفحت . وهفا طيبها عن الخضر . مدحه في بني نصر
هم ملوك الدنيا بلا ثنيا . مهدوا الدين زينوا الدنيا . وحمى الله منهم العليا
بالإمام المرفع الخطر . والغمام المبارك القطر . إنما يوسف إمام هدى
حاز في العلو كل مدى . قل الدهر بملكه سعدا . افتخر جملة على الدهر
كافتخار الربيع بالزهر . يا عماد العلا والمجد . أطلع العيد طالع السعد

ووفى

ووفى لفتح فيه بالوعد . وتجلت فيه على القصر . غرة ابن طالع النصر
فتهنا من حسنه البهج . بحياة النفوس والمهج . واسقنيها ودع تقال
قسما بالهوى لذي حجر . ما لليل المشوق من فجر . وقال أيضا

ما لي أهذب نفسي في مطالبها . والنفس تأنف تهذيبي وتشذيبي .
إذا استعنت على دهري بتجربتي . تأبى المقادير تجريبي وتجريبي .

وقال مخاطبا ولده وأمره بحفظه .

إذا ذهبت يمينك لا تضيع . زمانك في البكا على المصيبه .
ويسراك اغتنم فالقوت ترجى . وما تدري أترفقها قريبه .
وما بقربة نوب الليالي . ولكن النجاة هي القريبه .

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان .

أنت للمسلمين خير عماد . وملاذ وأي حصن حريز .
لو رأى ما شرعت للخلق فيه . عمر الفاضل ابن عبد العزيز .
لجزى ملكك المبارك خيرا . وقضى بالشفوف والتبريز .
فاشكر الله ما استطعت بفعل . وبقول مطول أو وجيز .
كل ملك يرى بصحته أهل العالم قد باء بالمحل الغريز .
فإذا ما ظفرت منهم بكسرى . ملأت البلاد من أبرويز .
والبرايا تبيد والملك يفنى . أين كسرى الملوك مع أبرويز .

وقال رحمه الله يخاطب أحد الأشراف الكرام

أعيى اللقاء علي لا لمحبة . في جملة لا تقبل التفصيلا .
فجعلت بابك عن يمينك نائبا . أهديه عند زيارتي تقبيلا .
فإذا وجدتك نلت ما أملته . أو لم أجدك فقد شفيت غليلا .

وقال يخاطب الفقيه الحاجب الخطيب سيدي ابا عبد الله بن مرزوق مضمنا بيت العذار

اما والذي تبلي لديه السراير * ما كنت ارض الخسف لولا الضراير
غدوت لضيم ابن الزبيب فريسة * وما ثار من قومي لنصري ثاير
اذا التمست كفي لديه جرايتي * كاني جان او بقته الجرايس
حبي جاد بالدينار اخضر زايفا * ودارته دارات عليها الدواير
وقد اخرج التعنت كيس مرادي * ورقت لبلواي النفوس الاخاير
تذكرت بيتا في العذار لبعضهم * لد مثل بالحسن في الارض ساير
وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر
وجا لابن مرزوق على ذخيرة * وللشدة العظمى تعد الذخاير
ولو كان بيدي كساد هان لساءه * وانكر ما صارت اليه المصاير

وكان ابن الزبيب هذا من خدام السلطان بن ابي سالم وكانت جراية ابن الخطيب وغيره ممن قدم من اعيان الاندلس على يده فكان لا يوفي حقهم فاشتكى ابن الخطيب به الى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور والى الله ترجع الامور ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى في الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام يمدح ممدوحه ابا عبد الله المخلوع

ما على القلب بعدكم من جناح * ان يرى طايرا بغير جناح
وعلى المشوق ان يشب اذا * هبت بانفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحي والحديث شجون * والليالي تلين بعد الجماح
اترون السلو خامر قلبي * بعدكم لا وفالق الاصباح

ولو اني اعطى اقتراح على الايام * ما كان بعدكم باقتراح
منايتعتني فكم صروف الليالي * واستدارت على دون الوشاح
وسقتني كاس الفراق دهاقا * في اغتباق مواصل واصطباح
واستباحت من جدتي وقاني * حرما لم اخله بالمستباح
يا ترى والنفوس اسرى امان * ما لها عن وثاقها من سراح
هل يستباح الورد بعد زياد * او يتاح اللقاء بعد انتزاح
واذا اعوز الجسوم التلاقي * ناب عنه تفارق الارواح

ولد القصيدة السينية والفريدة البهية التي مدح بها السلطان ابا حمو رحمه الله تعالى وهي قصيدة سارت بها الركبان واقرت بالبلاغة لها علماء البيان وكانه حاكى ابا تمام في قصيدته التي اولها

اقشيب ربعهم اراك دريسا * تقري ضيوفك لوعة ورسيسا

وهي قصيدة نحو المائة والعشرين فلنات منها بما هو كالدر الثمين لنظمها

اطلعن في سدف الفروع شموسا * ضحك الزمان لها وكان عبوسا
وعطفن قضبا للقدود نواعما * بوئن ارواح النعيم غروسا
وعدلن عن جمر السلام تخافة الـ * واشي نجين بلفظه مهموسا
وسفرن من دهش الوداع وقومهن * الى الترحل قد اناخوا العيسا
وخلسن من خلع الجمال اشارة * فتركن كل حجى لها مخلوسا
لم انسها من وحشة والحي قد * زجر الحمول واثر التغليسا
نوقفت وقفة هائم برحاقه * وقفت عليه وحبست تحبيسا
ودعوت عيني عاتبا وعيونها * بعصي النوى قد بجست تبجيسا
نافست باعيني در دموعهم * فرضت درا للدموع نفيسا

ما للحمى يبدو لاحبته موحشا ٭ ولكم تراه آهلا مانوسا
ولسربه نحو الخميلة نافرًا ٭ لحمى يحن به وكان انيسا
ولظله الموروه وغمر قليبه ٭ لا يقتضي وردًا ولا تعريسا
نضبا لمعين وقلص الظل الذ ٭ ظلنا عكوفا عنده وجلوسا
نتواعد الرجعى ونغتنم اللقا ٭ ونديرمن شكوى الغرام كؤوسا
فاذا سالت فلا تسايل مخبرا ٭ واذا سمعت فلا تحس حسيسا
عهدي به والدهر يتحف بالمنا ٭ وقد اقتضت نعماه ان لا بوسا
اترى يعيد الدهر عهدا للصبا ٭ درست معاني الانس فيه دروسا
اوطان اوطار تعوض فقدها ٭ من رونق البشر البهي عبوسا
فيها لا تغني لعل ولا عسى ٭ في مثلها الا لانه عيسى
والدهر في دست القضا مدرس ٭ فاذا قضى يسا نفذ لتدريسا
وسجية الانسان ليس بناصل ٭ من صبغها حتى يريم موسا
يفتر مهما ساعدت آماله ٭ فاذا عراه الخطب كان بوسا
لم تستفزه سوخها النعمى ولا ٭ هلعت اذا كثرت الهها البوسا
قل للزمان اليك عن مترهم ٭ بضمان عز لم يكن ليخيسا
فاذا استجر جلاده فانا الذي ٭ استخشيت من نهر داليقين لبوسا
واذا طغى فرعونه فانا الذي ٭ من صرحه واذاه عذت بموسى
يحمي اي حوحطت ركايبي ٭ لما اختبرت الليث والعريسا
اسد الهياج اذا اقدما سطا ٭ فيخلف الليث الهزبر فريسا
جبل الوقار رسا واثرف واعتلى ٭ وسما فطاطات الجبال روسا
تلقاه يوم الانس روضا ناعمًا ٭ وتراه باسا بالهياج بسيسا

كم غمرة جلى وكم خطب كفي ٭ ان اوطاه الجرد العتاق وطيسا

ومنها في المديح

ما انت الا ذخر دهرك دست في ٭ الصون الحريز مصنا محروسا
لو سا وسته الارض فيك بماحوت ٭ لراك مستاما بهنا بخوسا
من قاس ذاتك بالذوات كانه ٭ جهل الوزان واخطا التقييسا
ومنها من انكر الفضل الذي اوتيته ٭ جحد العيان وانكر المحسوسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذي ٭ تحمي الملائك دوحه المغروسا
اما سياستك التي احكمتها ٭ فرميت بالتقصير ارسطاليسا
لو ان كسرى الفرس ابصر بعضها ٭ ما كان يطمع ان يعد سوسا
لو سار عهده في السنين لما اشتكت ٭ نحسا ولم يك بعضهن كبيسا
ما لابن مامة في الكريم وحاتم ٭ ضرب الزمان بجود هم ناقوسا
من جاء منهم مثل جودك كلما ٭ حسبوا المكارم كسوة او كيسا
انت الذي افتك السفين واهله ٭ اذا وسعت سبل الخلاص طموسا
واعنت ابذ لسا بكل سبيكة ٭ موسومة لا تعرف التدليسا
ان لم تجهزها الخميس قطا لنما ٭ جهزت فيها للنوال خميسا
وملات ايديها وقد كانت على ٭ حكم القضا تشا فرا لتفليسا
صدقت للامال صنعة جابر ٭ وكفيتها التشميع والتشميسا
والحل والتصعيد والتقطير والـ ٭ تخمير والتصويل والتكليسا
نسكبت من آمالها ما لا ومن ٭ اوراقها ورقا وكن طووسا
بهتوا فلما استخبروا لم ينكروا ٭ وزنا ولا لونا ولا ملموسا
تدبير من قلب السطور سبائكا ٭ منها ومن طبع الحروف فلوسا

وجبرت بعد الكسر قومك جاهداً ۔ تغني الفقير وتطلق المحبوسا
ونشرت راية عزهم من بعد ما ۔ ذل الزمان فسامها تنكيسا
احكمت حيلة بن نصر بلطافة ۔ قد اعجزت بالطب جالينوسا
وفللت من حد الزمان وانه ۔ اقضى وامضى من غرار الموسى
ما انت الا فاتح متيقن ۔ بالنجح تعمر مربعا ويبيسا
ومتاجر جعل الاله بكفه صهوة ۔ عربية والمتكي القربوسا
ما ان يبايع او يشاري واثقا ۔ بالربح الا المالك القدوسا
والعزم يفترع النجوم بناوه ۔ مهما اقام على التقى تأسيسا

الى ان قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة

خذها اليك على الهوى مبنية ۔ ترضى الطباق وتشكر التجنيسا
ان طوقت بالدر من جود الطلا ۔ يوما تشكت حظها المركوسا
قصدت سليمان الزمان وقاربت ۔ في الحظو تحسب نفسها بلقيسا

الى ان قال

لو انصفتك ايالة الملك التي ۔ رضت الزمان لها وكان شريسا
قرنت بذكرك والدعا لك والذي ۔ تختاره التسبيح والتقديسا
القلب انت لها رئيس حياتها ۔ لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

وله نثر فايق ونظم رايق ۔ يرقص له الذوق السليم طربا ويقطع عنده ويتبين للناظر انه من فصحاء العرب قال الناظم رحمه الله فكم ابان العدل في ارجايها وبها اقامه كم هنا للتكثير كقول الشاعر كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري ۔ والعدل ضد الجور وهو مامور به

شرعا قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وفي الحديث العدل عز الدين وقوة السلطان وفيه صلاح الخاصة والعامة ولعظيم فضل العدل قال عليه الصلاة والسلام ولدت في زمن الملك العادل مع ان كسرى من عبدة النار لكنه كان من الملوك العادلين حتى قيل لم يكن بعد ازدشير اعدل من انوشروان وسائر الاكاسرة كانوا ظلمة يستعبدون الاحرار وقيل انه لما مات انوشروان كان يطاف بتابوته في جميع مملكته وينادي مناد من له حق فليات فلم يوجد احد له عليه درهم في ولايته قيل العدل حصن وثيق في جبل انيق لا يحطمه سيل ولا يهدمه منجنيق وقيل الملك العادل محروس بعين الله ومكنون بعين الله قيل العدل عمار الارض قال بعض الحكما لا اساس مثل العقل ولا راس مثل العدل ولا سيف مثل الحق ولا عون مثل الصدق قيل لا يكون العمران الا حيث يعدل السلطان يقال خير الملوك من احسن في فعله ونيته وعدل في جنده ورعيته قال ابن المبارك

لولا الخلافة ما قامت لنا سبل ۔ وكان اضعفنا نهبا لاقوانا

قال ادريس عليه السلام من سكن موضعا ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وطبيب عالم وسوق قايم ونهر جار فقد ضيع نفسه وماله واهله وولده سال بزرجمهر حكيما ما صلاح الملك قال الرفق بالرعيه واخذ الحق منها من غير عنف والتودد اليها بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم قال وما شين الملك قال ضغاين يحقدها جراة العامة ويولدها استخفاف الخاصة ويوكدها انبساط

الالسن بضماير القلوب واسعاف موتور وقهر معسر ونقطة مجروم
قال وما نسكنها قال الاستعداد لما يخاف منه وايثار الجد حين
يلتذ بالهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضى وكان
المهدي كثير العدل والولاية خشية من استيلاء الولاة على
الرعيه دخل عليه رجل ومعه نعل فقال هذا نعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقبلها ووضعها على عينيه وامر له بعشرة الاف درهم
فلما انصرف قال والله لم ير هذا النعل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن لو رددته لقال للناس اعطيته نعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فردها فيصدقه اكثر الناس لان العامة
من شانهم نصر الضعيف على القوي وكان اذا جلس للمظالم
يقول ادخلوا على العلماء والقضاة لارد المظالم حياء منهم
وقال بليغ رايت صورة قمرية في صورة عمرية • وقال اخر رايت
صورة نور القمرين وعدل العمرين واول خطبة خطبها عمر رضي
الله عنه ايها الناس انه والله ما منكم احد اقوى عندي من
الضعيف حتى آخذ الحق له واضعف عندي من القوي حتى اخذ
الحق منه وخرج الرشيد الى بعض الرساتيق فتظلمت اليه
امراة من جنده فقال الا تقرئين كتاب الله تعالى ان الملوك اذا
دخلوا قرية افسدوها فقالت يا امير المؤمنين اما قرات فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا قال صدقت وامر باخراج العسكر من
تلك الناحية وحكي ان الامير نوحا لما وضع الخراج على اهل
سمرقند بعث بريدا الى اميرها فاحضر الايمة والمشايخ

واعيان

واعيان البلد وقرا عليهم الكتاب فقال الفقيه ابو منصور الماتريدي
رحمه الله تعالى للبريدي قد اديت رسالة الامير نوح الينا فاردد
اليه الجواب وقل له زد في ظلمك حتى نزيد في الدعاء بلا اثم تفرقوا
فلم تذهب الايام حتى وجدوه قتيلا وفي بطنه زج رمح عليه مكتوب
بغى وللبغي سهام تنتظر • انفذ من سهم المنايا والقدر •
سهام ايدي القانتات في السحر • يرمين عن قوس لها الليل وتر •
هكذا ذكره صاحب بغية المرتاح قال بزرجمهر لا تدع على ظالم
بسبب ظلمه فان ظلمه يكفيك ما تحب ان تنزل به قال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه للاحنف بن قيس من اجهل الناس قال من باع اخرته
بدنياه فقال عمر رضي الله عنه الا انبيك باجهل الناس من هذا
من باع اخرته بدنيا غيره قال مكحول النسفي رضي الله عنه
بئس المظالم يوم الحشر ان ولدي • يوم على الله فيه العرض ميعاد •
ان الخصوم اذا ما عنده اختصموا • فيه الظلوم لدا المظلوم منقاد •
انى المفر اذا قال العزيز غدا • للظالمين واعوان لهم نادوا •
الخصم احدهم والعدل خالقهم • والصحف شاهدهم والنار مرصاد •
وقال غيره كنت الصحيح وكنا منك في سقم • فان مرضت فنحن السايلون غدا •
دعت عليك اكف طالما ظلمت • ولن ترد يد مظلومة ابدا •
والاعبابة هنا بمعنى الاظهار والارجا جمع رجا بالقصر وهي النوا
وكان الوزير ابن الخطيب في الاندلس قد اقام ميزان العدل
بالقسط وما قصر • وسار في العدل في زمانه على نهج الامام
عمر • ولما استبد في الامور ورات حسدته على ذلك خاصة

الناس فطلب الرحلة والانتقال . واختار الغربة عن القبيل والقال
فاشتاق لرؤيته الطلل والدمن . وطلب عوده الدهر والزمن .
فخاطبه بالعود الى الوطن والديار . الخاصة والامراء الكبار . فممن
خاطبه بالعود الى الوطن ابو جعفر بن خاتمة احد بلغا ذلك الزمن
فقال له بعد صدر بلغ من الحسن الغاية . وحاز من الرقة والفصاحة
النهاية والى متى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي واجلالي . متع الله
الوجود بطول بقايكم . وضاعف بالمزدجر ارتقاء بكم . فانه
من الامر الذي لم يغب عن راي العقول . ولا اختلف فيه ارباب
المعقول . انكم بهذه الجزيرة شمس افقها . وتاج مفرقها وواسطة
سلكها . وطراز ملكها . وقلادة نحرها . وفريدة درها . وعقد
جيدها المنصوص . وكمال زينها على العموم والخصوص . ثم انتم
شمس افلاكها . وسر سياسة املاكها . وترجمان بيانها . ولسان
احسانها . وطب مارستانها . والذي عليه عقد ادارتها . وبه
قوام امارتها . فلديه يحل المشكل واليه يلجا في الامر المعضل
فلا عزو ان تتعبد بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان
والافكار . ويزجر عنكم السانح والبارح . ويستنشا ما تصرف عنه العين
وتختلج الجوارح . استقراء لمرامكم . واستطلاعا لطلع اعزامكم
واستكشافا عن مرامي سهامكم . لا سيما مع اقامتكم على جناح
خفوق . وظهوركم في ملتمع بروق . واضطراب الظنون بكم
الغروب والشروق . حتى تستقر بكم الدار وتلقى عصى التسيار
ولها العذر في ذلك اذ حرجها بفراقكم لم يندمل . وسرورها

بلقائكم

بلقائكم لم يكتمل . فلم يهن بعد جناحها المهيض . ولا نجع ما بها
المغيض ولا تميزت من داجيها لياليها البيض . ولا استوى
نفارها ولا تالقت انوارها . ولا اشتملت نعماؤها . ونسبت
نجاوها . بل هي كالناقه والحديث العهد بالمكاره . تستشعر نفس
العافية . وتمتنح منكم باليد الشافية فيحنا بكم عليها . وعظم
حرمتكم لديها . لا تشوبوا لها عذب المجاج بالاجاج . وتقطعوها
عما عودت من طيب المزاج . فما الدايها وحياة قربكم غير طبكم من علاج
ليخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جنابكم
صانه الله بهذا الوطن من الجفا . ثم اذكر ما لكم من حسن العهد
وكرم الوفا . وان الوطن احدى الحواضن الاظئار التي يحق لها
جميل الاختفار . ما يتعلق بكم من حرمته اولياء القرابة واوداء
الصفاء والاصابة . فيغلب على ظني انكم بحسن العهد اجنح .
ونحو نفسكم على حق اوليائكم اسمح وللتي هي اعظم قيمة في هذا بكم
ارهب وانجح . وهب ان الدر لا يحتاج في الاثبات الى شهادة النحور
واللبات . والياقوت غني المكان عن مظاهرة القلايد والتيجان
والشمس انه اعلى للعيان . وابعد عن مكابرة البرهان . تالقها في تاج
الملك انوشروان . فالشمس وان كانت ام الانوار . وجلاء الابصار
فحسن اعمى مكانها من الافق قبل الزهو ام نهار . وكما في علمكم ما فارق
ذووا الارحام واولوا الاحلام . مواطن استقرارهم واماكن
قرارهم . الا برغمهم واطرارهم واستبدال دار خير من دارهم .
ومتى توازن الاندلس بالمغرب او يعوض عنها الا بمكة او يثرب

ما تحت اديمها اولياء وعباد • وما فوقها مرابط جهاد ومعاقد
الوية في سبيل الله ومحاريب اوتاد • ثم يسوي ولده مسوا اجياد
واجداده ويجمع لهم بين طارفه وتلاده اعيذ انظاركم
المسددة من راي هايل وسعي طويل لم يحل منه بطايل فحسبكم من
هذا الاياب السعيد والعود الحميد • وهي طويلة اقتصرنا منها
على هذه الفقر التي كل واحدة من خيار الدرر • فاجابه ابن الخطيب
بقوله • لم في الهوى العذري او لا تلم • فالعذل لا يدخل اسماعي •
شانك تعنيفي وشاني الهوى • كل امرئ في شانه ساعي •
اهلا بتحفة القادم • وريحانة النادم • وذكرى الهوى المتقادم
لا يصغر الله مسراك بما اسراك • لقد جليت لي من هومي ليلا •
وحبست رجلا وخيلا • ووفيت من صاع الوفا كيلا • وظننت
بي الاسف على ما فات • فاعملت الالتفات لكيلا • فاقسم لو ان
امري اليوم بيدي • او كانت اللمة السودا من عددي • ما افلت
شراكي المنصوبة لامثالك • حول المياه وبين المسالك • ولا
علمت ما هنالك • لكنك طوقت جيدي لعسة الغارة الشعوى •
وغيرت ربعه الاثوى • فخمد بعد ارتجاجه • وتلاعبت الرياح من
الهوج فوق فجاجه • وطال عهده بالزمن الاول • وهل عند رسم
دارس من معول • وحيا الله ندبا الى زيارتي ندبك وبادابه
الحكمية ادبك فكاني وقد افادتك الايام كما اهدى الشفا الى
العليل وهي شيمة بورك من شيمه • وهبه الله قبله من لدن المشيمه
ومن مثله في صلة رعي • وفضل سعي • وقول دعي قسما بالكواكب

الزهر والزهر عاتمه • انما الفضل ملة ختمت باين خاتمه •
كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل • ونظرني بالعين
الكليلة عن العيب فهلا اجاد التامل • هذا وقد صارت الصغرى
التي كانت كبرى • لمشيب لم يرع ان هجم لما تجم • ثم تهلل عارضه واسجم
لا تجمعي هجرا علي وغربة • فالهجر في تلف الغريب سريع •
نظرت فاذا الجسم ناب • والنفس فريسة ظفر وناب • والمال
اكيلة انتهاب • والعمر رهين الذهاب • واليد صفر من كل
اكتساب • وسوف المعاد ترابيه والله سريع الحساب •
ولو نعطي الخيار لما افترقنا • ولكن لا خيار مع الزمان •
وهب ان العمر جديد • وظل الامن مديد • وراي الاغتباط بالوطن
سديد • فالمحبة لنفسي اذا مرت بمطارح جفوتها • وملاعب
هفوتها • ومثاقب قناتها • ومظاهر غزاتها ومناتها • والزمان
ولود • وزناد الكون غير صلود •
واذا امرؤ لدغته افعى مرة • تركته حين يجر حبلا يفرق •
ثم ان المرغب قد ذهب • والدهر قد استرجع ما وهب • والعارض
قد اشتهب • واراء الاكتساب مرجومة مرفوضة • واسماؤها على
الجوار مخفوضة • والنية مع الله على الزهد فيما بايدي الناس معقوده
والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده • والمعاملة تامر بها ودروع
الصبر سابريه • والاقتصاد قد قرت العين بصحبته • والله قد
عوض حب الدنيا بمحبته • فاذا راجعها شلى بعد الفراق • وقد
لدغتنا الفراق • وجمعتني بها الهجرة • والذي تكون الاجرة

جل شاني، وان رضي الموافق وسخط الشاني، اني الي الله مهاجر
والي الغرض الادني هاجر، ولاظعان السري زاجر لمنجد ان شا
الله وحاجر، لكن دعاني للهرب الي هذا الموطن المنعم هدي ه
خلعت نعل الوجود وما خلعته، وشوق امرني قاطعته، وغالب
والله صبري فما استطعته، والحال اغلب وعسي ان لا يخيب المطلب
فان يسره رضاه فامر كمل، وراجل احتمل، وان كان بخلاف ذلك
فالزمان جم العوائق، والتسليم بمقامي لائق

ما بين غمضة عين وانتباهتها، يصرف الامر من حال الي حال

واما تفضيل هذا الوطن علي غيره، ليمن طيره وعموم بركته وخيره
وبركة جهاده، وعمران رباه ووهاده، بامتلاء عباده وزهاده
حتي لا يفضله الا احدي الحرمين، فحق بريء من المين، لكنني
للحرمين جنحت، وفي جو الشوق اليها سبحت فقد اقتضت الي
طريق قصدي محجته، ونصرتني والمنة لله حجته، والامال
بفضل الله بعد تمتار، والله يخلق ما يشاء ويختار، ودعاوه
بظهر الغيب مدد، وعدة وعدد، وبره حالي الظعن والاقامة
معتقد معتمد، ومجال المعرفة بفضله لا يحصره احد، هذا ما
كتبه ابن [illegible] الخطيب من الفقر التي يتضوع عرفها في
اندية الادب كالطيب، وما احسن قول بعضهم في مدح بعض الوزرا

وزير كله كرم وسعد، باخذ المال منه واقتباسه
يجاري البحر في كرم وجود، ويحكي باسلا في وقت باسه

قال رحمه الله ولكم اجار عدا وكم اجرى ندا اولى انعامه

قدوصف

قد وصف الناظم ابن الخطيب بكثرة اجارة العدو من عدوه
وكثرة الكرم وهذا مما يدل علي حسن مروة الممدوح فان من كمال
المروة المبادرة الي مكارم الاخلاق واجارة العدو ومحملة لان
يجيره حتي من نفسه بان كان له عدو وقدر عليه وعفي عنه وهذا
هو الفتوة لان العفو لا يكون الا بعد المقدرة ويحتمل انه اجاره من غيره
وكلاهما من مكارم الاخلاق قيل اتي برجل لعمر بن عبد العزيز
فقال لولا اني غضبان لعاقبتك وكان اذا اراد عقاب رجل حبسه
ثلاثة ايام مخافة التعجيل في اول الغضب، قال بعض الحكما اياك
وعزة الغضب فانها تصيرك الي ذلة الافتقار والاعتذار ه
وقال علي كرم الله وجهه حلم المرء عونه وحدته تهلكه، وقال سوء
الخلق وحشة لا خلاص منها، وقال اردشير بن بابك لا استعمل
السيف لمن عصي حيثما تكفي العصي، وما اتصدى للعدو بالوصول ه
والنصل اذا كان يؤثر فيهم القول الفصل قيل للمامون اي شي
وجدته من الامور احلي قال العفو بعد المقدرة وقال لو علم الناس
ما يجدي من لذة العفو لتقربوا الينا بالجنايات، شكي اليه جنايا
بعض خدامه فقال لو انا ضربنا كل عبد ساء خلقه لا يبقي لهم خلق
سيئ ولا لنا خلق حسن و يقال خير الناس من فك كفه وكف فكه
وشر الناس من كف كفه وفك فكه، وقيل غضب الكريم وان تاجج
نار كدخان عود ليس فيه شرار، والندي كناية عن كثرة الكرم
والانسجام الجريان بسرعة، والمراد به هنا توالي الكرم وتتابعه
والسخا محمود والبخل مذموم فقد قال عليه الصلاة والسلام خصلتان

لا يكونان في المؤمن البخل وسوء الخلق وفي الحديث شر الناس من
اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده وحكي أن ذا القرنين
قال لاستاذه ارسطاطاليس انصح لي قال ملكت البلاد في الترك
فاملك القلوب بالاحسان ولبعضهم

احسن الي الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

ويقال البخيل لا يسعد بالشهادة لان الشهادة في الحقيقة بذل
الروح لاجل رضي الله تعالي ومن يكن بخيلا في بذل خيره لله تعالي
فكيف يجود بروحه حتي ينال الشهادة ولبعضهم

لكل هم من الهموم سعة * والبخل في المرء لا فلاح معه
قد يجمع المال غير آكله * وياكل المال غير من جمعه
انفق من الدهر ما اتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

وقال

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الغني * حتي تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة * بعد بغضته حبيبا
تنفي السخينة من ذوي الشحنا وتمحو الذنوبا

وقال

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
اذا قلت لا في كل شيء سئلته * فليس الي حسن الثناء سبيل

ومما يدل علي كرمه ومروته ما مدحه به احد الوزراء الكرام وكان
تلميذا له فقال

لك الله من فرد الجلالة اوحد * تطاول عن الامثال في الطول والاكرام
لك العلم الاعلي الذي طال فخره * علي المرهفات البيض والاسل السمر
فقلد اجياد الطروس تمائما * بصنعة لسان من نظام ومن نثر
تهيبك القرطاس فاحمر اذ غدا * يقبل بحورا من انامل العشر
كان بياض الطرس خد مورد * يطرزه وشي العذار من الحبر

بشارة

بشارة هذا الملك رايقة الحلي * بالوية حمر وبالصحف الحمر
ويا روضة غنا عاهدها الحيا * تحرك موشي الربيع يد القطر
تغني قيان الطير في جنباتها * ويرقص غصن البان في حلل خضر
ثمة لاكواس العذار انامل * من السوسن الغض المختم بالتبر
ويجري ورد الخد صارم نهرها * ويمنح ثغر النور بالذابل النضر
يفاخر بها السما محاسنا * فتزري بنجوم الزهر منها علي الزهر
اذا مسحت كف الصبا جفن نورها * تنفس ثغر النهر عن منبر السحر
باعطر من رياتنا الذي في السري * وابهر حسنا من ثنا بلك الغر
عجبت له يحكي خلال خميلة * وتفرق منه الاسد في الموقف الذعر
اذا ضرمتمن باسها الحرب جاحما * تاجج منها العضب في لجة البحر
وان كلح الابطال في حومة الوغا * ترقرق ماء البشر في صفحة البدر
لك الحسب الوضاح والسودد الذي * يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرفا فوق انت بدر كماله * فمن ناطق تختال تيها علي مصر
تكلل تاج الملك منا محاسنا * وفاخرت الاملاك فيك بنو نصر
بعزمة مضمون السعادة واحد * ومحمود وضاح المكارم والفخر
طوي الحيف منشورا للوا موايدا * فمن حمي الاسلام بالطي والنشر
وبعد ظلال العدل ان قصد العدا * فيبكي سنا الملك بالمد والقصر
اذا احتفل الايوان يوم مشورة * وتضطرب الآراء من كل ذي حجر
صدعت بفصل القول غير منازع * واطلعت آراء انفس من الفجر
فلا زالت للعليا تحمي زمامها * وتسحب اذيال الفخار علي النسر
وللعالم فخر الدين والفتك بالعدا * بدأت به يا ابن الخطيب علي الفخر

جبرتَ مهيضًا من جناحي وريشه   وسهلت لي من جانب الزمن الوعر
وبوأتني من ذروة العز معتلي   وشرفتني من حيث ادري ولا ادري
فدهري عيد بالسرور وبالمنا   وكل الليالي العمر لي ليلة القدر
فاصبحت مغبوطا على خير نعمة   يقل بادناها الكثير من الشكر

وكم في البيت هي الخبرية لا الاستفهامية وقد تقدم لنا فيها كلام وهما يشتركان في انهما اسمان وانهما مبنيان وانهما يفتقران الى انهما للزمان للتصدر وانهما اسمان لعدد وانهما لا يتقدم عليهما عامل لفظي الا المضاف وحرف الجر ويفترقان في عشرة وبها صرح المهلبي فقال

الفرق في كم في الاستفهام والخبر   من عشرة استوضحت كالانجم الزهر
نصب لمميز مع افراده ابدًا   وحذفه تارة والفصل في نظر
وتقتضيك جوابا في السوال بها   وبدلا تقتضيك الحرف في الاثر
وليس من ضمنها التكثير ثم لا   عطف عليها بلا في سائر الزبر
ولا تضاف الى ما بعدها شبهًا   وقد تقري بعدها الا بمستطر
وكل هذا في الاستفهام بحكمه   وضده في كم الاخرى على الخبر

وقوله اجار عدا قال في القاموس اجاره انقذه واعاذه والجار والذي اجرته من ان يظلم والجير والمستجير والحليف والناصر وجمع الجار جيران وجيرة واجوار والجوار بالفتح كسحاب الماء الكثير القعر وبالكسر ان تعطي الرجل ذمة فيكون بها جارك فتجيره وجاوره مجاورة وجوارا وقد يكسر صار جاره والمجاورة الاعتكاف في المسجد وجار واستجار طلب ان يجار انتهى وما احسن قول القائل

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث كانا

وفي المثل جار ابي داود قيل كان كعب بن مامه اذا جاوره احد قام له ولعياله بالمؤنة وحماه فجاوره ابو دواد الايادي الشاعر المشهور ففعل به ذلك وزاده من بره فصارت العرب اذا حمدت جارا قالوا جار ابي دواد قال زهير

اطوف ما اطوف ثم اوي   الى بيت قعيدته لكاع
جارة كجار ابي دواد

ولم تزل العرب تفتخر بحماية الجار وصيانته من ان عليه يجار حتى ان سبب حرب البسوس خفارة ذمة الجار وحشمة المذمة والعار والبسوس كانت امراة في بيت منقذ اليتيمة زارت اختها ام جساس بن مرة ومع البسوس جار لها من جرم يسمى سعد بن شمس ومعه ناقة له كوما فاكلت من زرع كليب بن وائل فلما راها في مرعى كان حماه ضربها بالسيف فاقبلت الناقة الى صاحبها ترغو وضرعها يشخب لبنا ودما فانطلق الى البسوس واخبرها فقالت وا ذلاه وقالت

لعمرك لو اصبحت في دار منقذ   لما ضيم سعد وهو جار لابياتي
ولكنني اصبحت في دار غربة   بليلا بها تعدو الذئاب على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك واحتمل   فانك في قوم عن الجار اموات

فسمعها ابن اختها جساس فقال لا تقلق بنا فمجارك كريما من الفحول وعنى بها كليبا ثم صبر حتى صادف غرة من كليب وطعنه برمح فمات ووقعت الحرب بين تغلبة وبكر ودامت اربعين عاما وصارت مثلا فقيل حرب البسوس وانما نسب الحرب اليها لكونها سببه والعدا كالى المتباعدون والغربا كالاعدا وقوله وكم

اجري نداء قال في القاموس جري الماء ونحوه جريًا وجريانا واجراه
جاراه وقال وجرى ارسل وكيلا وقال في المختار جرى وغيره من باب
رمى جريانا وما اشد جريه وبذلك يعلم انه اذا استعمل متعديا
انما يستعمل متعديا بالتضعيف لا بالهمزة كما قال الناظم لان يعني
اجراه علي ما رايت جاراه او ارسل وكيلا وكل منهما لا يليق هنا استعماله
والندا الفضل والثرا قال في القاموس تندي تسخي وافضل كاندى
فهو ندي الكف والندا الثرا انتهي قال الشاعر في مدح يحيي ابن
خالد البرمكي

سالت الندا هل انت حر فقال لا ٭ ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة ٭ توارثني عن والد بعد والد

فقد استعمل الشاعر هنا الندا بمعني السخا والكرم وتقدم لنا
ما قيل في كرم يحيي في مكانه وما احسن قول بعضهم

اذا ما جاد بالاموال تتي ٭ ولم تلحقه في الجود الندامه
وان هجست خواطره بجمع ٭ لريب حوادث قال الندامه

وقوله والي اي تابع قال في القاموس والي بين الامرين موالاة وولاء
تابع والانسجام قطر الشي وسيلانه قليلا او كثيرا قال في القاموس
سجم الدمع سجوما وسجاما وسجمت العين والسحابة الماء تسجمه سجما
وسجوما وسجاما قطر دمعها وسال قليلا او كثيرا ولا يخفي ما في
قول الناظم رحمه الله تعالى كم اجرى ندا والي انسجامه من الايهام الحسن

قال رحمه الله ٭ راعت صروف الدهر دولته ٭ وما راعت ذمامه

راعت اي افزعت قال في المختار الروع بالفتح الفزع والروعة الفزعة

والروع

والروع بالضم القلب والعقل يقال وقع ذلك في روعي اي في خلدي
وقلبي وفي الحديث ان الروح الامين نفث في روعي وراعه من باب
قال وارتاعه اي افزعه ففزع وروعه ترويعا وقولهم لا ترع اي لا تخف
وراعه الشي اعجبه بابه قال والاروع من الرجال الذي يعجبك حسنه
وصروف الدهر جمع صرف اي حدثانه ونوايبه والليل والنهار
وله عليه صرف شرف وفضل والصرفة منزلة للقمر نجم واحد نير
سمي به لانصراف البرد بطلوعها وناب الدهر الذي يفتر وصرفه
بصرفه ورده والصريف الفضة الخالصة وصرير الباب وناب
البعير واللبن ساعة حلب والصرفان محركة الموت والنحاس والرصاص
والاجر ابو العبيد والصرف بالكسر صبغ احمر والخالص من الخمر وغيرها
والصيرفي المختال في الامور كالصيرف وصراف الدراهم وجمعه صيارفة
والهاء للنسبة وتصريف الايادي تبيينها وفي الدراهم والبياعات
انفاقها وفي الكلام اشتقاق بعضه من بعض وفي الرياح تحويلها
من وجه الي وجه وفي الخمر شربها صرفا وصرفته في الامر تصريفا
قلبته فتقلب وانصرف انكف واصطرف تصرف في طلب الكسب
كذا في القاموس والدهر الزمان الطويل والامد الممدود والف سنة
وتفتح الها وجمعه ادهر ودهور والنازلة والهمة والغاية والغلبة
وتدهور الليل ادبر والدهوري الرجل الصلب والدهري بالضم
نسبة اليها علي غير قياس والرجل المسن وانه لداهرة الطول
طويله ولا اتيه دهر الداهرين ابدا وقد يعد الدهر في الاسما
الحسنى كذا في القاموس والدولة انقلاب الزمان والعقدة

في المال ويضم وقيل الضم فيه والفتح في الحرب او هما سواء او الضم
في الاخرة والفتح في الدنيا جمع دول مثلثة وقد اداله وتداولوه
اخذوه بالدول وكهمزة اخذوهم بالداهية والدويل كامير النبت
اليابس العامي اذا اتى عليه سنتان والدئل بالكسر حي من عبد القيس
ودال بطنه استرخا والادالة الغلبة ودالت الايام دارت والله
يداولها بين الناس والدول لغة في الدلو وانقلاب الدهر من
حال الى حال كذا في القاموس وقوله وما راعت هي من المراعاة
لا من الروع ففيه الجناس بين راعت وراعت فان الاول من الروع
والثاني من المراعاة قال في المختار رعاه لاحظه من مراعاة
الحقوق والذمام الحق والحرمه وجمعه اذمه والذمة بالكسر العهد
والكفالة كالذمامة واذم له عليه اخذ له الذمة وفلانا اجاره
وقد ذم انفه وزنا اذا سال والذم بالكسر الهزال المفرط والهالك
وذم قل عطيته وذمه ذما ومذمة فهو ذميم ومذموم وذم
ويكسر ضد مدحه وتذاموا ذم بعضهم بعضا وقضى مذمته بكسر
الذال احسن اليه والذموم العيوب واخذتني منه مذمة
وتكسر ذاله اي رقة وعار من ترك واذهب مذمتهم بشي اعطهم
شيئا فان لهم ذماما او البخل مذمة بالفتح وتذمم استنكف
يقال لو لم اترك الكذب تاثما لتركته تذمما كذا في القاموس
والمعنى ان ابن الخطيب على عظم قدره وعلو مقامه واحسانه الى
بني الزمان ومع ذلك عادته صروف الدهر والايام وروعت
دولته ولم ترع عهده وذمامه قال الناظم رحمه الله تعالى

بي ثوى اثر النوي في حضرة نثرت عظامه حكى
غير واحد انه روئي رحمه الله في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال
غفر لي بسبب بيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له اغلاق
اروم مخلوق ثناءك بعدما * اثنى على علياك الخلاق

وقد خمس هذين البيتين ابو عبد الله نجاية الغساني المكناسي فقال

ياسايرا لضريح خير العالم * يبهي اليه مقام صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له اغلاق
ثناك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبى ومعظما ومكرما * اروم مخلوق ثناءك بعدما
اثنى على علياك الخلاق

وقد كتب رحمه الله تعالى وصية لاولاده وهم ثلاثة عبد الله
ومحمد وعلي وكلهم جمايده اخيار ظهر فضلهم ظهور الشمس رابعة
النهار فقال من وصيته الحمد لله الذي لا يروعه الحمام المرقوب
اذا شيم نجمه المثقوب ولا يبعثه الاجل المكتوب ولا يفجأوه
الفراق المعتوب ملهم الهدى الذي تطمئن به القلوب وموضح
السبيل المطلوب وجاعل النصيحة الصريحة في قسم الوجوب
لاسيما للولد المحبوب والولد المنسوب القائل في كتابه المعجز الاسلوب
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
والصلاة على سيدنا محمد اكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب

واشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون
ولا تقصمه العيوب • والرضى عن آله واصحابه المثابرين على سبل
الاستقامة بالهوى المغلوب والامل المسلوب • وبعد فاني
لما علاني الشيب بقمته • وقادني الكبر في ربقته • وادبرت
الشباب بعد امته • اسفت على ما اصفت • وندمت بعد الفطام
على ما فرطت ورضعت • وتاكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه
وتعلق بسببي سعيه • واملت ان تتعدى الي ثمرات استقامته
وانا رهين فوات • وفي برزخ اموات • ولباس العثور في الطريق
التي اقتضت عثاري • ان سلك وعسى ان لا يكون ذلك على آثاري
فقلت اخاطب الثلاثة الولد وثمرات الخلد • بعد الضراعة
الى الله تعالى في توفيقهم وايضاح طرقهم • وجمع تفرقهم
وان يمن علي فيهم بحسن الخلف • والتلافي من قبل التلف • وان
يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف • فهو ولي ذلك والهادي
الى خير المسالك • اعلموا هداكم الله من بانواره تهتدي الضلال
وبرضاه ترفع الاغلال • وبالتماس قربه يحصل الكمال • اذا ذهب
المال • واخلقت الآمال • وتبرات من يمينها الشمال • اني مودعكم
وان سالمني الردى • ومفارقكم وان طال المدى • فكيف وادوات
السفر تجمع • ومنادي الرحيل يسمع • ولا اقل للحبيب المودع
من وصية تختص • وعجالة تقتنص • وتميمة تعقد في خنصر
ونصيحة تكون مرشدة واعظ مبصر • تتكفل لكم بحسن العواقب
بعدي • وتوضح لكم في الشفقة والحنو قصدي • حسبما تضمن

وعد الله

وعد الله من قبل وعدي • فهي ارثكم الذي لا يتغير وقفه •
ولا ينالكم المكروه ما رق عليكم شفقه • وكاني بشبابكم وقد
شاخ وبرحالكم قد اناخ • وبنشاطكم قد كسل واستبدلت
الصاب • ونصول الغيب توع باسل • لا بل من كل حدب قد
نسل والمعاد والمجد ولا تسل • فيالاسى كنتم فراخ حجر واليوم
ابناء عسكر مجر • وغدا شيوخ مضيعة وهجر • والعيون فاغرة
والنفوس عن المالوف صاغرة • والدنيا باهلها ساخرة والاولى
تعقبها اخرة • والحازم من لم يتعظ به في امر • وقال بيدي
لا بيد عمرو • فافهموها من وصية • ومرام في النصح قصية
وخصوا بها اولادكم اذا عقلوا • ليجدوا زادها اذا انتقلوا
وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا • ولكن ليبلوكم
ايكم احسن عملا • وليس يعاقل من رضي الدنيا منزلا • ولا
فطن من اصبح عن فيئه الخير منعزلا • ولتلقنوا تلقينا وتعلموا
علما يقينا • انكم لم تجدوا بعد ان انفرد بذنبي • وتفترش
التراب جنبي • ويسح انسكابي • وتهرول عن المصلي ركابي
احرص مني على سعادة اليكم تجلب • او غاية كمال بسببكم ترتاد
وتطلب • حتى لا يكون في الدين والدنيا اورق منكم ظلا •
ولا اشرف محلا • ولا اخط نهلا وعلا • واقل ما يوجب ذلك
عليكم • ان تصغوا الى قولي الآذان • وتسلموا اصح نصحي فقد
بان • وساعيد عليكم وصية لقمان واذ قال لقمان لابنه الآية
الخ واعيد وصية ابن خليل الله واسرائيله • حسبما تضمنه محكم

تنزيله • يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
والدين الذي ارتضاه واصطفاه والمكروه وقاه وقرر مصطفاه
من قبل ان يتوفاه • اذا عمل فيه اعتقاد • فهو عمل واعتقاد وكلاهما
مقرر • ومستمد من عقل ونقل محرر • والعقل متقدم • وبناؤه مع
رفض اخيه متهدم • الى ان قال وصونوا شعائر الله صون المحترم
واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الاسلام حتى لا ينخرم • الله الله
في الصلوة هي ذريعة النحله • وخاصة الملة • وحاقنة الدم •
وفتنى المستاجر المستخدم • وام العبادة • وحافظة اسم المراقبة
لعالم الغيب والشهادة • والناهية عن الفحشا والمنكر والوسيلة
الى بر الجوانح بيرور الذكر • وايصال تحفة الله الى مرهن لمناكر
والمحافظة على حسن المعاشرة مع الجار • والفرار من عشرة الفجار
الى ان قال واياكم والعلوم القديمة والفنون المهجورة الذميمة
فاكثرها لا يفيد الا تشكيكا • وراْيا ركيكا • ولا يثمر في العاجلة الا
اقتحام العيون • وتطرق الظنون • وتطويل الاحتقار وسمت
الصغار • والخسف من بعد الابرار • وجادة الشريعة اعرق في الا
واشفق من قطع العمر في الجدال • هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه
وملتمس الرشد ومؤتيه • عادت عليه بالسخط الشنيعه • وهو امام
الطريقة والشريعة • وامروا بالمعروف امرا رفيقا • وانهوا عن المنكر
نهيا حريا بالاعتدال حقيقا • واغبطوا من كان من خشنة الفقال
طليقا • واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا واطيعوا
امر من ولاه الله امركم من امور كم امرا • ولا تقربوا من الفتنة جمرا • ولا تدخلوا

في الخلاق زيدا ولا عمروا • وعليكم بالصدق فهو شعار المومنين •
واهم الامور يقينا • واكرم منسوب الى مذهبه • ومن اكثر من شيء عرف به
واياكم والكذب فهو العورة التي لا تواري • والسوءة التي لا يرتاب
في عارها ولا يتماري • واقل عقوبات الكذاب • بعد ما اعده الله له
من العذاب • ان لا يقبل صدقه اذا صدق • ولا يعول عليه وان كان
بالحق قد نطق • وعليكم بالامانة فالخيانة لوم • وهي في وجه الديانة
كلوم • ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها اداء الامانات الى اهلها
والله الله ان تعينوا في سفك الدماء بالاشارة والكلام • او ما يرجع الى
وظيفة الاقلام • واعلموا ان الانسان في فسحة ممدوده • وسبيل الله
اليه غير منسده • ما لم ينبذ الى الله امانه • او يغمس بالدم الحرام
يده او لسانه • قال تعالى في كتابه الذي هدي به سننا قويما • وجلى به
من الضلال ليلا بهيما • ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا
فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما • واجتناب الزنا
وما تعلق به من اخلاق من كرمت طباعه • وامتد في سبيل السعادة باعه
فالحلال لم تضق عن الشهوات انواعه • ولا عدم في الحقيقة اقناعه
ومن غلبت عليه عزائز جهله • فلينظر هل يحب ان يزني باهله •
والله قد اعد للزاني عذابا نكالا • وقال ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة ومقتا وساء سبيلا • وقد تركها في الجاهلية اقوام وحرمتها
على نفسها قبل نزول تحريمها باعوام • لم يرضوا لعقولهم بالفساد •
ولا لنفوسهم بمضرة الاجساد • والله قد جعلها حجرا محرما على العباد
ولا تقربوا الربا فانه من مناهي الدين والله يقول وذروا ما بقي من

الخمر ام الكبائر ومفتاح الخبائث ...

الربا ان كنتم مومنين • ولا تاكلوا مال احد بغير حق بيجه • وارعوا
الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه • واياكم والظلم فان الظالم ممقوت
بكل لسان • مجاهر لربه بصريح العصيان • والنميمة فساد وشتات •
وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات • واطرحوا الحسد فما سا د حسود
واياكم والغيبة فباب الخير بها مسدود • والبخل فما روي لبخيل
الا وهو مردود • واياكم وما يعتذر منه • فمواقف الخزي لا استقال
ثمراتها • ومظنات الفضايح لا تومن غراتها • ولحذروا القواطع
عن السعادة كما تحذر السموم • واعلموا ان الخير والشر في الدنيا محال
ان يدوم • ولا تستظلموا لحوادث الايام اذا نزلت • ولا تضجوا
للامراض اذا أعضلت • فكل منقرض حقير • وكل منتقض وان طال
فقصير • ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة • ولا تتهارشوا تهارش
الجيفة • واعلموا ان المعروف يكمه بالامتنان • وطاعة النساء اشر
ما افسد بين الاخوان • فاذا اسديتم معروفا فلا تذكروه • واذا رايتم
قبيحا فبكمال المروءة استروه • واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال
في الطلب احق واولى • واياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا •
واستطهارا على الحظوظ واغلابا • فذلك ضرر بالمروات • والاقدار
داع الى الفضيحة والعار • ومن امتحن بها منكم اختيارا • او اجبر عليها
اكراها واختيارا • فليتق وطايفها بسعة صدره • ويبذل من الخير فيها
ما يشهد ان قدرها دون قدره • فالولاية فتنة • ونعما وشر محنة
وهي بين احظا سعاده • واخلال بحق وعاده • وتوقع عزل • وبيع جد
بهزل • ومزلة قدم • واستتباع ندم • ومآل الكل موت ومعاد •

واقتراب من الله وابتعاد • جعلكم الله ممن نفعه التبصير والتنبيه
وممن لا ينقطع بسببه عمل ابيه قوله ثوي اي اقام قال في المختار ثوى
في المكان يثوي بالكسر ثواء وثويا ايضا وثوى يوزن نضى اي اقام به
ويقال ثوى البصرة وثوى بالبصرة واثوى بالمكان لغة في ثوى
واثوى غيره يتعدي ويلزم وثوى غيره ايضا تثوية قوله اش
لنوى الاثر بكسر الهمزة قال في المختار خرج في اثره اي اثره والنوا
هو البعد كما تقدم والحفرة المراد بها القبر وتقدم الكلام عليه قوله
نثرت يقال نثره من باب نصر فانتثر والنثار بالضم ما تناثر من
الشيء وهو نثر ما في الانف بالنفس وفي الحديث اذا استنشقت
فانثر والعظام واحده عظم والمعنى ان الوزير المذكور كان من
ترويع صروف الدهر والليالي له بما تقدم في قصته من المحن التي
قاساها الى ان نزل في حفرته وتبددت عظامه وهكذا الايام
لا يصفو شربها لاحد الا واعقبته بالتكدير والنكد • فالعاقل
من بعواقبها تفكر وبمن مضى اتعظ واعتبر قال الناظم رحمه الله
من زارها في ارض فاس اذ هبت شجوا غرامه اي من زار
تلك الحفرة التي ضمت عظام ممدوحه وتلك الحفرة كاينة في ارض
فاس من بلاد المغرب • وهي مدينة وتمدنة كبيرة يشقها نهر كبير يتفرع من
صنهاجة • وعليه ارحية كثيرة احدهما ماؤها قليل والاخرى ذات
مياه كثيرة تجري في كل شارع منها وزقاق وسوق وحمام ودار وفي
كل زقاق ساقية متى اراد اهل الزقاق ان يجروها اجروها وان
ارادوا قطعها قطعوها وقوله شجوا قال في المختار الشجو الهم والحزن

وقد شجاه حزنه وبابه عدا ورجل شجي اي حزين وامراة شجية
على فعيلة انتهى وقال في القاموس شجا حزنه وطربه كاشجا
فهما ضد واشجاه قهره وغلبه واوقعه في الحزن والشجو الحاجة
انتهى وقوله غرامه قال في القاموس الغرام الولوع والشر الدائم
والهلاك والعذاب والمغرم كمكرم اسير الحب والمولع بالشيء والمعنى
انه من زار قبر الوزير في ارض فاس ورأى ما آل اليه وحال الوزير
بعد تلك الدولة والسيادة حصل له حزن عليه بحيث انه ينسيه
حبه والمراد محبوبته مع ان المحب لا ينسى محبوبته لكن هذا الأمر
من فظاعته يحصل به عبرة لرائيه وعظة وتذكرة للواقف على
ثرى ضم ذلك الحبر فيه بحيث انه يحصل له الحزن والذهول حزنا
ينسيه محبوبته بحيث انه لا يدري ما يقول مَوْعِظَةٌ قيل ان اسكندر
لما ملك العباد وجاب سائر اقطار البلاد مر ببابل فاخبر عن غار
هناك وبه اثار عظيمه فاذا عليه مكتوب بالسريانية يا من
نال المنى وامن العنا ووصل الى هنا اقرا وافتكر وادخل الغار
واعتبر واعلم اني ملكت البلاد والعباد وما نلت من الدنيا
المراد فدخل اسكندر الغار واسبل الدموع الغزار فوجد شخصا
عظيم الهامه طويل القامة على سرير من الذهب ملقى وقد ترك
جميع ما ملكه والقى ويده اليمنى مقبوضه والاخرى مفتوحة
ومفاتيح خزائنه تحت راسه مطروحه وعلى يمينه لوح مكتوب
فيه جمعنا المال وامسكناه وعلى شمال راسه لوح مكتوب فيه
لقد عمرت في زمن سعيد • وكنت من الحوادث في امان •

وقارنت

وقارنت الثريا في علو • وصرت على النسر كان لي
فقال الاسكندر سبحان الذي لا زوال لملكه ووقع في قلب الاسكندر
الوجل والوله وترك كل ما كان عليه وتخلى للعبادة وفرق الدخا بر
والخزائن وتصدق بما في الحصون والمدائن وشمر ساعده للعبادة
واخذه على ما فرط الندم وقام لعبادة مولاه على اثبت قدم
وقال اعزل نفسي قبل العزل واحاسبها قبل حساب يوم الفصل
ولبس الخشون والمسوح رغبة في الملك الابدي والثواب الممنوح
وجرح نفسه بسكين الجوى حتى اعرض عن هواها والهوى لما وجد
في الغار المنوي وتخلى عن جميع ما حاز واحتوى واعتزل الهوى م
وانزوى وبساط الرغبة طوى ولسان حاله ينشد لما ثمله
واستوى دع

دع الهوى فانه العقل الهوى • ومنتهى الوصل صدود وتوى •
وراقب الرحمن يا من غوى • فمعظم العمر تولى وانطوى •
ما ينفع الانسان يوم موته • ما حاز من امواله وما حوى •
ما دام في العمر اخضرار عوده • سهل وصعب اذا ما ذوى •

لتقسمها وراثه من بعده • وصونا اثرها قد انطوى •
تب قبل شيب الراس فالثاني • تبع شيب الراس لا ما يجمع

فرجع الاسكندر من بابل وقد احاطت به البلابل وظهرت به
اثار السقام حتى ثقل لسانه بالكلام وقد كان راى في منامه انه
يموت فوق ارض من حديد وتحت سماء من حديد ثم اخذه العطش
والحمى والتهب والظما فرشوا له تحته درعا من حديد وظللوه
فوقه بالحجف الفولاد لاجل ان يحصل له البرودة والانتعاش
فافاق بعد زمان من الغشي واللهف فدعا الدرع الحديد فوقه

وبحنه فاينقض بارتحاله . وتنادي منادي الحمام بتحوله وانتقاله فكتب كتابًا الي امه بصورة حاله . واوصاها ان تعمل له وليمة عجيبة الاسلوب . وتنادي لا يحضر هذه الوليمة الا من اصيب بخليل اوحبيب ومحبوب . فلما مات رحمه الله وضع في تابوت من ذهب وحمل الي امه الي ثغر اسكندرية . واختلس من هذه النعم وعمر من العمر ستا وثلاثين . وكانت مدة ملكه تسع سنين فقال لكبير حكمائه ليتكلم كل منكم بكلام . يكون للخاصة معزيًا وللعامة واعظا فقال احدهم لقد اصبح مستاسر الملوك اسيرًا . وقال اخر العجب ان القوي قد غلب . والضعفاء مغترون . وقال أخر قد كنت لنا واعظا ولا واعظ اكبر من وفاتك وقال اخر رب هايب لك لا يقدر ان يذكر اسمك سرا فهو الآن لا يخافك جهرًا وقال اخر يا من غضبه الموت هلا غضبت علي الموت وقال اخر مالك لا تحرك عضوا من اعضائك وقد كنت تزلزل الارض فلما ورد الكتاب علي وورد محمولا في التابوت . اسرعت في عمل الوليمة وهيأت المآكل الفاخرة . ونادت لا يحضر الوليمة الا من لم يفجع في الدنيا بمحبوب . ولا خليل فلم يحضر الوليمة احد فقالت ما بال الناس لا يحضرون الوليمة فقالوا لها انت منعتيهم من الحضور قالت كيف ذلك قالوا لقد امرت ان لا يحضر الوليمة الا من لا فجع بخل ومحبوب . وليس في الدنيا احد الا وقد اصيب بذلك فلما سمعت بذلك خف بعض ما بها من الحزن وقالت رحم الله ولدي لقد عزاني في نفسه باحسن تعزية والطف تسلية وقد مر منا الكلام على اسكندر في أول الكتاب وانما ذكرنا هذه

النبذة هنا لان فيها عبرة لأولي الالباب . فانظر ايها الناظر فالعاقل من نظر واعتبر . وتامل ما يؤول اليه الامر وفي عقباه افتكر . اين من ملك وقهر . اين من حشد وحشر اين من امر وزجر . واخرب آخرته ودنياه عمر . اتاه المنون المنتظر . فلم يكن له عنه محيد ولا مفر . فاحتطه من اعالي القصور الي اسافل الحفر وعوض عن السندس الاخضر بالتراب والمدر . ووصل اليه الدود الي ان اضمحل واندثر . ولم يبق منه عين ولا اثر . وسيرى يوم البرزخ والحشر ما قدمه في دنياه وما اخر وما احسن قول القايل شعر

اين الملوك وابناء الملوك ومن . كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا .
ومن سيوفهم في كل معترك . تخشى ودونهم الحجاب والحرس .
اضحوا حديث بل ضمهم جدث . بانوا وهم خرس في الرمس قد حبسوا
اضحوا بمهلكة في وسط معركة . صرعى وما شي الكون من فوقهم يطشوا
كانهم قط ما كانوا وما خلقوا . ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله ما شهدت نفسي بما سمعت . بدا البلاء بهم والدود يفترس
من اوجه ناظرًا كان ناظرها . ورونق الحسن فيه كيف ينطمس
والسن ناطقات زانها ادب . ما شانها شانها بالآفة الخرس
وعاد ترب الحنايا من لباسهم . جون الثياب وقد مازانها العرس
حتى يتي ذا النهي لا ترعوا أبدا . ودمع عينيك لا يجري وينبجس .

قال رحمه الله اذ نبهته لكل شمل شتت المولى ألنا مَهْ .

هذا البيت مرتبط بما قبله لانه علة له فكانه يقول من زار ذلك القبر نبهته تلك الزيارة على ما تقدم من العبرة وانه لا بد لكل

ملتئم من التشتت والتفرق وفي ذلك عبرة واي عبرة فان في
القبور ورؤياها عظة واعتبارا عند ذوي العقول والافكار
فان امرا الى هذا القبر غايته ابدا جدير بان لا يترك سدا وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم حين ساله قيس بن عاصم الموعظة انه
قال يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة
وان لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيبا وان لكل حسنة ثوابا ولكل
سيئة عقابا ولكل اجل كتابا وانه لا بد لك من قرين يدفن معك وهو
حي وتدفن معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما
اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسأل الا عنه فان
كان صالحا لم تستأنس الا به وان كان سيئا لم تستوحش الا منه وهو عملك
قوله تنبهنا النبه بالضم الفطنة والقيام من النوم وانبهه ونبهه
فتنبه وانتبه وهذا منبهة على كذا ولفلان مشعر بقدره ومعل له
وما نبه له ما فطن والاسم النبهة بالضم ونبه مثلثة شرف فهو نابه
ونبيه ونبه باسمه تنبيها نوه ومنبوه الاسم معروفه وامر نابه
ونبيه عظيم كذا في القاموس وقوله لكل شمل قال في المصباح
شملهم الامر بالكسر شمولا عمهم وجمع الله شمله اي ما تشتت من
امره وفرق الله شمله اي ما اجتمع من امره والشمل بفتحتين لغة
في الشمل انتهى وشتت فرق قال في المختار تقول شت الامر
يشت بالكسر شتا وشتاتا بفتح الشين فيهما اي تفرق واستشت
وتشتت وشتته تشتيتا فرقه انتهى والمولى هنا هو المولى
الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى والالتئام الاجتماع تقال

له

له جمعه ودار لموم اي تجمع الناس وتربهم ورجل ملم
يجمع القوم او عشيرته والملم الشديد من كل شيء واللمم محركة
الجنون والذنوب الصغار والعين اللامة المصيبة بسوء واللمة
الشدة وبالضم الصاحب والاصحاب في السفر كذا قال في القاموس

قال رحمه الله. هذا لسانُ الدين أَسْكِتْهُ والزِمْهُ لِجامَه.

هذا ابتداء مدح لاحد وزراء الاندلس بن الخطيب وقد اطنب في
مدحه الناظم رحمه الله على ما ترى واللسان آلة النطق وهو عنوان
على فضل الانسان او جهله وليعلم ان اللسان من نعم الله تعالى
العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم
طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان
وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم
خالق ومخلوق او متخيل او معلوم او مظنون او موهوم الا واللسان
يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب
عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه
خاصية لا توجد في سائر الاعضاء الا في اللسان. فان اللسان
رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد. فله في الخير مجال
رحب وفي الشر ذيل سحب. فمن اطلق عذبة اللسان. واهمله مرخى
العنان. سلك به الشيطان في كل ميدان. وساقه الى شفا جرف
هار الى ان يضطره الى البوار. ولا يكب الناس على مناخرهم الا
حصائد السنتهم الا ان يقيد بلجام الشرع وعنه صلى الله عليه
وسلم من صمت نجا وقال عليه الصلاة والسلام الصمت حكمة وقليل

فاعله وقال صلي الله عليه وسلم اكثر خطايا ابن ادم في لسانه
وقال صلي الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن
ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الي الله قبل الله
عذره وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلي الله عليه وسلم
فاكثر فقال عليه الصلاة والسلام كم دون لسانك من باب
فقال شفتاي واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك
وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول
الكلام وما احسن قول بعضهم

الصمت زين والسكوت سلامة ✿ فاذا نطقت فلا تكن مهذارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة ✿ فلقد ندمت على الكلام مرارا

لطيفة قيل جلس ابو يوسف يعقوب بن السكيت يوما
مع المتوكل وكان يؤدب اولاده فجاء المعتز والمؤيد ولدا
المتوكل فقال له يا يعقوب ايما احب اليك ابناي هذان او الحسن
والحسين فقال والله ان قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنيك
فقال المتوكل للاتراك سلوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات
في ليلته ثم ارسل المتوكل لولده عشرة الاف درهم وقال هذه دية
والدك ومن العجب انه كان قبل ذلك بيسير انشد لولدي المتوكل
وهو يعلمهما

يموت الفتى من عثرة من لسانه ✿ وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالراس ترمي براسه ✿ وعثرته بالرجل تبرا على مهل
وقد قدمنا نبذة على اللسان فلا نطيل عليها ولقد احسن من

قال

قال احفظ لسانك واستعذ من شره ✿ ان اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام اذا جلست بمجلس ✿ وزنا يلوح به عليك الرابح
فالصمت من سعد السعود وانه ✿ زين الفتى والنطق سعد الذابح

والدين الملة والحساب ايضا لقوله تعالي ذلك الدين القيم
والجزاء والدأب والعادة ايضا قال الشاعر

يقول وقد دارت لها وضينها ✿ اهذا دينه ابدا وديني

والطاعة ايضا قال زهير

لئن حللت بجو في بني اسد ✿ في دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقد جمعت في قوله

خذ ضابطا لمعاني الدين قد جمعت ✿ نظمتها لسراة الناس والسادة
فملة وحساب والجزاء كذا ✿ ك الطاعة اعدد تصب والملة

وقوله اسكته قال في القاموس واسكت انقطع كلامه فلم يتكلم
والسكتة داء وبالضم ما اسكت به صبيا او غيره وبقية تبقي في
الوعاء وقوله والزمه يقال لزمه كسمعه لزما ولزوما ولزاما ولزاما
ولزمانا بضمهما ولازمه ملازمة ولزاما والتزمه والزمه اياه
فالتزمه وهو لزمة كهمزة اي اذا لزم شيئا لم يفارقه ولزام كاكتاب
الموت والحساب والملازم وضربة لازم ولازب وسنة لزام كقطام
لازمه والتزمه اعتنقه واللزوم محركة فصل الشيء كذا في القاموس
والرجام كما في المختار حجارة ضخام دون الرخام وربما جعلت علي
القبر تسنم قال عبد الله بن مغفل في وصيته لا ترجموا قبري اي
لا تجعلوا عليه الرجم اراد بذلك تسوية قبره بالارض وان لا يكون

مستمار نقصا والمحدثون يقولون لا ترجموا قبري بالتخفيف
والصحيح انه مشدد والرجم ان يتكلم الرجل بالظن وتراجموا
بالحجارة تراموا بها انتهى والمعنى انه كما ذهب ابن الخطيب واندرس
وصار بعد ان كان عينا خبرا فلا بدع في ذلك فان الزمان من
طبيعه المعانده لاهل البلاغة والفصاحة والاحسان فهذا
لسان الدين الذي انما سمي بذلك لكونه جامعا لسائر انواع الكمال
حتى كانه في زمانه لشدة عدله ووفور دينه وعقله كانه بعض
آلة الدين التي بها يستبين الحق اي تبين فمحى الدهر
ما كان عليه واسكنه بعد ان كان عند ليث الدين بكل امر يشار
اليه وقد صار رهين رمسه بعد فصاحة الكلام وفي اللحد حفرته
مسوى عليه بالرجام وهكذا الدهر لا يصفو شرابه لانسان
الا واعقبه بالاساءة والخسران قال الناظم رحمه الله تعالى
ومحي عبارته فمن حياه لم يرد د سلامه المحو الازالة
وبابه محى عدا ورمي ومحاه ايضا محيا فهو محو ومحي والفعل امحى
ومنه امحى وانمحى لغة ضعيفة والعبارة هنا المراد بها ما تعبر به
عينه لان العبرة بالفتح تحلب الدمع وعبر الرجل والمراة والعين
من باب طرب جرى دمعه والنعت في الكل عابر واستعبر عينه
والعبران الباكي ورجل عابر سبيل اي مار طريق ويجوز ان يكون
هنا مصدر عبر بمعنى مات قال في المختار عبر مات وبابه نصر
انتهى ويكون على حذف مضاف تقديره مكان موته لانه لا معنى
لمحو موته بدون تقدير ويكون ذلك كناية يقتضي اندراس تربته بحيث

ان عايده لا يعرف مكانه وهذا حسن فقد ورد خبر القبور المدروسة
الدوارس فائدة لما امر الله سيدنا موسى عليه السلام بالمسير
ببني اسرائيل امره ان يحتمل معه عظام سيدنا يوسف وان لا يخلفها
بارض مصر وان يسير بها معه حتى يضعها بالارض المقدسة فسال
موسى عن ذلك فلم يجد من يعرف قبره الا عجوزا من بني اسرائيل فقالت
يا نبي الله انا اعرف مكانه ان انت اخرجتني معك ولم تخلفني بارض
مصر دللتك قال افعل وقد كان موسى عليه السلام وعد بني
اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع القمر فدعى ربه ان يوخر طلوعه حتى
يفرغ من امر يوسف ففعل فخرجت به العجوز حتى ارته اياه في ناحية
من النيل في الماء فاستخرجه موسى صندوقا من مرمر فاحتمله
معه وفي رواية ابي حاتم عن سعد بن عبد العزيز ان يوسف عليه السلام
لما حضرته الوفاة قال يا اخوتاه انى لم انتصر من احد ظلمني في
الدنيا واني كنت احب ان اظهر الحسنة واخفي السيئة فذلك زادي
في الدنيا يا اخوتاه اني قد اشركت ابائي في اعمالهم فاشركوني
معهم في قبورهم واخذ عليهم الميثاق فلم يفعلوا حتى بعث الله سيدنا
موسى عليه السلام فسال عن قبره فلم يجد احدا يخبره الا امراة
بنت ابن يعقوب فقالت ادلك عليه على ان اشترط عليك قال ذلك
لك قالت اصير شابة كلما كبرت قال ذلك لك قالت واكون معك
في درجتك في الجنة يوم القيمة فكانه امتنع فامر ان يمضي لها ذلك
ففعل فدلته عليه فاخرجه فكانت كلما كانت بنت خمسين سنة صارت
مثل ابنة ثلاثين سنة حتى عمرت الفا وستمايه او اربعمايه وحين

ادركها سيدنا سليمان بن داود عليه السلام انتهى والتحية السلام
ومعنى لم يرد رد سلام المجيب اي لم يسمع المجيب ردا لسلام والا فقد
رد حتى الاموات اما انتم باسمع منهم ولكن لا ينطقون وقد ورد
ان الاموات يستبشرون بزيارة الاحياء وينبغي لمن زار القبور
ان يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين انتم لنا سلفا ونحن لكم
خلفا نسال الله لنا ولكم العفو والعافية وان يقول السلام على
اهل لا اله الا الله يا اهل لا اله الا الله كيف وجدتم قول لا اله الا الله
يا لا اله الا الله اغفر لمن قال لا اله الا الله واحشرنا في زمرة
من قال لا اله الا الله بذلك وردت الاثار وصحت النقول والاخبار
وما احسن قول القايل

يا رب جد لي اذا ما ضمني جدثي ۞ برحمة منك تنجيني من النار
احسن جواري اذا امسيت جارك في ۞ دار الغرار فقد اوصيت بالجار

قال رحمه الله وكانه ما امسك القلم المطاع ولا حسامه

الامساك الحبس قال في القاموس امسكه حبسه وعن الكلام حبسه
ومسك به وامسك وتماسك وتمسك واستمسك ومسك احتبس واعتصم
والمسكة بالضم ما يتمسك به ويمسك الابدان من الغذا والعقل
الوافر وقد مسك مساكة علم وما فيه مساكة ككتابة ومسكة خير
يرجع اليه فيه انتهى والقلم كما في القاموس اليراعة اذا بريت وجمعه
اقلام وقلام والزلم والحلم وطول ايمة المراة وهي مقلمة ايم والسهم
يجال بين القوم في القمار وفي المختار القلم الذي يكتب به والقلم
ايضا الزلم والمقلمة بالكسر وعاء الاقلام وهو مشتق من قلمت الظفر

اذا قطعته وقيل له قلم لخفته لا انه مشتق من نبت يقال له القلام
ووصف القلم بكونه مطاعا من باب المجاز للملابسة بكون لكنها
موجودة به والا فالمطاع في الحقيقة هو الكاتب وهو كناية عن
نفوذ اقوال الممدوح واوامره بحيث انه اذا اجرى قلمه في امر نفذ
ولا يمكن الا الطاعة والانقياد يقال طاع له يطوع ويطاع انقاد
وهو طوع يديك منقاد لك والطواعية الطاعة والمطاع
هو ان يطيعه صاحبه في منع الحقوق وقوله تعالى فطوعت له
نفسه تابعته وطاوعته او شجعته واعانته واجابته اليه وطاوع
وافق كذا في القاموس والحسام كما في القاموس كغراب هو السيف
القاطع او طرفه الذي يضرب به ومن الليالي الدايمة وللسيف
اسماء كثيرة منها هذا ومخذم ومفصل ومخزم وجراز وقاضب
وهذام وعضب اذا كان قاطعا ولابن الانباري نظما فيه حيث
قال

اذا ما رايت السيف عندك قاطعا ۞ فصفه باوصاف تليق وتحمل
فقل قاضب عضب جراز ومخذم ۞ هذام حسام مفصل ثم مخصل

قال رحمه الله وكانه لم يعل متن مطهم بادي النعامه

قوله وكانه لم يعل اي يركب والمتن له اطلاقات النكاح والحلف
والضرب والذهاب في الارض والمد وما صلب من الارض وارتفع ومن
السهم ما بين الريش الى وسطه والرجل الصلب ولا يصح واحد منها
اصلا هنا والمراد به الظهر هنا قال في القاموس ومتنا الظهر مكتنفا
الصلب والمطهم من الخيل السمين الفاحش السمن وهو وصف رديء في
الخيل ويطلق على النحيف الجسم دقيقه وهو المراد هنا لانه وصف

حسن في الحيل فهو من الاضداد ويطلق المطهم في الانسان على
البارع الجمال المدور الوجه المجتمعه انتهى وبلدي ظاهر والتفات
من المزيد ما عدا وفيه وهي المرادة هنا وتطلق على المنقى والمزج
وانتو وروا الاكرام وعلى طاير معروف واسم سبعة افراس كما في
القاموس وما احسن قول القايل

وادهم حسن التحجيل ذي مرح • يميس من عجبه كالشارب الثمل
مطهم مشرف الاذنين تحسبه • موكلا باستراق السمع عن زحل

قال رحمه الله وكانه لم يعل غارب الاغتراب ولا سنامه

لا يخفى ما في قول الناظم لم يعل غارب البيت من الاستعارة حيث شبه
الغربة بالجمل بجامع تحمل المشاق واثبات ما يلايم المشبه به وهو
الغارب والسنام وفي جمعه بين السنام والغارب ما لا يخفى لانه يلزم
من علوه الغارب ان يعلو السنام لان الغارب اعلا السنام والمراد
بالاغتراب الغربة وبين الاغتراب والغربة شبه جناس مطلق كقوله
واسلمت مع سليمان وقد اخذ الناظم هذه العبارة من الحريري فانه
قال في مقامته الاولى لما اقتعدت غارب الاغتراب • وانأتني
المتربة عن الاتراب • الى آخرها قال فيها ولم تزل الاكابر والافاضل
تختار الغربة اذا نابت بهم المنازل • وما احسن قول ابن منير الطرابلسي
يخونك • واذا الكريم راي الخمول نزيله • في منزل فالحزم ان يتحولا
كالبدر لما ان تضا لجد في • طلب الكمال فحازه متنقلا
سفها لحلمك ان رضيت بمشرب • رنق ورزق الله قد ملا الفلا
فارق ترق كالسيف سل فبان في • متنيه ما اخفى القراب واخملا

للفقر لا للفقر هيها انما • مغناك ما اغناك ان تتوسلا
لا ترض من دنياك ما ادناك من • دنس وكن طيفا جلا ثم انجلا
وانشد ابو محمد بن غانم من شعراء الذخيرة هذين البيتين
واذا الديار تنكرت عن اهلها • فدع الديار واسرع التحويلا
ليس المقام عليك حتما لازما • في بلدة تدع العزيز ذليلا
وسيل الزيادة عليهما فقال
لا ترتضي حر بمنزل ذلة • لو لم يجد في الخافقين مقيلا
وقال الصلاح الصفدي
سافر تجد عزا فما مسك الورا • الا دما في سرة الغزلان
والريح لما فارق الوطن اغتدا • بدواية حفت وتاج ثات
وقال ايضا سافر تنل رتب المفاخر والعلا • كالدر سار فصار في التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى • ما فارقته معرة النقصان
وقال ايضا سافر فان الليث لما غاب عن • غاب حواه اشبع الاشبالا
والسيف لو لزم المقام بجفنه • ما راع اعداه وراق صقالا
وكذاك بدر التم لو ترك السرى • ابصرته طول الزمان هلالا
وقال ابن العميد بيتي لقطتني دار قوم تركتها • وسرت ولي فيها ومن لي هلها
وقال ابن الخياط الدمشقي
لا تنكرن رحيلي من دياركم • ليس الكريم على ضيم بصبار
تابى لي الضيم فرسان الخلاج وما • خيرت بين غزير تهمة واشعار
وقال عنترة العبسي في رواية بعضهم
احذر محل السو لا تحلل به • واذا نبا بك منزل فتحول

قيل ووقف بهلول على قول رجل فقال اخبرني عن قول الشاعر واذا
نبا بك منزل فتحول • كيف هو عندك قال جيد • قال فان كان في
الحبس فكيف يتحول • فانقطع الرجل قال البهلول الصواب قول الشاعر
اذا كنت في ارض يسؤك اهلها • ولم تك مكبولاً بها فتحول •
ومما قلته في معنى ذلك

وان نظرت عيني منا لاهل جفوة • بتدلت عنهم جيرة بعد جيرة •
وان ساومتني في الديار مذلة • جعلت الفيافي منزلي ومسرتي •
وقال ابن الوردي في لاميته

حبك الاوطان عجز ظاهر • فاغترب تلق عن الاهل بدل •
فبمكث الماء يبقى اسنا • وسرى البدر به البدر اكتمل •
صاحب لامية العجم

ان العلا حدثتني وهي صادقة • فيما تحدث ان العز في النقل •
وقال فيها ايضا لو ان في شرف الماوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
اي لان الشمس شرفها في برج الحمل وعلى كل حال فالسفر مرغوب فيه محبوب
قال صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا سافروا ترزقوا سافروا
تصحوا وتغنموا وقد يجب السفر وذلك اذا كان في بلدة كفر وخاف
على نفسه الارتداد والعياذ بالله تعالى او في بلدة فيها تسب الصحابة
او الاولياء جهاراً او كانوا يتجاهرون في ارتكاب المعاصي من غير
مبالات نسال الله العفو والعافيه • وما احسن قول القائل •
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه • وانصب فان لذيذ العيش في النصب
فالاسد لولا فراق الغاب ما افترست • والسهم لولا فراق القوس لم يصب

قف على صفات الملاح التي تجمعها الشاعر

او كانه لم يجل وجهاً جار من بشر تمامه •
قوله لم يجل وجهاً اي لم يكشف يقال جلا فلان الامر كشفه كجلاه وجلا
عنه وجلا علا ايضا والجلا مقصورة انحسار مقدم الشعر او نصف الراس
او هو دون الصلع والوجه ما تغنع به المواجهة والحوز الجمع والبشر بالكسر
الطلاقة وبالفتح الجمال والحسن وهو ابشر منه اي احسن واجمل واسمح
وقوله تمامه اي ما يتم به وقد وصف الناظم الوجه بالبشر على عادة
المولدين والاعراب انما تصفه بالصباحة قال ثعلب نقلاً عن
ابن الاعرابي الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في
الانف والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والظرف في اللسان
والرشاقة في القد واللباقة في الشمايل وكمال الحسن في الشعر وما احسن
قول الشاعر • في وجهه شافع يمحي اساءته • من الذنوب وجيه حيثما شفعا
اذا تاملته ناديت من ولَهٍ • البدر في ليلة الظلما قد طلعا
واري الناس يستملحون قول القايل •
واذا الحبيب اتى بذنب واحدٍ • جات محاسنه بالف شفيع •
وهذا كما قال بعض الادبا اذا اعتبر وجد ذماً لان مليحاً يأتي بذنب
واحد ويحتاج في العفو عنه الى الف شفيع ليس بمليح حقيقة والمدح الكامل
الوافي ان يكون المليح اذا اتى بالف ذنب جاء شافع واحد من حسنه
فمحى تلك الذنوب العديدة والاصل في ذلك كله قول الحاكم بن قنبر •
مستقبل بالذي اهوى وان كثرت • منه الذنوب ومعذور بما صنعا •
في وجهه شافع البيت المتقدم وابو فراس ابن حمدان كان اعرف واحذق
بالغزل وقد قال

أساءت زادته الإساءة حظوة ، حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيان ذنوبه ، ومن اين للوجه المليح ذنوب ، وقال ابن
حجاج ، وكلما رمت ان اقابله ، على تماديه في تعديه
جاءت على غفلة محاسنه ، تلزمني الصفح عن مساويه ، وقال عتيق
ابن محمد الوراق ، كلما اذنب ابدى وجهه ، حجة فهو مليء بالحجج ،
كيف لا يفرط في اجرامه ، من اذا شاء من الذنب خرج ، وقال احمد ابن
ابن قيس ، اشكو اليه صنع اجفانه ، فيقول مت يا ايسر الخطب ،
واذا نظرت الى محاسنه ، اخرجته عجلا من الذنب ، وقال اخر ،
عفت محاسنه عندي اساءته ، حتى لقد حسنت عندي مساويه ،
وقال اخر ، لي حبيب كالظبي غر ولكن ، بعذابي في الحب ما اغراه ،
واذا كر الذنوب فيكفيه ، اعتذارا عما جنى ان اراه ، وقال ابن
المعتز ، ومستبصر في العدو مستعجل القلا ، بعيد من العتبى قريب من الهجر ،
له شافع في القلب من كل ذلة ، فليس يحتاج الذنوب الى العذر
وهذا باب قد اكثرت فيه الشعراء التشبيب ، وبالغوا في ذلك في كل
مصيب **قال الناظم** **وكانه ملجأ له في امر ونهي وسامه**

قوله جال هو من باب قال والاجالة الادارة والتجوال التطواف وجول
في البلاد بالتشديد اي طوف وتجاولوا في الحرب جال بعضهم على بعض
والامر وهو اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير لفظ كف ولا يطلب
فيه علو ولا استعلاء وقيل يعتبران والنهي ضد الامر ونهاه عن كذا
ينهاه نهيا فانتهى عنه وتناهى اي كف وتناهوا عن المنكر اي نهى
بعضهم بعضا والنهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن

التبيح

القبيح وتناهى الماء اذا وقف في الغدير وسكن والانتهاء الابلاغ وسام
من السوم في المبايعة تقول ساومه سواما بالكسر وسامه خسفا اي اولاه
اياه واراده عليه ويصح ان يكون مصدر وسم من الوسم وهو الحسن يقال وسم
الرجل من باب ظرف وسما وسامة ووساما ايضا بحذف الهاء اجمل وجاد
وفلان وسيم اي حسن الوجه وقوم وسام وامرأة وسيمة ونسوة وسام كظراف
وظريف وصبيحة وصباح والمعنى ان الوزير مضى فكأنه لم يتردد في امر
ونهي ولم يساوم في شيء من ذلك اولم يتقلب في امر ولا نهي ولا حسن فاذا
فسر وسامه بالوسم اي حسن الوجه فلا متعدد كما ذكرنا وما احسن قول
القائل ، يا ولاة الامور والاجيال ، فالولايات تنقضي وتزول ،
بينما المرء بين امر ونهي ، في صعود اذ اعتراه نزول ، قال
الناظم رحمه الله **وكأنه ما نال من ملك حباه ولا احترامه**

النوال والنال والنائل العطاء ونلته ونلت له وبه وانلته اياه
ونولته ونولت عليه وله اعطيته ورجل نال جواد او كثير النائل وما
انوله ما اكثر نائله ونالت المرأة بالحديث والحاجة سمحت او همت
والنولة القبلة والنول اداة السائل وخشبة الحائك والنوال
النصيب كذا في القاموس والملك بكسر اللام وقد تقدم تعريفه والحبا
العطاء يقال حباه يحبوه حباء بالفتح اعطاه كذا في المختار وفي
القاموس حباه تحبية فهو حاب وحبي وفلانا اعطاه بلا جزاء ولا
من او عام والاسم الحباء ككتاب والحبوة مثلثة ومنعه ضد وحاباه
محاباة وحباء نصره واختصه ومال اليه والحبا كالغني ويضم السحاب
يشرف من الافق على الارض او الذي بعضه فوق بعض والحبة كثية حبة

جيد العنب انتهى وقوله ولا احترامه اي حرمته وهي كما في القاموس
بضمتين وبالضم اي ضم الحاء كهمزة ما لا يحل انتهاكه والمهابة
والنصيب ومعنى نواله كذلك من الملك اتصافه بالحرمة بسبب
ملابسته للملك لان من خص بخدمة الملك فواجب عليه توقيره
واحترامه ولا يعد شتمه شتما ولا اغلاظه اغلاظا ولا التقصير
في حقه ذنبا لان ريح القدرة بسطت لسانه ويده بالغلظة
فان انزله الملك منزلة رفيعة من نفسه فلا يثق بها وليجتنب
معه الكلام الملق والاكثار من الدعاء في كل وقت وكثرة الانبساط
فرب كلمة اثارت الوحشة بل يجتهد في توقيره وتعظيمه على كل
حال فان غضب فليحتل في تسكين غضبه باللين والمداراة
فقد حكي ان امير المومنين ابا جعفر بعث الى جعفر بن محمد اني
استشيرك في امري قد تانيت في امر اهل المدينة مرة بعد اخرى
فلا اراهم يرجعون ولا ينتهون وقد رايت ان ابعث فاحرق
نخيلها واغور عيونها فما ترى فسكت جعفر فقال ما لك لا تتكلم
فقال ان اذنت لي تكلمت قال قل فقال يا امير المؤمنين ان سليمان
اعطي فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف قدر فغفر وقد
جعلك الله من النسل الذين يعفون ويصفحون فطفي غضبه
وسكن وقدمنا نبذة فيها الكفاية مما يجب على من ابتلي بصحبة
الملوك وهي في هذا الباب غاية قال الناظم رحمه الله تعالى
وكانه لم يكن في يده للتدبير زمامه اي وكان هذا الوزير
لم يكن زمام التدبير بيده فقد شبه امور الملك بالناقة واثبت

لها شيئا من ملائمة المشبه به وهو الزمام فهو استعارة مكنية
وكون الزمام بيد الوزير اشارة الى شدة احتياج الملك الى الوزير
فقد نقل عن كسرى انه قال لا يستغني اعظم الملوك عن الوزراء ولا
اجود السيوف عن الصقال ولا اكرم الدواب عن السوط ولا احمل
النساء عن الزواج وقد مثل الوزير والرعية والملك بجماعة عميان
ليس فيهم الا قائد واحد فان لم يكن ذلك القائد احد الناس بصرا
والطفهم نظرا كان خليقا ان يوقعهم واياه في وهدة تدق
اعناقهم وعنقه معهم والوزير من السلطان بمنزلة البصر من
الانسان لانه اذا غفل السلطان عن امر ذكره وان ذكر اعانه وان
سولت له نفسه سيئة صده وان اراد طاعة نشطه فهو الذي به
تصلح الاحكام • وبيده من التدبير الزمام • شعر

اذا نسب الامير قصر حق • فان الذنب فيه للوزير
لان على الوزير اذا تولى • امور الناس تذكير الامير

قال رحمه الله مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
قد تقدم الكلام على مذ والدنيا مبسوطا والتقويض نزع الاعواد
والاطناب قال في القاموس قاض البناء هدمه كقوضه والتقويض
نزع الاعواد والاطناب وتقوض انهدم كانقاض والرجل جاء وذهب
وهذا بذا قوضا بقوض بد لا يبدل ويطلق التقويض على نقض البناء
من غير هدم وفي كلام الناظم استعارة تبعية حيث شبه رحيل ممدوحه
عن الدنيا بتقويض الخيام الذي يفعله المسافر واشتق منه قوض بمعنى
رحل تجريت اولا في المصدر ثم تبعيتها في الفعل على ما لا يخفى والخيا

جمع خيمة ويجمع علي خيمات وخيم والخيمة كما في القاموس اكمة فوق
ا بانين وكل بيت مستدير او ثلاثة اعواد او اربعة يلقى عليها الثمام
ويستظل بها في الحر وكل بيت يبنى من عيدان الشجر وتخيم هنا ضرب
خيمة به والريح الطيبة في الثوب عبقت به والخيم بالكسر السجية
والطبيعة بلا واحد وفرند السيف انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى

اوي لقبر مفردا والترب قد جمعت عظامه

المأوي كل مكان
ياوي اليه ليلا او نهارا وقد اوي منزله ياوي كرمي يرمي اوياً علي
فعول واواء علي وزن فعال ومنه قوله تعالى ساوي الي جبل يعصمني
من الماء واواه غيره ايواء نزل به واواه ايضا فعل به كما في المختار والقبر
واحد القبور وقد تقدم الكلام عليه ورؤيته مخشعة للقلب مذكرة
للقاء الرب فتسن زيارته وعدم نسيانه فعسى الزائر ان يتعظ بمن
مضى من اخوانه قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس
قال من لم ينس القبر والبلا وترك زينة الدنيا واثر ما يبقى علي ما يفنى
ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي ما
شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران صدق يكفون
الالسنة ويذكرون الاخرة وكان عثمان بن عفان اذا وقف علي قبر
بكي حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي
وتبكي اذا وقفت علي قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده
ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما تكلم ابن ادم
فتقول انا بيت الدود انا بيت الغربة وبيت الوحدة وبيت الظلمة

هذا

هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وكان ابو بكر العابد يقول يا
اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك
منه رحيلا وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم
فقد خان نفسه وخانهم وكان الحسن بن صالح اذا اشرف علي المقابر
يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وقال سفيان من
اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده
حفرة من حفر النار وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما اردت
الخروج منها اذا بصوت قائل يقول لا يغرنك صوت اهلها فكم من نفس
مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الي جنازة زوجها
الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت شعرا

وكانوا رجاء ثم امسوا رزية . لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت علي قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت
السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع
هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا صوتا من جانب البقيع الاخر بل يئسوا
فانقلبوا وقيل مر فارس بغلام فقال يا غلام اين العمران فقال اصعد
الي الشرف فصعد فاشرف علي مقبرة فقال ان الغلام لجاهل او حكيم
فرجع فقال سالتك عن العمران فدللتني علي المقبرة فقال اني رايت
اهل هذه ينقلون الي تلك ولم ار احدا منهم ينتقل من تلك الي هذه
وانما ينتقل من الخراب الي العمران ولو سالتني عما يواريك ودللتك الي
تلك ود للتك قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه استحيوا من الله
حق الحيا فقالوا انا لنستحيي والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى

من الله حق الحيا فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر
الموت والبلا ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا وقال ابو موسى التيمي
توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة فيهم الحسن
فقال له الحسن يا ابا فراس ماذا اعددت لهذا القبر فقال شهادة ان لا اله الا الله
منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق وقال شعرا

اخاف وراء القبر ان لم يعافني   اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيمة قائد   عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد ادم من مشى   الى النار مغلول القلادة ازرقا

ولبعضهم ايضا القبور واهلها

قف بالقبور وناد في ساحاتها   من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها   قد ذاق برد الامن من روعاتها
اما السكون لذا العيون فواحد   لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بالسن   تصف الحقائق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة   يفضي الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب   في حفرة ياوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه   في شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالقبور فانشات اقول شعرا

اتيت القبور فناديتها   فاين المعظم والمحتقر
واين المذل بسلطانه   واين المزكي اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول
تفانوا جميعا فلا مخبر   وماتوا جميعا ومات الخبر   فيا سائلي عن اناس مضوا

اما

اما لك فيما ترى معتبر   تروح وتغدو بنات الثرى   وتمحو محاسن تلك الصور
قال فرجعت وانا باك وقال بعضهم

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم   غلب الرجال فلم ينفعهم القلل
واستنزلوا من بعد عز من معاقلهم   فاسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا   اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة   من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائلهم   تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا يوما وما شربوا   فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد اكلوا

وقال بعضهم شعرا

وعظتك اجداث صمت   ونعتك ازمنة خفت
اردتك قبرك في القبور   وانت حي لم تمت

اوصى بعض العلماء ان يكتب على قبره هذه الابيات

الهي قد اصبحت ضيفك في الثرى   وللضيف حق عند كل كريم
فهب لي ذنوبي في قراي فانها   عظام ولا تقري بغير عظيم

ووجد مكتوبا على قبر شعر

تناجيك اجداث وهن سكوت   وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغة   لمن تجمع الدنيا وانت تموت

ووجد على قبر اخر مكتوبا هذا الشعر

ايا غانما اما ذراك فواسع   وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره   اذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب

يمر اقاربي جنبات قبري • كان اقاربي لم يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي • وما يالون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامهم وعاشوا • فيا لله اسرع ما نسوني

• ووجد علي قبر مكتوبا •

ان الحبيب من الاحباب مختلس • لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها • يا من يعد عليه الغر بالنفس
اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذو جهل لغرته • ولا الذي كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف • فقبرك اليوم في الاجداث مندرس
كم اخرس الموت من قبر وقفت به • عن الجواب لسانا ما به خرس

• ووجد علي قبر مكتوبا •

وقفت علي الاحبة حين صفت • قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعي • رات عيناي بينهم مكاني

• ووجد مكتوبا علي قبر طبيب •

قد قلت لما قال لي قايل • قد صار لقمان الي رمسه • فاين ما يوصف من طبه
وحذقه في الماء مع جسه • هيهات لا يدفع عن غيره • من كان لا يدفع عن نفسه

• ووجد مكتوبا علي قبر •

يا ايها الناس كان لي امل • قصرني عن بلوغه الاجل • فليتق الله ربه رجل
امكنه في حياته العمل • ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الي مثله سينتقل

• ووجد علي قبر آخر •

الموت بحر موجه طافح • يضيق فيه حيلة السابح • يا اخي اني قايل فاسمع

مقالة من مشفق ناصح • ما يصحب الغني الي قبره • غير التقي والعمل الصالح
فهذه ابيات كتبت علي القبور ليقضي بمتاملها الي الاعتبار بها
قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الي قبر غيره فيري مكانه
بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم
يلحق بهم والترب والتراب والتربة والتوراب والتورب والتيرب
والاربعة الاخيرة مفتوحة التاء والاوليان بضمها واكل بمعني
وجمع التراب اتربة وتربا بكسر التا وترب الشي اصابه التراب ومنه
ترب الرجل اذا افتقر لانه الصق بالتراب • وتربت يده دعا عليه
لا اصاب خيرا • وتربه تتريبا فتترب اي لطخه بالتراب فتلطخ
واتربه جعل عليه التراب • وفي الحديث اتربوا الكتاب فانه انجح للحاجة
واترب الرجل استغني كانه صار له من المال بقدر التراب ايضا
والترب بالكسر اللدة والمتربة الفاقة والمسكنة وقوله جمعت
عظامه يقال جمع الشي المتفرق فاجتمع وبابه قطع وتجمع القوم
اجتمعوا من هنا ومن هنا ومعني جمع التربة عظامه تجمعها بعد
تفرقها والعظام جمع عظم قال الناظم رحمه الله سبحانه وتعالى
من بعد تثنية الوزارة جاده صوب الغمامة قد تقدم
الكلام علي الوزارة بما لا مزيد عليه ومعني تثنية الوزارة انه كان
ثاني الوزراء وقوله جاده يقال جاد واجاد اتى بالجيد وجادت
العين جودا وجؤودا كثر دمعها والجود المطر الغزير كما في القاموس
والصوب نزول المطر والصيب السحاب ذو الصوب وصابه المطر
اي مطر والغمامة واحدة الغمام وهو السحاب كذا في المختار ويحتمل

ان يكون في هذا البيت وفي الذي قبله توجيه لان قوله في البيت
قبله اوي لقبر مفردا وقوله فيه قد جمعت عظامه شبه التوجيه
لاحتمال مفردا المدح اي حال كونه فردا في الكمالات او الذم اي فردا
ذليلا حقيرا وينبني على هذا التفسير في قوله قد جمعت عظامه
اي عظامه الشريفة على الاول او جمعت عظامه بعد ان كانت
متفرقة لا يمكن الوصول اليها فهي الان مندثرة في التراب لا يعبؤ
بها ولذا قوله في هذا البيت بعد تشنيعة الوزارة على ما لا يخفى
والتوجيه قد فسرته علماء البيان بانه ايراد الكلام محتملا لوجهين
مختلفين كقوله • خاط لي عمرو قباء • ليت عينيه سواء • وقال
اخر في الحسن بن سهل لما زوج ابنته بوران بالخليفة بارك الله
للحسن ولبوران في الختن • يا امام الهدى ظفرت • ولكن ببنت من
فلم يعلم ما اراد بقوله ببنت من في الرفعة ام في الحقارة وقال ابو مسلم
الخراساني يوما لسليمان بن كثير انك كنت في مجلس وقد جرى ذكري
فقلت اللهم سود وجهه واقطع راسه واسقني من دمه فقال نعم قلت
ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابهامه وعفى عنه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فاصنع ما شئت فانه يحتمل مدحا
وذما الاول اذا لم تفعل فعلا يستحيي منه فاصنع ما شئت والثاني
اذا لم يكن لك حياء يمنعك فاصنع ما شئت وقريب من هذا النوع
المواربة وهي ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فاذا حصل
الانكار استحضر بحذقه وجها يتخلص به اما بتحريف او تصحيف
او زيادة او حذف فمن الحذف قول ابي نواس يهجو خالصة جارية

الرشيد

الرشيد • لقد ضاع شعري على بابكم • كما ضاع در على خالصه •
فلما بلغ الرشيد انكر عليه وهدده فقال لم اقل الا ضاء فاستحسن
مواربته وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فابصر
وشاهد هذا التصحيف قول العز الموصلي لما مات فتح الدين ابن
الشهيد وشمس الدين المزين •

دمشق قالت لنا مقالا • معناه في ذا الزمان يبين •
اندمل الجرح واسترحت • ذاق من الفتح والمزين •

ومن التوجيه قول العلاء الوداعي •

من ام بابك لم تبرح جوارحه • تروي احاديث ما اوليت من منن •
فالعين عن قرة والكف عن صلة • والقلب عن جابر والسمع عن حسن •

وعني بقرة بن خالد السدوسي وصلة بن اشيم العدوي التابعي وجابر بن الضحاك وحسن
البصري قال الناظم رحمه الله لم يبق الا ذكره • كالزهر مفترا الكمامه
الذكر كما في القاموس بالكسر الحفظ للشيء كالتذكار والشيء يجري على اللسان
وليسا بمرادين هنا ويطلق على الصيت كالذكرة بالضم والثنا والشرف
ويصح ارادة كل واحد منهم هنا وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين اسم للتذكير
وذكرى لاولي الالباب عبرة لهم وانى لهم الذكرى من اين لهم التوبة وذكرى
الدار اي يذكرون بالدار الاخرة ويزهدون في الدنيا فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم اي فكيف لهم اذا جاءتهم الساعة بذكرهم وقول الناظم لم يبق
الا ذكره اي ذكر ممدوحه لسان الدين وهذا من بليغ المدح اشارة الى ان
صدقاته جارية بعد موته فعمله باق وان مات فقد ورد في الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث

صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقد نقلت ارباب التفاسير في قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنا اي اجعل لي ثناء حسنا في الذين يكونون بعدي الى يوم القيامة وقد استجاب الله دعاءه كذا في بعض التفاسير والزهر جمع زهرة وهي النبات ونوره او الاصفر منه ومن الدنيا نعيمها بهجتها ونضارتها وحسنها والزهرة بالضم البياض والحسن وزهر السراج والقمر والوجه كمنع زهورا تلألأ كازدهر والنار اضاءت والازهر القمر ويوم الجمعة والثور الوحشي والاسد الابيض اللون والمشرق الوجه انتهى وقوله مفتر الكمامة قال في القاموس افتر ضحك ضحكا حسنا والكمام بالكسر في الاصل وعاء الطلع والمراد به هنا غطاء الزهر يقال له اذا اعطاه وافترارها انشقاقها عن الزهر فكأن الناظم رحمه الله تعالى شبه ممدوحه بالزهر المخبأ تحت الكمام وشبه مآثره الكائنة بعد موته بعبير الزهر وعرفه فكما ان عبير الزهر ينشق بعد افترار الكمام عنه فترتاح له القلوب كذلك مآثره الحسنة بعد موته ترتاح لسماعها الارواح وتطلب له الرحمة من علام الغيوب وما احسن من قال

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن روى

قال رحمه الله والعمر مثل الضيف او كالطيف ليس له اقامة

العمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة ويجمع على اعمار كذا في القاموس والضيف في الاصل مصدر ولذا يطلق على الواحد والمتعدد وقد

يجمع

يجمع على الاضياف والضيوف والضيفان والمرأة ضيف واضاف الرجل وضيفه انزله به ضيفا وضافه ضيافة اذا نزل عليه والضيافة سنة من سنن الاسلام وعادة من عادات الكرام والاحاديث الشريفة متظاهرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وحسن موقعها وقد اجمع المسلمون على الضيافة قال الامام ابو حنيفة والامام مالك والشافعي رضي الله عنهم اجمعين انها سنة وليست بواجبة وقال الليث واحمد هي واجبة يوما وليلة على اهل البادية والقرى دون اهل المدن وتأول الجمهور الاحاديث المقتضية لوجوبها بحملها على الاستحباب ومكارم الاخلاق كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اي متأكد الاستحباب وانما قلنا بتأكد استحبابها على اهل البادية لان المقصود من الضيافة ثلاثة امور الايواء والتجمل والقرى وهذه الثلاثة متعذرة في البادية احيانا بخلاف المدن فانها موجودة لان المسافر لا يتعذر عليه وجود المنزل والخلق الكثير والطعام الكثير على اختلاف انواعه كما ورد في الخبر الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر اي لما تقرر قال تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام وما زاد فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده وفي رواية حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء له

يقربه وفي رواية ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف
فاقبلوا وان لم يامروا فخذوا منهم حق الضيافة وفي الحديث
الضيف ينزل برزقه ويرحل وقد غفر لصاحبه وفي الحديث تصلي
الملائكة على الرجل ما دامت مايدته موضوعة وفي حديث انما
بيت لا يدخله الضيف لا يدخله الملائكة ومن سنن الانبياء ان
يبني الانسان في منزله بيتا للضيافة كما فعله الخليل عليه
السلام وفي الحديث ان لكل شي زكاة وزكاة الدور بيت الضيافة
وفي الصحيح ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الاسلام
خير قال تطعم الطعام فجعل اطعام الطعام من الاسلام واطعام
الطعام على نوعين اما ان ياتيك الزائر فتطعمه فيكون ضيفا لك
واما ان تدعوه فيجيبك زائرا لك في منزلك فيكون ضيفا
بدخوله في منزلك ولو لم يكن في التضيف فايدة الا ما ورد فيه من
ان الضيف اذا ارتحل ارتحل بذنوب اهل المنزل لكفى واما اداب
المضيف فمن السنة ان ياخذ بيد ضيفه ويدخله المنزل مستبشرا
به وينظر اليه بالبشاشة وبالبشر ويكرمه بما استطاع من الرفق
واللطف فقد قيل بشاشة الوجه خير من القرى فكيف به مع البشاشة
نظمه بعضهم فقال

بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن ياتي بها وهو ضاحك

وقد ضمن الشمس البديري ذلك البيت حيث قال

اذا المرء وافى منزلاك قاصدا * قراك وارمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا اهلا ويوم مبارك

وقدم

وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن ياتي بها وهو ضاحك

وان يعرف حق اجابته له ويتقلد منه منة عظيمة في ذلك
ويقابل ذلك باحسان ويلاطفه في الكلام والخطاب قالت
العرب تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة قال حاتم
الطائي

سلي الطارق المعتر يا ام مالك * اذا ما اتاني بين ناري ومجزري
هل ابسط وجهي انه اول القرى * وابذل معروفي له دون منكري

ولله در القائل

الله يعلم انه ما سرني * شي كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفا له والضيف رب المنزل

وما احسن قول سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن فيه سواء والطارق
كل ما فيه حلال له * الا الذي حرمه الخالق

قال الاصمعي سالت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق
فقال اوما سمعت قول عاصم بن وايل حيث قال

وانا لنقري الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

ومن ادابه ان يعجل له ما حضر من الطعام والشراب ويضعه
بين يديه كما فعل الخليل عليه السلام فراغ الى اهله فجاء بعجل
حنيذ فقربه اليهم ولا يمنعه ذلك قلة ما عنده بل يحضر
اليهم ما وجد فقد جاء عن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا
يقدمون الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندري

ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم به اليه او الذي يحتقر ما عنده
ان يقدمه وان لا يعد كثرة ما يقدمه الى الضيف اسرافا ولا يقوم ما
ينفق على الضيف فانه من البخل ويختار للضيف اطيب الطعام
وازكاه فيقدمه في احسن الاواني قيل للاوزاعي رجل قدم الى
ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والسمن والعسل فقال لا يؤمن
هذا بالله واليوم الاخر ولا يتكلف له فوق طاقته فيؤدي الى
بغضه ويؤثر الضيف على نفسه بما عنده وان لم يجد الا قوت ليلة
ويتولى خدمة الضيف بيده مهما امكن كما فعل الخليل عليه السلام
ولا يمنعه من ذلك علو منصبه وزيادة شرفه فان ذلك من
زيادة فقد نزل الشافعي بمالك فصب بنفسه الماء على يده وقال
لا يروعك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض وكان الشافعي اذ ذاك
ابن اربعة عشر سنة ومالك في سن الشيخوخة وكبر المقدار وكثرة
العلم ويبدا في التقديم باعز شيء هناك كان عنده ولا باس
بان يخيرهم الطباخ بما هيا لهم من الالوان ليختار كل شهوته
حكي عن الشافعي رضي الله عنه انه كان نازلا عند الزعفراني
ببغداد والزعفراني هذا هو الامام الذي لحقه السهو لما صلى خلف
الشافعي والف الشافعي بسببه كتابا سماه ما سمه وهو اربعون
جزءا يعرف بكتاب الزعفراني وضعه بالعراق وكمل في ثلاث
سنين قال فكان الزعفراني يكتب كل يوم في رقعة ما يطبخ من
الالوان ويدفعها الى الجارية فاخذها الشافعي منها يوما
والحق فيها لونا اخر فعرف الزعفراني ذلك فاعتق الجارية

ايما الذي يؤتى بدم
به سرب غثار

سرورا بذلك وكان من سنة السلف ان يقدموا جملة الالوان دفعة
واحدة ليأكل كل ما يشتهي ويقدم كل شيء من المطعوم والنوادر
والبقول والخضر والملح المدقوق وان يضع الرغفان وترا ومن
ادابه اذا قدم الطعام الى الاضياف ان لا ينتظر من يحضر
من عشيرته فقد قيل ثلاثة لا تنفع سراج لا يضيء ورسول بطيء
ومائدة ينتظر لها من يجيء ومن ادابه ان يكون رب المنزل
اول من يضع يده في الطعام ان قعد معهم واخر من يرفع يده
منه وان يحثهم على الاكل ان راى منهم توانيا ويرى مؤنة الضيف
على الله تعالى لا على نفسه ولا يدعو الى طعام احدا الا لله تعالى ويتجنب
الربا والمراء والمباهات ويدخل بذلك السرور على اخوانه وبسط
نفوسهم وزيادة تودده ولا يدخل على الضيف الا من يوافقه
ولا يخص بضيافته الاغنياء ويحرم الفقراء ولا يدعو من دار واحدة
الاب دون الابن والاخ اذا كانا كبيرين فان ذلك جفاء ويقدم
الافضل علما والاكبر سنا ويكرم الضيف بما يخالف السنة ولا
بما يشق عليه ويقدم له بالليل ما يحتاج من السراج والوقود
والسواك والنعل والوضوء ولما نزل الشافعي بمالك وادخله منزله
قال له القبلة في البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا الخلاء
وللضيافة اداب كثيرة لولا خوف الملل من الاطالة لسردتها
والطيف ما يحصل للنائم من خيال المحبوب او غيره واصل طيف فيعل
بتشديد الياء فخففوه الى طيف بحذف عينه كما قالوا في ميت
ميت وقال الاصمعي هو مصدر طاف وبه اخذ السهيلي فقال هو

مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل
لانه لا حقيقة للخيال انما هو توهم وتخيل فان كان له حقيقة قلت
فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون
لان الذي طاف له حقيقة وطيف لان غرور الشيطان وامانيه تشبه
بالخيال وما لا حقيقة له وقال ابو البقا اصله طوف بالواو من
طاف يطوف قلبت الواو ياء وان كانت ساكنة ولذا ذكره صاحب
المحكم في مادة الواو ايضا وسبب الطيف على ما ذكروا ان النفس
اذا ولعت بشيء حصل في القوة المتخيلة فيصير نصب عينه
وقبالة وهمه مستيقظا او نائما فاذا نام لاهجا بما قام
بمخيلته راه خيالا فيحصل له نوع تسل فلذلك ولعت الشعرا
بذكر الطيف في اشعارهم انتهى وبين الضيف والطيف جناس
وهو جناس مصحف باعتبار اختلافهما بالنقط كما هنا وفي
قوله تعالى وهو الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
ومضارع باعتبار اختلاف الضاد والظاء مع تقارب المخرج
كما في قوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا لانه قد يكون
في الكلمة جناسان بل اكثر ويكون ذلك بالاعتبار كما في قول علي
رضي الله عنه غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش
فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا وكما في قول غيره رب رب
غني غني سرته سرته نجاه نجاة بعد بعد عشرته عسرته
انتهى ففي قول علي فغرك عزك جناس مصحف ومحرف فهو مزدوج
وقوله قصار قصار وفاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا

كذلك

كذلك لكنه مركب مرفو متشابه وذلك لكنه ملفوف
مفروق ورب رب محرف من نوع مزدوج من التالية انتهى وقد بين
الناظم رحمه الله تعالى وجه المماثلة بين العمر والضيف والطيف
بقوله ليس له اقامة يعني ان الضيف ياتي ويرتحل وكذلك الطيف
فالعمر كذلك فلا يغتر احد به وان طال فانه لا بد من ذهابه ؀

قال الناظم رحمه الله والموت حتم ثم بعد الموت اهوال القيمة

وليعلم ان الموت قد اختلف في تعريفه قال سيدي احمد ابو العباس الحريشي
رحمه الله ونفعنا به ان حقيقة الموت لا يعلمها الا من يعرف حقيقة
الحياة ولا يعرف حقيقة الحياة الا من يعرف حقيقة الروح وحقيقة
الروح مما اختلف فيه العلماء اختلافا كثيرا لم يتفق لهم هذا الاختلاف
في مسئلة من المسائل لصعوبة الاطلاع على حقيقته حتى قال
بعض الحشوية من العلماء خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يعلم حقيقة الروح ولكن الحق الذي هو حقيق بان يتبع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان عالما بحقيقة الروح لان الروح ليس الا
نفسه وهو صلى الله عليه وسلم قد كان عارفا بنفسه عارفا بربه فحاش
منصبه ان لا يعرف حقيقة نفسه وكذا خواص الاولياء والصوفية
والمكاشفون والعلماء والمحققون مثل الامام حجة الاسلام محمد
الغزالي والامام الراغب الاصفهاني رحمهم الله تعالى يعلمون
حقيقة الروح وقد قال الشيخ العارف المحقق الامام نجم الدين
الرازي قدس الله سره في كتاب منازل السائرين ومقامات
الطائرين ان العبد اذا عرف الله بالله فهذا اوان اراءة ماهية

كل شيء كما هي وهذا وقت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق وقد تحقق العبد كنت له سمعا وبصرا ولسا نا
ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش ففي هذه الحالة
كيف يبقي لهم لمعرفة الروح خطر عند من هذه أحواله وهو مع هذه
الرتبة العلية والمواهب السنية من لواقط سواقط حبات
سنبلات بيادر بوادر النبوة ونوادر الرسالة فكيف بحال سيد
المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل
الأولين والآخرين صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين
في معرفة الروح وهو الذي يقول علمت ما كان وما سيكون
واعلم أن الروح هو جوهر نوراني قائم بنفسه هذا كلامه قدس
سره وقد بين المحققون والمكاشفون حقيقة الروح لكن ما
عرفوا ذلك إلا بالكشف والذوق لا بالمقدمات المرتبة المعقولة
فمعرفة الروح لا تكون إلا ذوقية فكذا معرفة الموت أيضا
لا تكون إلا ذوقية ولأجل هذا قال الله تبارك وتعالى كل نفس
ذائقة الموت ولم يقل عارفة بالموت أو عالمة بالموت أو واقفة
من الموت أو مدركة للموت ولم يقل إلا ذائقة الموت ليكون تنبيها
للعباد على أن الموت من الأمور الذوقية وكل أمر ذوقي لا يمكن لأحد
تعريفه لغيره وإنما تمكن معرفته بالوصول إليه وإدراكه بمجرد
الذوق والوجدان لا بالسؤال عن الغير وتعريف الغير إياه له
فإن هذا التعريف محال ولهذا قال الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي
رحمه الله ورضي عنه في بعض تصانيفه أن واحدا من الملوك

دار الاصطبل

والسلاطين قد كان عنينا فأرسل كتابا إلى حكيم من الحكماء في زمانه
وقد كان عالما بجميع العلوم والفنون وكتب في ذلك الكتاب إني
عنين لا أقدر على الجماع والوقاع وأريد أن أعرف لذة الجماع كيف
هي وأي شيء هي فكتب الحكيم إليه في الجواب يا أيها الملك أنا
إلى الآن ما كنت أعرف أنك عنين وأما الآن فقد عرفت أنك عنين
وأحمق أما تعلم أن لذة الجماع ذوقية واللذات الذوقية لا يمكن لأحد
تعريفها لغيره وكذلك لذة حلاوة السكر لا يمكن تعريفها للغير
وكذلك لذة سماع الصوت الحسن لا يمكن تعريفها للغير هذا كلامه
رضي الله عنه ونحن نقول أيضا الموت أمر ذوقي يشهد به القرآن
العظيم كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وكقوله تعالى لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى وكل أمر ذوقي لا يمكن أن يعرف إلا بعد
الوصول إليه وحتى يذاق ويعلم فالموت لا تعرف حقيقته إلا بعد
وصول العبد إلى الموت فإذا نزل عليه الموت حتى يذوق الموت وعند
هذا الذوق ينكشف له عن حقيقة الموت فلا يمكن لنا الإخبار عن
حقيقة الموت انتهى **فائدة** روى البخاري ومسلم والترمذي
من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت كأنه
كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة
خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وفي رواية الترمذي
فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع فيذبح

فلولا ان الله قضى لاهل الجنة بالحياة والبقا لماتوا فرحا
ولولا ان الله تعالى قضى لاهل النار بالحياة والبقا لماتوا
حزنا وانما جي بالموت على هيئة كبش املح لما جا ان ملك
الموت اتى ادم عليه السلام على صورة كبش املح قد نشر من
اجنحته اربعماية جناح قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل
والكلبي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة خلقهما اجسمين
جعل الموت على هيئة كبش املح لا يمر على شي ولا يجد ريحه شي الا
مات وخلق الحياة على هيئة فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل
والانبيا صلى الله عليه وسلم يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار
دون البغل لا تمر بشي ولا تطا شيا ولا يجد ريحها شي الا حيي
وهي التي اخذ السامري من ترابها فالقاه على العجل انتهى وهذه
هي الحكمة في فداء اسمعيل الذبيح بكبش مكون فدا من الموت
بشكل الموت ولما امر بذبحه سر اهل الجنة ايضا بذبحه لهم منه عليهم
وذكر القرطبي في كتاب خلع النعلين ان الذابح للكبش بين
الجنة والنار يحيى بن زكريا عليهما السلام بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم اذ في اسمه نسبة الى الحياة الابدية وذكر صاحب
الفردوس ان الذي يذبحه جبريل عليه السلام وقوله حتم الحتم
احكام الامر والقضا وحتم عليه الشي اوجبه قوله ثم بعد الموت
اهوال القيامة ابن مقام الاضمار لضرورة النظم واهوال القيمة
كثيرة وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى

الناس

الناس سكارى وما هم بسكارى وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال يقول الله تعالى يوم القيمة لادم يا ادم قم فابعث بعث
النار فيقول لبيك وسعديك وما بعث النار فيقول من كل الف
تسعماية وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فعنده
ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل ما في بطنها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الذي
بقي قال ابشروا اني لارجوا ان تكون من ياجوج وماجوج الف
ومنكم واحد ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا
وحمدنا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا
وحمدنا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة فكبرنا وحمدنا
واهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي ثم قال صلى
الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب مع كل
واحد سبعون الفا فقال عكاشة بن محيصن ادعوا الله ان
يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل من الانصار وقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة ومن اهوالها نفخ
الصور فانها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن روس الموتى
فيثورون دفعة واحدة كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون اي الى البعث والوحوش مختلطة بالناس وذلك
قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم يساقون بعد البعث والنشور الى
المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا
قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس

رضي الله عنهما يزاد فيها وينقص ويذهب اشجارها وجبالها
واوديتها وما فيها وتمد الارض مد الاديم العكاظي ارض بيضاء
لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسماء تذهب شمسها
ونجومها وقمرها واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما الخلايق كذلك
دارت السما من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وحشر الناس
ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ثم تفكر في ازدحام
الخلايق فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما
كانت عليه فلم يبق ظل الا ظل العرش للمقربين ثم يفيض العرق ويرتفع
الى ابدانهم على قدر رتبهم حتى بعضهم الى شحم اذنيه ثم ان كل عرق لم
يخرجه التعب في سبيل الله فسيخرجه الحيا والخوف في صعيد القيامة
ومقداره خمسون الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة وعمر
الدنيا سبعة الاف سنة فاعلم ان يوم القيامة الذي مقداره خمسون
الف سنة ويخف على المومن حتى تكون عليه اخف من الصلوة المكتوبة
ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السوال
شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير ويقوم الملايكة
صفا وعند ذلك يصدق قوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون
قال عليه الصلاة والسلام من ستر على مومن عورته ستر الله عورته
يوم القيامة وقال عليه الصلوة والسلام ما منكم من احد الا ويساله
ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ثم تفكر في الميزان وان
الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو

في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك
ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب
نفسه ووزن بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته
والامر في مظالم الخلق اشد فانه لا بد من المطالبة ثم تفكر بعد هذه
الاهوال في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وهو جسر ممدود
على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر من استقام في هذا
العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا ومن عدل
عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى عثر في
اول قدم من الصراط وتردى ومن الناس من يمر عليه مثل البرق
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجري ومنهم من يسعى سعيا
ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا
فاما اهل النار فلا يموتون ولا يحيون ثم يوذن بالشفاعة
واهوالها كثيرة نرجو منه تعالى ان يمن علينا بالسلامة من ذلك انتهى
وانما سمي يوم القيامة بذلك لان الناس يقومون فيه من قبورهم
او لقيامهم الى الحساب وللقيامة اسماء كثيرة منها يوم الراجفة ويوم
الازفة يوم الرادفة يوم الغاشية يوم الزلزلة يوم الصاعقة يوم
الحاقة يوم الطامة يوم الصاخة يوم التلاق يوم الفراق يوم الساق
يوم القصاص يوم لات حين مناص يوم التناد يوم الاشهاد يوم المعاد
يوم المرصاد يوم المسئلة يوم المناقشة يوم الحساب يوم المآب يوم
العذاب يوم القرار اما في الجنة او النار يوم القضا يوم الجزاء يوم
البكاء يوم البلاء يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا يوم الحشر

يوم النشر يوم الجمع يوم البعث يوم العرض يوم الحق يوم الوزن
يوم الحكم يوم الفصل يوم عقيم يوم التغابن يوم عظيم يوم قمطرير
يوم النشور يوم المصير يوم الدين يوم اليقين وله اسماء غير هذه
والعرب تسمي الشيء باسماء كثيرة وتجعل له القابا عديدة تعظيما
لشأنه واكبارا للأمر انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى

والناس يجزون عن أعمال ميل واستقامة الناس اصله
اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة
وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال
اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا
كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس والناس مدغم الاناس
قال الخليل هو فعل من النوس وهو الثبوت او جمع انسان اصله
انسيان قال المتنبي وكانا ابنا عدو كاثراه له ياءي حروف انيسان
وقال ابن عباس سمي لنسيانه قال
لا تنسين تلك العهود فانما سميت انسانا لانك ناسي
وقال آخر فان نسيت عهودا منك سالفة فاغفر فاول ناس اول الناس
وقيل لانسه بحواء وعن الترمذي لانسه بربه عز وجل وقال
وما سمي الانسان الا لانسه ولا القلب الا انه يتقلب او من
انس لادراك البصر اياه من غير لبس والجزاء المكافاة على الشيء
والاعمال جمع عمل وهو الفعل والميل العدول عن الطريق والاستقا

الاعتدال

الاعتدال ولني بالميل والاستقامة عن المعاصي والطاعات
فان الله تعالى يجازي عليهما بمحض عدله وفضله قال تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقوله عليه الصلاة والسلام الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير
وان شرا فشر وهذه المسألة طويلة الذيل فلنقتصر على هذا
ومن اراد البسط فعليه بكتب السنة فان فيها ما يشفي العليل
ويبري الغليل قال الناظم رحمه الله تعالى

فذو السعادة يضحكون وغيرهم يبكي ندامة المراد بذوي
السعادة هم المؤمنون وبغيرهم الكافرون مقتبسا من قوله تعالى
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون
والضحك معلوم والندم الاسف يقال ندم عليه كفرح ندما وندامة
وندامة وتندم اسف وفي عبارته شبه احتباك فانه حذف مقابل
السعادة وهو الشقاوة ومقابل الندم وهو الفرح وكل من المذكورين
فيه دلالة على مقابله وهذا نوع حسن من انواع البديع وقد فسر
الاحتباك بان يذكر جملتان في كل منهما متقابلتين ويحذف من كل ضد
ما ذكر في الاخرى كما قررناه ومنه قوله تعالى فئة تقاتل في سبيل
الله واخرى كافرة فحذف من الاول مؤمنة ومن الثاني تقاتل في
سبيل الشيطان ومنه قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما الاية التقدير ومثل الانبياء والكفار كمثل الذي ينعق
والذي ينعق به فحذف من الاول الانبياء لدلالة الذي ينعق عليه
ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه وقوله تعالى

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا فحذف تدخل غير بيضا ومن الثاني
واخرجها ومن الطفه قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي صالحا
بسيئ واخر سيئا بصالح ومنه قوله تعالى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا لان
الزمهرير يطلق على البرد والقمر فيحتمل ان يراد بالزمهرير البرد وتكون
الاشارة بالشمس الى انه لاحر فيها فحذف الحر من الاول والقمر من الثاني
والتقدير لاشمس فيها ولاقمر ولاحر ولابرد قال الناظم رحمه الله تعالى
والله يفعل فيهم ماشاء ذلا او كرامه هذا البيت مخصص
لما في عموم قول الناظم والناس مجزيون عن اعمال سيل واستقامة فانه
ربما يفهم ان شيا من الجزاء واجب عليه تعالى فدفع ذلك بقوله والله يفعل
الخ لما انه تعالى له التصرف في ملكه كيف شاء لاوجوب عليه في شيء بل للمالك
التصرف فيما ملكه لايسال عما يفعل وهذا هو اعتقاد اهل السنة والجماعة
وليس هذا المحل محل بسط ذلك قال صاحب الجوهرة ، ومن يمت ولم يتب
من ذنبه ، فامره مفوض لربه ، والذل الاهانة يقال ذل يذل ذلا
وذلة بضمها وذلة بالكسر ومذلة هان فهو ذليل والكرامة العزازة
يقال له علي كرامة اي عزازة والكرم ضد اللوم كرم بضم الراء كرامة
وكرما محركتين فهو كريم واكرمه عظمه ونزهه والكريم الصفوح كذا
في القاموس قال الناظم ويشفع المختار فيهم حين يبعثه مقامه
قد اثبتت العلماء رضي الله عنهم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الخمس الاولى
الشفاعة الكبرى وهي في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون
اليه بعد الانبياء كما في الحديث المشهور الثانية في جماعة فيدخلون الجنة
بغير حساب الثالثة في جماعة استحقوا دخول النار ان لايدخلوها

الرابعة في جماعة دخلوا النار ان يخرجوا منها الخامسة في رفع درجات
الناس في الجنة وزاد اخرون شفاعته صلى الله عليه وسلم في التخفيف على
ابي طالب وشفاعته في تثقيل موازين اقوام عند اعمالهم فتكون سبعا
وزيدت اربع اخرى وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن جاءه زائرا
ولمن مات بالمدينة ولمن صبر على شدتها ولمن اجاب المؤذن ثم سال
له صلى الله عليه وسلم الوسيلة قلت ولايبعد رجوع هؤلاء الى
ما تقدم ذكرهم والله تعالى اعلم وزاد بعضهم شفاعات اخرى منها
شفاعته صلى الله عليه وسلم لجماعة من صلحاء المؤمنين ليتجاوز عنهم
في تقصيرهم في الطاعات وشفاعته صلى الله عليه وسلم في اطفال
المشركين ان لايعذبوا وشفاعته في اهل بيته ان لايدخل احد منهم النار
وشفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن خلد من الكفار في النار ان يخفف
عنهم العذاب في النار ويحتمل ان ترجع هذه الى ابي طالب كما مر وشفاعته
صلى الله عليه وسلم فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط فهذه ستة عشر
وانظر ماخذها من كتب الحديث والمختار علم عليه صلى الله عليه وسلم
اي المختار من كافة الخلق والضمير في فيهم عائد الى امته صلى الله
عليه وسلم واشار بقوله حين يبعثه مقامه المراد به المقام المحمود المشار
اليه بقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال الناظم رحمه الله
وعليه خير صلاته مع صحبه تتلو سلامه قد فسرنا الصلوة
لغة بانها من الله رحمة اي تفضل واحسان ومن الملائكة استغفار اي
بلفظه او بمرادفه ومن غيرهما تضرع ودعا ثم هذا هو المشهور والذي
عليه المحققون ان الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم هو بالنسبة الى الله

تعالى الرحمة والى الملائكة استغفار والى الادميين دعا بعضهم لبعض
لانه يرد على الاول ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا
يحسن تفسير القاصر بالمتعدي وانه لو قيل مكان تصلي عليه دعا عليه
انعكس المعنى وحق المترادفين صحة حلول كل منهما محل الاخر ولانه
اذا اسند فعلها الى الله اوالى الملائكة اوالى الادميين اختلف
معناه بالنسبة الى كل واحد ولم نعرف بالعربية ان فعلا واحدا يختلف
معناه باختلاف المسند اليه اذا كان حقيقيا ثم اعلم ان الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم قيل يقصد بها تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا الدعاء
بايصال الثواب اليه لانه اجل من ان ينتفع بدعائنا وقيل يقصد
الامران وجمع بان من ذهب الى الاول اراد انه لا يصرح بانه صلى الله
عليه وسلم ينتفع بصلاتنا عليه وان كنا نعتقد ذلك بقلوبنا كالعبد
القن المنتفع به سيده لا ينبغي له ان يصرح بانتفاع سيده به قال شيد
اثبات الصلاة والسلام بعد البسملة في صدور الكتب والرسائل
حدث في زمن ولاية بني هاشم ثم مضى العمل على استحبابه ومن العلماء
من يختم به كتابه كالناظم رحمه الله تعالى وصحبه هو اسم جمع
لصاحب عند سيبويه وجمع له عند الاخفش وجمع صحب اصحاب كشهد
واشهاد لا جمع صاحب لان فاعلا لم يثبت جمعه على افعال والصاحب
بمعنى الصحابي هو من اجتمع مؤمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في
الارض في حال نبوته فخرج بقوله مؤمنا من لقيه كافرا فليس بصاحب
لعداوته ولو اسلم بعد ذلك كرسول قيصر وعبد الله بن صياد ان
لم يكن هو الدجال ويؤخذ من قولهم من لقي النبي صلى الله عليه وسلم

ان الكلام مفروض فيما بعد البعثة اذ وصفه بالنبوة الظاهر انه لا
يكون الا بعدها فيخرج من لقيه قبلها فليس من صحابته وان كان
مؤمنا بغيره من الانبياء وان توقف فيه الحافظ ابن حجر وكذا شيخه
العراقي حيث قال ان المراد من رآه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة
لمن ولد للنبي بعد النبوة كابراهيم ولم يترجموا لمن ولد له ومات قبلها
كالقاسم اما من مات على الاسلام ولو تخللت ردته بين لقيه مؤمنا
وموته مؤمنا فهو صحابي اذ الردة انما تحبط العمل بالموت كما صححه
الرافعي حاكيا عن الشافعي لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما في القران
من الاطلاق في غير هذه الاية محمول على هذا التقييد سواء رجع الى
الاسلام في حال حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح ولو
لو لم يلقه ثانيا ام بعد موته كقرة بن هبيرة والاشعث بن قيس فانه
كان ممن ارتد واتي به الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته اسيرا
فعاد الى الاسلام فقبل منه وزوجه باخته ولم يتخلف احد عن ذكره
في الصحابة ولا عن تخريج احاديثه في المسانيد ومشى عليه الحافظ
ابن حجر وان استظهر شيخه العراقي ان من اسلم من ردته بعد وفاته
لا يكون صحابيا قال الصفوي والشمس المقدسي والظاهر انه لابد من
التمييز لقول الحافظ العلائي في ترجمة عبد الله بن الحارث بن نوفل
وعبد الله بن ابي طلحة الانصاري كل منهما حنكه النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا له ولا صحبة له وقال شيخ الاسلام زكريا دخول غير المميز في التعريف
ليس مرادا على المختار لكن قال بعض الافاضل رضي الله عنه يدخل الصغير

ولو غير مميز كمحمد بن ابي بكر فهو صحابي مع انه ولد قبل وفاته صلى الله
عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام لانه عليه السلام راه وما اشترطه
بعضهم من كونه يعقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كلمة ضعيف انتهى
ويمكن الجمع بان من اشترط التمييز فهو باعتبار التحمل ومن لم يشترطه فهو
باعتبار الصحبة المطلقة ولا خفاء ان رتبة من لازمه وقاتل معه او
قتل تحت رايته اعظم من لم يحضر شيئا من ذلك وكذا من شاهده يسيرا او
راه على بعد او في حال الطفولية وان كان شرف الصحبة حاصلا للجميع
قال الحافظ ابن حجر ان ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كشف له ليلة الاسرا
عن جميع من في الارض فراهم فينبغي ان يعد من الصحابة من كان مؤمنا في حياته
وان لم يلاقه لحصول الرؤية من جانبه صلى الله عليه وسلم لكن خالفه شيخ
الاسلام زكريا بقوله شمول التعريف لمن اجتمع به من الملائكة والانبياء ليلة
الاسرا ليس مرادا لوقوعه على وجه خرق العادة بل الاجتماع المتعارف بين
الناس وان كانت رتبة اكثر من هؤلاء فوق رتبة الصحبة والظاهر ان شيخ
اراد بالانبياء عيسى لانه لم يمت اما غيره من الانبياء ولو ادريس فلا يتوهم
دخولهم لان رؤيته لهم بعد موته والرؤية بعد الموت لا تفيد الصحبة
كما تقدم ولم يذكر صاحب جمع الجوامع في التعريف ومات على الاسلام واعترض
عليه بمن مات مرتدا واجاب عنه شارحه المحلي بان يسمى قبل الردة صحابيا
ويكفي في صحة التعريف اذ لا يشترط فيه الاحتراز عن المنافي العارض ولذلك
لم يحترزوا في تعريف المؤمن من الردة المعارضة في بعض افراده قال ومن زاد
من متاخري المحدثين كالعراقي ومات مؤمنا للاحتراز عن من ذكر اراد به ما
يسمى صحابيا بعد موته لا مطلقا والا لزمه ان لا يسمى الشخص صحابيا حال

حياته ولا يقول بذلك احد وان كان ما اراد ليس من شان التعريف
والسلام بمعنى التسليم اي بمعنى التحية او السلامة من النقايص وجمع
بين الصلاة والسلام فرارا من كراهة افراد احدهما عن الاخر وامتثالا
لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فان قيل قد جاءت الصلوة عليه غير
مقرونة بالتسليم في اخر تشهد الصلوة قلت قد تقدم فيه في قوله السلام
عليك ايها النبي قال العلامة ابن قاسم وهل الافراد مكروه ايضا في
حق بقية الانبياء اولا لان طلب الجمع بينهما انما ورد في حقه صلى الله
عليه وسلم دون غيره من الانبيا فيه نظر والظاهر انه لا يتوقف في مقام
الانبيا عليهم الصلاة والسلام انه مكروه في حقهم ايضا كذا نقله العلامة
الشنواني من غير ترجيح واقره شيخ شيخنا العلامة الشبراملسي
ويكفي في الخروج عن الكراهة الاتيان بهما خطا فقط او لفظا او احدهما
لفظا والاخرى خطا قال الناظم رحمه الله تعالى

اي وعلى **والتابعين ومن بدا برق الرشاد فشامه**

التابعين والتابعي هو الذي اجتمع بمن اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قال الخطيب البغدادي لا يكفي فيه اجتماعه بالصحابي من غير اطالة
الاجتماع نظرا للعرف في الصحبة بخلاف اجتماع الصحابي بالنبي
صلى الله عليه وسلم ومشى عليه في جمع الجوامع وفرق شارحه الجلال
المحلي بان الاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يؤثر من النور
القلبي اضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الاخيار
فالاعرابي الجلف بمجرد ما يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ينطق بالحكمة
ببركة طلعته صلى الله عليه وسلم وقال الحاكم يكفي الاجتماع به وان

لم يطل ولم يسمع منه وصححه ابن الصلاح والنووي وغيرهما
وعليه العمل وكذا الناظم رحمه الله تعالى بقوله ومن بدا برق
الرشاد فشامه اي نظره عن المؤمنين فكانه قال صلى الله
عليه وسلم وعلى صحبه العاملين والتابعين والمومنين المهتدين

قال رحمه الله ما فاز بالرضوان عبد كان بالحسنى ختامه

ما مصدرية والفوز النجاة والظفر بالخير ورضوان الله
تعالى هو المبدا لكل سعادة وكرامة والمودي الى نيل الوصول
والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم ابدا والمراد بالحسنى هي كلمة الشهادة
ويكون بها ختامه اي اخر كلامه فقد ورد عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من كان اخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله
دخل الجنة نرجو منه تعالى ان يرزقنا حسن الختام ويدخلنا
الجنة دار السلام • ويكفينا شر غير الايام بجاه خير الانام
عليه من الله افضل الصلوة والسلام • ما ترنم قمري وناح الحمام
وقد آن للقلم ان يبلع دافق ريقه ويمسك عن تمييقه •
وترويقه • ويخلع مسود برودة • ويقف عن ركوعه وسجوده •
فنرجو ممن وقف على ما له القلم حرره • ان يصلح ما طغى به وعثر
لان السلامة من هذا الخطر امر يعز على البشر • فستر الله على

من بالاغضاء نظر • وغفر لمن انصف وغفر • ان تجد عيبا
فسد الخللا • جل من لا فيه عيب وعلا • كيف لا والانسان
محل الخطاء والنسيان • ولا سيما والبواعث على ذلك كثيرة
في هذا الزمان • فلله الحمد باطنا وظاهرا • واولا واخرا •
ومنه ارجو الرضى والقبول • انه تعالى خير مسئول ومأمول
وكان الفراغ من تسويده وتحريره في عاشر المحرم الحرام عام
١١٥١ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
في البكور والعشية • انتهى كلام الشارح حفظه الله وابقاه
وقد قال بعض ناسخي هذا الشرح حين اطلع على ما انطوى
عليه من المحاسن • وانتهل من صافي شرابه الذي ليس باسن
وقد تم هذا التاليف • الرائق الشراب البديع الترصيف •
ان نظرت الى تركيبه • قلت كانه الفتوحات • او في حسنه قلت
كانه شروح البديعيات • او في مسائله قلت رياض الصالحين
او في تصوفه وجماله • قلت هذا القطب والده محيي علوم الدين
او نظرت الى لغاته قلت هذا قاموس مجد الدين • او في مناسباته
او للحاوي • قلت هذا الحاوي الثاني لكلام العلماء والمجتهدين
كان لهذا التاليف در نضيد • او عقد فريد • لانه جمع بين الطارف
والتليد • كيف لا ومولفه السيد احمد افندي الادهمي السعيد
قد خصه الله بما لم يخص غيره من امثاله • من مكارم الاخلاق
وعوارف فضائل ما فوقها مزيد • فلقد احيى مشاهد العلم
ورفع معالم قواعده • واوضح منها الطريق • لاهل التحقيق

فجزاه الله افضل الجزا، ونشر علومه علي اهل الدرايه والصفا
ولا غروان يصدر عن بحره هذه الجواهر، وعن كنزه ومدده،
هذه النجوم الزواهر، انتهي وقد قرظ علي هذا الشرح الفريد
ذو الراي الصايب السديد، الآتي في ملح الفاظه بكل نادر وشريد
فخر العلماء الاكابر الشمس اللقيمي السعيد، واجاد في المقال حيث قال

ابهي من البدر المنير الاعظم ، والشمس رابعة الضحى في العالم
ومن النجوم الزاهرات مظاهرا ، تهدي الحداة الي السبيل الاقوم
ومن البروق اللامعات سواطعا ، تروي لنا عن ثغرها المتبسم
وارق من مر النسيم اذا سري ، سحرا كانفاس الشجي المتتيم
وارق من غمز العيون لعاشق ، من ذات حسن لارق لمغرم
ومن الازاهر ان تروح الشذا ، عن مسك دارينا العبيق المنتمي
وارق من خمر الدنان اذا انجلت ، جنح الظلام كووسها كالانجم
وارق من الحان معتبر في الغنا ، وبلابل تشجي النهي بترنم
ولجل وقعك في الوغي من ضيغم ، شاكي السلاح اذا استطال بصيغم
لقصيدة المقري الهمام وشرحها ، للسيد المولي الشريف الادهمي
سبحان من قسم الحظوظ فلا عنا ، ولا ملامة حكمة من احكم
ابدي معانيها الخفية مدركا ، لولا بديع بيانه لم تفهم
فيها تواريخ الملوك ومعشر ، شادوا العلا فضلا بحسن تقدم
وبها عظاة بالبلاغة زركشت ، تهمي العيون مدامعا كالعندم
وبه لطايف كالجواهر نظمت ، لولا عقود حلاه لم تنتظم
هولا اذا عقدوا التناظر مجلسا ، اضحي لديه فصيحهم كالابكم

واذا تصدر في مقام خطابة ، فله التصدر بالخطاب المفخم
شنفت سمعي من لطايف شرحه ، وظفرت منه بحظوة المتعالم
وابيك هذا الشرح اعدل شاهد ، اضحي عليها كالطراز المعلم
واجلت فيه فكري فاذا به ، ابهي من البدر المنير الاعظم

وقال راقم حروف معانيه، ومسطر تراكيب مبانيه،
العبد الفقير، والعاجز الحقير، المقصر المتواني، عبد الفتاح المرقباني
لما يسر الله لي نسخ هذا الشرح مرات عديده، وتحليت منه بكل درة
فريده، امعنت النظر فيه حالة الكتابه، فطوقتني قلايده،
واساغتني شرابه، فسالت فكري مدحه فلبتني في الاجابه،
فقفوت اثر من سلك بمدحه انهج المسالك، وقلت ح هذه
الابيات وان لم اكن اهلا لذلك،

اهدي السني من الكواكب شرحنا ، حاوي المزايا مع جليل الرتبة
السيد الحبر التقي الادهمي ، نسل الكرام فيالها من نسبة
بمؤلف لما رقمت حروفه ، ما خلت الا انني في الجنة
اذ فيه ما اشتهت النفوس ومابه ، لذت عيون الناظرين وقرت
لا غرو ان سكرت عقول ذوي النهي ، عند اجتلا كاساته من نشوة
اثنت عليه مسامعي اذ شنفت ، وكذا بناني مع انامل يمنتي
للنحو والقاموس والفقه حوي ، وعروض قافيه وعلم الهيية
وكذلك التاريخ مع علق الجا ، زوما تغزله كثير عزة
مجنون ليلي بث فيه غرامه ، وكذا جميل هيامه ببثينة
وشكي هواه بمية غيلانها ، وهو الملقب بيننا ذو الرمة

اخبار كسري والقياصر فيه مع ۰ اهل المجون ذكورهم والنسوة
لا استطيع اقص بعض صفاته ۰ ومتى احاول ذاك تجمد فكرتي
فالله يحفظ من لنا قد صاغه ۰ درا يتيما غاليا في القيمة
ووسيلتي في حفظ بنيتنا ۰ طه الملاذ لكشف كل ملمة
صلى عليه ذو الجلال مسلما ۰ والال والصحب الكرام وعترة
ما اثمر العود الرطيب ومابه ۰ غنت حمام الايك في سحرية

وكان الفراغ من تمام كتابة هذه النسخه المبارك في يوم
الاثنين المبارك الثامن من شهر شوال المبارك
من شهور سنة ستة وخمسين ومائة
والف من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل الصلاة
والسلام واخر دعوانا
ان الحمد لله
رب
العالمين

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصالحين عنبر
عبده